" الماوية : نظرية و ممارسة "

عدد 20 – ماي / جوان 2015

شادي الشماوي

نضال الحزب الشيوعى الصينى ضد التحريفيّة السوفياتية 1956 - 1963 :

تحليل و وثائق تاريخية

مقدّمة :

" يحدث الآن لتعاليم ماركس ما حدث أكثر من مرّة فى التاريخ لتعاليم المفكّرين الثوريّين و زعماء الطبقات المظلومة فى نضالها من أجل التحرّر . ففى حياة الثوريّين العظام كانت الطبقات الظالمة تجزيهم بالملاحقات الدائمة و تتلقّى تعاليمهم بغيظ وحشيّ أبعد الوحشيّة و حقد جنونيّ أبعد القحّة . و بعد وفاتهم تقوم محاولات لجعلهم أيقونات لا يرجى منها نفع أو ضرّ ، لضمّهم ، إن أمكن القول ، إلى قائمة القدّسيّين ، و لإحاطة أسمائهم بهالة ما من التبجيل بقصد " تعزية " الطبقات المظلومة و تخبيلها ، مبتذلة التعاليم الثوريّة بإجتثاث مضمونها و ثلم نصلها الثوري . و فى أمر " تشذيب " الماركسيّة على هذا النحو تلتقى الآن البرجوازيّة و الإنتهازيّون داخل الحركة العمّاليّة . ينسون ، يستبعدون ، يشوّهون الجانب الثوريّ من التعاليم ، روحها الثوريّة . و يضعون فى المقام الأوّل و يطنبون فى إمتداح ما هو مقبول للبرجوازية أو يبدو لها مقبولا ."

هذا ما قاله لينين فى بداية الفصل الأوّل من كتابه العظيم " **الدولة و الثورة** " و هي كلمات تعكس حقيقة ما إنفكّت تتأكّد يوما بعد يوم .

و لم تطل تلك السياسة المعادية للثورة البرولتاريّة العالمية و رموز علم الشيوعية الأوائل كماركس و إنجلز و حسب بل طالت أيضا لينين ذاته الذى جرت شيطنته غالبا و تحويله إلى ديمقراطي برجوازي أحيانا . أمّا ستالين ، من بعده ، فصبّ عليه الإمبرياليّون و الرجعيّون جام غضبهم و لعناتهم جميعها مصوّرينه فى الغالب الأعمّ مجرما سفّاكا للدماء و أحيانا فاقدا لقدراته العقليّة أو قوميّا متعصّبا .

و تمّ الإفتراء على ماو تسى تون خاصّة إثر مفارقته الحياة سنة 1976 و نسبت إليه جرائم لم تحدث أصلا و أعمال لم يرتكبها و لفّقت له التهم العديدة و المتنوّعة . هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، صيّره البعض قوميّا فى حين صيّره آخرون ديمقراطّا برجوازيّا ...

ولم تأت الضربات من منظّري الإمبريالية و الرجعيّة العالميّة وأبواق دعايتها و مأجوريها و حسب بل كال التحريفيّون من كلّ رهط ، بما هم ماركسيّون مزيّفون ، و منهم التحريفيون الصينيون أو البرجوازيّة الجديدة الصينية التى أعادت تركيز الرأسمالية فى الصين بعد إنقلاب 1976 ، كافة أنواع الإفتراءات و نظّموا حملات تشويه و خاضوا حروبا شعواء ضد الشيوعيّة الثوريّة و رموزها خدمة للإمبرياليين و الطبقات الرجعيّة المحلّية .

و منذ عقود كانت هيمنة التحريفيّة و الإصلاحيّة على الحركة الشيوعية فى البلدان العربيّة شبه مطلقة و قد نال خاصّة لينين و ستالين و ماو تسى تونغ ما نالوا من طلقات المدفعيّة الثقيلة للتحريفيين المتقدّمين للجماهير فى زيّ ماركسي و هم أعداء الروح الثوريّة للماركسيّة . و قد إنخرطنا منذ سنوات الآن عن وعي تام بجسامة المهمّة العسيرة للصراع المبدئي على الجبهة النظريّة بمشروع مجلّة " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " و كان هدفنا و لا يزال دحض التخريجات التحريفية و الدغمائيّة إعلاء لراية الحقيقة و الترويج لعلم الشيوعية و نشره حتّى تشقّ النظريّة الثوريّة طريقها نحو بناء حركة ثوريّة كجزء لا يتجزّأ من الثورة البروليتاريّة العالمية و غايتها الأسمى الشيوعية و تحرير الإنسانيّة .

و اليوم و قد رصدنا تهافت تحريفيّين أو دغمائيّين ذوى نزعات خروتشوفيّة و تروتسكيّة و خوجيّة وسعيهم الحثيث و الخبيث إلى تزوير تاريخ الماويّة بكلّ فجاجة جاعلينها معادية للماركسية – اللينينية أو لما يطلقون عليه " البلشفيّة " أو ما شابه و واصمينها بالتحريفيّة وهم بهذا النعت أولى و أحقّ ؛ و الحال أنّ الحزب الشيوعي الصيني و على رأسه ماو تسى تونغ هو الذى كان وراء بعث الحركة الماركسيّة – اللينينية العالمية التى نشأت فى خضمّ إنشقاق داخل الحركة الشيوعية العالمية نتيجة صراع حياة أو موت ضد التحريفية المعاصرة و فى مقدّمتها التحريفية السوفياتية ؛ وأنّ الماويّين الصينيّين هم الذين مثّلوا رأس حربة الحركة الماركسية – اللينينية و الذين دافعوا بمبدئية و إستماتة عن المبادئ اللينينية و عن ستالين و التجربة الإشتراكيّة فى الإتحاد السوفياتي زمن لينين و ستالين فى وجه عواصف الإفتراء و التشويه اليمينية و " اليسراويّة " .

لذلك إرتأينا المساهمة فى هذه المعركة الحامية الوطيس من أجل مزيد وضع الأمور فى نصابها و وضع النقاط على الحروف إعتمادا على وثائق تاريخيّة كأدلّة قطعيّة نادرة باللغة العربيّة فى أيّامنا هذه . و من ثمّة فتّشنا و نقّبنا هنا و هناك و تمكّننا من الحصول على بضعة وثائق غير منشورة على النات غاية فى الأهمّية بشأن نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفيّة السوفياتية من 1956 إلى 1963 ، فإجتهدنا لنسخها و إعدادها للنشر على شبكة الأنترنت لتضاف كوثائق تاريخيّة إلى " **حول التجربة التاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا** " (أفريل 1956) و " **مرّة أخرى حول التجربة التاريخيّة لدكتاتوريّة البروليتاريا** " (ديسمبر 1956) " **الثورة البروليتاريّة و تحريفيّة خروتشوف** " و " **حول مسألة ستالين** " (1963) و هي وثائق متوفّرة بالعربيّة على موقع " الصوت الشيوعي " بمكتبة ماو للعرب . و نعوّل على الرفيقات و الرفاق و الأصدقاء و محبّى الحقيقة أن يمدّوا يد العون لنشر بقيّة وثائق صراع الماركسيّين – اللينينيّين الصينيين ضد التحريفيّة السوفياتية إن كانت لديهم تلك الوثائق باللغة العربيّة أو عثروا عليها بأيّة صورة من الصور (و خاصة منها " **أصل الخلافات و تطوّرها بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي و بيننا** " و " **هل يوغسلافيا قطر إشتراكي ؟** " و " **خطّان مختلفان حول مسألة الحرب و السلم** " المنشورة سنة 1963 و " **شيوعية خروتشوف المزيفة و الدروس التاريخية التى تقدمها للعالم** " سنة 1964) .

و لأنّ الوثائق التاريخيّة تحتاج بلا أدنى شكّ إلى تأطير وتحليل ، كان لا بدّ من تولّى مسؤوليّة صياغة هذا التأطير و التحليل إن لم نعثر على نصوص ماويّة تفى بالغرض . و مجدّدا كانت عمليّة البحث و التنقيب مثمرة إذ تكلّلت جهودنا بتوفير نصّ بالأنجليزيّة يتطرّق لموضوعنا بالذات فإنكببنا على ترجمته دون تأخير . و فى معرض مطالعاتنا و قراءاتنا لوثائق شتّى تتّصل بمحور هذا العدد من " **الماويّة : نظريّة و ممارسة** " ، برزت أمامنا قراءة نقديّة ماويّة لإحدى أهمّ تلك الوثائق التى نضع بين أيدى القرّاء ، الوثيقة المنعرج العالمي فى ذلك الصراع ضد التحريفية السوفياتية ألا وهي " **إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالميّة** " فلم نغادر مكاننا حتّى فرغنا منها و سرعان ما خرجنا بإستنتاج ضرورة تعريب القراءة النقديّة و تضمينها فى كتابنا هذا كمثال حيّ عن التعاطي النقدي المبدئي مع تراث الحركة الشيوعية العالمية من منطلق تطوير علم الشيوعية و تنقيته من الأخطاء فى صراع مستمرّ لا هوادة فيه من أجل الحقيقة التى تخوّل تفسير العالم تفسيرا علميّا صحيحا و تغييره من منظور الثورة البروليتارية العالمية وتحرير الإنسانيّة جمعاء .

و الوثيقتان التأطيريّة و النقديّة وردتا فى عدد من مجلّة **" الثورة "** ، مجلّة اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية ، صدر سنة 1979 و هي سنة مفصليّة فى دحض الماويّة للخوجيّة و تعميق تقييم التجارب الإشتراكية السوفياتية و الصينية بوجه خاص و مباشرة قطع الخطوات النضاليّة الأممية التى ستؤدّى إلى **" بيان الحركة الأممية الثوريّة "** لسنة 1984 كأساس لتجمّع نواة عالميّة للقوى الماويّة على الكوكب . و قد نهضت هذه النواة القياديّة الأمميّة الماويّة بمهام إيديولوجية و سياسيّة عظيمة إلى 2006 ، منها على سبيل الذكر لا الحصر إصدار 32 عددا من مجلّة **" عالم نربحه "** و تبنّى الماركسية – اللينينية – الماوية كعلم للثورة البروليتارية العالمية منذ 1993 ... و قد إنقسمت الحركة الأمميّة الثوريّة إلى إثنين و صراع الخطّين حول الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تقدّم بها بوب أفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية لم يخفت صوته على النطاق العالمي .

و بخصوص الوثائق التاريخية التى نسخنا و أعددنا للنشر على الأنترنت ، تجدر الإشارة إلى أنّنا لم ندخل (و ما كان لنا أبدا أن ندخل) تعديلات مهما كانت على كتب أو كتيّبات دار النشر باللغات الأجنبيّة بيكين حتّى حينما كانت مفردات مثل " إستعمار " مثلا لا تؤدّى المعنى المتداول حاليّا لكلمة " الإمبريالية " ، لا سيما فى الأوساط الماركسية . و قد يلاحظ القرّاء وجود تعابير فى تلك الوثائق لم تعد مستساغة الآن أو تراكيب جمل قد ينقدها البعض . و قد سعينا جهدنا هذه المرّة بوجه خاص لتفادي قدر المستطاع أخطاء النسخ التى أبلغنا مشكورين من أبلغونا بوجودها مبثوثة فى كتبنا السابقة التى لم تخضع للمراجعة و التصحيح . و إن تسرّبت ، مع ذلك ، أخطاء ما فنعوّل على سعة صدر القرّاء وتفهّمهم و نرحّب طبعا بتجشّمهم عناء تشخيص الأخطاء و إقتراح كيفيّة التصحيح (و مراسلتنا فى الغرض) . كما نرحّب ليس بنقد الشكل فحسب بل بنقد المضمون أيضا ، نرحّب بنقد تقديم الكتاب و أسلوب الكتابة و كذلك بنقد الأفكار التى وردت فى طيّاته .

و بالمناسبة ، نلمح إلى أنّ الوثائق التاريخيّة للحزب الشيوعي الصيني المدوّنة فى هذا الكتاب تعكس مدى تطوّر أفكار ماو تسى تونغ و القيادات الماويّة الثوريّة الأخرى فى تلك الأيّام و من الأكيد أنّ بعضها قد وقع تجاوزه بالتعميق لاحقا ، على غرار فهم الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية . فمع تواصل البحوث و التقييمات الماويّة للتجربة الإشتراكيّة فى الإتّحاد السوفياتي و مع خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة من السوفياتية إلى الأمريكية مرورا باليوغسلافية و الفرنسية و الإيطالية ... و ضد التحريفية الصينيّة فى صفوف الحزب الشيوعي الصيني ذاته ، و فى أتون الثورة الثقافيّة البروليتاريّة الكبرى ، طوّر ماوتسى تونغ نظريّة و ممارسة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا و قد يستغرق شرحها عشرات الصفحات و هذه المقدّمة ليست مجالها . و فى إرتباط بذلك ، تطوّرت نظريّات أخرى متّصلة بفهم العلاقة بين الإشتراكيّة والشيوعية ودور الوعي و الجماهير و صراع الخطّين صلب الحزب الشيوعي و ما إلى ذلك من تطويرات الماويّة للفلسفة و الإقتصاد السياسي و الإشتراكية بما هي المكوّنات الثلاثة للماركسية ، الشيء الذى سمح للماركسيّة – اللينينيّة بأن تحقّق قفزة نوعيّة لتصبح ماركسية – لينينيّة – ماويّة ، و الماويّة هي المرحلة الثالثة فى تطوّر الماركسية و اللينينيّة مرحلتها الثانية .

و منذ سنوات الآن ، إنقسمت الماويّة إلى إثنين و يجرى صراع خطّين عالمي صلب الماويّين بصدد تطوير الماركسية - اللينينيّة - الماويّة و محوره الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تقدّم بها بوب أفاكيان ، رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة . و قد أفردنا عدّة كتب لهذا الصراع المصيري فى هذا الظرف العالمي المتّسم بمفترق الطرق الذى تعرفه الحركة الشيوعية العالمية . و لا

يفوتنا أن نلمح إلى أنّ ناظم الماوي قد خصّص هو الآخر كتابين للموضوع ذاته ، إنبرى فيهما يدافع بحماس عن هذه الخلاصة الجديدة للشيوعية و يتصدّى لمناهضيها و مهاجميها بنصوص جداليّة تستحقّ الدراسة و التمحيص و النقد .

و يحتوى هذا الكتاب العشرين - **نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفيّة السوفياتيّة 1956 - 1963 : تحليل و وثائق تاريخيّة** - أو العدد العشرين من **" الماويّة : نظريّة و ممارسة "** على فصول ستّة و ملحق :

الفصل الأوّل : **نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد خروتشوف : 1956 - 1963**

الفصل الثاني : **عاشت اللينينية !**

- عاشت اللينينية !

- إلى الأمام على طريق لينين العظيم

- لنتّحد تحت راية لينين الثوريّة

الفصل الثالث : **إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية**

الفصل الرابع : **مدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد**

الفصل الخامس : **سياستان للتعايش سلمي متعارضتان تعارضا تاما**

الفصل السادس : **قراءة نقديّة ل " إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعيّة العالميّة " الذى صاغه الحزب الشيوعي الصيني سنة 1963 "**

الملاحق :

1- **أحاديث هامّة للرئيس ماو تسى تونغ مع شخصيّات آسيويّة و أفريقيّة و أمريكيّة – لاتينيّة**
2- **حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع الهند ضد الصين**

الفصل الأوّل :

نضال الحزب الشيوعي الصيني ضد خروتشوف : 1956 - 1963

(مجلّة " الثورة " ، سنة 1979)

فى فيفري 1956، قام نيكيتا خروتشوف بهجوم شامل على ستالين فى خطاب " سرّي " مزبد ، أثناء المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . و مثلما نشير إلى ذلك فى هذا المقال ، لم يستهدف الهجوم طبعا ستالين فقط بل أيضا الماركسية ـ اللينينية التى ظلّ ستالين رغم أخطائه يمثّل رمزا كبيرا لها . و قد أراد خروتشوف من خلال هجومه على ستالين أن ينكر دكتاتورية البروليتاريا و أن يبسط الطريق أمام إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتّحاد السوفياتي و بالإضافة إلى ذلك ، قدّم حزمة من النظريّات التحريفيّة الأخرى على غرار نظرية التحوّل السلمي إلى الإشتراكية عبر الطريق البرلماني مُحيِيا من جديد برنشتاين و كاوتسكى . كما دافع كذلك على أنّه نظرا للتغيّرات الراديكالية الجديدة فى الوضع العالمي (رئيسيا نموّ قدرة الكتلة الإشتراكية من جهة و صنع الأسلحة النوويّة من جهة أخرى ، التى يدّعى أنّها جعلت الحرب غير ضروريّة بالنسبة للإمبرياليين و أيضا بالنسبة للجماهير و جدّ فظيعة حتى يفكّر فيها) ، من الممكن القضاء على الحرب قبل القضاء على الإمبريالية . لقد حرّف خروتشوف المبدأ اللينيني للتعايش السلمي و حوّله من مبدأ علاقات خارجيّة بين دول ذات أنظمة إجتماعية مختلفة إلى توجّه إستراتيجي للإستسلام إلى الإمبريالية و للتعاون معها على إقتسام العالم .

و كان خروتشوف يعوّل على عوامل عدّة لدفع الأحزاب الشقيقة إلى القبول بالأمر الواقع . و من تلك العوامل السُمعة العظيمة التى كان يتمتّع بها الإتّحاد السوفياتي كأوّل و أقوى بلد إشتراكي و التيّار الذى تطوّر خلال فترة طويلة جاعلا من الإتحاد السوفياتي ينهض بدور " الحزب الأب " الذى كان يعنى عادة أن الأحزاب الأخرى (مع بعض الإستثناءات) تتّبع عن عمى القيادة السوفياتيّة فى المسائل الجوهريّة . و قد أسيئ إستعمال أخطاء ستالين لإضفاء نوع من المعقوليّة على أطروحات خروتشوف . و لكن الأهمّ من ذلك هو أن خروتشوف كان يعتمد على قاعدة إجتماعية فى كلّ من الحزب الشيوعي السوفياتي و الأحزاب فى العالم التى كانت تفسّخت بعدُ سياسيّا و كانت بعدُ تتّبع خطّا تحريفيّا فى عديد المسائل .

خاطئ جدّا هو الفهم الذى يعتبر أن كل شيء قبل المؤتمر العشرين كان على ما يرام فى الإتّحاد السوفياتي أو أيّ مكان آخر. حتّى حين كان ستالين على قيد الحياة ، ظهرت شريحة قويّة من العناصر البرجوازية الجديدة داخل جهاز الحزب و الدولة ورغم أنّ ستالين خاض صراعا ضد هذه القوي و ضد النظريّات التحريفيّة التى قاومت إلى موته ، فإن ستالين نفسه قام بأخطاء جدّية خوّلت فعليّا لهذه العناصر التقدّم و وفّرت لها مخارجا .

داخل الديمقراطيات الشعبيّة فى شرقي أوروبا ، إستشرى سرطان التحريفيّة . و قبل المؤتمر العشرين بكثير، كان خروتشوف يعزّز قاعدته الإجتماعية البرجوازية فى هذه البلدان ففى 1954 ، قرّر " ردّ الإعتبار " لتيتو و عصبة الشيوعيّين اليوغسلاف التى أُطردت لخيانتها من الكتلة الإشتراكية منذ 1948 و كانت تتعاون عن كثب مع الإمبريالية الأمريكية و تقتفى أثر التطوّر الرأسمالي الشامل لمدّة حتّى قبل ذلك . و صوّر خروتشوف تيتيو لا كمعاد للثورة بل ك "ضحيّة مظلمة " مدّعيا أنّه " تحت تأثير الشرطي باريا ، لُفّقت تهم بشعة "(1) . فى 1955 ، ذهب خروتشوف إلى بلغراد و عانق تيتو معلنا أنّ يوغسلافيا بلد إشتراكي رغم كل شيء و أن عصبة الشيوعيّين اليوغسلاف حزب ماركسي – لينيني (له بعض التذبذبات).

إثر حركة " الترحيب بعودة تيتو " التى أقامها خروتشوف ، شنّت حملات داخل أحزاب أوروبيّة أخرى لإعادة الإعتبار لعدد كبير من الخونة من نفس الرهط و طرد عدد كبير من الثوريّين . من خلال هذه الإجراءات و غيرها مثل التعويل على الإكراه و حتى التهديد بالتدخّل العسكري ، كان التحريفيّون السوفيات واثقين من أنّه بمقدورهم جلب الديمقراطيّات الشعبيّة إلى جانبهم .

و فى صفوف الأحزاب الشيوعيّة خارج السلطة لا سيما أحزاب الغرب ، تداخلت عوامل عدّة لتفرز إنحلالا هاما فى آمال البعض و لتفرز تحريفيّة تامّة لدى آخرين (و ربّما مثّل الحزب الشيوعي الإيطالي بقيادة توغلياتي أوضح مثال لكن عدّة أحزاب أخرى و ضمنها الحزب الشيوعي الأمريكي إقتفت خطى تغلياتي) .

و مع ذلك لم يكن هذا التفسّخ بأيّ شكل من الأشكال شاملا عالميّا إذ كان الخطّ الثوري بالخصوص ضمن أحزاب، فى السلطة أو خارجها ، فى البلدان التى كانت تخاض فيها نضالات تحرّر وطني هو الخطّ الأقوى . و لم ينزلق الحزب الشيوعي الأندونيسي و حزب العمّال الفتنامي و الأحزاب الكوريّة و اليابانيّة و أحزاب صغيرة أخرى عبر العالم لتعانق تحريفيّة خروتشوف .

سنة 1956 ، كان الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ بعدُ قد راكم تجربة كبيرة فى تملّك فكر نقديّ تجاه " النمط السوفياتي " و خطّ الحزب الشيوعي السوفياتي حول عدد من المسائل . لقد أخطأ ستالين بوضوح فى مجموعة من المسائل المفاتيح فى الثورة الصينية ، كما إعترف هو نفسه بذلك . و وجد صراع خطّين حاد داخل الحزب الشيوعي الصيني ضد الإنتهازيّين الذين كانوا فى الواقع يعيدون أخطاء الخطّ السوفياتي . و خلال زيارة خروتشوف إلى الصين سنة 1954، بيّن له الجانب الصيني أنّه يتّخذ بجدّية " مبادئ المساواة و الفائدة المتبادلة " و هي جملة فى الإعلان المشترك المتعلّق بالعلاقات بين البلدين . و بينما كانت خطابات القادة الصينيّين فى آخر تلك السنة ، تشير إلى الإعانة السوفياتية " كعامل مساعد " فإنّها شدّدت على أنّ " القيام بالتصنيع الإشتراكي للصين و تطوير الإقتصاد الوطني هو بوضوح مهمذة موكولة للشعب الصيني ذاته " (2) . فكان الحديث بهذا الشكل يتعارض تعارضا كلّيا مع النظرة الأكثر هيمنة داخل الكتلة الإشتراكية كما عبّر عن ذلك مثلا فى الإستشهاد التالي سنة 1957 أنور خوجا عينه :

" أصبح الدور القيادي للإتّحاد السوفياتي فى الحركة الشيوعية واقعا تاريخيّا نظرا للطابع العالمي للتجربة السوفياتيّة ذاتها . و يبرز تحوّل الإتّحاد السوفياتي من بلد متخلّف قبل الثورة إلى بلد مصنّع قوي يتمتّع بثقافة عالية التطوّر ... أنّ تجربة الإتّحاد السوفياتي و السيرورة التى إتّبعها صحيحة و ذات أهمّية بالنسبة للجميع . إنّها ليست التجربة الأولي فحسب بل هي أيضا المثل الأجلى لتطبيق الماركسية ـ اللينينية ." (3) .

نتائج المؤتمر العشرين :

إثر المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، لم تكن الصحافة الصينيّة تحتوى على شيء حول مسألة ستالين بينما كانت تحيّى شكليّا نجاحات المؤتمر . ثم فى 30 مارس ، نشرت " **يوميّة الشعب** " ترجمة إفتتاحية " **البرافدا** " ألا وهي " لماذا تعتبر عبادة الفرد غريبة عن الماركسية – اللينينيّة ؟ " و التى تضمّنت غالبيّة إفتراءات خروتشوف حول ستالين . و بعد أسبوع نشرت " **يومية الشعب** " إفتتاحية كبيرة هي " **حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا** " و بينما كانت شكليّا مّرة أخرى تساند المؤتمر العشرين ، مثّلت فعليّا جدلا ضد مقال " **البرافدا** " و الهجومات على ستالين .

و مع أنّه غير متكامل أو صحيح كالكتابات التالية للحزب الشيوعي الصيني حول الموضوع ، فإنّ المقال ركّز على دور ستالين كمواصل للينينية مشيرا إلى أنّ :" أعمال ستالين يجب أن تبقى كما فى السابق موضوع دراسة جدّية " و إلى " علينا أن نقبل على أنّه إرث تاريخي هام كل ما هو ذو قيمة فيها خاصة تلك الأعمال التى تدافع عن اللينينية ..." .

فمثّل " **حول التجربة التاريخية** ..." جدالا ليس فقط ضد هجمة خروتشوف على ستالين (رغم أنّه قُدّم فى لغة شكليّا مساندة للمؤتمر العشرين) لكنّه كان أيضا جدالا ضد عناصر داخل الحزب الشيوعي الصيني التى رأت أن تستغلّ المؤتمر

العشرين كجسر لتُخرج الصين ذاتها من الطريق الإشتراكي . هذه النقطة أثارها ماو بوضوح فى تجمّع واسع للمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني ، فى أفريل 1956 :

" شرع بعدُ الإتحاد السوفياتي فى حملة نقد جماهيريّة جزء منها لا يتماشى لا مع بلدنا و لا مع الإتحاد السوفياتي ... و لا يجب علينا أن نتّبعه عن عمى بل علينا أن نضع كل شيء تحت مجهر التحليل . فهنالك الجيّد و السيء فى كلّ شيء و لا يمكننا القول إن كلّ ما يقوم به الإتحاد السوفياتي جيّد . الآن ، ثمّة من يقول إنّنا قد تبعنا حتى ما هو سيء .علينا أن نتعلّم ما يناسب إستعمالنا ..." (4) .

فى ذلك الوقت ، كانت الأحداث تتسارع شرقي أوروبا . ففى جوان 1956 وقع إستقبال تيتو بكل التشريفات فى موسكو و أمضى إتّفاقية مع خروتشوف معيدة ربط العلاقات الدبلوماسية و متعهّدة " بالتعاون المتبادل و بتبادل وجهات النظر فى ميدان التفكير العلمي الإشتراكي " .(5)

و كان هذا بمثابة علامة عن هجوم تحريفي عبر أوروبا الشرقية أعلن عنه بالخصوص فى بولونيا و المجر . ففى بولونيا ، فى الرابع من أوت ، أُعيد إلى الحزب فلادسلاف غوملكا الذى طرد بإعتباره من أتباع تيتو فى الأربعينات ، و على الفور أوكل له دور قيادي . و فى المجر ، إنتهى السكرتير الأول للحزب راكسي الذى كان عرضة لضغوطات منبعها موسكو منذ 1955 لرفضه أن يصادق على عودة تيتو ، إنتهى إلى المصادقة الأكثر فتورا ممكنا على المؤتمر العشرين و إقترح أن " فقط مع مرور الزمن سيتكوّن لدينا تقييم شامل ". و فى جويلية، عُزل من مركزه فى إجتماع اللجنة المركزية للحزب المجري . خلفه كان حلاّ وسطا لكن الكتلة الموالية لتيتو فى المجر و التى كانت متحالفة مع قادة مثل كردينال ويسزنسك شرعت بعدُ فى تعبئة الجماهير الواسعة مطالبة برجوع السلطة إلى إمرى ناجي التحريفي المعادي للثورة و الذى طرد من الحزب المجري فى الأربعينات و الذى كان ينظّم القوى ضد الدولة الإشتراكية (مثلا ، كان مشتركا فى مؤامرات لنادي بيتوفي السيء الصيت وهو تنظيم مثقّفين يطالبون بالعودة إلى الرأسمالية تحت قناع " الديمقراطية ") .

و فى بولونيا ، كان هدف كوملغا بعد وصوله إلى السلطة أن يضمن إستقلال بولونيا مثلما فعل تيتو . و كان مع ذلك تحليل الوضع البولوني عسيرا بحكم أن عديد القوى كانت تتصارع و قد إندلعت إنتفاضات جماهيرية فى بولونيا فى صائفة و أواخر 1956 (شاركت فيها الطبقة العاملة بقسط كبير) و كان ذلك نتيجة لا فقط لعمل الكنيسة الكاتوليكية البولونيّة التحريضي و غيرها من المعادين للثورة لكن أيضا نتيجة الأخطاء المأساوية التى إقترفها الحزب الشيوعي البولوني و لمدّة طويلة .

و فى أكتوبر ، صارت بيّنة عوارض الخروج عن السيطرة فى الأوضاع فى كلّ من بولونيا و المجر . و ظهرت واقعيّا إمكانية إرتداد كلا البلدين إلى الكتلة الغربية . عندئذ تخوّف خروتشوف فجمع فيالقا على حدود بولونيا (و كانت بعدُ فقالقا سوفياتيّة مركزة فى المجر) . بيد أن كوملغا إستطاع عبر مجموعة كاملة من التنازلات الإقتصادية للطبقة العاملة و للحركات السياسيّة مثل إطلاق سراح كردينال ويسزنسك الرجعي ، إستطاع أن يهدئ الإضطرابات بينما كان يعلن الولاء لحلف وارسو و سياسة مواصلة الصداقة مع الإتحاد السوفياتي . (فى الوقت الذى ظهر فيه كوملغا بطلا وطنيّا فى أعين الشعب البولوني ، تحوّل إلى أكبر لاعقي أحذية فى منظمة البلدان التابعة للإتحاد السوفياتي) .

و فى المجر تواصل الوضع فى الإحتقان . و فى 23 أكتوبر ، كان البوليس السرّي المجري يطلق النار على الطلبة فى الشوارع . و فى تلك الليلة عُيّن إمري ناجي وزيرا أوّلا و أُعيد إنتخابه للمكتب السياسي للحزب . و فى غرّة نوفمبر ، رفع ناجي بوضوح راية الإمبريالية الغربيّة و تخلّى عن حلف وارسو و أعلن حياد المجر و طالب بضمانات من الأمم المتّحدة .

ففقد خروتشوف الذى إتّخذ تقريبا و ببساطة موقف ضرب الإنتفاضة البولونيّة عبر القوّات المسلّحة ، فقد صوابه و إتّخذ الطريق المعاكس . و لخوفه من نزاع مع الحزب الذى كان يسند بقوّة الثورة المضادة المجرية " واصل إتّباع سياسة الإستسلام و تخلّى عن المجر الإشتراكية للثورة المضادة " حسب مقال صيني كُتب فى 1963 (6) . و أضاف المقال و هو واحد من عديد المقالات التى تلت نشر " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " : " أمام هذا الوضع بصرامة طالب الحزب الشيوعي الصيني و أحزاب شقيقة أخرى مواصلة للنهج الماركسيّ ـ اللينينيّ ، طالبوا بالردّ على هجومات

الإمبريالية و الرجعية و المحافظة على المعسكر الإشتراكي و الحركة الشيوعية العالمية . و أكّدنا على إتّخاذ كل الإجراءات اللازمة لضرب الإنتفاضة المعادية للثورة فى المجر و عارضنا بشدّة التخلّى عن المجر الإشتراكي ". (7)

و بعد القضاء على الثورة المضادة فى المجر ، صرّح الحزب الشيوعي الصيني بموقف لاحظ فيه أن جزءا كبيرا من الإضطرابات فى المجر و بولونيا يعود إلى السياسات الشوفينيّة للأمّة الكبرى التى إتّبعها السوفيات تجاه الديمقراطيّات الشعبيّة و أشار إلى أن " بعض هذه البلدان الإشتراكيّة كانت غير قادرة على بناء الإشتراكيّة بصفة أفضل حسب تجربتها التاريخية و ذلك بسبب تلك الأخطاء " . (8)

و كان الموقف يميّز أيضا بين المطالب العادلة للجماهير البولونيّة و المجريّة و مؤامرات الثورة المضادة :
" ... رفع شعب بولونيا و المجر خلال الأحداث الأخيرة مطالب تعزيز الديمقراطيّة و الإستقلال و المساواة و تحسين مستوى العيش المادي للشعب على أساس تطوير الإنتاج . وهذه المطالب مشروعة كلّيا و من الضرورة المطلقة أخذها بعين الإعتبار و التمييز بين المطالب العادلة لأوسع الجماهير الشعبيّة فى النضال ضد عدد جدّ قليل من العناصر الرجعيّة ليس فقط مسألة تخّص بلد إشتراكي واحد و إنّما هي مسألة تستحق العناية من عديد البلدان الإشتراكية بما فيها بلادنا ". (9)

خطاب ماو فى إجتماع اللجنة المركزيّة الثامنة :

عقب أسبوعين من القضاء على الثورة المضادة فى المجر ، توجّه ماو بخطاب فى إجتماع اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الصيني . و فى هذا الخطاب لخّص النضالات الأخيرة و وسّع الهجوم على خط المؤتمر العشرين و شرع فى صراع ضد الخطّ اليميني القويّ داخل الحزب الشيوعي الصيني . و كان على رأس هذا الخطّ اليميني ليوتشاوتشى الذى قدّم التقرير السياسي الأهمّ فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني فى سبتمبر . فى التقرير ، مستعملا الأطروحات التحريفيّة للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، قام ليو بهجوم على سياسة ماو فى إطلاق العنان للجماهير فى حركة التعاونيّات الفلاحيّة وفى القيام بالتحويل الإشتراكي، ناعتا إياها بالإنحراف " اليساري " الذى" يريد التوصّل إلى الإشتراكية فى ليلة و ضحاها ... و لا يؤمن أنّنا نستطيع تحقيق هدف الثورة الإشتراكية بطرق سلميّة " و يخفق فى الإستناد إلى " تحقيق الإشتراكية عبر رأسمالية الدولة ". و حول الوضع العالمي ، كان ليو صدى لخروتشوف مثرثرا بصدد " سلام عالمي دائم كإمكانية واقعية " و مدّعيا أن " حتّى داخل الأوساط الحاكمة فى الولايات المتحدة ، هنالك قطاع من ذوى الأذهان الصاحية يزدادون وعيا بأنّ سياسة الحرب رغم كل شيء يمكن ألاّ تكون فى صالح أمريكا ... تؤكد الأحداث أن الستار الحديدي ليس من جانبنا فأبوابنا مفتوحة للجميع ".

و فى خلاصته سعى ليو لتشجيع التبعيّة السلافيّة للإتحاد السوفياتي دون الإشارة حتى إلى التعويل على الذات محذّرا من أنّه " دون إعانتنا لا يمكن لقضيّتنا الإشتراكية التقدّم نحو الإنتصار ... يجب أن نواصل التعلّم من تجربة الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و الأحزاب الشيوعية لكلّ البلدان الأخرى فى ما يتعلّق بالثورة
و البناء " (10) .

إذن أتى خطاب ماو تسى تونغ فى الإجتماع العام الثالث للجنة المركزية فى 1956 ، فى ظرف تميّز بهجوم تحريفي داخليّا و خارجيّا .

و فى الخطاب عالج ماو أربع مسائل هي الإقتصاد و الوضع العالمي و العلاقات الصينية - السوفياتية و " مسألة الديمقراطية الكبيرة و الديمقراطية الصغيرة ." فدافع عن حركة الجماهير التعاونيّة الفلاحيّة و سخر من الذين حاولوا أن يصبّوا الماء البارد على إندفاع الكوادر و الجماهير مشبّها إيّاهم ب" لجان تشجيع التراجع " . و شدّد على مهمّة القضاء على المعادين للثورة مشيرا بسخرية إلى أنّه :

" إذا لم نقض على المضادين للثورة سيكون الشعب الكادح غير راض . و كذلك ستكون الثيران و المعازق و حتّى الأرض ستشعر بعدم إرتياح لأن الفلاّحين الذين يستعملون الثيران و المعازق و الأرض المستغَلة سيكونون غير راضين . و بالتالي يجب إعدام بعض المعادين للثورة و إيقاف بعض آخر و يجب وضع الآخرين تحت المراقبة العامة " . (11)

و بشأن الإنتفاضات فى بولونيا و المجر ، أكّد ماو أن :

" المسألة الجوهريّة لدى بعض بلدان أوروبا الشرقيّة هي أنّها لم تقم بعمل جيّد فى خوض الصراع الطبقي و أبقت على عدد كبير و واسع من المعادين للثورة و كذلك لم تقد بروليتاريّتها فى صراع طبقي لتعينها على تعلّم كيف ترسم خطّا فاصلا واضحا بين الشعب و العدوّ ، بين الصحيح و الخاطئ و بين الماديّة و المثاليّة . و الآن عليها أن تجني ما زرعت . زرعت شوكا فجنت جراحا ."

و فى نفس المناسبة قال ماو : " أعتقد أن هذه الأشياء السيّئة هي أشياء جيّدة أيضا ... بما انّ هنالك نار فى بولونيا و فى المجر سيندلع حريق عاجلا أم آجلا . ما هو الأفضل جعل النار تندلع أم عدم جعلها تندلع ؟ إنّ النار لا يمكن أن تغطّى بالورق . الآن و قد إندلعت النار فذلك جيّد . بهذه الطريقة عرض عديد المعادين للثورة أنفسهم " .(13)

و فى ذلك الخطاب ، طرح ماو الذى كان حينذاك يتأمّل و يعيد التفكير فى جملة نظريّة صراع الطبقات فى ظلّ الإشتراكية على ضوء الصدمات و الإنتفاضات ، طرح مسألة " هل ستوجد ثورات فى المستقبل حين تتمّ الإطاحة بالإمبريالية عبر العالم كافة و يتمّ إلغاء الطبقات ؟ "(14) هل يمكن ، كما أشار ، لواحد مثل كوملغا أو مثل يوشاشيه (معاد للثورة عرض فى الصين زمن خطاب ماو) بعدُ العودة إلى السلطة و بقوّة ؟ " و كانت خلاصة ماو أن ذلك ممكن و لكن إستنتاجه إرتبط أكثر بالوضع فى تلك الفترة أكثر منه بالمستقبل البعيد .
فى الفقرة الموالية ، عالج ماو مسألة الإتّحاد السوفياتي . لقد إتّهم السوفيات بأنّهم فى مؤتمرهم العشرين لم يتّخلوا عن " السيف ستالين " فحسب بل بأنّهم تخلّوا أيضا عن " السيف لينين " إلى مدى بعيد (15) و تابع قائلا :
" فى كل من ثورتنا الديمقراطية الجديدة و ثورتنا الإشتراكية ، عبّأنا الجماهير لخوض صراع طبقي من خلاله علّمنا الشعب . من ثورة أكتوبر تعلّمنا أن نخوض الصراع الطبقي ...

كم من الرساميل لديكم ؟ فقط لينين و ستالين . و الآن تخلّيتم عن ستالين و عمليّا عن كلّ لينين كذلك ، لينين دون أرجل أو ربّما له رأس أو يدين مقطوعين . نحن من جهتنا نتمسّك بدراسة الماركسية – اللينينيّة و التعلّم من ثورة أكتوبر . عدم التعويل على الجماهير فى خوض الصراع الطبقي و عدم التفرقة بين الشعب و العدوّ سيكون خطيرا للغاية ". (16)

عن " الكوادر ذات المناصب العليا و المتوسّطة " داخل الحزب الشيوعي الصيني التى تتعاون نوعا ما بصورة مباشرة مع الحزب الشيوعي السوفياتي ، ما أسماه ماو " الإبقاء على علاقات سرّية مع بلدان أجنبية " ، أشار قائلا :

" هذا ليس حسنا ... هذا النوع من الأعمال ينبغى أن يتوقّف . إنّنا لا نوافق على بعض الأشياء التى مُورست فى الإتّحاد السوفياتي و اللجنة المركزيّة قالت هذا بعدُ عدّة مرّات للقادة السوفيات و بعض المسائل التى لم نتعرض لها بعدُ ستُعالج فى المستقبل . و إن عُلجت فمن قبل اللجنة المركزيّة . أمّا الإعلام فلا تحاولوا تجاوزه ... أولئك الذين يفعلون هذه الأشياء يضعون أنفسهم فى موقف صعب ..." . (17)

و هكذا بينما كان ماو يهاجم أولئك الذين رفعوا شعار " الديمقراطية الكبيرة " كوسيلة لتركيز دكتاتورية برجوازية ، بدأ يعدّ ركائز حركة مائة زهرة والحملة المناهضة لليمين فى السنة الموالية قائلا فى أسلوبه الخاص:

" نحن مع الديمقراطية الكبيرة . و ما نفضّله هو الديمقراطية الكبيرة فى ظلّ قيادة البروليتاريا ... هنالك من يفكّرون على ما يبدو أنّه نظرا لأنّ سلطة الدولة قد إكتسبت ، يمكنهم النوم نوما عميقا دون خشية و يمكنهم أن يلعبوا دور الطاغية إراديّا . إن الجماهير ستعارض مثل هؤلاء الأشخاص و سترميهم بالحجارة و تنتفض ضدّهم بمعازقها بما يخدمها بطريقة صحيحة و هو أمر سيسرّنى كثيرا . و أكثر من ذلك ، فى بعض الأحيان النضال هو الطريق الوحيد لحلّ المشكل . يحتاج الحزب الشيوعي لتعلّم درس . و كلّما نزل الطلبة و العمّال إلى الشوارع ، عليكم أنتم يا رفاق ، أن تنظروا إلى ذلك كشيء حسن " . (18)

" مرّة أخرى حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا " :

فى الإجتماع العام الثالث للجنة المركزيّة ، إضطرّت المجموعة التحريفيّة داخل اللجنة المركزيّة إلى التراجع فسيطر ماو و من معه . نتيجة لذلك ، ظهر " **مرّة أخرى حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا** " فى الصحافة الصينية فى 29 ديسمبر 1956 باعثا بموجات صدمات لا فقط عبر الصين بل كذلك عبر الحركة الشيوعية العالمية .

و رغم أنّه صيغ بشكل يتجنّب الهجوم المباشر على الإتّحاد السوفياتي و رغم أخذ بعض المواقف المشكوك فيها أو الخاطئة ، فإنّ خطّ التحليل فى المقال هو وقوف فى وجه كلّ ما قام به خروتشوف فى المؤتمر العشرين . و لم يكن هذا خافيا على القرّاء .

" يجب علينا ألاّ ننسى أبدا الصراع الصارم مع العدوّ ، الصراع الطبقي على النطاق العالمي " ، قال و أشار إلى أن التناقضات مع المعسكر الإمبريالي بعيدا عن أن تنحصر ، هي تشتدّ و تصبح " حتّى مظهرا للسياسات العالمية الأكثر إفتضاحا " .(19)

و قدّم المقال لأوّل مرّة أطروحة أن التناقضات فى صلب الشعب فى المجتمع الإشتراكي يمكن أن تتحوّل إلى تناقضات بين العدوّ و الشعب و هو موضوع كان على ماو تناوله بإقتضاب كجزء من النظريّة الشاملة لصراع الطبقات فى ظلّ الإشتراكية . و بصورة مهمّة حلّل " **مرّة أخرى حول التجربة...**" و لخّص الصلوحيّة العالميّة للخطّ اللينيني لثورة أكتوبر ، مشدّدا على الدور القيادي للحزب و النضال الثوري المسلّح لإفتكاك السلطة و دكتاتوريّة البروليتاريا للقضاء على مقاومة الطبقات المستغِلة و قيادة الجماهيرإلى الشيوعيّة و أهّمية الأمميّة البروليتاريا لدى الدولة الإشتراكية التى : " تكافح من أجل كسب مساندة الشعب الكادح فى جميع البلدان و فى الوقت نفسه تساند فيه كل الأمم المضطهَدة ". (20)

و مثّل عرض الأهمّية العالميّة لطريق أكتوبر على هذا النحو تقدّما هاما لأنّه جعل من الممكن التحليل الجدلي الذى ميّز بين ما هو عالمي فى التجربة السوفياتية و ما هو خاص بها . و بعد الدفاع عن الأهمّية العالميّة لثورة أكتوبر ، أكّد المقال على أنّ : " كل الأمم تمرّ عبر الصراع الطبقي و ستصل فى آخر المطاف إلى الشيوعيّة بالطرق ذاتها جوهريّا و مختلفة فى بعض الخصوصيّات ... إنّ عدم التمييز و النقل الميكانيكي للتجربة التى كانت ناجحة فى الإتحاد السوفياتي – حتى لا نتحدّث عن التى لم تلقى نجاحا – يمكن أن يجرّا إلى الفشل فى بلد آخر " . (21)

و مع تضمّنه شيئا من عدم الوضوح حول مسألة تيتو فإن " **مرّة أخرى** ..." تواصل كذلك تركيز عادة إستعمال يوغسلافيا " عوضا " عن خروتشوف و الإتحاد السوفياتي إلى سنة 1962 :

" ... قدّم الرفيق تيتو تأكيدات حول " العناصر الستالينيّة المضروبة و التى عملت فى عديد الأحزاب لتحافظ على مواقعها و التى تريد مرّة أخرى تعزيز سلطتها و فرض تلك التوجّهات الستالينيّة على شعوبها و حتى على شعوب أخرى " . و نشعر أنّه من الضروري القول بإرتباط بأفكار الرفيق تيتو هذه أنّه إتّخذ موقفا خاطئا حين وضع ما سمّاهم " ستالينيّين " كأهداف هجوم و طرح أن المشكل الآن هو ما إذا كانت السيرورة التى " قد بدأت فى يوغسلافيا " أو ما سمي " سيرورة ستالينيّة " هي التى ستنتصر . لا يمكن لهذا أن يقود إلاّ إلى إنشقاق داخل الحركة الشيوعية ..." (22).

و إنطوى المقال كذلك على فقرة مفجّرة فى الدفاع عن ستالين مع التأكيد الشديد على أنه " حتى إذا كان على الناس الحديث عن "الستالينية " فهذا لا يمكن أن يعني فى المصاف الأول سوى الشيوعية و الماركسيّة - اللينينيّة التى هي المظهر الرئيسيّ و ثانويا بعض الأخطاء الخطيرة جدا هي ضد الماركسيّة - اللينينيّة و يجب تصحيحها كلّيا ... فى رأينا أخطاء ستالين تحتل الموقع الثانوي نسبة إلى مآثره " . (23)

لذلك فى نهاية 1956 ، كانت المعركة الكبرى بعدُ ترتسم معالمُها فالجانبان كانا يُعدّان قوّاتهما و يشحذان سيوفهما لمعركة مخطّط لها هي معركة حياة أو موت . و النتائج الممكنة و الرهان أوضحهما ماوتسى تونغ و كان يعمل على إعداد الحزب و الشعب مسلّحا إيّاهما إيديولوجيا للنضالات الآتية .

" نتمنّى عالما يسوده السلام ، قال فى تجمّع للكتاب العامين للمقاطعات فى جانفى 1957 ، " لكن يجب أن نضع أنفسنا فى أسوء موقع و أن نستعدّ لأكبر الكوارث . أتينا من يانان و يجب أن نكون على إستعداد للعودة إلى هنالك ... يجب أن نكون على إستعداد للعودة إلى يانان بسبب القنبلة الذرّية و إمكانيّة حرب عالميّة و أخطاء فادحة حصلت و الحدث المجري . إذا كنّا مستعدّين ذهنيّا للأسوء لا يتعيّن الخوف و إذا كنّا غير مستعدّين فإنّنا سنندم على ذلك . " (24)

ندوة موسكو :

فى أكتوبر 1957 ، قاد ماو تسى تونغ اللجنة الصينيّة إلى موسكو من أجل محادثات مع القادة السوفيات كان محورها نقاش مشروع بيان حول أمّهات المسائل التى تواجه الحركة الشيوعية العالميّة لتقديمه لإجتماع ممثّلي الأحزاب الشيوعيّة و العماليّة الذى كان مبرمجا للشهر التالي .

و نشبت صراعات حادّة و مديدة بين الجانبين الصيني و السوفياتي بصدد عدد من المسائل المبدئية خلال تلك المحادثات التحضيرية . و واجه ماو مهمّة معقّدة لضمان أن يكون البيان المقدّم فى النهاية للمصادقة عليه من قبل الأحزاب الشقيقة جوهريّا وثيقة ثوريّة و فى الوقت ذاته أن يتجنّب فشل المحادثات و إنشقاقا فى الحركة الشيوعية كان سيكون خطأ حينذاك .

فكان ماو يخوض نضالا حول المسائل الجوهريّة وهو واع بحدّة بالحاجة للنضال من أجل الوحدة و صيانتها . تلك كانت السياسة الصريحة لماو طوال الفترة المؤدّية لغاية : القطع الحتمي مع الإتّحاد السوفياتي و هذا كان يحتاج إلى إستعمال ديبلوماسيّة هامّة و كذلك التشبّث بالمبادئ . لقد توقّع ماو إمكانيّة الإنشقاق و شرع فى مهمّة الإعداد لمثل تلك الإمكانيّة سنوات قبل القطيعة المعلنة فى 1963 . و فى ذات الوقت كان جدّ واع بأنّ الصراع لتجاوز الإختلافات الجدّية و التوصّل إلى الوحدة هو فى حدّ ذاته مبدأ هام . ضمّت يومية " تقدّم موسكو " نقاشات التطوّر الإقتصادي للكتلة الإشتراكية و " الصراع من أجل السلام العالمي " و العلاقات بين الأحزاب الرفيقة و الوضع العالمي . لكن النقطة المركزيّة للإختلاف كانت مسألة الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية . إثر نقاش حاد و طويل حولها و رفض ، على ما يبدو ، عديد المشاريع قدّمها الطرفان أجبر السوفيات على التنازل عن بعض التغييرات فى مقترحهم الأوّلي الذى " لم يقل و لو كلمة واحدة عن التحوّل غير السلمي مشيرا فقط إلى التحوّل السلمي " و " ينعت التحوّل السلمي ب " ضمان الأغلبيّة فى البرلمان ..." . (25)

رغم التغييرات المدخلة ، بقيت الصيغة ضعيفة . متنازلا عن نقطة : " فقط للرغبة التى عبّر عنها تكرارا قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأنّ تبيّن الصيغة بعض العلاقة بالمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي " (26) تقدّم الجانب الصيني بمذكّرة مستقلّة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي هي " مختصر وجهات نظر حول مسألة التحوّل السلمي " (27) . و لم يكن " المختصر " هو ذاته بعيدا عن اللّباقة ، يرفض كلّيا إمكانية التحوّل السلمي و إنّما قلّص كلّ الحديث عنها إلى فقط إجراء تكتيكي يُكرس لأجل " السماح للحزب الشيوعي فى البلدان الرأسمالية أن تتجنّب هجمات عليها فى هذا المجال " (تعليل ضعيف فعلا لكنّه أدخل مرّة أخرى فقط شكليّا فى بعض الأحيان الإطنابات التى إضطرّ الصينيّون للقيام بها لغاية تجنّب السخرية المفتوحة من موقف السوفيات وصلت قمّة المرح الصاخب و هي ذاتها أصبحت شكلا من السخريّة) .

و ما يلى هو جوهر " المختصر" :

"... لن تنطرح البرجوازية أرضا من على ركح التاريخ بإرادتها . هذا قانون عالمي للصراع الطبقي لا يجب على البروليتاريا و الحزب الشيوعي فى أيّ بلد أن يرخيا من إعدادهما للثورة بأيّة صفة ... حسب أفضل ما توصّلنا إليه من علم لا يوجد بعدُ بلدُ واحد حيث هذه الإمكانيّة [التحوّل السلمي] ذات دلالة عمليّة ". (28)

رغم أن الصياغة النهائية للبيان لم تكن مرضية ، فإنّ الصراع حول مسألة " التحوّل السلمي " جعلت بوضوح لا شائبة عليه بالنسبة للسوفيات أن الحزب الشيوعي الصيني بينما كان مستعدّا للمحافظة على وحدة الحركة الشيوعية ، فإنّه كان

يملك كذلك خطّ صراعه الخاص والحاد و كان أيضا مستعدّا للإنخراط فى المبادئ . وإضافة إلى ذلك ، أُدخلت عدّة تعديلات هامّة أخرى على مشروع بيان الحزب الشيوعي السوفياتي :

" أهمّ الإضافات كانت أطروحة أن الإمبريالية إذا أرادت إعلان حرب عالميّة فسوف تدفع ذاتها إلى التحطم ... و أطروحة أن إفتكاك الطبقة العاملة للسلطة السياسية هو بداية الثورة و ليس نهايتها و أطروحة أن مسألة من سينتصر الرأسمالية أم الإشتراكية ستستغرق وقتا فعليّا طويلا و أطروحة وجود التأثير البرجوازي كمنبع داخلي للتحريفية بينما ضغط الإمبريالية المحاصرة هو قوّتها الخارجية إلخ " .(29)

و أعلن البيان كذلك أنّ : " التحريفية هي الخطر الأساسي " داخل الصفوف الثوريّة فى حين قدّم هذا الموقف و بتأكيد من الحزب الشيوعي السوفياتي مع الإشارة إلى أنّ الدغمائية يمكن أن تصبح الخطر الأساسي فى أي بلد و فى أي وقت .

و نجم عن الصراع فى إجتماع موسكو بيان ظهرت فيه عديد أطروحات خروتشوف لكن بشكل أخفّ فى حين أن بعض الفقرات الأخرى كانت تناقضها و أعطت أرضيّة ملموسة للثوريّين لمساندة البيان و مواصلة خوض الصراع ضد التحريفية مستعملين البيان كسلاح .

و عكست الفقرة حول الحرب و الوضع الأممي بالخصوص قوّة هذا الصراع لكن الأهمّ هو أنّ ماو ذاته خاطب كافة المجتمعين فى الندوة ، فى 18 نوفمبر ، و تطرّق فى خطابه التاريخي " ريح الشرق ، ريح الغرب " إلى رؤية إستراتيجية للوضع العالمي و مهام الثوريّين . عند تحليله للتغيّرات فى العلاقات العالميّة منذ الحرب العالمية الثانية ، قال ماو : " من رأيى أن الوضع العالمي وصل الآن منعطفا جديدا . فهنالك ريحان فى عالم اليوم ، ريح الشرق و ريح الغرب . ثمّة مقولة صينية " إمّا أن ينتصر ريح الشرق على ريح الغرب أو تنتصر ريح الغرب على ريح الشرق ". هذا ما يميّز الوضع اليوم . و أعتقد أن ريح الشرق تنتصر على ريح الغرب بما يعنى أن قوى الإشتراكية هي بكثير أقوى من قوى الإمبريالية ". (30)

يذكر ماو عدّة أحداث عالميّة تعليلا لرأيه مارّا من إنتصار الإتحاد السوفياتي فى الحرب العالمية الثانية و الإضعاف النوعي للمعسكر الإمبريالي نتيجة لتلك الحرب ، إلى إنتصار الثورة الصينيّة و الثورات الفيتنامية و الكوريّة ، إلى المدّ الكبير لنضالات التحرّر الوطني التى فرضت إندحار الإمبراطوريّات الإستعماريّة البريطانية . و مثّل تشبيه ماو أعلاه بمعنى ما تلخيصا لميزان القوى السائد آنذاك فى العالم (بين القدرة المتّحدة للمعسكر الإشتراكي و قوى العالم المعادية للإمبرياليّة من جهة والإمبريالية من جهة أخرى). لكن بمعنى أعمق، كان ماو يشير إلى السيرورة الجدلية للتطوّر التاريخي ، إلى أن عصر الإمبريالية هو عصر الثورة البروليتارية على المستوى العالمي ، فيه ستحطّم بروليتاريا البلدان الرأسمالية المتقدّمة مع الشعوب المضطهَدة فى العالم الإمبريالية و تهزمها كلّيا وهي سيرورة لا يمكن أن يزعزعها أي نوع من التراجع المؤقت .

من ذلك التقييم العام ، إستنتج ماو بقوّة خلاصة أن إستراتيجيا الصراع الثوري العالمي لا يجب أن تتراجع و تقيم إتّفاقيات مع الإمبريالية خوفا من مواجهتها و بالفعل محاولة إيقاف النضال الثوري تحت شعار التعايش السلمي و التنافس السلمي و " الصراع من أجل السلام " هو ما كانت التحريفيّة تؤكد عليه . و أعلن ماو بصراحة أن ذلك ليس سوى إستراتيجيا إستسلام و إنبطاح أمام الإمبرياليين . و عالج ماو مسألة الحرب الترمو- نووية التى إدّعي خروتشوف أنّها جعلت النظرية الماركسيّة – اللينينيّة حول الحرب و الثورة غير صالحة فقال : " ينبغى أن تأخذ المسألة فى أسوأ الحالات . لقد عقد المكتب السياسي لحزبنا عددا من الإجتماعات لنقاش هذه المسألة ... لنتخيّل كم شخصا سيموت إذا ما إندلعت الحرب ؟ من سكّان العالم ال2700 مليون ثلث - أو أكثر من النصف - يمكن فقدانهم ... النصف الآخر سيبقى بينما ستتمّ الإطاحة بالإمبريالية و سيغدو العالم بأسره إشتراكيا . و بعد عدّة سنوات سيوجد 2700 مليون شخص من جديد و فى النهاية أكثر ... إذا ما ألحّت الإمبريالية على خوض حرب لن يكون لنا خيار آخر سوى إعمال فكرنا و القتال إلى النهاية قبل المضيّ قدما فى بناءنا . إذا كنتم كل يوم خائفين من الحرب و تأتى الحرب فى النهاية ما الذى ستفعلونه حينها ؟ ". (31)

و عقب ذلك ، ذكّر ماو بمقابلته الصحفيّة الشهيرة مع آنا لويس سترونغ فى 1946 ، معيدا و معمّقا أطروحته القائلة إن : " الإمبريالية و كافة الرجعيّين نمور من ورق " . فجوهر خطاب ماو يجمل فى نقطتين إثنتين الأولى هي أنّه من الممكن

تجنّب حرب عالميّة فى المستقبل المنظور نظرا للوضع آنذاك فى العالم و ميزان القوى الموجود دون غلّ أيدي الثوريين و التلطيف من النضال الثوري الشامل ضد الإمبريالية و الثانية هي أنّه حتى و إن إندلعت حرب عالميّة ، رغم أن هذا الحدث سيجر ألما عظيما و تضحيات ، فإنّ النتيجة " ستكون التسريع فى التحطيم الكامل للنظام الرأسمالي العالمي " . (32)

و كان لأطروحات ماو التأثير المعتبر على بيان موسكو الذى و إن كان وثيقة وفاقيّة فإنّه إنتهى أكثر لينينيّة ممّا كان يودّ القادة السوفيات .

من ندوة موسكو إلى " عاشت اللينينية ! " :

فى ماي 1958 ، دخل صراع الخطّين صلب الحركة الشيوعية العالمية مرحلة جديدة . فبمناسبة إحياء الذكرى 140 لميلاد ماركس ، أطلقت " **يومية الشعب** " الصينيّة نقاشا حاميا هجوميّا ضد تحريفية تيتو . و كانت عصبة الشيوعيّين اليوغسلاف قد وزّعت مشروع برنامج فى بداية تلك السنة لم " يطوّر بشكل خلاّق " أطروحات خروتشوف فقط بل قدّم فكرة الرأسمالية التى تتحوّل عفويّا إلى إشتراكية و إعتبرت مهمّة الطبقة العاملة مهمّة تنافس مع المنوبولات لكسب الموقع المهيمن فى بيروقراطية الدولة .

و بصدد نقاش الصين ضد تيتو الذى بودر به دون موافقة موسكو إضطرّ خروتشوف إلى موقف : إمّا مساندة تيتو أو مساندة الحزب الشيوعي الصيني فإختار مرغما حينئذ الوقوف إلى جانب الحزب الشيوعي الصيني . و بعد شطب القرار الذى فرضه ستالين ضد تيتو فى 1948 (و الذى قيّمه الصينيون على أنّه " قرار صحيح بالأساس " فى إفتتاحية الخامس من ماي) أعيد العمل به .

كان للبرود الجديد فى العلاقات بين بلغراد و موسكو الأثر المثير فى تحسّن العلاقات بين موسكو و تيرانا . فمنذ 1948 ، عندما إتّخذ الكومنفورم قرارا يدين فيه يوغسلافيا و" ينقذ ألبانيا من العبوديّة " (33) رأى أنور خوجا علاقة ألبانيا و الإتحاد السوفياتي وسيلة لتفادى المخطّطات المتنوّعة لتيتو الرامية إلى تحويل ألبانيا إلى " الجمهورية اليوغسلافية السابعة " . و إنطلق عدم رضاء خوجا على خروتشوف لمّا شرع الأخير فى تفضيل التعامل مع بلغراد و أتى دحض ستالين أثناء المؤتمر العشرين كريح سموم سيما و أنّ خوجا خشي ألاّ تقرّ سياسة خروتشوف الجديدة القرار الذى أكّد عليه بصفة فجائيّة ستالين سنة 1948 .

فى أواخر 1956 ، إثر إضطرابات المجر و بولونيا ، قاد خوجا لجنة إلى موسكو . و تعلّقت المحادثات هناك بمخاوف ألبانيا و تحفّظاتها فى ما يتعلّق بتيتو الذى كان دوره دافعا للثورة المضادة المجرية ملأ ألبانيا مخاوفا . المحادثات " لم تكن كما أردنا " علّق خوجا فى إجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية لحزب العمل الألباني لكنّهم كانوا مجبرين على إبتلاع كبرياءهم و تحمل أنواع من الصفعات على أيدى الروس .

و فى ماي 1959 عندما كانت حدّة الصراع بين الحزب الشيوعي السوفياتي و الحزب الشيوعي الصيني تقارب الإنفجار ، أمضى خروتشوف تسعة أيّام فى زيارة لألبانيا . حينذاك تضاربت آراء ملاحظين غربيين حول دواعي بقاء القائد السوفياتي طوال تلك المدّة فى تيرانا . و تبيّن فى ما بعد أن خروتشوف عقد إجتماعا مستقلاً ، سريّا فى تيرانا مع الماريشال بينغ ته هواي ، وزير دفاع الجمهورية الشعبية الصينية وهو حليف ليوتشاوتشى و كان لمدّة طويلة أحد أكثر الأصوات الواضحة من المدافعين عن الجناح الموالي للإتحاد السوفياتي فى القيادة الصينية . لأنّه بطل إتّباع النمط السوفياتي فى بناء الجيش و نظريّة أن " الأسلحة تحدّد كل شيء " ، علّق بينغ آمالا على مساعدة تقنيّة و عسكريّة سوفياتيّة كبيرة . و لمّا واجهته بشدّة الحملة المضادة لليمين فى 1957 و القفزة الكبرى إلى الأمام و حركة الكمونات الشعبية المدفوعة فى 1958 ، لاقى بينغ وجها لوجه خروتشوف و تطارحا عددا من المسائل .

و مباشرة إثر ذلك اللّقاء ، نقد خروتشوف بصورة مباشرة حركة الكمونات الشعبيّة فى مناسبات مختلفة و كان فى ذلك فى تناسق مع المارشال تيتو . و فى 23 نوفمبر 1958 ، أربعة أيّام بعد قرار الحزب الشيوعي الصيني المشجّع و الدافع للأمام

للحركة الجماهيرية الكبرى التى بدأت منذ مطلع السنة ، أعلن تيتو أنّه " ليست للكمونات أيّة علاقة بالماركسية " . و فى غرّة ديسمبر ، قال خروتشوف للماركسي السنتور هوبار هومفري إن " الزمن قد عفا عن الكمونات " و إنّها " رجعية " .

و فى المؤتمر الواد و العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي المنعقد فى بداية 1959 ، هاجم خروتشوف الكمونات عدّة مرّات . و كما عبّر عن ذلك أحد الكتّاب ، أشار إليها " لإعتناءه بعدم التوازن الإقتصادي " و إعتبرها " كبرياء مبالغ فيه "و" مساواة شيوعية "(34) . فى ذات الوقت ، و هو يعيد نقدا معروفا للتحريفية اليوغسلافية، أبقى خروتشوف الباب مفتوحا لتيتو فرمى له بقطعة لحم فى الفقرة التالية :

" ... للشيوعيّين السوفيات و لكلّ الشعب السوفياتي أحاسيس صداقة للشعوب الشقيقة و للشيوعيين اليوغسلاف . و سيواصل الإتّحاد السوفياتي العمل من أجل التعاون مع يوغسلافيا فى كافة مسائل النضال ضد الإمبريالية خدمة للسلام الذى حوله تلتقى مواقفنا ... و بينما نواصل فضح التحريفيّة كخطر أساسي داخل الحركة الشيوعية العالمية فإن الصراع ضد الدغمائية و الإنعزالية ينبغى أن يستمرّ لأنّ الدغمائية تحول دون التطبيق الخلاّق للنظريّة الماركسيّة ـ اللينينيّة و تبعدها عن الجماهير ..." . (35)

و جاء بيان الحكومة السوفياتية فى 1963 ملخّصا موقف خروتشوف من القفزة الكبرى إلى الأمام :

" ... بالضبط لأنّ مصالح الشعب الصيني عزيزة علينا ، هزّنا المنعرج الذى صار ظاهرا فى تطوّر الإقتصاد الوطني الصيني فى 1958 مع إعلان قادة جمهورية الصين الشعبيّة خطّهم فى " الرايات الحمراء الثلاث " و إعلانهم " القفزة الكبرى " و شروعهم فى تركيز الكمونات الشعبية. يرى حزبنا أن ذلك طريق تجارب خطيرة ، طريق لا تأخذ فيه القوانين الإقتصادية و تجربة الدول الإشتراكية الأخرى بعين الإعتبار ...لا نستطيع إلاّ إطلاق صيحة فزع حين مع كلّ خطوة يتّخذونها ، يعبّر قادة الصين الشعبيّة عن التفريط فى المبدأ اللينيني فى الإندفاع المادي و يتخلّون عن مبدأ مكافأة العمل و وصل بهم الأمر حدّ التوزيع العادل فى الكمونات الشعبية ..." (36) .

لم تمثّل سياسات ماو " قفزة كبرى " و حسب فى الصراع الطبقي داخل الصين بل مثّلت أيضا علامة واضحة على أنّه لم يكن لدي الصينيّين نيّة أن يصبحوا تابعين للإتحاد السوفياتي و هو ما إعتبره خروتشوف غير مقبول . و كان الحزب الشيوعي الصيني_يزيل من طريقه السياسة الخارجية لخروتشوف حول " التعايش السلمي " مع الإمبريالية الأمريكية و التى كان محورها ما يرجى من قمّة ـ ندوة مع إيزنهاور كان خروتشوف يدعو إليها منذ 1958 .

و فى صائفة 1958 ، غزت الفيالق البريطانية و الأمريكية لبنان و الأردن و برز لفترة أن نيّة القوى الغربيّة كانت الإعداد أيضا لغزو العراق حيث كان ينمو نضالا معاديا للإمبريالية . فلعب خروتشوف فى قمّة الأزمة دورا إنبطاحيا متوجّها للرئيس إيزنهاور بالكلمات التالية : " نتوجّه لكم لا من موقع تهديد بل من موقع العقل . نعتقد فى الساعة الحاضرة أنّه سيكون من المعقول أكثر عدم دفع الجوّ الحار إلى نقطة الغليان ، إنّه فى حاله الراهنة قابل بما فيه الكفاية للإشتعال " . (37)

فى ذات اللحظة ، بُعثت رسالة مختلفة من بيكين :

" لا يجب أن يوجد أقلّ تساهل إزاء عدوان الإمبريالية الأمريكية ... بالتالي لتقم شعوب العالم بأسره بحركة طارئة ... الصراخ إلى الشيطان و الزعيق خطئا لا ينقذ من شيء و إنّما يمكنه فقط أن يساعد إبليس ... إن رفض المعتدين الأمريكان و البريطانيّين الإنسحاب من لبنان و الأردن و ألحّوا على توسيع عدوانهم عندئذ لا يبقى من خيار أمام شعوب العالم سوى ضرب المعتدين على رؤوسهم ! " . (38)

و تندلع فى أوج أزمة الشرق الأوسط المواجهة فى مضيق تايوان . ففى 23 أوت أخذ الصينيّون يقذفون بقنابل كثيفة و شاملة كلاًّ من كمسي و ماتسن و هما جزيرتين مواني تحت نظام تشان كاي تشاك . و إتّخذ سكرتير الدولة الأمريكي جون فوستر دوليس موقفا عدوانيّا للغاية بلغ التهديد بحرب نوويّة ضد جمهورية الصين الشعبيّة. و بات جليّا أن الولايات المتّحدة الأمريكيّة كانت تعدّ لإعانة عسكريّة لتشان .

و لمدّة أسبوع كامل ، كان الصوت الوحيد الصادر من موسكو هو صوت تنفّس ثقيل مخنوق وهو موقف غريب من " حليف إشتراكي قريب " مرتبط بإتّفاقية عسكريّة مع الصين . فى النهاية ، فى 31 أوت ، إقترح خروتشوف بإحتشام أن" كلّ من يحاول التهديد بهجوم على جمهورية الصين الشعبية لا يجب أن ينسى أنّه يهدّد الإتّحاد السوفياتي ". فقط بعد أسبوع أي حين إنحسرت الأزمة فى النهاية ، إتخذ خروتشوف موقفا أصلب ، معتبرا أنّ الهجوم على الصين هو هجوم على الإتحاد السوفياتي . و مع تواصل إنحسار الأزمة ، كان خروتشوف يصرح بمواقف تزداد صلابة . فكان تصرّفه تصرّف معتوه لا يعى ، يبحث عبثا عن تغطية آثار جبنه .

و فى نهاية 1958 ، كان بيّنا لخروتشوف أنّه لم تكن لماو أيّة نيّة للتعاون و بالفعل يتحوّل إلى تهديد كبير لكلّ إستراتيجيّته التحريفيّة ، فى كلّ من الحركة الشيوعية العالمية و فى حلبة علاقات القوى العظمى . و داخل الصين ، وصل خروتشوفيّون مثل بينغ ته هواي فى الوقت نفسه إلى إستنتاج أنّه يتعيّن إيقاف ماو إن لم تتمّ الإطاحة به كلّيا .

هذه هي أرضيّة اللّقاء المباشر فى تيرانا بين نيكيتا خروتشوف و بينغ ته هواي فى ماي 1959 . ذهب بينغ لإجتماع تيرانا الذى أعدّ له بورقة طويلة ترجع إلى البيان ضد ماو و كلّ خطّه مركّزا على القفزة الكبرى إلى الأمام و الكمونات الشعبية . و قدّم ذلك إلى خروتشوف راجيا إعانة منه دون علم ماو تسى تونغ . فساند خروتشوف بإندفاع بينغ فى مؤامرته للإطاحة بالقيادة الثورية للحزب الشيوعي الصيني .(39)

و بعد عودته إلى الصين بمدّة قصيرة ، رفع بينغ بوضوح راية التحريفيّة فى إجتماع اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الصيني فى أوت 1959 . و مستندا إلى قاعدته الإجتماعيّة القويّة لا سيما فى الجيش و مقيما تحالفا مع العناصر اليمينيّة و وزارة الإقتصاد ، سعى بينغ لا فقط إلى الإطاحة بالخطّ الثوري و إنّما ، على ما يبدو ، كذلك إلى الإطاحة بماو و القادة الثوريّين الآخرين فى اللجنة المركزيّة . فأتت هزيمته فى لوشان ، بعد نضال طويل و مرير فى وقت حرج ليس بالنسبة للصراع الطبقي فى الصين فحسب بل فى تعزيز الصراع بين الماركسية و التحريفية داخل الحركة الشيوعيّة الأمميّة .

سمح إجتماع لوشان بتوطيد الخطّ الثوري فى الحزب الشيوعي الصيني و أجبر اليمين على التراجع المؤقت . و خلال الحملة المضادة لليمين التى تلت ذلك ، كانت الجماهير الحزبيّة و الشعبيّة الواسعة أصلب و أوفر إستعدادا للمعارك حتى الأكثر إعصاريّة المقتربة بسرعة و أعلنت مسائل الخطّ الجوهريّة بصورة أوضح من أيّ وقت سابق .

" كون المقاتلين الثوريّين البروليتاريّين لا يهابون الصعوبات [قالت إفتتاحية " الراية الحمراء "] يعود إلى أنّهم يثقون فى قوّة الجماهير و يعوّلون عليها . و التعويل على الجماهير الثوريّة الأخرى ينتمى إلى التعويل الإشتراكي على ملايين جماهير الشعب ذاته . لقد هاجم الماركسيّون ـ اللينينيّون على الدوام النظرة التى إعتبرت الثورة مشروع فكرة أوّلا لعدد قليل من الأشخاص يقبعون وراء أبواب موصدة ثم تتّبعهم جماهير تعمل بأوامرهم جوهريّا لأنّها نظرة برجوازية . قال لينين مرّة " التاريخ بصفة عامة و تاريخ الثورات بصفة خاصة أغنى دائما فى المحتوى و أكثر تنوعا ، وتعددا للجوانب و أكثر حياة و " ذكاءا " من حتّى أفضل الأحزاب و أكثر الطلائع الواعية طبقيّا التى يمكن أن تتخيّلها أكثر الطبقات تقدّما ... تحدث الثورات فى لحظات نهوض خاص و تبذل جهود خاصة وقدرات بشريّة يطلقها الوعي الطبقي و الإرادة و الغضب و خيال عشرات الملايين يدفعها صراع طبقي أحد ". (40)

و هذا يعنى أن هذا المقتطف و الإستشهاد المثير للينين يمكن أن يعبّر بصورة مركّزة عن مضمون عديد المجلّدات من النقاشات التالية و إن الماركسية ـ اللينينيّة تستلهم قوّتها و وجودها من حركة مدّ الجماهير و ترتسم على أعمق تيّارات الحركة و فى قمّة نهوضها فتدفع بموجة كبرى من الثورة محطّمة كل شيء أمامها . و مع ذلك ، يظهر على الضفّة الأخرى بعض المراجعين مثل خروتشوف معتقدين أنّ هذا الإعصار الجارف نحو الشاطئ ينبغى ان يتراجع أمام أوامره .

فى أفريل 1960 ، فى ذكرى ميلاد لينين ، دوّت العاصفة المتجمّعة بقوّة الإعصار الإستوائي بنشر " **عاشت اللينينية !** " .

من " عاشت اللينينيّة ! " إلى " إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية " :

مثّل " **عاشت اللينينيّة !** " الذى نشر فى الجريدة النظرية " **الراية الحمراء** " فى أفريل 1960 أساسا إعلانا شكليّا للحرب على كل التيّار التحريفي بقيادة خروتشوف محتويا على أكثر من 15 ألف كلمة و مكتوبا بأسلوب مناضل و حاد . إعتنى بنقاش كافة المسائل الجوهرية لصراع الخطّين بأكثر جلاء و إتّساع من أيّة مرّة سابقة . بينما كان بعدُ يستعمل تيتو كبش فداء و لم يهاجم خروتشوف أو الحزب الشيوعي السوفياتي إسميّا ، فإنّ أطروحات خروتشوف قد هُوجمت كلّيا و إسميّا .

عرض عام ل" **عاشت اللينينية !** " مهمّة طويلة لكن التأثير الضخم المباشر للنقاش كان حول مسألة الحرب و السلم . فالمقال يستهزء بأولئك " الشيوعيّين " الذين ذهبوا عن جبن إلى الإستسلام فى وجه ثرثرة الصواريخ الإمبريالية و أعاد التأكيد بقوّة على مفهوم الثورة البروليتارية :

" يستخدم المستعمِرون الأمريكيون و شركاؤهم أسلحة مثل القنابل الذرّية للتهديد بالحرب و لإعتصار العالم كلّه ، وهم يعلنون أن كل من لا يخضع لسيطرة الإستعمار الأمريكي سيدمّر . و تردّد طغمة تيتو هذا اللحن فتستخدم اللحن الإستعماري الأمريكي لنشر الفزع من الحرب الذرّية بين الجماهير الشعبية ...

و بطبيعة الحال ، لا يمكننا نحن تقرير ما إذا كان المستعمِرون سيشنّون حربا أم لا . إنّنا ، على كلّ حال ، لسنا رؤساء أركان حرب المستعمِرين ...إذا ...المستعمِرون الأمريكيون أو المستعمِرون الآخرون ... جرؤوا على معاندة إرادة الإنسانية كلّها بشنّ حرب يستخدمون فيها السلاح الذرّي و النووي ... ستكون النتيجة حتما الدمار السريع جدّا للمستعمِرين الوحوش الذين تطوّقهم الشعوب و لن تكون النتيجة ، بالتأكيد ، إبادة الجنس البشري ...

إننا نؤمن بالصواب المطلق لتفكير لينين : الحرب هي النتيجة الحتميّة لنظم الإستغلال ، ومصدر الحروب الحديثة هو النظام الإستعماري . و حتى ينتهى النظام الإستعماري و الطبقات المستغِلّة ستحدث الحرب، من نوع أو آخر، دائما . و ربّما كانت حروبا بين المستعمِرين لإعادة تقسيم العالم ، أو حروب عدوان و مقاومة العدوان بين المستعمِرين و الأمم المضطهَدة ، أو حروبا أهليّة نتيجة الثورة و معاداة الثورة بين الطبقات المستغَلة و المستغِلّة فى البلدان الإستعمارية ، و يحتمل ، بطبيعة الحال ، أن تكون حروبا يهاجم فيها المستعمِرون البلدان الإشتراكيّة و تكون فيها البلدان الإشتراكية مجبرة على الدفاع عن نفسها . إنّ جميع أنواع الحروب هذه تمثّل إستمرارا لسياسة طبقات معيّنة ..." .(41)

وأدان " **عاشت اللينينية !** " محاولة تحريف مبدأ " التعايش السلمي " بين البلدان ذات النظم الإجتماعية المختلفة و جعله جدارا فى وجه الثورة .

" إن التعايش السلمي بين الأمم ، والثورات الشعبيّة فى مختلف البلدان هما شيئان مختلفان بذاتهما ، و ليسا شيئا واحدا بذاته، و هما مضمونان مختلفان و ليسا مضمونا واحدا و نوعان من المسائل و ليسا نوعا واحدا بذاته .
فالتعايش السلمي مسألة تتعلّق بالعلاقات بين البلدان ، و الثورة تعنى الإطاحة بالمضطهِدين كطبقة من قبل الشعب المضطهَد داخل كلّ بلد ، بينما هي فى حالة البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة ، أوّلا و قبل كل شيئ ، مسألة الإطاحة بالمضطهَدين الأجانب أي المستعمِين .

... لقد كان ذلك المحّرف القديم برنشتين هو الذى أدلى بالتصريح المشين السيء الصيت التالي : " الحركة هي كل شيئ ، أمّا الهدف فلا شيئ " . و للمحرّفين المعاصرين تصريح يشبهه : حركة السلم هي كل شيء ، أمّا الهدف فلا شيء . و لهذا فإن " السلم " الذى يتحدّثون عنه هو عمليّا مقصور على " السلم " الممكن قبوله من جانب المستعمِرين فى ظلّ ظروف تاريخيّة معيّنة . إنّه محاولة للهبوط بالمستويات الثوريّة لشعوب مختلف البلدان و تدمير عزيمتها الثورية ." (42)

منذ نشر " **عاشت اللينينية !** " نما الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية على نحو تصاعدي مفتوح . فنشرته عدّة جمعيّات و منها نقابات الس ج ت بعد شهرين من "**عاشت اللينينية** " ، نشرت (فى جوان 1960) و أصبحت مسرحا لخوض صراع خطين لا هوادة فيه .

حين توجّه خروتشوف للمؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروماني فى آخر جوان ، إنتحب فى الخطاب أنّ : " ملايين الناس يمكن أن يحرقوا فى خضم الإنفجارات الهدروجينية " . و مدافعا عن نفسه ضد " **عاشت اللينينية !** " ، إضطرّ إلى التذمّر : " لا يجب نسيان أن أطروحات لينين حول الإمبريالية قدّمت و طوّرت قبل عشرات السنين ... إضافة إلى ذلك ، رفاقي ، لا يمكن للمرء أن يعيد ميكانيكيّا الآن ، فى هذه المسألة ما قاله فلاديمير إيليتش لينين لعدّة عقود سابقة حول الإمبريالية و مواصلة التأكيد أنّ الحروب الإمبرياليّة حتميّة إلى أن تنتصر الإشتراكية فى كلّ العالم ..." . (43)

و فى أوت ، عارض مقال" **البرافدا** " النظرات " الإنعزالية اليسارية " المعبّر عنها فى النقاش الصيني بتعليل واضح : " لماذا نبني و نشيّد و نخلق إذا كان المرء يعرف مسبّقا أن كلّ ثمار عمله ستحطمها زوبعة الحرب ؟ " (44).

و فى 13 أوت ، بدأ السوفيات يسحبون التقنيّين من جمهورية الصين الشعبية . ف " **عاشت اللينينية !** " كانت ضربة فى العمق . أجبروا على الدّفاع و إضطرّوا إلى إستعمال ردود سخيفة من قبيل تلك المذكورة أعلاه فى ذات الوقت الذى حاولوا فيه جزافا أن يستعملوا تنمُّر الأمة الكبيرة و الإضطهاد الإقتصادي لإجبار ماو و الحزب الشيوعي الصيني على " إتّباع الخطّ " . فى جزء أنيق من " **البرافدا** " ظهر حتى حين كان التقنيّون يصعدون إلى الطائرات عائدين إلى موسكو ، تأمّل بحبور :" هل يمكن للمرء أن يتخيّل البناء الناجح للإشتراكية متواصلا فى ظروف أيّامنا هذه حتّى فى بلد كبيرجدّا مثل الصين إذا كان ذلك البلد فى وضع من الإنعزال و لا يمكنه التعويل على مساندة و إعانة كافة البلدان الإشتراكية الأخرى ؟ " (45) .

و فى نوفمبر 1960 ، إنتظمت ندوة ال81 حزبا شيوعيّا و عماليّا فى موسكو أين إندلعت معركة شرسة لمدّة شهر تقريبا . ساندت غالبيّة الأحزاب مواقف الحزب الشيوعي السوفياتي ذلك أن حوالي 1960 ، بعدُ دفع مرض التحريفية القاتل بأغلبية الأحزاب فى العالم إلى القبر الإنتهازي على غرار الأمميّة الثانية . لكن ألبانيا و عدّة أحزاب من آسيا ساندت الخط الصحيح أو على الأقلّ رفضت السير مع الخطّ التحريفي و بقي عدد من الأحزاب الأخرى متذبذبا . فكانت النتيجة النهائية للندوة موقفا مثل حقيبة بإمكان كل تيّار ان يستخرج منها ما يعتبره مفيدا له .

هكذا لم تحلّ ندوة موسكو أي مشكل . وفى 1961، وجّه الحزب الشيوعي السوفياتي ضربة للصين بفتح جدال ضد ألبانيا مستعملا نفس طريقة النقاش التى إعتمدها الحزب الشيوعي الصيني و ماو بإستعمال تيتو عوضا عن خروتشوف . و كان المؤتمر 22 للحزب الشيوعي السوفياتي بمثابة سيرك خيالي . كتب ف م . ملتوف وهو ثوري سوفياتي حقيقي قام بمحاولة غير ناجحة للإطاحة بخروتشوف فى جوان 1957 رسالة للمؤتمر ندّد فيها بمشروع البرنامج الجديد للحزب الشيوعي السوفياتي المقدّم للمصادقة عليه معتبرا إياه " برنامجا معاديا للثورة و سلمي " . بسبب هذا العمل الجريئ الذى أطلق ريحا على كلّ الشعب السوفياتي و الطبقة العاملة العالميّة ، صار هدفا لما يقارب السبعين خطبة لاذعة من الأسفل كانت أيضا هجومات مبطّنة على الحزب الشيوعي الصيني . (46)

أدخل " البرنامج الجديد " لخروتشوف نظريّة أنّ فى الإتحاد السوفياتي لم تعد توجد دكتاتورية البروليتاريا (موقف صحيح !) و وقع تعويضها ب " دولة الشعب بأسره " بما أن الطبقات و الصراع الطبقي ألغيا كلّيا فى الإتحاد السوفياتي . و أظهر كذلك " برنامجا طموحا جديدا " واعدا بتحقيق البناء التام للشيوعيّة فى الإتحاد السوفياتي فى 1980 ! (47)
وإنتهى المؤتمر ال22 بقرار تحويل ضريح ستالين من موقعه قرب لينين و محو إسمه من المتحف " إلى الأبد ".

و خلال 1962 ، رغم عديد المبادرات من عديد الأحزاب المنادية بإيقاف الصراعات و عقد ندوة أخرى ، كان الصراع العنيد بين الماركسية والتحريفية الذى إنطلق فى 1956 يصل بوضوح قمّته . فخروتشوف عاد إلى حيث ترك قصّة غرامه مع تيتو و ركّز الآن على " قرابة الوحدة " بين نظرتهما ل " العلاقات الدوليّة " . و بتصاعد التوتّر بين الصين و الهند ، شرع الإتّحاد السوفياتي بتزويد الهند بالصواريخ المقاتلة و حين إندلعت الحرب فى أكتوبر ، ساند خروتشوف الهند . و ندّدت الصين بإستسلام خروتشوف للولايات المتّحدة فى أزمة صواريخ كوبا فى الشهر ذاته و إعتبرته إذعانا جبانا للتهديد النووي .

و فى الخامس من جانفي 1963 ، نشرت " **الراية الحمراء** " مقال " **اللينينية و التحريفة المعاصرة** " وضمن خلاصته وردت الفقرة التالية :" التحريفية أفيون ينوّم الشعوب ، إنّها موسيقى مضلّلة تعزّز العبوديّة . كتجمّع سياسيّ تمثّل التحريفية جزءا من البرجوازية فى صفوف حركة الطبقة العاملة وهي دعامة إجتماعية هامة للبرجوازية و الإمبريالية . كتيّار فكري ستظهر التحريفيّة دائما تحت أقنعة متنوّعة فى أوقات مختلفة طالما أن الرأسماليّة و الإمبرياليّة موجودان فى العالم ... و اليوم تحلّق السحب الداكنة للتحريفية فوق الحركة العالمية للطبقة العاملة . شرع التحريفيون المعاصرون بصورة جليّة فى أعمال إنشقاقيّة و ظهور التحريفيّة المعاصرة أمر سيء لكن بما أن ظهورها حتميّ و بما أنّ وجودها واقع موضوعي ، فإنّ ظهورها العلني سيسمح للناس برؤية الفروقات و فهم الأذى الذى تلحقه . و هكذا سيتحوّل الشيء السيء إلى شيء حسن ..." . (48)

فى 30 مارس ، بعثت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي رسالة إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أعادت فيها صياغة خطّها التحريفي و فى الوقت ذاته إقترحت بورع " إيقاف الصراعات " و نادت بردف ذلك بمحادثات لحل الخلافات . فكانت الرسالة التى إستلموها كإجابة على رسالتهم هي " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** ".

لم يكن " الإقتراح " وثيقة صراع أخرى وحسب بل كانت مقالا يحيى الذكرى الثانية لنشر " وثيقة برنامجيّة رسمت خطّا واضحا بين الماركسيّة - اللينينيّة و تحريفيّة خروتشوف حول عدد من المسائل الكبرى المتعلّقة بالثورة العالميّة المعاصرة . و قام بمساهمة نظريّة عظيمة فى النضال ضد تحريفيّة خروتشوف .

يعد " **الإقتراح** " منعرجا كبيرا فى الصراع بين الماركسيّة - اللينينيّة من جهة و التحريفية المعاصرة من جهة ثانية وإنّه منعرج كبير فى التحوّل من مرحلة ظهور و نموّ تحريفية خروتشوف و بالفعل ظهور و نموّ التيّار الشامل للتحريفية المعاصرة بعد الحرب العالميّة الثانية إلى مرحلة إفلاسها التام " .(49)

كان " **الإقتراح** " شكليّا رسالة و لكنّه كان تحديدا نداءا للثوريّين عبر العالم بأسره للإلتحاق بالمعركة ضد التحريفيّة . فحاول الإتّحاد السوفياتي ذاته أن يحجب مضامينه غير أنّه و بطرق مختلفة راج بشكل واسع . ففى الإتحاد السوفياتي مثلا ، نظّم المواطنون الصنيّون فى كامل الإتحاد السوفياتي توزيعا غير قانوني للطبعة الروسية من " **الإقتراح** " . فوزّعوه فى محطّات القطارات و أودعوا أكواما حيث يمكن للعمّال التوصّل إليها . و قاطع المبعوثون الصينيّون مؤتمر الفدرالية العالميّة فى موسكو ، قاطعوا المؤتمر و قرأوا مقتطفات طويلة منه، مواجهين الضرب و الإيقافات .

أتت شكوى مرسلة من وزارة الخارجية السوفياتية إلى الحكومة الصينية فى 4 جويلية بالتالي :

" مدّت عناصر القنصلية نصّ الرسالة فى الوقت ذاته إلى عديد المؤسسات فى موسكو مستعملة السيارات و أرسلته بالبريد إلى مواطنين سوفيات و وزّعته على ديارهم و نقله ضبّاط مبعوثين خصّيصا من موسكو إلى مدن أخرى و منها لينيغراد و كياف و أوديسا و دبنا إلخ ...

ذهل الشعب السوفياتي و ثار كذلك عنده إحساس إحتجاج مبرّر...

لكن ... توزيع المواد تواصل و إتّخذ حتّى مدى أوسع . لقد ذهب بعيدا إلى حدّ أن وزع طاقم صيني لقطارات موسكو - بيكين نصّ الرسالة باللغة الروسية من نوافذ القاطرات فى محطّات السكك الحديديّة . و أذيع نصّ الرسالة عبر جهاز القطارات للتوجّه للعموم حين الوقوف . و لما قال الشعب السوفياتي بصفة رقيقة للمواطنين الصينيّين إنّ أعمالهم غير مسموح بها ، كان جواب الصينيّين أحيانا كثيرة جوابا جريئا . فمثلا ، قال ياو المشار إليه سابقا للشعب السوفياتي بكل وقاحة إنّ العمال الصينيّين " لن يطلبوا الإذن من أيّ كان لتوزيع أشياء من هذا النوع..." (50) .

لم يُعرف أبدا من فى قيادة الحزب الشيوعي الصيني ألهم و أعطى توجيها لهذا " النشاط الذى لم يسمع به فى الممارسة الديبلوماسية " و الذى من الأكيد أنّه ينبغى أن يُدان كخرق للمبدأ اللينيني للتعايش السلمي بين الدول ذات النظم الإجتماعية

المختلفة . بيد أنّه مهما كان من يقف وراء هذا التجاوز ، فإنّه من الأكيد أنّه لم يكن بيروقراطيّا قديما ثقيلا أو محاربا وثيرا جالسا على أكاليله ."

الهوامش

1- الصراع السوفياتي اليوغسلافي 1948-1958 : تسجيل وثائقي ، وثيقة 8 ، ص 53 مربوري ، 1959 .
2- ملف حول الخلاف الصيني - السوفياتي (1968) جون جيتنغس ، ص 20 .
3- أنور خوجا ، " حول الوضع العالمي و مهام الحزب " (13 فيفري 1957) ، ص 680 ، الأعمال المختارة.
4- " خطاب فى الإجتماع العام للمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني " ماو ، 1956 .
5- المصدر1 ، ص6 .
6- جذور و تطوّر الخلافات بيننا و بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي ،6 سبتمبر 1963 ، ص 69 .
7- المصدرالسابق .
8- ماو ضد خروتشوف : موجز تاريخ الصراع الصيني - السوفياتي / دافيد فلويد 1963 ، ص 240 .
9- المصدر 2 ، ص 304- 305.
10- الصين الشيوعية 1955- 1959 وثائق سياسية (1965) .
11- خطاب فى الإجتماع الثاني للجنة المركزية الثامنة للحزب الشيوعي الصيني ، ماو ، 5 نوفمبر 1956 . ص 337 .
12- م س.ص342.
13- م س .ص 337.
14- م س. ص 338
15- م س . ص 341
16- م س. ص 342.
17- م س.ص 340-341.
18- م س.ص 343-345.
19- " مرة أخرى حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا " ، بيكين 1964 .
20- 21-22-23- م.س.
24- ملخّص فكر ماو تسى تونغ ص473.
25- مصدر 6 ، ص 71.
26- م6. ص 72.
27- م6 .ص 105-108.
28- م6 . ص105-106.
29- م6 . ص73-74.
30- م 2 . ص 82.
31- م2 . ص82-83
32 - م2 .
33- أنور خوجا ، " تقرير لناشطي الحزب فى تيرانا " .أ.م جزء 1، ص 708 .
34- م2 ، ص 94 .
35- م8 ، ص 257 .
36- م2 ، ص98 .
37- الحرب الباردة : موسكو ضد بيكين ، ص 81 ، إيدوارد قرانقشو .
38- م .س . ص 80-81.
39- "إستقالة المارشال بينغ ته هوي " ص8 . دافيد شارلي 1981
40- م 10، ص 556-558.
41- م 8، ص 266-271.

42- م8 ، ص 269.
43- م8 ، ص 278-279.
44- م8، ص 284.
45- م8 ، ص 285.
46- "العلم اليوم " ، مجلد 17 عدد12 ، ديسمبر 1961 ، ص 523-531.
47- برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي 1961 ، ص 70-71، 103-104.
48- م 8، ص346 .
49- الراية الحمراء ،3-4 و يومية الشعب ،14 جوان 1965 ، بيكين 1965.
50- م8 ، ص 425-426.

الفصل الثانى :

عاشت اللينينيّة !

كتبت إحياء للذكرى التسعين لمولد لينين

لهيئة تحرير مجلة " خونغتشي" (العلم الأحمر) العدد الثامن ، 16 نيسان " ابريل" 1960

دار النشر باللغات الأجنبية – بيكين 1960

-1-

يصادف الثاني والعشرين من نيسان (أبريل) هذا العام الذكرى التسعين لمولد لينين .

وقد شهد عام 1871 ، العام الذى تلا مولد لينين ، الإنتفاضة البطولية لكومونة باريس . لقد كانت كومونة باريس ثورة عظمى تصنع العصر و أوّل مسعى ذا أهمية عالميّة فى محاولة البروليتاريا للإطاحة بالنظام الرأسمالي . و عندما كانت الكومونة على أبواب الهزيمة نتيجة هجوم أعداء الثورة الفرسايليّين قال ماركس :

" إذا كانت الكومونة ستدمّر فمعنى ذلك أنّ النضال سيؤجّل فقط . إنّ مبادئ الكومونة خالدة لا تفنى و ستعرض هذه المبادئ نفسها مرّة أثر مرّة أخرى حتى تتحرّر الطبقة العاملة ".(**" خطاب لماركس حول كومونة باريس "**.)

فما هو أعظم مبادئ الكومونة اهمّية ؟ إنّه ، طبقا لما قال ماركس ، إنّ الطبقة العاملة لا تستطيع مجرّد الإستيلاء على جهاز الدولة القائم و إستخدامه لأغراضها الخاصة . و بكلمة أخرى ، إنّ على البروليتاريا ان تستخدم الأساليب الثوريّة للإستيلاء على سلطة الدولة و أن تسحق الجهاز العسكري و البيروقراطي للبرجوازية و تقيم ديكتاتورية البروليتاريا لتحلّ محلّ ديكتاتورية البرجوازية . وأي شخص ملمّ بتاريخ نضال البروليتاريا يعلم أنّ هذه المسألة الأساسيّة على وجه التحديد، هي التى تشكّل الخطّ الفاصل بين الماركسيين من جهة ، و الإنتهازيّين و المحرّفين من جهة أخرى ، و أنّه بعد وفاة ماركس و إنجلز لم يكن أحد سوى لينين من خاض نضالا لا يعرف المساومة أبدا ضد الإنتهازيّين و المحرّفين من أجل الدفاع عن مبادئ الكومونة .

إنّ القضية التى لم تنجح فى كمونة باريس ، قد إنتصرت اخيرا بعد ستّة و أربعين عاما فى ثورة أكتوبر العظمى تحت قيادة لينين المباشرة . و كانت تجربة السوفييتات الروسيّة إستمرارا و تطوّرا لتجربة كومونة باريس . لقد أصبحت مبادئ الكومونة التى شرحها ماركس و إنجلز بصورة متواصلة ، و أغناها لينين على ضوء التجربة الجديدة للثورة الروسيّة ، واقعا حيّا لأوّل مرّة على سدس الكرة الأرضية . و كان ماركس صائبا تمام الصواب عندما قال إنّ مبادئ الكومونة خالدة لا تفنى .

لقد قامت الذئاب الإستعمارية ، بالتواطؤ مع القوى الروسية المعادية للثورة فى ذلك الوقت ، بالتدخّل المسلّح ضد الدولة السوفيياتية الفتيّة فى محاولة لخنقها . و لكن الطبقة العاملة الروسية البطلة و شعوب مختلف قوميّات الإتحاد السوفياتي طردت العصابات الأجنبيّة ، و سحقت العصيان المعادي للثورة داخل البلاد ، و وطّدت بذلك أوّل جمهورية إشتراكية عظمى فى العالم .

و تحت راية لينين ، تحت راية ثورة أكتوبر ، بدأت ثورة عالمية جديدة تلعب فيها الثورة البروليتارية الدور القيادي ، و أطلّ عصر جديد فى تاريخ الإنسانية . و عبر ثورة أكتوبر تردّدت بسرعة أصداء صوت لينين فى جميع جنبات العالم . و جاءت حركة الرابع من أيار (مايو) – جاءت كما وصفها الرفيق ماو تسى تونغ " تلبية لنداء الثورة العالمية فى ذلك الوقت ، و نداء الثورة الروسية و نداء لينين ".(**" حول الديمقراطية الجديدة "**)

إنّ نداء لينين جبّار لأنّه صائب . ففى ظلّ الظروف التاريخية لعصر الإستعمار ، كشف لينين عن سلسلة من الحقائق التى تدحض فيما يتعلّق بالثورة البروليتارية وديكتاتورية البروليتاريا .

لقد أشار لينين إلى أنّ أصحاب رأس المال الأوليغاركيّين فى عدد قليل من الدول الرأسمالية القويّة ، أي المستعمِرين ، لا يستثمرون جماهير الشعب فى بلدانهم فحسب ، بل يضطهِدون و ينهبون العالم أجمع ، محوّلين معظم البلدان فى العالم إلى مستعمرات و بلدان تابعة لهم . إنّ الحرب الإستعماريّة هي إستمرار للسياسات الإستعمارية . و الحروب العالمية قد أشعلها المستعمِرون بسبب من جشعهم النهم للإستيلاء على الأسواق العالمية و مصادر المواد الخام و حقول الإستثمار و لإعادة تقسيم العالم . و طالما بقي الإستعمار الرأسمالي فى العالم فستبقى مصادر و إمكانيّة الحرب قائمة. و على البروليتاريا أن ترشد جماهير الشعب لمعرفة مصادر الحرب و للنضال من أجل السلم و ضد الإستعمار .

لقد أكّد لينين أنّ الإستعمار هو رأسمالية إحتكارية طفيليّة أو متعفّنة محتضرة ، و أنّه المرحلة الأخيرة من مراحل تطوّر الرأسمالية ، و لهذا فإنّه عشيّة الثورة البروليتارية . و يمكن الوصول إلى تحرّر البروليتاريا عن طريق الثورة فقط و ليس عن طريق الإصلاح بالتأكيد . و على حركات تحرّر البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية أن تتحالف مع حركات التحرّر الوطني فى المستعمرات و البلدان التابعة ، و هذا التحالف يمكنه سحق تحالف المستعمِرين مع قوى الإقطاع و الكمبرادور و الرجعية فى المستعمرات و البلدان التابعة ، و لهذا فإنّه سيضع لا محالة حدّا نهائيّا للنظام الإستعماري فى العالم أجمع .

و على ضوء قانون التطوّر الإقتصادي و السياسي غير المتساوي للرأسمالية ، توصّل لينين إلى أنّه بسبب أن الرأسماليّة تتطوّر بصورة غير متساوية إلى أقصى حدّ فى مختلف البلدان، ستحقّق الإشتراكية النصر أوّلا فى بلد واحد أو عدّة بلدان، و لكنّها لا تستطيع تحقيق النصر فى جميع البلدان فى آن واحد . و لهذا فعلى الرغم من إنتصار الإشتراكية فى بلد أو عدّة بلدان فستبقى البلدان الرأسماليّة الأخرى موجودة و سيكون هذا مبعثا لا للإحتكاك فقط ، بل و للنشاطات الإستعمارية التخريبيّة ضد الدول الإشتراكية . و من ثمّ سيكون النضال طويل الأمد . و سيستغرق النضال بين الإشتراكية و الرأسمالية عصرا تاريخيّا بأكمله . و على البلدان الإشتراكية أن تحافظ على يقظة مستمرّة ضد خطر الهجوم الإستعماري و أن تبذل كلّ جهودها لإتّقاء هذا الخطر .

إنّ المسألة الأساسيّة فى جميع الثورات هي مسألة سلطة الدولة . فقد أظهر لينين بصورة شاملة و نفاذة أن المسألة الأساسيّة فى الثورة البروليتارية هي ديكتاتورية البروليتاريا . و ديكتاتورية البروليتاريا التى تقام بواسطة سحق جهاز الدولة لديكتاتورية البرجوازية بالوسائل الثوريّة هي تحالف من نوع خاص بين البروليتاريا و بين الفلاّحين و جميع الشغّيلة الآخرين . إنّها إستمرار للنضال الطبقي بشكل آخر فى ظلّ ظروف جديدة ، و هي تتضمّن نضالا دائبا ، دمويّا و غير دموي ، عنيفا و سلميّا ، عسكريّا و إقتصاديّا ، ثقافيّا و إداريّا ، ضد مقاومة الطبقات المستغلّة ، و ضد العدوان الأجنبي و ضد قوى و تقاليد المجتمع القديم . و بدون ديكتاتورية البروليتاريا ، و بدون حشدها الشغّيلة حشدا تاما فى هذه الجبهات لخوض هذه النضالات التى لا يمكن تجنّبها بعناد و إصرار ، لا يمكن أن تكون هناك إشتراكية و لا يمكن أن يكون هناك إنتصار للإشتراكية .

لقد إعتبر لينين إنشاء البروليتاريا حزبها السياسي ، حزبها الثوري الحقيقي الذى ينبذ الإنتهازيّة نبذا تاما ، أي حزبها الشيوعي ، أمرا ذا أهمّية رئيسية إذا ما أريد للثورة البروليتارية أن تتحقّق و لديكتاتورية البروليتاريا أن تقام و تتوطّد . و الحزب الشيوعي هذا متسلّح بنظرية المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية الماركسيّتين . و برنامجه هو تنظيم البروليتاريا و جميع الشغيلة المضطهَدين من أجل النضال الطبقي و إقامة حكم البروليتاريا والمرور عبر الإشتراكية للوصول إلى الهدف النهائي وهو الشيوعية . و على هذا الحزب السياسي أن يرتبط بالجماهير إرتباطا وثيقا ، و يعير أهمّية كبرى لمبادراتها الخلاّقة فى صنع التاريخ ، و عليه أن يعتمد بصورة وثيقة على الجماهير فى الثورة ، و كذلك فى البناء الإشتراكي و الشيوعي .

لقد بيّن لينين بإستمرار هذه الحقائق قبل و بعد ثورة أكتوبر . و إعتبر الرجعيّون و السذّج الجهلة فى العالم ، فى ذلك العصر ، حقائق لينين هذه رهيبة ، أمّا نحن فنرى هذه الحقائق تحرز النصر بعد النصر فى الحياة العمليّة فى العالم .

و فى الأربعين عاما ونيف التى مرّت على ثورة أكتوبر طرأت تغيّرات جديدة هائلة على العالم .

فقد حوّل الإتحاد السوفياتي نفسه ، عبر منجزاته العظمى فى البناء الإشتراكي و الشيوعي ، من بلد متخلّف جدّا إقتصاديّا و تكنيكيّا أيّام روسيا القيصريّة إلى دولة ذات الدرجة الأولى من أعظم التكنولوجيا تقدّما فى العالم كلّه . و خلف الإتّحاد السوفياتي ، بقفزاته الإقتصادية و التكنيكية ، البلدان الأوربيّة الرأسمالية وراءه بعيدا ، كما خلّف الولايات المتحدة وراءه أيضا فى التكنولوجيا .

وحطّم الإنتصار العظيم فى الحرب ضد الفاشست ، هذه الحرب التى كان فيها الإتحاد السوفياتي القوّة الرئيسية ، سلسلة الإستعمار فى أوربا الوسطى و الشرقية . و حطّم الإنتصار العظيم للثورة الصينيّة الشعبيّة سلسلة الإستعمار على البرّ الصيني . و وُلدت مجموعة من البلدان الإشتراكية الجديدة . و يحتلّ كلّ المعسكر الإشتراكي الذى يقف على رأسه الإتحاد السوفياتي ربع مساحة الأرض ، و يبلغ عدد سكّانه أكثر من ثلث عدد سكّان العالم . و قد كوّن المعسكر الإشتراكي الآن نظاما إقتصاديّا عالميّا مستقلاّ مقابل النظام الإقتصادي العالمي الرأسمالي . و تبلغ قيمة مجمل الإنتاج الصناعي فى البلدان الإشتراكية الآن ما يقارب أربعين بالمئة من القيمة العالمية ، و لن يمرّ وقت طويل حتى تتخطّى هذه القيمة قيمة مجمل الإنتاج الصناعي فى جميع البلدان الرأسمالية معًا .

إنّ نظام الحكم الإستعماري الإمبريالي قد إنهار ، وهو فى طريقه إلى الإنهيار التام . و للنضال ، بطبيعة الحال ، منعرجاته و منعطفاته ، و لكن ، على وجه العموم ، تجتاح عاصفة حركات التحرّر الوطني قارات آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية على نطاق متزايد يوميّا . و تتطوّر الأشياء نحو أضدادها : فالمستمرون يسيرون خطوة فخطوة من القوّة إلى الضعف ، بينما تسير الشعوب خطوة فخطوة من الضعف إلى القوّة .

و قد إنتهى منذ مدّة طويلة الإستقرار النسبي للرأسمالية الذى وُجد لوقت ما بعد الحرب العالمية الأولى . و مع تكوّن النظام الإقتصادي العالمي الإشتراكي بعد الحرب العالمية الثانية تقلّصت السوق العالمية الرأسمالية إلى حدّ كبير . و أصبح التناقض بين القوى المنتجة و علاقات الإنتاج فى المجتمع الرأسمالي أكثر حدّة . و لم تعد الأزمات الإقتصادية الدوريّة للرأسمالية تأتي ، كما كانت من قبل ، مرّة كلّ عشر سنوات أو مثل ذلك ، بل أصبحت حدث كلّ ثلاث أو أربع سنوات تقريبا . و قد إعترف مؤخّرا بعض ممثلي البرجوازية الأمريكية بأنّ الولايات المتحدة عانت من ثلاث_" ردّات إقتصادية " فى عشر سنوات ، و أنّ لديهم الآن دلائل " ردّة إقتصادية " جديدة بعد أن تخلّصوا لتوهّم من ردّة عامي 1957- 1958. إنّ قصر الفترة الدوريّة بين الأزمات الإقتصادية الرأسماليّة هو ظاهرة جديدة ، إنّه دلالة أخرى على أنّ النظام الرأسمالي العالمي يقترب أكثر فأكثر من فنائه المحتوم .

أمّا عدم التساوي فى تطوّر البلدان الرأسمالية فهو أسوأ ممّا مضى . و مع إنحصار المستعمِرين فى منطقة نفوذهم المتقلّصة و تزاحمهم فى هذه الرقعة الضيّقة يقوم الإستعمار الأمريكي ، بإستمرار ، فإغتصاب الأسواق و مناطق النفوذ من المستعمِرين البريطانيّين و الفرنسيّين و المستعمِرين الآخرين . و قد ظلّت البلدان الإستعمارية ، و فى طليعتها الولايات المتّحدة ، تقوم بتوسيع نطاق التسلّح و الإستعدادات الحربيّة منذ أكثر من عشر سنوات ، فى الوقت الذى نهضت فيه العسكريّتان : الألمانيّة الغربيّة و اليابانيّة ، اللتان فى الحرب العالمية الثانية – نهضتا ، مرّة أخرى ، بمساعدة عدوّهما السابق : الإستعمار الأمريكي . و يتشدّق من جديد مستعمرو هذين البلدين الذين قدّموا لينضمّوا إلى المتزاحمين حول السوق العالمية الرأسماليّة ، عن " صداقتهم التقليديّة " و ينهمكون فى نشاطات جديدة لإنشاء ما يدعى " محور بون- طوكيو مع واشنطن كنقطة بداية ". و بدأ الإستعمار الألماني الغربي يتطلّع بصفاقة حوله بحثا عن قواعد عسكريّة فى الخارج . و هذا ما يشدّد النزاعات الحادّة داخل الإستعمار ، و يزيد فى نفس الوقت من الخطر على المعسكر الإشتراكي و جميع البلدان المحبة للسلام . و الوضع الراهن يشبه إلى حدّ كبير جدّا الوضع بعد الحرب العالمية الأولى ، عندما رعي المستعمِرون الأمريكيون و البريطانيون إنبعاث العسكريّة الألمانية ، و ستكون النتيجة مرّة أخرى " إلتقاطهم الصخرة لإسقاطها على أقدامهم ". إنّ خلق المستعمرين الأمريكيين التوتّر العالمي بعد الحرب العالمية الثانية هو إشارة لا إلى قوّتهم بل إلى ضعفهم ، وهو يعكس ، على وجه التحديد ، عدم الإستقرار الذى لم يسبق له مثيل فى النظام الرأسمالي .

إنّ المستعمِرين الأمريكيّين ، من أجل تحقيق مطمعهم فى الإستئثار بالسيطرة على العالم ، لا يلجأون فقط ، و بصورة مستشرية ، إلى جميع أنواع الهدم و التخريب ضد البلدان الإشتراكية ، بل يلجأون ايضا ، تحت ستار مقاومة " الخطر الشيوعي " إلى حشد قواعدهم العسكرية فى جميع أنحاء العالم ، و إغتصاب المناطق الوسطيّة ، و القيام بالإستفزازات العسكرية ، قائمين بالدور الذى حدّدوه لأنفسهم ، دور دركي العالم ، الذى يتولّى قمع الثورة فى مختلف البلدان . و كالجرذ يركض عبر الشارع بينما يصرخ الكلّ " إرموه بأي شيء " يتلقى المستعمِرون الأمريكيون فى كلّ مكان الضربات و اللكمات ، و على عكس ما يهدفون ، يثيرون فى كلّ مكان نهوضا جديدا فى نضال الشعوب الثوري . و قد أصبحوا الآن ، هم أنفسهم ، يحسّون بأنّ " نفوذ الولايات المتّحدة كدولة كبيرة فى العالم يتردّى" على النقيض من الإزدهار المتزايد فى العالم الإشتراكي الذى يقف على رأسه الإتحاد السوفياتي . و يمكن للمرء أن يرى عندهم " إنحطاط و سقوط روما القديمة فقط ".

و تدلّ التغيّرات التى طرأت على العالم فى الأربعين عاما و نيف الماضية ، على أنّ الإستعمار يتداعى كلّ يوم ، بينما تسير الإشتراكية أحسن فأحسن كلّ يوم . إنّه عصر عظيم جديد ذاك الذى يواجهنا اليوم ، و ميزته الأساسيّة أن قوى الإشتراكية تخطّت قوى الإستعمار و أن قوى يقظة الشعوب فى العالم تخطّت قوى الرجعية .

من الواضح أنّ الوضع العالمي الراهن قد مرّ بتغيّرات هائلة منذ زمن لينين ، و لكن هذه التغيّرات لم تبرهن على أنّ اللينينيّة قد فات أوانها ، بل على العكس ، اكّدت بوضوح ، أكثر فأكثر ، الحقائق التى كشفها لينين و جميع النظريّات التى قدمها أثناء النضال من أجل الدفاع عن الماركسية الثوريّة و لتطوير الماركسيّة .

و فى الظروف التاريخيّة لعصر الإستعمار و الثورة البروليتارية ، تقدّم لينين بالماركسية إلى مرحلة جديدة ، و أبان لجميع الطبقات و الشعوب المضطهَدة الطريق الذى تستطيع عبره أن تتخلّص حقّا من واقع عبوديّة الإستعمار الرأسمالي و الفقر .

لقد كانت هذه الأعوام الأربعون هي أعوام إنتصار اللينينية فى العالم ، أعوام شقّت فيها اللينينيّة طريقها بشكل أعمق إلى قلوب شعوب العالم . و لم تحرز اللينينيّة ، و تتابع إحراز الإنتصارات العظيمة فى البلدان التى أنشىء فيها النظام الإشتراكي فحسب ، بل إنّها تحقّق إنتصارات جديدة بإستمرار أيضا فى نضالات جميع الشعوب المضطهَدة .

إنّ إنتصار اللينينيّة قد هلّلت له شعوب العالم أجمع ، و فى نفس الوقت لا يمكن إلاّ أن يستثير حقد المستعمِرين و جميع الرجعيَين . و قد شنّ المستعمِرون ، لإضعاف نفوذ اللينينيّة و شلّ الإرادة الثوريّة للجماهير الشعبيّة ، أشدّ الهجمات و الإفتراءات بربرية و حقارة ضد اللينينيّة ، و أكثر من ذلك ، إشتروا و إستغلّوا المتذبذبين والمرتدّين داخل الحركة العمّالية، و وجّهوا هؤلاء لتشويه و تمييع تعاليم لينين. و عند نهاية القرن التاسع عشر ، عندما هزمت الماركسية مختلف الإتجاهات المعادية لها ، و إنتشرت بإتّساع فى الحركة العمّالية ، و إحتلّت مكان الصدارة ، قام المحرّفون الذين كان يمثّلهم برنشين بتحريف تعاليم ماركس تلبية لحاجات البرجوازية . و الآن حيث أرشدت اللينينية الطبقة العاملة و جميع الطبقات و الأمم المضطهَدة فى العالم ، فى المسيرة ضد الإستعمار و جميع أنواع الرجعيين ، و أحرزت إنتصارات كبرى ، قام المحرّفون المعاصرون الذين يمثّلهم تيتو بتحريف تعاليم لينين (أي التعاليم الماركسية العصرية)، تلبية لحاجات المستعمِرين . و كما أشار البيان الذى صدر عن إجتماع مثّلي الأحزاب الشيوعية و العمّالية فى البلدان الإشتراكية الذى عقد فى موسكو فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1957، فإنّ " وجود التأثير البرجوازي هو مصدر داخلي للتحريفية بينما مصدرها الخارجي هوالإستسلام للضغط الإستعماري ". و بينما حاولت التحريفيّة القديمة فى ذلك العهد أن تثبت أنّ الماركسيّة أصبحت لا تلائم العصر ، فإنّ التحريفية المعاصرة تحاول إثبات أنّ اللينينية أصبحت لا تلائم العصر . لقد جاء فى بيان إجتماع موسكو :

" تسعى التحريفية المعاصرة للطعن فى التعاليم العظمى للماركسية - اللينينية ، و تزعم أنّها " غير ملائمة للعصر" ، كأنّها فقدت الآن أهمّيتها بالنسبة للتقدّم الإجتماعي . و يحاول المحرّفون بكلّ جهدهم إفساد الروح الثوريّة للماركسيّة و تخريب الإيمان بالإشتراكية بين الطبقة العاملة و الشغّيلة " .

لقد وضعت هذه الفقرة من البيان الأمور فى نصابها ، و هذا هو الوضع تماما .

فهل التعاليم الماركسية – اللينينية قد أصبحت الآن " غير ملائمة للعصر" ؟ و هل التعاليم المتكاملة كلّها التى أتى بها لينين حول الإستعمار و حول الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا و حول الحرب و السلم ، و حول بناء الإشتراكية و الشيوعية ما زالت تحتفظ بحيويّتها الدافقة ؟ و إذا كانت ما تزال صالحة و تحتفظ بحيويّتها الدافقة فهل ينطبق هذا على جزء معيّن منها أو عليها كلّها ؟ لقد إعتدنا أن نقول إنّ اللينينيّة هي ماركسيّة عصر الإستعمار و الثورة البروليتارية ،

ماركسية عصر إنتصار الإشتراكية و الشيوعية ، فهل ما يزال هذا الرأي صحيحا ؟ و هل يمكن القول إنّ إستنتاجات لينين الأصليّة و ما إعتدنا أن نعتقده حول اللينينية قد فقد صحّته و صوابه ، و لهذا فعلينا أن نرتدّ على أعقابنا و نقبل هذه الإستنتاجات التحريفيّة الإنتهازية التى مزّقها لينين منذ مدّة طويلة شذر مذر ، والتى أفلست بصورة مشينة فى الحياة الواقعية؟ إنّ هذه الأسئلة موضوعة الآن أمامنا و يجب الإجابة عليها . و على الماركسيين – اللينيين أن يفضحوا تماما سخافات المستعمِرين و المحرّفين المعاصرين حول هذه المسائل ، و يستأصلوا نفوذهم من بين الجماهير ، و يوقظوا أولئك الذين خدعوا مؤقّتا ، و يزيدوا من مضاء العزيمة الثورية لدى الجماهير الشعبية .

- 3 -

إنّ المستعمِرين الأمريكيين و الممثّلين المكشوفين للبرجوازية فى بلدان كثيرة ، و المحرّفين المعاصرين الذين تمثّلهم طغمة تيتو ، و الديمقراطيّين الإجتماعيّين اليمينيّين يعملون كلّ ما يستطيعون لرسم صورة مشوهة كلّيا للوضع العالمي المعاصر فى محاولة لتأكيد هذيانهم حول " أنّ الماركسية أصبحت غير ملائمة للعصر" و " أنّ اللينينية اصبحت أيضا غير ملائمة للعصر" و ذلك لتضليل شعوب العالم .

لقد أشار تيتو فى خطاب ألقاه فى نهاية العام الماضي ، بصورة متكرّرة ، إلى ما يدعوه المحرّفون المعاصرون ب " العصر الجديد " فقال : " لقد دخل العالم اليوم عصرا جديدا تستطيع فيه الأمم أن تأخذ راحة ، و أن تكرّس نفسها بإطمئنان لمهام البناء الداخلي فيها ". و اضاف لقد دخلنا عصرا وضعت فيه مسائل جديدة فى جدول الأعمال ، ليست مسائل حرب و سلم بل مسائل تعاون فى الحقول الإقتصاديّة و الحقول الأخرى . و عندما يكون التعاون الإقتصادي معنيّا فهناك أيضا مسألة المباراة الإقتصادية ". (خطاب تيتو فى زغرب ، 12 كانون الأوّل (ديسمبر) عام 1959).

إنّ هذا المرتدّ يشطب تماما مسألة التناقضات الطبقية و النضال الطبقي فى العالم ، فى محاولة لنفي التفسير الثابت للماركسيين- اللينينيين بأنّ عصرنا هو عصر الإستعمار و الثورة البروليتارية ، عصر إنتصار الإشتراكية و الشيوعية .

و لكن ما هو الوضع الحقيقي فى العالم ؟

هل تستطيع الشعوب المستثمَرة و المضطهَدة فى البلدان الإستعمارية أن " تأخذ راحة " ؟ هل تستطيع شعوب جميع المستعمرات و أشباه المستعمرات التى مازالت تحت نير الإضطهاد الإستعماري أن " تأخذ راحة " ؟

و هل أصبح التدخّل المسلّح الذى قاده المستعمِرون الأمريكيون فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية " ساكنا " ؟ و هل هناك " هدوء " فى مضائق تايوان ؟ و هل هناك " هدوء " فى القارّة الأفريقيّة فى الوقت الذى يتعرّض فيه شعب الجزائر و شعوب أجزاء أخرى عديدة من أفريقيا للقمع المسلّح من جانب المستعمِرين الفرنسيّين و البريطانيين و المستعمِرين الآخرين ؟ و هل هناك " هدوء " فى أمريكا اللاتينية فى الوقت الذي يحاول فيه المستعمِرون الأمريكيون تحطيم ثورة الشعب فى كوبا بوسائل القذف بالقنابل و الإغتيالات و التخريب ؟

و ما نوع " البناء" الذى يعنيه القول " تكرّس نفسها لمهام البناء الداخلي " ؟ يعلم الجميع أنّ هناك أنواعا مختلفة من البلدان فى العالم اليوم ، و بصورة رئيسية هناك نوعان من البلدان ذوا نظامين إجتماعيين مختلفين بصورة أساسيّة من حيث طبيعتهما : النوع الأوّل يتبع النظام العالمي الإشتراكي ، و الآخر يتبع النظام العالمي الرأسمالي . فهل الذى يشير إليه تيتو هو " البناء الداخلي " لتوسيع التسلّح الذى يقوم به المستعمِرون من أجل إضطهاد شعوب بلدانهم و العالم أجمع ؟ أم هذا " البناء الداخلي" الذى تقوم به الإشتراكية من أجل تعزيز سعادة الشعوب ، و تلمّسا لسلم عالمي أبدي؟

و هل مسألة الحرب و السلم لم تعد مسألة بعد الآن ؟ هل المسألة أنّ الإستعمار لم يعد قائما و أنّ نظام الإستغلال لم يعد قائما و لهذا فمسألة الحرب لم تعد قائمة ؟ أو ندع الإستعمار و نظام الإستغلال يعيشان أبدا و من ثمّ لا يمكن أن تكون هناك مسألة حرب ؟ الحقيقة أنّ الحرب ظلّت مستمرّة منذ الحرب العالمية الثانية . فهل الحروب الإستعماريّة لقمع حركات التحرّر الوطني ، و الحروب الإستعماريّة للتدخّل المسلّح ضد الثورات فى عدّة بلدان لا تعدّ حروبا ؟ و حتى مع أنّها لم تتطوّر إلى حروب عالمية ، فهل لا تعدّ هذه الحروب المحليّة حروبا ؟ و حتى مع أنّها لم تستخدم فيها الأسلحة النوويّة فهل لا تعدّ الحروب التى يستخدم فيها ما يدعى بالأسلحة التقليديّة حروبا ؟ و هل تخصيص المستعمِرين الأمريكيين نحوا من ستين بالمئة من

ميزانية عام 1960 لتوسيع التسلّح و الإستعدادات الحربيّة لا يعدّ سياسة تعطّش للحرب من جانب الإستعمار الأمريكي ؟ و هل لا تواجه البشرية بخطر حرب كبرى جديدة بإنعاش العسكريتين فى ألمانيا الغربية و اليابان ؟

وما نوع " التعاون" المقصود هنا ؟ هل هو " تعاون " شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات مع المستعمرين لحماية الإستعمار ؟ هل هو " تعاون " البلدان الإشتراكية مع البلدان الرأسمالية لحماية النظام الإستعماري فى إضطهاده شعوب البلدان الرأسمالية و قمع حروب التحرّر الوطني ؟

بكلمة واحدة ، إنّ مزاعم المحرّفين المعاصرين حول ما يدعى ب " العصر " هي تحدّيات عديدة للينينيّة فيما يتعلّق بالقضايا الآنفة الذكر . إنّ هدفهم هو طمس التناقضات بين الجماهير الشعبية و الطبقة البورجوازية الإحتكارية فى البلدان الإستعمارية ، و طمس التناقض بين الشعوب المستعمَرة و شبه المستعمَرة و بين المعتدين الإستعماريين و التناقض بين النظام الإشتراكي و النظام الإستعماري ، و التناقض بين الشعوب المحبّة للسلام فى العالم و الكتلة الإستعمارية المتعطّشة للحرب .

لقد قيلت أقوال مختلفة فى تمييز مختلف " العصور " . و عموما هناك قول هو مجّرد ثرثرة و هراء و يقوم على تلفيق كلمات غامضة مبهمة ، و التلاعب بها للتستّر على جوهر العصر، و هذه هي الحيلة القديمة للمستعمِرين و البرجوازيين و المحرّفين فى الحركة العمّالية . و هناك قول آخر هو تحليل الظروف الخاصة بالوضع الشامل للتناقضات الطبقية و النضال الطبقي تخليلا محدّدا ، و وضع التعاريف العلميّة بصورة دقيقة ، ممّا يضع جوهر العصر أمام الأضواء بصورة كاملة ، إن هذا هو عمل كلّ ماركسي جدّي .

و حول الخصائص التى تميّز عصرا ما قال لينين :

" ... نحن نتكلّم هنا عن العصور التاريخية الكبرى ، ففى كلّ عصر كان هناك ، و سيكون هناك ، حركات منفصلة جزئية إلى الأمام أحيانا و إلى الوراء أحيانا أخرى ، و كانت هناك ، و ستكون هناك ، إنحرافات مختلفة عن النوع العادي و السرعة العادية للحركات . و نحن لا نستطيع أن نعرف سرعة تطوّر مدى نجاح بعض الحركات التاريخيّة فى عصر ما ، و لكنّنا نستطيع أن نعرف ، و أن نعرف حقّ المعرفة ، أيّ الطبقات تحتلّ المكانة الرئيسية فى هذا العصر أو ذاك ، و تقرّر محتواه الرئيسي و الإتّجاه الرئيسي لتطوّره ، و الميزات الرئيسية للوضع التاريخي فى ذلك العصر إلخ . و على هذا الأساس فقط ، أي بإعتبار ، أوّلا و قبل كلّ شيء ، الخصائص الأساسيّة المميذزة " لعصور " مختلفة (و ليس أحداثا منفردة فى تاريخ بلدان منفردة) نستطيع رسم تكتيكاتنا بصورة صحيحة..." . (**" تحت علم الآخرين "**)

إنّ مسألة العصر هي كما يشير لينين هنا ، مسألة ما هي الطبقة التى تحتلّ المكانة الرئيسية فيه و تقرّر فيه محتواه الأساسي و إتجاهه الرئيسي فى التطوّر . و لم يتخلّ لينين أبدا و لو للحظة واحدة ، إخلاصا منه للديالكتيك الماركسي ، عن موقف تحليل علاقات الطبقات . و كان يعتقد بأنّ " الماركسية تقدر " المصالح " عن طريق التناقضات الطبقية و النضالات الطبقية التى تعرض نفسها فى ملايين الحقائق فى الحياة اليومية " . (**" إفلاس الأممية الثانية "**).

و يعتقد لينين :

" إنّ أسلوب ماركس يتضمّن ، قبل كلّ شيء الأخذ بعين الإعتبار المحتوى الموضوعي للعمليّة التاريخيّة فى اللحظة المحدّدة ، و فى الوضع المحدّد ، لأجل إدراك ، قبل كلّ شيء ، ما هي الطبقة التى يمكن أن تشكّل حركتها قوّة محرّكة رئيسيّة للتقدّم الإجتماعي فى هذا الوضع المحدّد " . (**" تحت علم الآخرين "**)

و طالب لينين دائما بأن نتفحّص الطريق المحدّد للتطوّر التاريخي على أساس التحليل الطبقي بدلا من التحدّث بصورة غامضة عن " المجتمع عموما " ، أو " التقدّم عموما " . و علينا نحن الماركسيّين أن لا نضع السياسة البروليتاريّة على أساس مجرّد بعض الأحداث العابرة أو التغيّرات السياسيّة الدقيقة ، بل على أساس الوضع الشامل للتناقضات الطبقية و النضالات الطبقية فى عصر تاريخي بأكمله . إنّ هذا موقف نظري اساسي للماركسيين . و عن طريق الوقوف موقفا حازما حول هذه المسألة توصّل لينين ، فى الفترة الجديدة من التغيّرات الطبقية ، فى الفترة التاريخية الجديدة ، إلى أن أمل الإنسانية يكمن كلّيا فى إنتصار البروليتاريا ، و أنّ على البروليتاريا أن تعدّ نفسها لإحراز النصر فى هذه المعركة

الثورية الكبرى و أن تقيم ديكتاتورية البروليتاريا . و بعد ثورة أكتوبر ، و فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي (البلشفيك) عام 1918 صرّح لينين :

" علينا أن نبدأ بالأساس العام لتطوّر إنتاج السلع و الإنتقال إلى الرأسمالية و تحوّل الرأسمالية إلى الإستعمار ، و بذلك نحتلّ و نوطّد ، نظريّا ، الموقع الذى سوف لا يحاول أحد ، لم يخن الإشتراكية ، أن يزحزحنا عنه . و فى الوقت نفسه يمكننا من هذا أن نتوصّل إلى إستنتاج مساو فى حتميته وهو : إنّ عصر الثورة الإجتماعية قد بدأ ".

هذا هو إستنتاج لينين ، وإنّه إستنتاج لم يزل حتى الآن يتطلّب بحثا عميقا من جانب جميع الماركسيين .

إنّ نظرية الماركسيين الثوريين بأنّ عصرنا هو عصر الإستعمار و الثورة البروليتارية ، عصر إنتصار الإشتراكية و الشيوعية ، هي نظرية لا يمكن تفنيدها ، لأنّها تستحوذ بصورة صائبة تماما على الخصائص الأساسيّة لعصرنا العظيم الراهن . و النظريّة القائلة بأنّ اللينينيّة هي إستمرار و تطوّر للماركسيّة الثوريّة فى هذا العصر العظيم ، و بأنّها نظرية و سياسة الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا ، هي أيضا نظرية لا يمكن تفنيدها، لأنّ اللينينية ، على وجه التحديد ، هي التى كشفت عن التناقضات فى عصرنا العظيم : التناقضات بين الطبقة العاملة و الرأسمال الإحتكاري ، التناقضات بين البلدان الإستعمارية ذاتها ، التناقضات بين الشعوب المستعمَرة و شبه المستعمَرة من جانب ، و الإستعمار من جانب آخر ، التناقضات بين البلدان الإشتراكية حيث إنتصرت البروليتاريا من جانب ، و البلدان الإستعمارية من جانب آخر . و لهذا فقد أصبحت اللينينيّة راية إنتصارنا . و لكن على العكس من هذه السلسلة من نظريّات الماركسيّة الثوريّة ، لم يعد فى الواقع فيما يدعوه التيتويّون ب " العصر الجديد " إستعمار و لا ثورة بروليتارية ، ناهيك عن نظرية و سياسة الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا . و بإختصار ، فإنّ نقاط التمركز الأساسي للتناقضات الطبقيّة و النضالات الطبقية فى عصرنا غير مرئية أبدا بالنسبة إليهم ، كما أنّ المسائل الأساسيّة فى اللينينيّة مفقودة لديهم و ليست هناك أية لينينية .

و يزعم المحرّفون المعاصرون أن " النظريّات القديمة " لماركس و لينين لم تعد قابلة للتطبيق فيما يدعونه ب " نحن لسنا جامدين عقائديّا ، فماركس و لينين لم يتنبأا بالصاروخ يصل القمر و لا بالقنابل الذرّية و لا بالتقدّم التكنيكي الكبير" (خطاب تيتو فى زغرب ، 12 كانون الأول (ديسمبر) عام 1959). إنّهم ليسوا جامدين عقائديّا ، هذا جميل ، و من الذى يريدهم أن يكونوا جامدين عقائديّا ؟ و لكن الإنسان يستطيع مقاومة الجمود العقائدي للدفاع عن الماركسية - اللينينية أو يستطيع ، فى الحقيقة ، أن يقاوم الماركسية - اللينينية بإسم مقاومة الجمود العقائدي . و إنّ التيتويّين هم من الفئة الأخيرة . وهناك أشخاص يحملون آراء غير صحيحة حول مسألة أثر التقدّم العلمي والتكنولوجي على التطوّر الإجتماعي، وذلك بسبب أنّهم غير قادرين على معالجة المسألة من وجهة النظر الماديّة التاريخيّة ، و هذا أمر يمكن إدراكه ، و لكن المحرّفين المعاصرين يخلقون عن عمد الإرتباك حول هذه المسالة فى محاولة يائسة لإستخدام تقدّم العلوم و التكنولوجيا لإلقاء الماركسية – اللينينية فى مهبّ الرياح .

لقد كانت منجزات الإتحاد السوفياتي ، فى السنوات القليلة الماضية ، فى حقلي العلوم و التكنولوجيا ، المنجزات الأولى فى العالم . و المنجزات السوفياتيّة هي حصيلة ثورة أكتوبر الكبرى . و هذه المنجزات البارزة تدلّ على بداية عصر جديد فى غزو الإنسان للطبيعة ، وهي ، فى الوقت نفسه ، تلعب دورا هاما جدّا فى الدفاع عن سلام العالم . و لكن ، فى الظروف الجديدة التى جلبها تطوّر التكنولوجيا الحديثة ، هل تزعزع الجهاز النظري للماركسية – اللينينية كما يقول تيتو بسبب " وصول الصاروخ إلى القمر، و القنابل الذرّية و التقدم التكنيكي الكبير" الأمور التى " لم يتنبّا بها " ماركس و لينين ؟ و هل يمكن القول إنّ النظرة الماركسيّة - اللينينية للعالم ، و النظرة الإجتماعية التاريخية ، و النظرة الأخلاقيّة و المعتقدات الأساسيّة الأخرى قد أصبحت ، لذلك ، ما يدعونه " عقائد جامدة " بالية ، و من ثمّ فإنّ قانون النضال الطبقي لم يعد قائما ؟

إنّ ماركس و لينين لم يعيشا حتى يومنا هذا ، و بطبيعة الحال لم يستطيعا رؤية بعض التفصيلات المعيّنة للتقدّم التكنولوجي فى عالم اليوم ، و لكن ماذا ينبئ ، على وجه التحديد ، تطوّر العلوم الطبيعيّة و تقدّم التكنولوجيا بالنسبة للنظام الرأسمالي ؟ لقد إعتقد ماركس و لينين بأنّ هذا ينبىء فقط بثورة إجتماعية جديدة ، و لكنّه لا ينبئ بالتاكيد بإضمحلال الثورة الإجتماعية .

ونحن نعلم أن كلاً من ماركس و لينين إبتهج بالإكتشافات الجديدة و التقدّم فى العلوم الطبيعية و التكنولوجيا فى غزو الطبيعة ، و قال إنجلز فى " **الخطاب على قبر ماركس** " :

" لقد كان العلم فى نظر ماركس قوّة ثوريّة محرّكة تاريخيّا . و مهما كان كبيرا الإبتهاج الذى يستقبل به أي إكتشاف جديد فى أي علم من العلوم النظرية ، حتى الإكشافات التى ربّما كان تطبيقها العملي مستحيل التصوّر بعد ، فإنّه كان بنوع آخر تماما من البهجة عندما يتضمّن الإكتشاف تأثيرات ثوريّة فوريّة فى الصناعة و فى التطوّر التاريخي عموما ".

و أضاف إنجلز : " يجب أن نعلم أنّ ماركس كان ثوريّا قبل كلّ شيء ". إنّ هذا قول جدّ جيد ! لقد نظر ماركس دائما إلى جميع الإكتشافات الجديدة فى غزو الطبيعة من وجهة نظر الثوري البروليتاري ، و ليس من وجهة نظر من يعتقد بأنّ الثورة البروليتارية ستضمحلّ .

و كتب ولهالم ليبكنخت فى مقاله " **ذكريات عن ماركس** " :

لقد هزأً ماركس بالقوى الرجعية الأوروبية المنتصرة التى تخيّلت أنّها خنقت الثورة ، و لم يخطر ببالها أنّ العلوم الطبيعيّة كانت تعدّ ثورة جديدة . وإنّ الملك – البخار الذى أدخل العالم فى ثورة فى القرن السابق يقترب اليوم من نهاية حكمه ، و أنّ هناك قوّة ثورية أعظم بصورة لا تقارن ستحلّ محله ، وهي شرارة الكهرباء .

" ... إنّ نتائج هذا الأمر لا يمكن التنبؤ بها . و الثورة الإقتصاديّة تتلوها حتما ثورة سياسية حيث أنّ الأخيرة ليست إلاّ تعبيرا عن الأولى .

إنّ ماركس حين بحث تقدّم العلوم و الميكانيكا ، عبّر بوضوح عن نظرته للعالم ، و بوجه خاص عمّا يسمّى الآن بالنظرة الماديّة للتاريخ ، لدرجة أنّ بعض الشكوك التى كانت ما تزال تراودنى فى ذلك الوقت قد ذابت ذوبان الثلج تحت شمس الربيع " .

هكذا شعر ماركس بأنفاس الثورة فى تقدّم العلوم و التكنولوجيا . و كان ماركس يعتقد أن التقدّم الجديد فى العلوم و التكنولوجيا سيؤدى إلى ثورة إجتماعية تطيح بالنظام الرأسمالى . إنّ تقدّم العلوم الطبيعية و التكنولوجيا ، فى نظر ماركس ، يعزّز أكثر فأكثر موقف النظرة الماركسية للعالم بأكملها و النظرة الماديّة للتاريخ ، وهو بالتأكيد ، لا يزعزعه ، و إنّ تقدّم العلوم الطبيعية و التكنولوجيا يعزّز مركز الثورة البروليتارية و كفاح الأمم المضطهَدة ضد الإستعمار أكثر فأكثر ، وهو بالتأكيد ، لا يضعفه .

و نظر لينين أيضا ، مثله مثل ماركس ، إلى التقدّم التكنولوجي على أنّه مرتبط بمسألة الثورة فى النظام الإجتماعي . و هكذا إعتقد لينين " أنّ عصر البخار هو عصر البرجوازية و عصر الكهرباء هو عصر الإشتراكية " (" **حول عمل اللجنة التنفيذية المركزية لجميع روسيا و مجلس ممثلي الشعب** ".)

ولنلاحظ هنا الفارق بين روح ماركس و لينين الثوريّة هذه و بين الموقف المشين للمحرّفين المعاصرين فى خيانة الثورة !

إنّ فى المجتمع الطبقي ، و فى عصر الإستعمار ، ليس بإمكان الماركسين – اللينينيين إلاّ أن يعالجوا ، دائما ، مسألة تطوّر و إستخدام التكنولوجيا من وجهة نظر التحليل الطبقي .

و بما أنّ النظام الإشتراكي تقدّميّ و يمثّل مصالح الشعب ، فإنّ البلدان الإشتراكية تريد إستخدام مثل هذا التكنيك الجديد كالطاقة الذرّية و الصواريخ لخدمة البناء الداخلي السلمي و غزو الطبيعة . و كلّما سيطرت البلدان الإشتراكية على قدر أكبر من مثل هذا التكنيك الجديد ، و كلما طوّرته بسرعة ، كان تحقيقها لهدف التطوّر العالي السرعة لقوى الإنتاج الإجتماعيّة من أجل تلبية حاجات الشعب أفضل ، و زادت فى الوقت نفسه من تعزيز قوى ردع الحرب الإستعمارية و من إمكانية الدفاع عن السلام العالمي . و لهذا فعلى البلدان الإشتراكية ، من أجل مصلحة شعوبها و لمصلحة سلام شعوب العالم اجمع ، أن تسيطر أكثر فأكثر، حيث كان ذلك ممكنا ، على مثل هذه التكنيكات الجديدة التى تخدم مصلحة الشعوب . و فى الوقت الحاضر ، يحتلّ الإتحاد السوفياتي الإشتراكي ، بصورة واضحة، المكانة العليا فى تطوير التكنيكات الجديدة . و يعلم الكلّ أنّ الصاروخ الذى هبط على القمر قد أطلق من قبل الإتحاد السوفياتي و ليس من قبل الولايات المتّحدة – البلد

الأكثر تطوّرا فى الرأسمالية . و هذا يظهر أنّه ، فى البلدان الإشتراكية فقط ، يمكن أن توجد آفاق غير محدودة للتطوّر الواسع النطاق للتكنيكات الجديدة .

و على العكس ، بسبب أنّ النظام الإستعماري رجعي و ضد الشعب ، تريد الدول الإستعمارية إستخدام مثل هذه التكنيكات الجديدة للأغراض العسكرية ، أغراض العدوان على البلدان الأجنبيّة و التهويل على شعوبها نفسها ، و لصنع السلاح من أجل تذبيح بنى الإنسان . إنّ ظهور مثل هذه التكنيكات الجديدة ، بالنسبة للدول الإستعمارية ، يعنى فقط دفع التناقضات بين تطوّر القوى المنتجة الإجتماعية و علاقات الإنتاج الرأسمالية إلى مرحلة أكثر حدّة ، إن ما يجلبه هذا ليس بصورة من الصور تخليد الرأسمالية ، بل المزيد من شحذ ثورة الشعوب فى تلك البلدان و تدمير النظام الراسمالي القديم الإجرامي الذى يقوم على أكل لحوم البشر ليس إلاّ .

و يستخدم المستعمِرون الأمريكيون و شرطاؤهم أسلحة مثل القنابل الذرّية للتهديد بالحرب و لإعتصار العالم كلّه ، و هم يعلنون أنّ كلّ من لا يخضع لسيطرة الإستعمار الأمريكي سيدمّر . و تردّد طغمة تيتو هذا اللحن فتستخدم اللحن الإستعماري الأمريكي لنشر الفزع من الحرب الذرّية بين الجماهير الشعبيّة . و يستطيع الخداع الإستعماري الأمريكي و تطبيل طغمة تيتو أن يضلّلا ، مؤقتا فقط ، أولئك الذين لا يدركون الوضع الحقيقي ، ولكنّهما لا يستطيعان إرهاب الشعوب التى إستيقظت. و حتى أولئك الذين لا يدركون ، حتى الآن ، الوضع الحقيقي فإنّهم سيدركون تدريجيّا ذلك الوضع بمساعدة العناصر المتقدّمة .

لقد إعتقد الماركسيون – اللينينيون دائما أنّه ، فى تاريخ العالم ، ليس التكنيك بل الإنسان ، جماهير الشعب ، هي التى تقرّر مصير البشريّة . و كانت هناك نظريّة سارية لوقت ما بين بعض الناس فى الصين قبل و خلال حرب مقاومة العدوان الياباني تعرف بنظرية " السلاح يعنى كلّ شيء ". تزعم هذه النظرية أن إسلحة اليابان كانت جديدة و تكنيكها متقدّما ، بينما كانت أسلحة الصين قديمة و تكنيكها متأخّرا ، فإستنتجوا من ذلك ان " الصين ستخضع لا محالة " . و قد فنّد الرفيق ماو تسى تونغ فى كتابه **" حول الحرب الطويلة الأمد "** الذى نشر فى ذلك الوقت ، مثل هذا الهراء ، و قدّم التحليل التالي : إنّ حرب المستعمِرين اليابانيين العدوانيّة ضد الصين مصيرها الفشل لأنّها رجعيّة ، غير عادلة ، و حيث أنّها غير عادلة فهي لا تحظى بالتأييد ،أمّا حرب المقاومة التى يخوضها الشعب الصيني ضد اليابان فستنتصر بالتأكيد لأنّها تقدّمية ، عادلة ، و حيث أنّها عادلة فهي تحظى بتأييد وافر . و أشار الرفيق ماو تسى تونغ إلى أن أوفر مصدر للقوّة فى الحرب يكمن فى الجماهير ، وأنّ جيشا شعبيّا تنظمه جماهير مستيقظة متّحدة من الشعب هو جيش لا يقهر فى جميع انحاء العالم .
إنّ هذا تحليل ماركسي لينيني . و ماذا كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة أن التحليل الماركسي اللينيني إنتصر و هزمت " نظرية الخضوع " و أمثالها فى نهاية الأمر . و خلال الحرب الكوريّة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، أثبت إنتصار الشعبين الكوري و الصيني على المعتدين الأمريكيين ، المتفوّقين كثيرا فى الأسلحة و العتاد ، صحّة هذا التحليل الماركسي اللينيني مرّة أخرى .

إنّ الشعب الواعي يجد دائما طرقا جديدة للردّ على تفوّق الرجعيين فى السلاح و لإحراز النصر . لقد كان هذا صحيحا فى التاريخ الماضي ، وهو كذلك فى الوقت الحاضر، و سيبقى كذلك فى المستقبل. و بسبب أنّ الإتحاد السوفياتي الإشتراكي قد أحرز التفوّق فى التكنيك العسكري و أنّ المستعمِرين الأمريكيين قد فقدوا بذلك إحتكارهم للأسلحة الذرّية و النوويّة ، و نتيجة ليقظة شعوب العالم و شعب الولايات المتحدة نفسها فى الوقت ذاته ، فإنّ ثمة فى العالم الآن إمكانية عقد مثل هذه الإتّفاقية . و خلافا للمستعمِرين المتعطّشين للحرب ، تقف البلدان الإشتراكية و الشعوب المحبّة للسلام فى العالم أجمع بنشاط و حزم من أجل تحريم و تدمير الأسلحة الذرّية و النوويّة . إنّنا نناضل دائما ضد الحرب الإستعمارية و من أجل تحريم الأسلحة الذرّية و النوويّة و للدفاع عن سلام العالم . وكلّما إتّسع و تعمّق هذا النضال، و كلّما كان فضح الوجوه الفظيعة للمستعمِرين الأمريكيين و المستعمرين الآخرين المتعطّشين للحرب تاما و شاملا ، كنّا قادرين على عزل هؤلاء المستعمرين عن شعوب العالم ، و إزدادت إمكانية غلّ أيديهم و أرجلهم ، و كان الوضع أفضل بالنسبة لقضية السلام العالمي و على العكس ، إذا فقدنا يقظتنا ضد خطر شنّ المستعمرين للحرب ، و إذا لم نعمل لإثارة شعوب مختلف البلدان للنهوض ضد الإستعمار ، بل غللنا أيدى الشعوب و أرجلها ، فسيستطيع الإستعمار الإستعداد للحرب كما يحلو له .
و ستكون النتيجة الحتميّة زيادة شنّ المستعمِرين للحرب ، و عندما تنشب الحرب ربّما لن تكون الشعوب قادرة على إتّخاذ موقف صحيح بسرعة إزاءها بسبب الإفتقار التام ، أو غير الكافى ، للإستعداد ، و هكذا تكون غير قادرة على ردع الحرب بقوّة . و بطبيعة الحال ، لا يمكننا نحن تقرير ما إذا كان المستعمِرون سيشنّون حربا أم لا . إنّنا ، على كلّ حال ،

لسنا رؤساء أركان حرب للمستعمِرين . و ما دامت شعوب جميع البلدان ترفع وعيها و تستعدّ إستعدادا تاما ، مع تملّك المعسكر الإشتراكي أيضا للأسلحة الحديثة ، فإنّ النتيجة ستكون حتما الدمار السريع جدّا للمستعمِرين الوحوش الذين تطوّقهم شعوب العالم ، و لن تكون النتيجة ، بالتأكيد ، إبادة الجنس البشري ، و ذلك إذا رفض المستعمِرون الأمريكيون او المستعمِرون الآخرون الوصول إلى إتّفاقية حول تحريم الأسلحة الذرّية و النوويّة ، و جرؤوا على معاندة إرادة الإنسانية كلّها بشنّ حرب يستخدمون فيها السلاح الذرّي و النووي . إنّنا نقاوم بثبات شنّ حروب إجرامية من جانب المستعمرين ، لأنّ الحرب الإستعمارية تفرض ضحايا هائلة على شعوب مختلف البلدان (بما فيها شعوب الولايات المتحدة و البلدان الإستعمارية الأخرى). و لكن إذا فرض المستعمِرون مثل هذه التضحيات على شعوب مختلف البلدان ، فإنّنا نعتقد ، تماما كما أظهرت تجربة الثورة الروسية و الثورة الصينية ، أنّ مثل هذه التضحيات ستعوّض . فعلى أنقاض الإستعمار الميّت ، ستخلق الشعوب الظافرة ، بسرعة كبيرة جدّا ، حضارة ارقى ألف مرّة من حضارة النظام الرأسمالي ، و مستقبلا جميلا حقّا لنفسها .

ولا يكون الإستنتاج إلاّ كما يلى فقط : كيفما نظرنا إلى الأمر ، فلن نجد شيئا من التكنيكات الجديدة مثل الطاقة الذرّية و الصواريخ و هلمجرّا قد غيّر ، كما يزعم المحرّفون المعاصرون ، الخصائص الأساسيّة لعصر الإستعمار و الثورة البروليتارية الذى أشار إليه لينين . و لن يسقط نظام الإستعمار الرأسمالي من تلقاء نفسه بالتأكيد ، بل سيطاح به من قبل ثورة البروليتاريا داخل البلد الإستعماري المعني ، و من قبل الثورة الوطنية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات . و لا يستطيع التقدّم التكنولوجي المعاصر إنقاذ نظام الإستعمار الرأسمالي من الفناء ، بل هو يقرع فقط ناقوسا جديدا مؤذنا بوفاته .

- 4 -

و يحاول المحرّفون المعاصرون ، منطلقين من إستنتاجهم السخيف حول الوضع العالمي المعاصر، و من إستنتاجهم السخيف حول ما يزعمون من أن النظرية الماركسية – اللينينية للتحليل الطبقي و النضال الطبقي قد فات أوانها ، الإطاحة كلّيا بالنظريات الأساسية للماركسية – اللينينية حول سلسلة من المسائل مثل العنف ، و الحرب ، و التعايش السلمي و هكذا .

و هناك أيضا بعض الناس ليسوا محرّفين بل حسنو النيّة ، يريدون مخلصين أن يكونوا ماركسيّين ، و لكنّهم يرتبكون أمام بعض الظواهر التاريخية الجديدة ، و هكذا يحملون بعض الأفكار غير الصائبة ، فبعضهم يقول مثلا ، إنّ فشل سياسة المستعمرين الأمريكيين فى الخداع الذرّي يدلّ على نهاية العنف ، و فى الوقت الذى نفنّد فيه تفنيدا تاما سخافات المحرّفين المعاصرين علينا أيضا أن نساعد ذوى النيّة الحسنة هؤلاء على تصحيح أفكارهم الخاطئة .

ما هو العنف ؟ لقد قال لينين الكثير حول المسألة فى كتابه " **الدولة و الثورة** ". إنّ ظهور و وجود الدولة بحدّ ذاته هو نوع من أنواع العنف . لقد أورد لينين التوضيح التالي الذى جاء به إنجلز:

" تألّف هذه السلطة لا من مجرد رجال مسلّحين ، بل و من ملحقات ماديّة كالسجون و المؤسسات القسريّة من جميع الأنواع ..."

و يعلّمنا لينين أنّ علينا أن نرسم خطّا مميّزا بين نوعين من أنواع الدولة يختلفان فى طبيعتهما : دولة ديكتاتورية البرجوازية و دولة ديكتاتورية البروليتياريا ، و بين نوعين من العنف يختلفان فى طبيعتهما : العنف المعادي للثورة و العنف الثوري ، فطالما كان هناك عنف معاد للثورة فمن المحتّم أن يكون هناك عنف ثوري لمقاومته . و من المستحيل سحق العنف المعادي للثورة بدون عنف ثوري . إنّ الدولة التى تمسك بزمام السلطة فيها الطبقات المستغِلّة هي عنف معاد للثورة ، هي قوة خاصة لقمع الطبقات المستغَلة لمصلحة الطبقات المستغِلة. و قبل أن يمتلك المستعمِرون قنابل ذريّة و أسلحة صاروخية ، و منذ أن إمتلكوا هذه الأسلحة الجديدة ، كانت الدولة الإستعمارية دائما قوّة خاصة لقمع البروليتاريا فى الداخل و شعوب مستعمراتها و أشباه مستعمراتها فى الخارج ، و كانت دائما مؤسسة للعنف على هذا الشكل ، و حتى لو أجبر المستعمِرون على عدم إستخدام هذه الأسلحة الجديدة فستبقى الدولة الإستعماريّة ، بطبيعة الحال ، مؤسّسة إستعمارية للعنف طالما لم يطح بها و لم تستبدل بدولة شعبيّة ، بدولة ديكتاتورية البروليتاريا فى ذلك البلد .

و لم تكن هناك أبدا منذ فجر التاريخ مثل هذه القوى الواسعة النطاق ، قوى العنف هذه البالغة غاية الشرّ و الفظاعة ، التى يمتلكها المستعمِرون الرأسماليون فى الوقت الحاضر . و خلال السنوات العشر و النيف الماضية ، إتّبع المستعمِرون الأمريكيون ، دون أيّة مبالاة ، وسائل إضطهاد أوحش مئة مرّة من تلك التى إتّبعت من قبل دائسين أفضل أبناء الطبقة العاملة ، و الشعب الزنجي و جميع التقدّميين فى البلاد و ظلّوا يعلنون بطيش ، زيادة على ذلك ، أنّهم ينوون وضع العالم أجمع تحت حكمهم الذى يقوم على العنف . و هم يوسّعون ، بإستمرار، قوى عنفهم ، و يشترك ، فى الوقت نفسه ، المستعمِرون الآخرون أيضا فى السباق لزيادة قوى العنف الذى يمارسونه .

إنّ الجهاز العسكري المتضخّم للبلدان الإستعمارية ، و فى طليعتها الولايات المتّحدة ، قد ظهر أثناء الأزمة العامة الخطيرة التى ألمّت بالرأسمالية بشكل لم يسبق له مثيل . و كلّما قام المستعمِرون بتوسيع قواتهم العسكرية حتى القمّة ، و بصورة محمومة ، إقتربوا من نهايتهم . و قد أصبح الآن لدى حتى بعض ممثّلي الإستعمار الأمريكي دلائل على الفناء الحتمي للنظام الرأسمالي . و لكن هل يضع المستعمِرون بأنفسهم حدّا لعنفهم ؟ و هل يتخلّى أولئك الذين يمسكون بزمام السلطة فى البلدان الإستعماريّة ، بطيب خاطر ، عن العنف الذى أقاموه ، بسبب أن الإستعمار يقترب من ملاقاة حتفه ؟ و هل يمكن القول إنّ المستعمِرين ، بالقياس إلى الماضي لم يعودوا مدمنين على العنف ، أو أنّ هناك إنخفاظا فى درجة إدمانهم ؟

لقد أجاب لينين على مثل هذه الأسئلة فى عدّة مناسبات منذ مدّة طويلة . فقد أشار فى كتابه " **الإستعمار أعلى مراحل الرأسمالية** " : " ... يحاول الإستعمار دائما و بكلّ جهوده ، فى الناحية السياسية أن يلجأ إلى العنف و الرجعية ". و بعد ثورة أكتوبر أشار لينين فى كتابه " **ثورة البروليتاريا و المرتدّ كاوتسكي** " إشارة خاصة إلى حوادث التاريخ مقارنا الفروق بين الراسمالية قبل مرحلة الإحتكار و بين رأسمالية الإحتكار ، أي الإستعمار ، فقال :

" كانت الرأسمالية قبل مرحلة الإحتكار ، (التى وصلت أوجها فى السبعينات من القرن التاسع عشر) بسبب خواصها الإقتصادية الأساسية (التى كانت أكثر تميّزا فى أنكلترا و أمريكا) متميّزة بإرتباطها النسبيّ بالسلم و الحرّية . أمّا الإستعمار، أي الرأسمالية الإحتكارية التى نضجت أخيرا فى القرن العشرين فقط ، فإنّه متميّز بأقلّ إرتباط بالسلم و الحرّية و بأعظم تطوّر و أشمله للعسكرية فى كلّ مكان بسبب خواصه الإقتصادية الأساسية ".

لقد تفوّه لينين بهذه الكلمات فى الفترة الأولى من ثورة أكتوبر بطبيعة الحال ، عندما كانت دولة البروليتاريا قد وُلدت حديثا ، و عندما كانت قواها الإقتصادية ما تزال فتيّة و ضعيفة ، و قد طرأت ، بعد إنقضاء أربعين عاما و نيف ، تغيّرات هائلة على وجه الدولة السوفياتية ذاتها و على وجه العالم أجمع كما ذكرنا سابقا . والآن ، هل يمكن القول إنّ طبيعة الإستعمار قد تغيّرت بسبب بأس الإتحاد السوفياتي و قوى الإشتراكية و قوى السلام ، و إن الرأي السابق للينين قد فات أوانه نتيجة لذلك ، أو إنّ الإستعمار ، مع أنّ طبيعته لم تتغيّر ، لم يعد يلجأ إلى العنف ؟ و هل تتّفق هذه الأفكار مع الوضع الحقيقي ؟

لقد أحرز النظام العالمي الإشتراكي ، بصورة واضحة ، اليد العليا فى صراعه مع النظام العالمي الرأسمالي . و لقد أضعفت هذه الحقيقة التاريخية العظمى مكانة عنف الإستعمار فى العالم بأسره . و لكن هل تجعل هذه الحقيقة المستعمِرين يقلعون منذ اليوم عن إضطهاد شعوب بلدانهم مرّة أخرى ، و عن الإنهماك فى النشاطات التوسعية العدوانية فى الخارج مرّة أخرى و إلى الأبد ؟ و هل تستطيع أن تجعل الأوساط المتعطّشة للحرب بين المستعمِرين " تلقى سكين الجزار" و " تبيع سكاكينها و تشتري الثيران " ؟ هل تستطيع أن تجعل مجموعات تجار الذخائر الحربيّة فى البلدان الإستعمارية يغيّرون مهنتهم و يتحوّلون إلى مزاولة مهن السلم ؟

إنّ هذه المسائل جميعها تعترض كلّ ماركسي – لينيني جدّي و تتطلّب منه بحثا عميقا . و من الواضح أن النظر إلى هذه المسائل و معالجتها بصورة صحيحة أو غير صحيحة مسألة لها إرتباط وثيق بنجاح أو فشل قضيّة البروليتاريا و مصير الإنسانية فى العالم أجمع .

إنّ الحرب هي أكثر أشكال التعبير عن العنف حدّة . و أحد أنواعها هو الحرب الأهليّة ، و النوع الآخر منها هو الحرب الخارجية . و العنف لا يعبّر عنه دائما بالحرب ، وهي أكثر أشكاله حدّة ، ففى البلدان الرأسمالية تكون الحرب البرجوازية إمتدادا لسياسة البرجوازية فى الأوقات العادية ، بينما يكون السلم البرجوازي إمتدادا لسياسة البرجوازية زمن الحرب .

و البرجوازيون يروحون و يجيئون دائما بين الشكلين ، الحرب و السلم ، فإستمرارهم فى حكم الشعب و من أجل نضالهم الخارجي . ففى الوقت الذى يسمّى وقت سلم ، يعتمد المستعمِرون على القوّة المسلّحة لمعاملة الطبقات و الأمم المضطهّدة بأشكال من العنف مثل الإعتقال و السجن و الحكم بالأشغال الشاقة و التذبيح إلخ ... بينما يقومون فى الوقت ذاته بإستعدادات لإستخدام أكثر أشكال العنف حدّة - الحرب - لقمع ثورة الشعب فى الداخل ، و لممارسة النهب فى الخارج ، و للتغلّب على المنافسين الأجانب ، و لكبح الثورات فى البلدان الأخرى ، أو يلجأون فى وقت واحد إلى السلم فى الداخل و إلى الحرب فى الخارج .

و فى الفترة الأولى من ثورة أكتوبر لجأت الدول الإستعماريّة إلى العنف بشكل الحرب ضد الإتّحاد السوفياتي – الأمر الذى كان إستمرارا لسياساتها الإستعماريّة . و فى الحرب العالميّة الثانية إستخدم المستعمِرون الألمان العنف بشكل حرب واسعة النطاق لمهاجمة الإتحاد السوفياتي – الأمر الذى كان إستمرارا لسياستهم الإستعمارية . و لكن المستعمِرين يقيمون من جهة أخرى أيضا علاقات دبلوماسية للتعايش السلمي مع الإتحاد السوفياتي فى فترات مختلفة ، الأمر الذى هو أيضا بطبيعة الحال إستمرار للسياسة الإستعمارية بشكل آخر فى ظلّ ظروف معيّنة .

حقّا لقد ظهرت الآن بعض المسائل الجديدة تتعلّق بالتعايش السلمي . فأمام الإتحاد السوفياتي الجبّار و المعسكر الإشتراكي الجبّار ، لا بدّ للمستعمِرين ، على أيّة حال ، أن ينظروا بعناية فيما إذا كانوا سيعجّلون بفنائهم ، كما فعل هتلر ، أو يجلبون أوخم العواقب للنظام الرأسمالي نفسه إذا هم هاجموا الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية الأخرى .

" التعايش السلمي" – هذه فكرة جديدة ظهرت فقط بعد ظهور البلدان الإشتراكية فى العالم إثر ثورة أكتوبر ، إنّها فكرة جديدة تكون فى ظلّ ظروف تنبّأ بها لينين قبل ثورة أكتوبر عندما قال :

" لا تستطيع الإشتراكية تحقيق النصر فى جميع البلدان فى آن واحد ، إنّها ستحقّق النصر أوّلا فى بلد أو عدّة بلدان ، بينما ستبقى البلدان الأخرى لبعض الوقت برجوازية أو فى مرحلة ما قبل البرجوازية " (" **المنهاج العسكري للثورة البروليتارية** ".)

هذه الفكرة الجديدة فكرة تقدّم بها لينين بعد تغلّب الشعب السوفياتي العظيم على التدخّل الإستعماري المسلّح . و كما أشرنا آنفا ، لم يكن المستعمِرون فى البداية راغبين فى التعايش سلميّا مع الإتحاد السوفياتي . لقد أجبر المستعمرون على " التعايش " مع الإتحاد السوفياتي فقط بعد أن فشلت حرب التدخّل ضدّه ، و بعد أن مضت عدّة سنوات من إختبار القوّة واقعيّا ، و بعد أن غرست الدولة السوفياتية أقدامها راسخة فى الأرض_، و بعد أن ظهر بعض توازن القوى بين الدولة السوفياتية و البلدان الإستعمارية . قال لينين عام 1920 :

" لقد كسبنا ظروفا لأنفسنا نستطيع فيها أن نعيش جنبا إلى جنب مع الدول الرأسمالية القويّة التى أجبرت الآن على الدخول فى علاقات تجارية معنا ".(" **وضعنا الداخلي و الخارجي و مهمّات الحزب** ").

و من هذا نرى أن تحقيق اوّل دولة إشتراكية فى العالم التعايش السلمي لفترة معيّنة بينها و بين الإستعمار قد تمّ إحرازه كلّيا عن طريق النضال . و قبل الحرب العالمية الثانية كانت فترة 1920 – 1940 ، قبل هجوم المانيا على الإتحاد السوفياتي ، فترة تعايش سلمي بين الإستعمار و الإتحاد السوفياتي . و خلال هذه العشرين عاما بقي الإتحاد السوفياتي مخلصا للتعايش السلمي . و لكن هتلر ، عام 1941، لم يعد راغبا فى التعايش سلميّا مع الإتحاد السوفياتي ، و شنّ المستعمِرون الألمان بغدر هجوما وحشيّا على الإتحاد السوفياتي . و نظرا للنصر فى الحرب ضد الفاشست التى كان الإتحاد السوفياتي العظيم القوّة الأساسية فيها ، فقد رأي العالم ، مرّة أخرى ، وضعا من التعايش السلمي بين البلدان الإشتراكية و الرأسمالية . و مع ذلك لم يتخلّ المستعمِرون عن مكائدهم . فقد أنشأ المستعمِرون الأمريكيّون شبكات من القواعد العسكرية و قواعد القذائف الموجّهة فى كل مكان حول الإتحاد السوفياتي و المعسكر الإشتراكي كلّه . و ما زالوا حتى الآن يحتلّون أرضنا تايوان و يقومون ن بإستمرار، بإستفزازات عسكرية ضدّنا فى مضائق تايوان . و قد قاموا بالتدخّل المسلّح فى كوريا مشعلين حربا واسعة النطاق ضد الشعبين الكوري و الصيني على الأرض الكورية ، لم تنتج عنها إتفاقية الهدنة إلاّ بعد أن هزموا ، و لكنّهم ما زالوا حتى الآن يتدخّلون فى مسألة توحيد الشعب الكوري . و قدّموا الأسلحة معونة لقوات الإحتلال الفرنسية الإستعمارية فى حربها ضد الشعب الفيتنامي ، و ما زالوا حتى الآن يتدخّلون فى مسالة توحيد الشعب الفيتنامي . و دبّروا العصيان المعادي للثورة فى هنغاريا و ما زالوا حتى الآن يقومون بإستمرار

بجميع انواع المحاولات للتخريب فى بلدان أوربا الشرقية الإشتراكية و البلدان الإشتراكية الأخرى . إنّ الحقائق ما زالت تماما كما قدّمها لينين إلى مراسل أميركى فى شباط (فبراير) عام 1920 بقوله : حول مسالة السلم " لا يوجد أي عائق من جانبنا . إنّ العائق هو إستعمار الرأسماليين الأمريكيين (و الآخرين جميعهم)" (**" جواب على أسئلة مندوب " جريدة النيويورك المسائية" "**).

إنّ السياسة الخارجية للبلدان الإشتراكية لا يمكن أن تكون إلاّ سياسة سلم .و النظام الإشتراكي يقرّر أنّنا لا نحتاج للحرب ، و لن نشعل حربا إطلاقا، و لن نسمح لأنفسنا أبدا ، و لا يجوز إطلاقا ، كما لا يمكن ، أن نعتدي على بوصة واحدة من أراضي بلد مجاور . لقد تمسّكت جمهورية الصين الشعبية بإستمرار ، منذ وجودها ، بسياسة خارجية سلميّة . و وضعت بلادنا ، مع بلدين مجاورين : الهند و بورما ، المبادئ الخمسة المعروفة للتعايش السلمي ، و أقرّت بلادنا ، فى مؤتمر باندونغ عام 1955 مع مختلف البلدان الآسيوية و الأفريقية ، المبادئ العشرة للتعايش السلمي . و أيّد الحزب الشيوعي و الحكومة فى بلادنا ن بإستمرار ، فى السنوات القليلة الماضية ، نشاطات النضال من أجل السلم التى قامت بها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى الإتحاد السوفياتي و الحكومة السوفياتية برئاسة الرفيق نيكيتا خروتشوف ، إعتبارا منهما بأنّ هذه النشاطات من جانب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي و الحكومة السوفياتية قد دلّلت أكثر لشعوب العالم على رسوخ السياسة الخارجية السلمية للبلدان الإشتراكية ، و على حاجة الشعوب لإيقاف المستعمِرين عن شنّ حرب عالمية أخرى ، و للنضال من أجل سلم عالمي دائم .

وقد نصّ بيان مؤتمر موسكو عام 1957 على ما يلى :

" إنّ الذى يصون قضية السلم هو هذه القوى الجبّارة لعصرنا : معسكر البلدان الإشتراكية الذى لا يقهر ، و على رأسه الإتحاد السوفياتي ؛ و بلدان آسيا و أفريقيا الشغوفة بالسلم و التى تأخذ موقفا معاديا للإستعمار و تشكّل سويّة مع البلدان الإشتراكية منطقة سلم واسعة ؛ و الطبقة العاملة العالمية ، و فوق كلّ شيء طليعتها – الأحزاب الشيوعية ؛ و حركة تحرّر شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات ؛ و حركة السلم الجماهيرية لشعوب العالم . إنّ القوى التى تقاوم بحزم مشاريع حرب جديدة هي ، إلى جانب القوى المذكورة آنفا ، شعوب البلدان الأوروبية التى أعلنت الحياد ، و شعوب اميركا اللاتينية ، و الجماهير الشعبية فى البلدان الإستعمارية . و إنّ تحالف هذه القوى الجبارة يستطيع منع الحرب ".

و طالما كان هناك تطوير مستمرّ لهذه القوى الجبّارة فمن الممكن المحافظة على وضع التعايش السلمي ، أو حتى الحصول على بعض انواع الإتفاقيات الرسمية حول التعايش السلمي أو عقد إتّفاقية حول حظر الأسلحة الذرّية و النوويّة . و هذا سيكون شيئا ممتازا يتّفق تماما مع مطامح شعوب العالم . و لكن ، حتى فى ظلّ هذه الظروف ، طالما لم يزل النظام الإستعماري قائما ، فإنّ أكثر اشكال العنف حدّة ، أي الحرب ، لم تنته من العالم بصورة من الصورة . إنّ الحقيقة ليست كما يصفها المحرّفون اليوغسلافيون الذين يعلنون أن تعريف لينين بأنّ " الحرب إستمرار للسياسة " وهو التعريف الذى أوضحه لينين بصورة متكرّرة و تمسك به فى محاربته للإنتهازية ، قد فات أوانه .(أنظر " التعايش الفعّال و الإشتراكية " ناروندا أرميجا اليوغسلافية ، 28 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1958).

إنّنا نؤمن بالصواب المطلق لتفكير لينين : الحرب هي النتيجة الحتميّة لنظم الإستغلال ، و مصدر الحروب الحديثة هو النظام الإستعماري . و حتى ينتهى النظام الإستعماري و الطبقات المستغِلة ستحدث حروب ، من نوع أو آخر ، دائما . و ربّما كانت حروبا بين المستعِمرين و الأمم المضطهَدة ، أو حروبا أهليّة نتيجة الثورة و معاداة الثورة بين الطبقات المستغَلة و المستغِلة فى البلدان الإستعمارية ، و يحتمل ، بطبيعة الحال ، أن تكون حروبا يهاجم فيها المستعمِرون البلدان الإشتراكية و تكون فيها البلدان الإشتراكية مجبرة على الدفاع عن نفسها . إنّ جميع أنواع الحروب هذه تمثّل إستمرارا لسياسة طبقات معينة : و على الماركسيين – اللينينيين أن لا يغرقوا إطلاقا فى حمأة المسالمة البرجوازية ، و لا ينبغى لهم إلاّ أن يقدروا جميع أنواع الحروب هذه بإتباع أسلوب التحليل الطبقي المادي . و طبقا لذلك يستخلصون الإستنتاجات للسياسة البروليتارية . و قد وصف لينين هذه الحروب فى مقاله **" المنهاج العسكري للثورة البروليتارية "** فقال : " إنّه لمن الخطأ الفادح ، نظريّا ، أن ننسى أنّ كلّ حرب ليست إلاّ إستمرارا للسياسة بوسائل اخرى ".

و للمستعمِرين دائما نوعان من التكتيك من أجل تحقيق هدفهم فى النهب و الإضطهاد : تكتيكات الحرب و تكتيكات " السلم " ، و لهذا ، فعلى البروليتاريا و الشعوب فى جميع البلدان ان تسخدم أيضا نوعين من التكتيك للردّ على

المستعمرين : تكتيك فضح خدعة السلم الإستعمارية فضحا تامّا ، و النضال بصورة فعّالة من أجل سلم عالمي حقيقي ، و تكتيك الإستعداد لإستخدام الحرب العادلة لوضع حدّ للحرب الإستعمارية غير العادلة عندما يشنّها المستعمِرون .

و جملة القول أنّه ، لمصلحة شعوب العالم ، يجب علينا أن نحطّم تماما سخافات التحريفية المعاصرة و نتمسّك بوجهة النظر الماركسية ـ اللينينية حول مسائل العنف ، و الحرب ، و التعايش السلمي .

و ينكر المحرّفون اليوغسلافيون الصفة الطبقية الملازمة للعنف و بهذا يطمسون الفروق الأساسيّة بين العنف الثوري و العنف المعادي للثورة ، و ينكرون الصفة الطبقية الملازمة للحرب و بهذا يطمسون الفروق الأساسية بين الحرب العادلة وغير العادلة ، و ينكرون أنّ الحرب الإستعمارية إستمرار للسياسات الإستعمارية ، و ينكرون خطر شنّ المستعمِرين لحرب كبرى أخرى ، و ينكرون أن من الممكن القضاء على الحرب فقط بعد القضاء على الطبقات المستغِلّة ، و حتى انّهم يدعون ، دون خجل ، المسئول الإستعماري الأمريكي الأوّل - " أيزنهاور- " الرجل الذى وضع حجر الزاوية للقضاء على الحرب الباردة و إقامة سلم دائم مع المباراة السلمية بين مختلف النظم السياسية " (أنظر " أيزنهاور يصل روما ، بوربا اليوغسلافية، 4 كانون الأوّل (ديسمبر) عام 1959). و ينكرون أنّه ، فى ظلّ ظروف التعايش السلمي ، ما تزال هناك نضالات معقّدة حادّة فى الميادين السياسة و الإقتصادية و الإيديولوجية و غيرها. إنّ كلّ هذا الجدل من جانب المحرّفين اليوغسلافيين يهدف إلى تسميم عقول البروليتاريا و الشعوب فى مختلف البلدان ، وهو يساعد السياسة الإستعمارية الحربيّة .

– 5 -

إنّ المحرّفين المعاصرين خلطوا السياسة الخارجية السلميّة للبلدان الإشتراكية بالسياسة الداخلية للبروليتاريا فى البلدان الرأسمالية . و هم يعتقدون لذلك أنّ التعايش السلمي بين البلدان ذات النظم الإجتماعية المختلفة يعنى انّ الرأسمالية يمكن أن تتقدّم سلميّا إلى الإشتراكية و أنّ البروليتاريا فى البلدان التى تحكمها البرجوازية يمكن أن تتخلّى عن النضال الطبقي و تدخل فى " تعاون سلمي" مع البرجوازيين و المستعمرين ، و أنّ البروليتاريا و جميع الطبقات المستغلّة أن تنسى حقيقة انّها تعيش فى مجتمع طبقي و هكذا. إنّ جميع هذه الآراء على طرفي نقيض أيضا مع الماركسية – اللينينية . إنّهم يهدفون حماية الحكم الإستعماري و إبقاء البروليتاريا و كلّ الشغيلة الآخرين تحت عبوديّة الرأسمالية إلى الأبد .

إنّ التعايش السلمي بين الأمم ، و الثورات الشعبيّة فى مختلف البلدان هما شيئان مختلفان بذاتهما ، و ليسا شيئا واحدا بذاته ، و هما مضمونان مختلفان و ليسا ضمونا واحدا ، و نوعان مختلفان من المسائل و ليسا نوعا بذاته .

فالتعايش السلمي مسألة تتعلّق بالعلاقات بين البلدان ، و الثورة تعنى الإطاحة بالمضطهَدين كطبقة من قبل الشعب المضطهَد داخل كلّ بلد ، بينما هي فى حالة البلدان المستعمرة و شبه المستعمرة ، أوّلا وقبل كلّ شيء ، مسألة الإطاحة بالمضطهِدين الأجانب أي المستعمِرين . و قبل ثورة أكتوبر لم تكن مسألة التعايش السلمي بين البلدان الإشتراكية و البلدان الرأسمالية قائمة فى العالم ، حيث لم تكن هناك بلدان إشتراكية بعد ، بل كانت هناك ، فى ذلك الوقت ، مسائل الثورة البروليتارية و الثورة الوطنية ، حيث أنّ شعوب مختلف البلدان ، وفقا لظروفها الخاصة ، وضعت ، منذ مدّة طويلة ، الثورات من هذا النوع او ذلك فى جدول أعمالها لتقرير مصائر بلدانها .

إنّنا ماركسيون – لينينيون ، و قد آمنّا دائما بأنّ الثورة هي من شؤون كلّ أمّة بذاتها . و إعتقدنا دائما بأنّ الطبقة العاملة تستطيع أن تعتمد فقط على نفسها فى تحرّرها ، و بأنّ تحرّر شعب أي بلد يعتمد على وعيه هو، و على نضوج الثورة فى ذلك البلد . و الثورة لا يمكن تصديرها و لا إستيرادها . و لا يستطيع أحد أن يمنع شعب بلد أجنبيّ من القيام بثورة ، كما لا يستطيع أحد خلق ثورة فى بلد أجنبيّ بإستخدام اسلوب " مساعدة شتول الرز على النموّ بسحبها إلى أعلى ".

لقد كان لينين على صواب عندما قال فى حزيران (يونيو) عام 1918 :

" هناك أناس يعتقدون أنّ الثورة يمكن أن تنشب فى بلد أجنبي حسب الطلب أو بموجب إتّفاقية . إنّ هؤلاء الناس إمّا مجانين أو دسّاسين . لقد خبرنا ثورتين فى الإثني عشر عاما الماضية . و نحن نعلم أنّ الثورات لا يمكن أن تصنع حسب الطلب أو بموجب إتّفاقية ، فهي لا تحدث إلاّ عندما تتوصّل عشرات الملايين من الشعب إلى أنّها من المستحيل أن تعيش بالطريقة القديمة بعد ذلك." (**" المؤتمر الرابع للنقابات و لجان المصانع فى موسكو".)**

ألا تعتبر تجربة الثورة الصينية ، بالإضافة إلى تجربة الثورة الروسيّة ، من أفضل البراهين على ذلك ؟ لقد جرّب الشعب الصيني ، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني ، عدّة ثوارت . و زعم المسعمِرون و جميع الرجعيّين دائما ، مثلهم مثل المجانين ، أنّ ثوراتنا كانت بناء على طلب من الخارج أو وفقا لإتّفاقيات أجنبيّة . و لكن الشعوب فى العالم أجمع تعلم أن ثوراتنا لم تستورد من الخارج ، بل حدثت لأنّ جماهير شعبنا لم تستطع أن تواصل العيش فى الصين القديمة . و لأنّ شعبنا أراد أن يخلق حياة جديدة لنفسه .

إذا إضطرّ بلد إشتراكي ، أمام هجوم إستعماريين إلى شنّ حرب دفاعية و هجمات مضادة و تخطى حدوده لمطاردة أعدائه من الخارج و القضاء عليهم كما فعل الإتحاد السوفياتي فى الحرب ضد هتلر ، فهل يمكن تبرير ذلك ؟ يمكن ذلك بالتأكيد ، فهو أمر ضروري إطلاقا و عادل تماما. و طبقا لمبادئ الشيوعيّين الصارمة ، فإنّ مثل هذه العمليّات من جانب البلدان الإشتراكية يجب أن تكون مقصورة ، بصورة حازمة ، على الوقت الذى يشنّ فيه المستعمِرون حربا عدوانيّة ضد تلك البلدان . و البلدان الإشتراكية لا تسمح لنفسها أبدا ، و لا يجوز لها مطلقا ، كما لا يمكنها أبدا إرسال قواتها عبر حدودها ما لم تتعرّض لعدوان من عدوّ خارجي . و حيث أنّ القوات المسلّحة للبلدان الإشتراكية تحارب من أجل العدالة ، فهي عندما تضطرّ إلى تخطيّ حدودها للردّ على هجوم عدوّ أجنبي ، فسيصبح لها تأثير بالطبع ، و ستكون فعّالة حيثما ذهبت ، و لكن حتى فى ذلك الوقت ، فإنّ ظهور الثورات الشعبيّة و إقامة النظام الإشتراكي فى الأماكن و البلدان التى تذهب إليها ، ما يزال يعتمد فقط على إرادة جماهير الشعب هناك .

إنّ إنتشار الأفكار الثوريّة لا يعرف حدودا قوميّة قط . و لكن هذه الأفكار لا يمكنها أن تثمر ثمارا ثوريّة إلاّ على أيدى جماهير الشعب نفسها ، و فى ظلّ ظروف معيّنة فى بلد معيّن . و هذا صحيح لا فى عصر الثورة البروليتارية فحسب ، بل هو صحيح كلّ الصحّة فى عصر الثورة البرجوازية أيضا . لقد إتّخذت البرجوازية زمن ثورتها فى عدّة بلدان **" العقد الإجتماعي "** لروسو كإنجيل لها ، بينما إتّخذت البروليتاريا الثوريّة فى مختلف البلدان ، كإنجيل لها ، **" البيان الشيوعي"** و**" رأس المال "** لماركس و كتابي لينين ،**" الإستعمار أعلى مراحل الرأسمالية "** و **" الدولة و الثورة "** ، و أعمال أخرى لهما. و الأزمنة تختلف ، و لكن أحدا لا يستطيع أن يحول دون الثورة فى أي بلد إذا كانت هناك رغبة فى تلك الثورة ، و عندما تنضج الأزمة الثورية فى هذا البلد . إنّ النظام الإشتراكي سيحلّ فى النهاية مكان النظام الرأسمالي . هذا قانون موضوعي مستقلّ عن إرادة الإنسان . فمهما حاول الرجعيّون منع تقدّم عجلة التاريخ فستحدث الثورة عاجلا أم آجلا و ستنتصر بالتأكيد . و نفس الشيء ينطبق على إستبدال مجتمع بآخر طيلة تاريخ الإنسانيّة . فقد حلّ النظام الإقطاعي محلّ نظام العبودية ، و حلّ النظام الرأسمالي بدوره محلّ النظام الإقطاعي . و هذا أيضا يسير حسب قوانين مستقلّة عن إرادة الإنسان . و قد جرت جميع هذه العمليّات عن طريق الثورة .

لقد قال المحرّف القديم السيء الصيت برنشتين مرّة : " تذكّروا روما القديمة ، فقد كانت هناك طبقة حاكمة لم تعمل و لكنّها عاشت عيشة حسنة ، و نتيجة لذلك ضعفت تلك الطبقة . فمثل هذه الطبقة يجب أن تتخلّى عن سلطتها تدريجيّا ". (أنظر **" الأشكال المتعدّدة للحياة الإقتصادية "** لبرنشتين) أمّا حقيقة أن ملاك الرقيق " قد ضعفوا كطبقة " فهذه حقيقة تاريخية لم يستطع برنشتين المؤرّخ السفيه الدعي ستر أهمّ الحقائق الأساسيّة فى تاريخ روما القديمة ، وهي أن ملاك الرقيق لم " يتخلوا عن السلطة " بمحض إختيارهم ، و أنّ حكمهم قد أطيح به عن طريق ثورات العبيد الطويلة الأمد المتكرّرة و المتواصلة .

و الثورة تعنى إستخدام العنف الثوري من قبل الطبقة المضطهَدة ، تعنى الحرب الثورية. و هذا صحيح بالنسبة لثورة العبيد ، و صحيح أيضا بالنسبة للثورة البرجوازية . لقد وصفها لينين بصورة صحيحة فقال :

" يعلّمنا التاريخ أنّه ما من طبقة مضطهَدة نالت السلطة أبدا ، و لا إستطاعت نيلها ، بدون المرور بفترة ديكتاتورية مثل إنتزاع السلطة السياسية و إستخدام العنف فى قمع أكثر المقاومة يأسا و حنقا ، التى يبديها المستثمِرون... ما جاءت البرجوازية إلى السلطة فى البلدان المتقدّمة إلاّ عن طريق سلسلة من الإنتفاضات و الحروب الأهلية و إستخدام القوّة لقمع الملوك و الإقطاعيين و ملاك العبيد و قمع محاولاتهم لإستعادة السلطة " . (**" المؤتمر الأوّل للأممية الشيوعية "**).

و لماذا تتمّ الأشياء بهذه الطريقة ؟

للإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع إلى لينين مرّة أخرى .

فاوّلا كما قال لينين ، " لا توجد هناك بعد طبقة حاكمة فى العالم تخلّت عن السلطة دون نضال" (**" خطاب فى مؤتمر العمال فى منطقة برسنيا "**)

و ثانيا كما أوضح لينين ، " الطبقات الرجعية نفسها هي البادئة دائما فى إستخدام العنف ، و إشعال الحرب الأهلية ، و هي البادئة فى " وضع الحراب فى جدول الأعمال" ". (**"خطّتان للحزب الديمقراطي الإجتماعي فى الثورة الديمقراطية ")**

فعلى ضوء هذا ، كيف نفهم الثورة الإشتراكية البروليتارية ؟

فلإجابة على هذا السؤال علينا أن نرجع مرّة أخرى إلى لينين.

لنقرأ الفقرة التالية له :

" لا توجد ثورة عظمى واحدة فى التاريخ أبدا تمّت دون حرب أهليّة ، و لا يوجد ماركسي حقيقي يعتقد أنّ بالإمكان الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية دون حرب أهلية ". (**" نبوءة "**)

لقد فسرت كلمات لينين هذه المسألة بوضوح جليّ .

إليكم ههنا مقتطفا آخر من لينين :

" حبّذا لو ولدت الإشتراكية سلميّا ، و لكن السادة الرأسماليين لم يرغبوا فى تركها تولد هكذا . ليس بكاف تماما أن نصفها بهذا الشكل . فحتّى لو لم تكن هناك حرب فإنّ جميع السادة الرأسماليين سيكونون قد عملوا ما بإستطاعتهم لمنع مثل هذا التطوّر السلمي . و الثورات الكبرى ، حتى عندما تبدأ سلمياً بمثل الثورة الفرنسية الكبرى ، فإنّها تنتهى بحروب يائسة تبدأ بها البرجوازية المعادية للثورة ". **(" المؤتمر الأوّل لكلّ روسيا حول الثقافة الإجتماعية ").**

و هذا أيضا واضح وضوحا جليّا.

إنّ ثورة أكتوبر العظمى هي أفضل شاهد مادي على صحّة إفتراضات لينين هذه . و كذلك ثورتنا الصينيّة . و لن ينسى الناس أنّه فقط بعد إثنين و عشرين عاما من الحرب الأهلية الضارية ، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني ، أحرز الشعب الصيني و البروليتاريا الصينية الإنتصار على نطاق البلاد ، و إستوليا على سلطة الدولة .

و ينبئنا تاريخ الثورة البروليتارية فى الغرب بعد الحرب العالمية الأولى أنّه : حتى عندما لا يمارس السادة الرأسماليون السيطرة المباشرة المكشوفة على سلطة الدولة ، بل يحكمون عن طريق صنائعهم – الديمقراطيين الإجتماعيين الخونة – فإنّ هؤلاء المرتدّين الحقيرين سيكونون ، بالطبع ، على إستعداد فى أي وقت ، طبقا لما يمليه البرجوازيون ، لستر عنف الحرس الأبيض البرجوازي و إغراق المكافحين البروليتاريين الثوريّين فى بحر من الدم . فهذا ما حدث تماما فى ألمانيا فى ذلك الوقت. لقد أسلمت البرجوازية الألمانية الكبيرة ، و هي مغلوبة ، سلطة الدولة للديمقراطيين الإجتماعيين . و بادرت الحكومة الديمقراطية الإجتماعية ، إثر مجيئها إلى السلطة ، إلى قمع دموي للطبقة العاملة الألمانية فى شهر كانون الثاني (يناير) عام 1919 . و لنتذكّر كيف بذل كارل ليبكنخت و روزا لوكسمبورغ و غيرهما الذين دعاهم لينين " أفضل ممثّلين للأممية البروليتارية العالمية " و " القادة الخالدين للثورة الإشتراكية العالمية " دماءهم الزكية نتيجة عنف الديمقراطيين الإجتماعيين فى تلك الأيام ! و لنتذكّر أيضا ، كلمات لينين عن " دناءة و خسّة جرائم القتل هذه "(**" رسالة إلى عمّال أوربا و أميركا "**) التى إقترفها هؤلاء المرتدّون – هؤلاء الذين يدّعون أنفسهم " إشتراكيّين" بغية المحافظة على النظام الرأسمالي و مصالح البرجوازية ! فلنتفحّص ، على ضوء الحقائق الدامية فى التاريخ الماضي و فى العالم الرأسمالي الحديث ، جميع الأباطيل و الأكاذيب التى لفّقها المحرّفون القدامى و أشباههم المعاصرون حول ما يدعى " تقدّم الرأسمالية السلمي إلى الإشتراكية " !

و هل ينتج عن ذلك إذن أنّنا نحن الماركسيين – اللينينيين سنرفض إتّباع سياسة الإنتقال السلمي حتى عندما توجد إمكانية التطوّر السلمي ؟ كلاّ حتما .

و كما نعلم جميعا فإنّ إنجلز ، وهو من أعظم مؤسسى الشيوعيّة العلمية ، أجاب فى كتابه الشهير **" مبادئ الشيوعية "** على السؤال التالي " هل يمكن القضاء على الملكيّة الخاصة بالوسائل السلمية ؟ " فكتب يقول :

" إنّ المرء ليرغب فى أن تكون الحال هكذا ، و الشيوعيّون بطبيعة الحال سيكونون آخر من يعترض على ذلك . و يعلم الشيوعيون جيّدا أنّ جميع المؤامرات ليست عقيمة فحسب بل و حتى مضرّة . و هم يعلمون جيدا جدّا أن الثورات لا يمكن صنعها كما يرغب المرء ، و لا يمكن صنعها حسب الطلب ، و إن الثورات كانت دائما و فى كلّ مكان النتيجة الضرورية للظروف القائمة التى لم تعتمد إطلاقا على إرادة و قيادة أحزاب منفردة و طبقات بأكملها . و لكنّهم يرون ، فى نفس الوقت، أن تطوّر البروليتاريا فى جميع البلدان المتحضّرة تقريبا قد قمع بعنف و أنّ خصوم الشيوعيين يعلمون بهذه الطريقة كأنّهم يحاولون جهدهم إثارة الثورة ... ".

لقد كتب هذا قبل أكثر من مئة عام ، و لكنّه كم يبدو حديثا عندما نقرأه ثانية !

و نحن نعلم أيضا أن لينين إتّبع ، لوقت ما اثر ثورة شباط (فبراير) الروسية ، و نظرا لظروف خاصة فى ذلك الوقت ، سياسة التطوّر السلمي للثورة . و إعتبرها " فرصة إستثنائية نادرة فى تاريخ الثورات" (" **مهام الثورة** ") و إغتنمها بإحكام . و لكن الحكومة البرجوازية المؤقتة و الحرس الأبيض دمّروا هذه الإمكانيّة للتطوّر السلمي للثورة ، و هكذا لطخوا شوارع بتروغراد بدم العمّال و الجنود فى مظاهرة جماهيرية سلميّة فى شهر تموز (يونيو) ، و لهذا أشار لينين إلى ما يلى :

" لقد أصبح المجرى السلمي للتطوّر مستحيلا . لقد بدأ مجرى غير سلمي و مؤلم أشدّ الألم". (" **حول الشعارات** ").

و نحن نعلم أيضا أنّه عندما إنتهت حرب المقاومة الصينيّة ضد العدوان الياباني ، وكانت هناك رغبة حارة فى السلم لدى الشعب بأسره فى البلاد ، قام حزبنا بمفاوضات سلميّة مع الكومنتانغ ساعيا لإجراء إصلاحات إجتماعية و سياسية فى الصين بالطرق السلمية ، و فى عام 1946 تمّ التوصّل مع الكومنتانغ الى إتّفاقية لتحقيق السلم فى جميع أنحاء البلاد . و لكن طغمة الكومنتانغ الرجعية ، تحدّيا لإرادة الشعب بأسره ، مزّقت تلك الإتفاقية ، و شنّت حربا أهليّة على نطاق البلاد بتأييد المستعمِرين الأميركيين تاركة الشعب الصيني دون خيار سوى الردّ عليها بحرب ثورية . و حيث أنّنا ، فى نضالنا من أجل الإصلاح السلمي ، لم نخفف من يقظتنا ابدا و لم نتخلّ عن القوات المسلّحة الشعبيّة ، بل كنّا على إستعداد تام ، فإنّ الشعب لم يرهب الحرب ، و لكن الذين شنّوا الحرب جنوا ثمراتها المُرّة .

إنّه سيكون من أفضل مصالح الشعب لو إستطاعت البروليتاريا الحصول على السلطة و القيام بالإنتقال إلى الإشتراكية بالطرق السلمية . و سيكون من الخطأ عدم الإستفادة من مثل هذه الفرصة عندما تسنح . فعندما تسنح فرصة " التطوّر السلمي للثورة " يجب على الشيوعيّين أن يغتنموها بإحكام ، كما فعل لينين ، و ذلك لتحقيق هدف الثورة الإشتراكية . و لكن هذا النوع من الفرصة هو دائما ، كما جاء فى كلمات لينين ،" فرصة إستثنائية نادرة فى تاريخ الثورات " . و عندما تكون سلطة سياسية محلّية معيّنة فى بلد ما محاطة فعلا بقوّات ثوريّة ، أو عندما يكون بلد رأسمالي ما فى العالم بأسره محاطا فعلا بالإشتراكية ، ففى مثل هاتين الحالتين ، ربّما كانت هناك إمكانيّات أكبر لفرص التطوّر السلمي للثورة . و لكن حتى عند ذلك ، يجب أن لا يعتبر التطوّر السلمي للثورة أبدا بأنه الإمكانيّة الوحيدة ، و لهذا فمن الضروري أن نكون على إستعداد فى نفس الوقت للإمكانيّة الأخرى ، أي للتطوّر غير السلمي للثورة . فبعد تحرير البرّ الصيني ، على سبيل المثال ، كانت بعض المناطق المحكومة من قبل ملاك العبيد و ملاك الأقنان محاطة فعلا بالقوّات الثوريّة الشعبيّة السائدة سيادة مطلقة ، و مع ذلك فإنّ " الوحوش- كما يقول المثل الصيني القديم – تحارب و لو كانت محصورة ". ذلك أنّ حفنة من أشدّ ملاك العبيد و ملاك الأقنان رجعية ضربت ضربتها الأخيرة رافضة الإصلاحات السلميّة ، و شنّت عصيانات مسلّحة ، و فقط بعد قمع هذه العصيانات كان من الممكن القيام بإصلاح النظم الإجتماعية .

و فى الوقت الذى تسلّحت فيه البلدان الإستعماريّة و المستعمِرون حتى الأسنان ، و أكثر من أي وقت مضى ، بغية حماية نظامهم الوحشي الذى يقوم على أكل لحوم البشر ، فهل يمكن القول إنّ المستعمِرين قد أصبحوا ، كما يدّعى المحرّفون المعاصرون ، " سلميين " جدّا إزاء البروليتاريا و الشعوب فى بلدانهم و الأمم المضطهَدة فى الخارج ، و لهذا فإنّ " الفرصة الإستثنائية النادرة فى تاريخ الثورات " التى تحدث عنها لينين بعد ثورة شباط (فبراير) ستصبح بعد اليوم امرا طبيعيّا للبروليتاريا و جميع الشعوب المضطهَدة فى العالم ، بحيث يصبح ما أشار إليه لينين على أنّه " فرصة نادرة " متوفّر بسهولة للبروليتاريا فى البلدان الرأسمالية ؟ إنّنا نعتقد أن هذه الآراء ليس لها أساس إطلاقا .

و على الماركسيّين - اللينينيّين أن لا ينسوا أبدا هذه الحقيقة : إنّ القوّات المسلّحة لجميع الطبقات الحاكمة تستخدم اول ما تستخدم إضطهاد الشعوب فى بلدانها نفسها . و يستطيع المستعمِرون ، فقط على أساس إضطهاد شعوبهم فى بلدانهم ، إضطهاد البلدان الأخرى و شنّ عدوان و إثارة حروب غير عادلة . و من أجل إضطهاد شعوبهم يحتاجون للمحافظة على قواتهم المسلّحة الرجعيّة و تعزيزها . و قد كتب لينين مرّة فى مجرى الثورة الروسية عام 1905 : " إنّ الجيش الدائم لا يستخدم ضد العدوّ الخارجي بقدر ما يستخدم ضد العدوّ الداخلي " .(" **الجيش و الثورة** "). فهل هذا الإستنتاج سار مفعوله على جميع البلدان التى تسيطر فيها الطبقات المستغِلة و على جميع البلدان الرأسمالية ؟ وهل يمكن القول إنّ هذا كان صحيحا فى ذلك الوقت و لكنّه أصبح غير صحيح الآن ؟ إنّ هذه الحقيقة ، فى رأينا ، لا تزال حتى يومنا هذا صحيحة لا يمكن تفنيدها ، و الوقائع تؤكّد صحّتها أكثر فأكثر . و إذا تكلّمنا بدقّة فإنّ البروليتاريا فى أي بلد ، إذا فشلت فى رؤية هذا بوضوح ، فلن تتمكّن من الإهتداء إلى طريق التحرّر .

و فى كتاب " **الدولة و الثورة** " ركّز لينين مشكلة الثورة على سحق جهاز الدولة البرجوازية . و إقتطف أهمّ فقرات كتاب ماركس " **الحرب الأهلية فى فرنسا** " فكتب :

" بعد ثورة 1848- 1849 أصبحت سلطة الدولة " سلاح حرب على نطاق البلاد فى يد الرأسمال ضد العمّال ". إنّ الجهاز الرئيسي فى سلطة الدولة البرجوازية لشنّ حرب ضد العمّال هو جيشها الدائم . و لهذا ، " فإنّ أوّل مرسوم للكومونة كان إلغاء الجيش الدائم و إستبداله بالشعب المسلّح ".

و هكذا تجب معالجة هذه المسألة ، لدى التحليل النهائي ، على ضوء مبادئ كومونة باريس التى ، كما وصفها ماركس ، هي مبادئ خالدة لا تفنى .

و فى السبعينات من القرن التاسع عشر إعتبر ماركس بريطانيا و الولايات المتّحدة إستثنائين ، معتقدا أنّ فى هذين البلدين إمكانية الإنتقال " السلمي " إلى الإشتراكية ، لأن العسكريّة و البيروقراطية فى هذين البلدين كانتا فى مرحلة أوّلية من التطوّر . و لكن فى عصر الإستعمار، أصبح " هذا التقييد من جانب ماركس غير ساري المفعول" ، كما يقول لينين ، حيث أنّ هذين البلدين قد " غرقا اليوم تماما فى قذارة أوربا كلّها ، و فى مستنقع المؤسسات البيروقراطية العسكرية الدمويّة التى جعلت كلّ شيء تابعا لها ، و داست كلّ شيء تحت أقدامها ". (" **الدولة و الثورة** ") . لقد كانت هذه نقطة من النقاط التى تركّز عليها النقاش بين لينين و إنتهازيي تلك الأيّام . لقد شوّه الإنتهازيون الذين يمثّلهم كاوتسكي ، هذا الإستنتاج " غير الساري المفعول" لماركس فى محاولة لمقاومة الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا، أي مقاومة حاجة البروليتاريا إلى القوّات المسلّحة الثورية و الثورة المسلّحة ، فى سبيل تحريرها . و كان ردّ لينين على كاوتسكي كما يلى :

" إنّ ديكتاتورية البروليتاريا الثورية هي عنف ضد البرجوازية ، و ضرورة مثل هذا العنف موجودة بصورة خاصة ، نظرا لوجود العسكرية و البيروقراطية ، كما أوضح ماركس و إنجلز بالتفصيل بصورة متكرّرة ... و لكن العسكرية و البيروقراطية ، على وجه التحديد ، هما اللتان كانتا غير موجودتين فى إنكلترا و أميركا فى السبعينات من القرن التاسع عشر ، عندما وضع ماركس ملاحظاته (و لكنّهما موجودتان فى إنكلترا و أميركا الآن) " . (" **ثورة البروليتاريا و المرتدّ كاوتسكي** ").

و يمكن ، بهذا ، أن نرى أنّ البروليتاريا مجبرة على اللجوء إلى وسائل الثورة المسلّحة . و الماركسيون يرغبون دائما فى إتّباع الطريقة السلمية فى الإنتقال إلى الإشتراكية ، و طالما كانت الطريقة السلميّة موجودة يمكن إتّباعها ، فالماركسيون – اللينينيون لا يمكنهم أن يتخلّوا عنها . و لكن هذه الطريق بالذات هي التى يسعى البرجوازيّون إلى إغلاقها عندما يملكون الجهاز العسكري البيروقراطي الجبّار لممارسة الإضطهاد .

لقد كتب لينين الفقرة السابقة فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1917 ، فكيف تجري الأمور الآن ؟ و هل كانت كلمات لينين صحيحة تاريخيّا و لكنّها لم تعد هكذا فى ظلّ الظروف الراهنة كما يزعم المحرّفون المعاصرون ؟ يستطيع كل إمرء ان يرى ان البلدان الرأسمالية اليوم ، دون إستثناء تقريبا ، و بوجه خاص الدول الإستعمارية الكبيرة القليلة التى تقف فى طليعتها الولايات المتّحدة ، تحاول بقصاري جهدها تعزيز جهازها القمعي العسكري البيروقراطي ، و خاصة جهازها العسكريّ .

و ينصّ بيان إجتماع موسكو لممثّلي الأحزاب الشيوعية و العمّالية فى البلدان الإشتراكية فى تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1957 على ما يلى :

" علّمتنا اللينينيّة و أكّدت التجربة التاريخية ، انّ الطبقات الحاكمة لا تتخلّى عن السلطة أبدا عن طواعيّة . و فى هذه الحال لا تتوقّف ضراوة و أشكال النضال الطبقيّ على البروليتاريا ، بقدر ما تتوقف على مدى المقاومة التى تبديها الأوساط الرجعيّة إزاء إرادة الغالبيّة العظمى من الشعب ، و على إستخدام هذه الأوساط للقوّة أو عدم إستخدامها فى مرحلة او أخرى من مراحل النضال من أجل الإشتراكية " .

هذا تلخيص جديد لتجربة نضال البروليتاريا الأمميّة فى العقود القليلة التى مضت على وفاة لينين .

و المسألة ليست هي ما إذا كانت البروليتاريا راغبة فى القيام بالتغيير السلمي ، بل هي فى الواقع ، ما إذا كانت البرجوازية ستقبل مثل هذا التغيير السلمي . هذه هي الطريقة الوحيدة الممكنة التى يعالج بها تلاميذ لينين هذه المسألة .

و هكذا ، خلافا للمحرّفين المعاصرين الذين يسعون لشلّ العزيمة الثورية لدى الشعب بواسطة الحديث الأجوف عن الإنتقال السلمي إلى الإشتراكية يمكن إثارتها فقط على ضوء الظروف المعيّنة فى كلّ بلد ، فى وقت معيّن . و على البروليتاريا ألاّ تقيم أبدا ، بشكل وحيد الطرف و بدون أساس ، أفكارها و مبادئها السياسية و جميع اعمالها على إعتبار انّ البرجوازية راغبة فى قبول التغيير السلمي. بل عليها أن تستعدّ لشيئين فى وقت واحد : أحدهما هو التطوّر السلمي للثورة، و الآخر هو التطوّر اللاسلمي للثورة . و سواء كان الإنتقال سيجري بطريق الإنتفاضة المسلّحة او بالوسائل السلميّة فهذه مسالة منفصلة ، أساسا ، عن مسألة التعايش السلمي بين البلدان الإشتراكية و الرأسمالية ، إنّه شأن من الشؤون الداخلية لكلّ بلد ، شأن تقرّره فقط علاقات نسبة القوى بين الطبقات فى ذلك البلد فى فترة ما ، شأن يقرّره ، فقط الشيوعيّون فى ذلك البلد بأنفسهم .

– 6 -

تحدّث لينين عام 1919 بعد ثورة أكتوبر عن الدروس التاريخيّة التى يمكن إستخلاصها من الأمميّة الثانية . و قال عن نموّ الحركة البروليتارية خلال فترة الأمميّة الثانية ، " كان يتّجه نحو الإتّساع ، ممّا أدّى إلى هبوط مؤقت فى المستوى الثوري، و إزدياد مؤقت فى قوّة الإنتهازية ، و كانت النتيجة هي الإفلاس المشين لهذه الأممية . " (**" الأممية الثانية و مكانها فى التاريخ ")**.

ما هي الإنتهازية ؟ وفقا لما قاله لينين " الإنتهازية هي تضحية المصالح الأساسيّة من أجل مكاسب مؤقتة و جزئية " . (**" خطاب فى مؤتمر الملاكات النشطة فى منظمة موسكو للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) ")**.

و ماذا يعنى الهبوط فى المستوى الثوري؟ إنّه يعنى أن الإنتهازيّين يحاولون بكلّ الوسائل تركيز إنتباه الجماهير على مصالحها اليوميّة المؤقتة الجزئيّة و جعلها تنسى مصالحها البعيدة المدى ، الأساسيّة ، الشاملة . بينما يعتقد الماركسيون – اللينينيون أن مسألة النضال البرلماني يجب النظر إليها على ضوء المصالح البعيدة المدى الأساسيّة الشاملة .

و أنبأنا لينين عن الآفاق المحدودة للنضال البرلماني ، ولكنّه حذّر الشيوعيّين أيضا من ضيق الأفق و الأخطاء الإنعزالية ، و فى كتابه المعروف **" مرض الطفولة " اليسارية " فى الحركة الشيوعية "** فسّر لينين تجربة الثورة الروسيّة فبيّن فى ظلّ أية ظروف تكون مقاطعة البرلمان صحيحة ، و فى ظلّ أية ظروف تكون خاطئة . لقد إعتبر لينين أنّ كلّ حزب بروليتاري يجب أن يستفيد من كلّ فرصة ممكنة للإشتراك فى النضالات البرلمانية الضروريّة . إنّه لخطأ اساسي و سيلحق الأذى فقط بقضيّة البروليتاريا الثوريّة أن ينشغل عضو الحزب الشيوعي فى الحديث الأجوف فقط حول الثورة بينما يكون غير راغب فى العمل بمثابرة و إصرار و معرضا عن النضالات البرلمانية الضروريّة . و إنتقد لينين حينذاك أخطاء الشيوعيّين فى بعض البلدان الأوروبية لرفضهم الإشتراك فى البرلمان فقال :

" إنّ طفولة أولئك الذين " يرفضون " الإشتراك فى البرلمان تكمن ، على وجه التحديد ، فى حقيقة أنّهم يحاولون " حلّ " المشكلة الصعبة ، مشكلة محاربة النفوذ البرجوازي الديمقراطي داخل الحركة العمّالية ، عن طريق مثل هذه الأساليب

" البسيطة" " السهلة " التى تبدو كأنها أساليب ثوريّة ، و هم فى الحقيقة إنّما يهربون من ظلّهم ، و يغمضون أعينهم عن الصعوبات و يحاولون تحاشيها بمجرد الكلمات ".

و لماذا نعتبر المساهمة فى النضال البرلماني ضرورية ؟ إنّ ذلك ، فى رأي لينين ، من اجل مكافحة التأثيرات البرجوازية داخل صفوف الحركة العمّالية ، أو كما أشار فى مكان آخر " على وجه التحديد من أجل تثقيف الفئة المتأخّرة من طبقتها نفسها ، و على وجه التحديد من أجل إنهاض و تنوير الجماهير الريفيّة غير المتطوّرة ، المقهورة ، الجاهلة ".

و بكلمة اخرى، من أجل رفع المستوى السياسي و الإيديولوجي للجماهير و لتوحيد النضال البرلماني مع النضال الثوري، و ليس من أجل تخفيض مستوياتنا السياسية و الإيديولوجية و فصل النضال البرلماني عن النضال الثوري .

الإندماج مع الجماهير و عدم تخفيض المستويات الثوريّة ، هذا هو المبدأ الأساسي الذى علّمنا إيّاه لينين و الذى يجب التمسّك به بحزم فى نضالنا البروليتاري .

إنّ علينا أن نشترك فى النضالات البرلمانيّة ، و لكن علينا أن لا نحمل أيّة أوهام حول النظام البرلماني للبرجوازية ، لماذا؟ لأنّه طالما بقي جهاز الدولة العسكري البيروقراطي للبرجوازية غير ممسوس فليس البرلمان سوى حلية تتزيّن بها ديكتاتورية البرجوازية ، حتى لو كان حزب الطبقة العاملة يمتلك الأكثرية فى البرلمان ، أو أصبح اكبر حزب فيه . و زيادة على ذلك ، فطالما بقي جهاز الدولة هذا غير ممسوس فإنّ البرجوازية قادرة تماما ، فى أي وقت ، طبقا لحاجات مصالحها نفسها ، على حلّ البرلمان عند الضرورة ، أو إستخدام مختلف الأحابيل المكشوفة و الخفيّة لتحويل حزب الطبقة العاملة ، الذى هو أكبر حزب فى البرلمان ، إلى أقلية ، أو تخفيض مقاعده فى البرلمان ، حتى و لو أحرز أصواتا أكثر من قبل فى الإنتخابات ._و لهذا فمن الصعب التصوّر أن تغيّرات ستحدث فى ديكتاتورية البرجوازية نفسها نتيجة التصويت فى البرلمان ، و كذلك من الصعب تماما التصوّر أنّ فى إمكان البروليتاريا إتّخاذ تدابير فى البرلمان للإنتقال السلمي إلى الإشتراكية لمجرّد أنّها أحرزت عددا معيّنا من الأصوات فى البرلمان . و قد أثبتت التجربة فى مجموعة من البلدان الرأسمالية منذ مدّة طويلة هذه النقطة تماما ، و قدّمت تجربة مختلف البلدان فى اوربا وآسيا بعد الحرب العالميّة الثانية براهين جديدة على ذلك .

قال لينين :

" لا تستطيع البروليتاريا أن تنتصر ما لم تكسب إلى جانبها غالبيّة السكاّن . و لكن تحديد عمل الكسب هذا أو تقييده بجمع أكثر الأصوات فى الإنتخابات ، فى الوقت الذى تبقى فيه البرجوازية مسيطرة ، هو أكبر حماقة مطبقة أو خداع للعمّال " . (**" إنتخابات الجمعية التأسيسية و ديكتاتورية البروليتاريا ".**)

و يعتقد المحرّفون المعاصرون أن كلمات لينين هذه قد أصبحت بالية ، و لكن الحقائق الحيّة أمام اعيننا تبرهن أن كلمات لينين هذه ما تزال أفضل علاج ، مع أنّه مرّ المذاق ، للثوريّين البروليتاريّين فى أي بلد .

و يعنى تخفيض المستويات الثوريّة ، تخفيض المستويات النظرية للماركسية – اللينينية ، و يعنى تخفيض النضالات السياسية إلى مستوى النضالات الإقتصادية ، و تقييد النضالات الثوريّة ضمن حدود النضالات البرلمانيّة . إنّه يعنى مقايضة المبادئ بالمنافع المؤقتة .

و فى بداية القرن العشرين لفت لينين الأنظار فى كتابه **" ما العمل ؟ "** إلى مسألة انّ " إنتشار الماركسية الواسع كان يرفقه بعض الهبوط فى المستويات النظرية ". و أورد لينين رأي ماركس الوارد فى رسالة حول **" منهاج غوتا "** و القائل بأنّ بإمكاننا أن ندخل فى معاهدات لتحقيق الأهداف العملية للحركة ، و لكننا يجب أن لا نتاجر أبدا بالمبادئ و نقدم " التنازلات " فى النظريّة . و قد أضاف لينين بعد ذلك الكلمات التالية المعروفة الآن جيدا لجميع الشيوعيين تقريبا :

" بدون نظرية ثورية لا يمكن ان تكون هناك حركة ثورية . و هذا ما يجب علينا الإصرار عليه بشدّة كبيرة فى وقت يندمج فيه وعظ الإنتهازية الدارج بالولع بأضيق أشكال النشاط العملي ".

ما أهمّه من إلهام للماركسّيين الثوريّين ! لقد أحرزت الحركة الثوريّة كلّها فى روسيا النصر فى تشرين الأوّل (أكتوبر) عام 1919، على وجه التحديد ، بإرشاد هذا الفكر الماركسي الثوري الذى تمسّك به بحزم الحزب البلشفي برئاسة لينين العظيم .

و أحرز الحزب الشيوعي الصيني أيضا خبرة فيما يتعلّق بالمسألة المذكورة آنفا فى مناسبتين : الأولى كانت خلال فترة عام 1927 الثوريّة . فقد كانت السياسة التى إتّخذتها إنتهازية تشن تو شي وفى ذلك الوقت إزاء جبهة حزبنا المتّحدة مع الكومنتانغ مغايرة للمبادئ و المواقف التى يجب على الحزب الشيوعي أن يتمسّك بها . فقد كان من رأيه إنزال الحزب الشيوعي من حيث المبدأ إلى مستوى الكومنتانغ ، و كانت النتيجة هزيمة الثورة . و المناسبة الثانية كانت خلال فترة حرب المقاومة للعدوان الياباني ، فقد تمسّكت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بحزم بالموقف الماركسي-اللينيني و كشفت الخلافات ، فى المبدأ ، بين الحزب الشيوعي والكومنتانغ فيما يتعلّق بموقفيهما إزاء الحرب ضد اليابان ، و كانت ترى أن على الحزب الشيوعي أن لا يقدّم أبدا تنازلات للكومنتانغ فى المبدأ حول هذه المواقف . و لكن الإنتهازية اليمينية ممثّلة فى وانغ منغ كرّرت الأخطاء التى إقترفها تشن تو شيو قبل عشر سنوات ، و أرادت الهبوط بالحزب الشيوعي فى المبدأ على مستوى الكومنتانغ و لهذا خاض حزبنا كلّه نقاشا واسعا مع الإنتهازيّين اليمينيّين ، و قال الرفيق ماو تسى تونغ :

"... إذا نسي الشيوعيّون هذه النقطة المبدئية فإنّهم لن يكونوا قادرين على توجيه الحرب ضد اليابانيين بصورة صحيحة ، و سيكونون لا حول لهم و لا قوّة للتغلّب على تحزّب الكومنتانغ ، و سيهبطون بأنفسهم إلى موقف يفقدون فيه مبادئهم ، و يهبطون بالحزب الشيوعي إلى مستوى الكومنتانغ ، و سيقترفون عند ذلك جريمة ضد القضية المقدّسة – قضية الحرب الوطنية الثورية و الدفاع عن الوطن ".(**" الوضع فى حرب المقاومة ضد العدوان الياباني بعد سقوط شانغهاي و تاييران و مهماتنا "**).

و بسبب أنّ اللجنة المركزيّة لحزبنا رفضت أن تقدّم أدنى تنازل حول مسألة المبدأ ، و إتّبعت سياسة الوحدة و النضال فى جبهة حزبنا المتّحدة مع الكومنتانغ ، إستطعنا أن نوطّد و نوسّع مراكز الحزب فى الميدانين السياسي و الإيديولوجي ، و نوطّد و نوسّع الجبهة المتّحدة للثورة الوطنية ، و بالتالى ، إستطعنا أن نعزّز و نوسّع قوّات الشعب فى حرب المقاومة ضد العدوان الياباني ، و تمكنّا كذلك من سحق الهجمات الواسعة النطاق التى شنّها رجعيو تشيان كاي شيك بعد إنتهاء حرب المقاومة ضد العدوان الياباني ، و من إحراز نصر على نطاق البلاد فى الثورة الشعبية الكبرى .

و إنطلاقا من تجربة الثورة الصينية فقد كان من المحتمل وقوع أخطاء الإنحراف اليميني فى حزبنا ، عندما تدخل البروليتاريا فى تعاون سياسي مع البرجوازية ، بينما يحتمل وقوع أخطاء الإنحراف " اليساري" فى حزبنا ، عندما تنفصل هاتان الطبقتان عن بعضهما سياسيا . و فى مجرى قيادة الثورة الصينية ، شنّ حزبنا نضالات ضد المغامرة " اليسارية " فى عدّة مناسبات . و لم يكن المغامرون " اليساريون " قادرين على معالجة العلاقات الطبقيّة المعقّدة فى الصين بصورة صحيحة من وجهة النظر الماركسية - اللينينية . و فشلوا فى فهم كيفيّة إتباع سياسات صحيحة مختلفة إزاء مختلف الطبقات فى مختلف الفترات التاريخية ، و لكنّهم إتّبعوا ، بأسلوب بسيط ، السياسة الخاطئة – سياسة النضال بدون وحدة . و لو لم يتمّ التغلّب على خطيئة المغامرة " اليسارية " هذه لكان من المستحيل سير الثورة الصينيّة نحو النصرّ

و تمشّيا مع وجهة النظر اللينينية فإنّ البروليتاريا فى أي بلد ، إذا أرادت إحراز النصر فى الثورة ، يجب أن يكون لها حزب ماركسي لينيني حقيقي ، يحذق توحيد ما بين الحقائق الكلّية للماركسية - اللينينية و التطبيق الثوري المحدّد فى بلادها ، و يقرّر بصورة صحيحة فى مختلف الفترات ، من الذين تقف الثورة ضدّهم ، و يسوّى مسألة تنظيم القوّة الرئيسية وحلفائها ، و مسالة من الذين يمكنها الإعتماد عليهم ، و من الذين يجب الإتّحاد معهم . و على الحزب البروليتاري الثوري أن يعتمد إعتمادا وثيقا على جماهير طبقته وعلى شبه البروليتاريا فى المناطق الريفية ، أي الجماهير الواسعة من الفلاحين الفقراء ، و يقيم تحالف العمّال و الفلاحين بقيادة البروليتاريا . و عند ذلك فقط يصبح بالإمكان، على أساس هذا التحالف ، الإتّحاد مع جميع القوى الإجتماعية التى يمكن الإتّحاد معها ، و إقامة الجبهة المتّحدة من الشغيلة مع جميع الناس غير الشغيلة الذين يمكن الإتّحاد معهم ، طبقا للظروف الخاصة فى مختلف البلدان و فى مختلف الفترات. و إذا لم يكن الأمر كذلك ، فلن تتمكّن البروليتاريا من تحقيق هدفها بإحراز النصر فى الثورة فى مختلف الفترات .

و يحاول المحرّفون المعاصرون و بعض ممثّلي البرجوازية جعل الناس يؤمنون بإمكانية تحقيق الإشتراكية دون حزب ثوري للبروليتاريا ، و دون سلسلة السياسات الصحيحة المذكورة أعلاه لحزب البروليتاريا الثوري . إنّ هذا مجرد خرف و تضليل واضح . لقد أشار **" البيان الشيوعي "** لماركس و إنجلز إلى أنّه كانت هناك أنواع مختلفة من " الإشتراكية " ، هناك " إشتراكية " البرجوازية الصغيرة ، و " إشتراكية " البرجوازية و" إشتراكية " إقطاعية إلخ . والآن ، و نتيجة لإنتصار الماركسية – اللينينية و تصدّع النظام الرأسمالي ، تطمح جماهير اكثر فأكثر من الشعوب فى مختلف بلدان العالم إلى الإشتراكية ، كما ظهر المزيد من الأشكال الملّونة المختلفة مما يدّعى ب" الإشتراكية " من بين الطبقات المستثمِرة فى بعض البلدان . و كما قال إنجلز تماما، إنّ من يدعون ب " الإشتراكيين " هؤلاء أيضا ، " يريدون القضاء على المساوئ الإجتماعية عن طريق مختلف الوصفات التى تشفي كلّ الأمراض و جميع أنواع الترقيع ، دون إلحاق أي اذى برأس المال و الربح " . إنّهم " يقفون خارج حركة العمّال و يفضلون طلب تأييد الطبقات " المثقّفة " ".(" مقدّمة الطبعة الألمانية الصادرة عام 1890 " البيان الشيوعي" ".) إنّهم يرفعون فقط شارة الإشتراكية و لكنّهم فى الواقع يطبّقون الرأسماليّة . وفى هذه الظروف ، ليعتبر فى غاية الأهمّية ، التمسّك بحزم بالمبادئ الثورية للماركسية – اللينينية ، و خوض نضال لا يعرف المساومة ضد جميع الإتجاهات المؤدّية إلى الهبوط بالمستويات الثورية ، و خاصة ضد التحريفية و الإنتهازية اليمينية .

وفيما يتعلّق بمسألة صيانة السلم العالمي فى الوقت الحاضر ، يوجد أيضا بعض من الناس يزعمون أن النزاعات الإيديولوجية لم تعد ضروريّة ، أو أنّه لم يعد هناك أي خلاف فى المبدأ بين الشيوعيّين و الديمقراطيّين الإجتماعيّين . إنّ هذا بمثابة الهبوط بالمستوى الإيديولوجي و السياسي للحزب الشيوعي إلى مستوى البورجوازية و الديمقراطيين الإجتماعيين . إنّ هؤلاء الذين يصرّحون بمثل هذه التصريحات قد تأثّروا بالتحريفية المعاصرة و حادوا عن موقف الماركسية – اللينينية .

إنّ النضال من أجل السلم و النضال من أجل الإشتراكية نوعان مختلفان من النضال . و من الخطأ ألاّ نميّز تمييزا ملائما بين هذين النوعين المختلفين من النضال . فالعناصر الإجتماعية التى تشترك فى حركة السلام أكثر تعقيدا بطبيعة الحال ، و من بين هذه العناصر المسالمون البرجوازيون . و فى الخطوط الأماميّة تماما لمقاومة الحروب الإستعمارية و للدفاع عن التعايش السلمي و مقاومة الأسلحة النوويّة . و فى هذه الحركة سنعمل مع عدّة عناصر إجتماعية معقّدة ، و ندخل معها فى إتّفاقيات ضروريّة لتحقيق السلم . و لكن علينا ، فى نفس الوقت ، أن نتمسّك بمبادئ حزب الطبقة العاملة ، و أن لا نهبط بمستوياتنا السياسية و الإيديولوجية ، و ألاّ نهبط بأنفسنا إلى مستوى المسالمين البرجوازيّين فى نضالنا من أجل السلم . و هنا ، فى هذا المجال ، تبرز مسألة الإتّحاد و النقد .

إنّ " السلم " على ألسنة المحرّفين المعاصرين، يقصد منه تبييض واجهة الإستعدادات الحربيّة التى يقوم بها المستعمِرون، و عزف لحن ما يدعى ب " فوق الإستعمار" مرّة أخرى ، لحن الإنتهازيين القدامى ، الذى فنّده لينين منذ مدّة طويلة ، و تشويه سياستنا نحن الشيوعيّين فيما يتعلّق بالتعايش السلمي بين البلدان ذات النظامين المختلفين ، بأنّها سياسة القضاء على ثورة الشعوب فى داخل مختلف البلدان . لقد كان ذلك المحرّف القديم برنشتين هو الذى أدلى بالتصريح المشين السيء الصيت التالي : " الحركة هي كلّ شيء ، أمّا الهدف فلا شيء ". و للمحرّفين المعاصرين تصريح يشبهه : حركة السلم هي كلّ شيء ، أما الهدف فلا شيء . و لهذا فإنّ " السلم " الذى يتحدّثون عنه هو عمليّا مقصور على " السلم" الممكن قبوله من جانب المستعمِرين فى ظلّ ظروف تاريخية معيّنة . إنّه محاولة للهبوط بالمستويات الثورية لشعوب مختلف البلدان و تدمير عزيمتها الثورية .

و نحن الشيوعيّين نناضل للدفاع عن السلم العالمي ، من أجل تحقيق سياسة التعايش السلمي . و فى نفس الوقت نؤيد الحروب الثورية التى تشنّها الأمم المضطهَدة ضد الإستعمار، و نؤيد الحروب الثوريّة التى تشنّها الشعوب المضطهَدة من أجل تحرّرها و تقدمها الإجتماعي ، لأنّ جميع هذه الحروب الثورية حروب عادلة . و بطبيعة الحال ، علينا أن نستمرّ فى أن نوضّح للجماهير فكرة لينين القائلة بأنّ نظام الإستعمار الرأسمالي ، هو مصدر للحرب الحديثة ، و علينا أن نستمرّ فى أن نوضّح للجماهير الرأي الماركسي اللينيني ، حول إستبدال الإستعمار الرأسمالي بالإشتراكية و الشيوعية كهدف نهائي لنضالنا . إنّ علينا الا نخفي مبادئنا عن الجماهير .

إنّنا نعيش اليوم فى عصر جديد عظيم يتسارع فيه تداعي النظام الإستعماري أكثر فأكثر ، و يصبح إنتصار الشعوب فى مختلف أنحاء العالم و وعيها فى تقدّم مطرد أكثر فأكثر .

إنّ شعوب مختلف البلدان فى العالم بأسره ، أسعد حظّا الآن من أي وقت مضى ، و ذلك بسبب حقيقة انّه ، فى الأربعين عاما و نيف منذ ثورة أكتوبر ، حرّر ثلث البشريّة نفسه من إضطهاد الإستعمار الرأسماليين و أنشأ مجموعة من الدول الإشتراكية حيث تبنى ، حقيقة ، حياة من السلم الداخلي الدائم ، إنّ هذه الدول لها تأثيرها على مستقبل البشرية كلّها ، و ستسرّع إلى حدّ كبير فى قدوم اليوم الذى سيسود فيه سلم شامل دائم جميع أنحاء العالم .

وفى طليعة جميع البلدان الإشتراكية و المعسكر الإشتراكي بأسره يتقدّم الإتّحاد السوفياتي العظيم ، اوّل دولة إشتراكية أوجدها العمّال و الفلاحون بقيادة لينين و الحزب الشيوعي السوفياتي . ففى الإتحاد السوفياتي قد تحقّقت أفكار لينين ، و الإشتراكية قد بنيت فيه منذ مدّة طويلة ، و بدأت فيه فعلا الآن ، تحت قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى الإتحاد السوفياتي و الحكومة السوفياتية برئاسة الرفيق خروتشوف ، فترة عظيمة من البناء الشامل للشيوعية . و أثار العمّال و الفلاّحون و المثقّفون البواسل ذوو العقول الجبّارة فى الإتحاد السوفياتي اليوم نهوضا عظيما جديدا للعمل فى نضالهم من أجل هدفهم العظيم هدف إنجاز بناء الشيوعية .

و نحن ، الشيوعيّين الصينيّين ، والشعب الصيني ، نهتف و نهلّل لكلّ منجز جديد للإتحاد السوفياتي ، البلد الذى هو مسقط رأس اللينينية .

و الحزب الشيوعي الصيني ، موحّدا ما بين الحقائق الكلية للماركسية - اللينينية و الواقع المحدّد للثورة الصينية ، قد قاد شعب البلا د كلّها و أحرز الإنتصارات الكبرى فى الثورة الشعبية ، و يسير على الطريق الفسيح المشترك ، طريق الثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي الذى رسمه لينين ، مواصلا الثورة الإشتراكية حتى نهايتها الكاملة ، و قد بدأ فعلا إحراز الإنتصارات الكبرى فى مختلف جبهات البناء الإشتراكي . و وضعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، للشعب الصيني ، بصورة خلاّقة ، و طبقا لمبادئ لينين و على ضوء الظروف فى بلادنا ، المبادئ الصحيحة للخط العام من أجل بناء الإشتراكية و القفزة الكبرى إلى الأمام و الكومونات الشعبية ، تلك المبادئ التى ألهمت مبادرات الجماهير و روحها الثورية فى جميع أنحاء البلاد ، وهي تحدث ، يوما فيوما ، تغيّرات جديدة على وجه بلادنا .

وتحت رايتنا المشتركة – راية اللينينيّة – حققت البلدان الإشتراكية فى أوربا الشرقية و البلدان الإشتراكية الأخرى فى آسيا ايضا ، قفزات كبرى فى البناء الإشتراكي .

إنّ اللينينية راية مظفّرة أبدا. إنّ رفع شغّيلة العالم هذه الراية العظمى بقوّة و حزم ، يعنى التمسّك بالحقيقة و فتح طريق الإنتصار المتواصل لنفسها .

سيحيا لينين دائما فى قلوبنا . و عندما يحاول المحرّفون المعاصرون تلطيخ اللينينية ، الراية العظمى للبروليتاريا الأمميّة ، فإنّ مهمّتنا هي الدفاع عن اللينينيّة .

و كلّنا يتذكّر ما كتبه لينين فى كتابه الشهير " **الدولة و الثورة** " عمّا حدث لتعاليم المفكّرين و القادة الثوريّين فى النضالات السابقة لمختلف الطبقات المضطهَدة من أجل التحرّر . لقد قال لينين إنّ التشويهات تلت وفاة هؤلاء المفكّرين و القادة الثوريين ، " مميّعة محتوى التعاليم الثورية ، ثالمة حدّها الثوري و مبتذلة إياها ". و أضاف لينين قائلا :

" و فى الوقت الحاضر ، يلتقى البرجوازيّون و الإنتهازيّون ، داخل الحركة العمّالية فى هذا " الصقل" للماركسية . و هم يقطعون و يشوّهون و يتناسون الناحية الثوريّة فى هذه التعاليم ، و روحها الثورية ، و يدفعون إلى الصدارة و يمجّدون ما هو ، أو ما يظهر بأنّه مقبول ، لدى البرجوازيين ."

و هكذا تماما فى الوقت الحاضر ، إذ يواجهنا بعض ممثّلي الإستعمار الأميركي الذين يلبسون ، مرّة أخرى ، لباس القساوسة ، و حتّى أنّهم يعلنون أن ماركس كان " مفكّرا عظيما من مفكّري القرن التاسع عشر" ، و حتى أنّهم يعترفون بأنّ ما تنبّأ به ماركس فى القرن التاسع عشر من أن أيّام الرأسمالية معدودة هو تنبؤ " يقوم على أساس" و " صحيح " ، و لكنّهم يواصلون القول إنّه بعد حلول القرن العشرين ، و بوجه خاص فى العقود الأخيرة ، اصبحت الماركسية غير

صحيحة لأنّ الرأسمالية أصبحت شيئا مضى عهده و لم تعد توجد ، فى الولايات المتّحدة على الأقلّ . و بعد سماع مثل هذا الخرف من قساوسة الإستعمار ، لا يسعنا إلاّ أن نشعر بأنّ المحرّفين المعاصرين يتحدّثون نفس اللغة ، و لكن المحرّفين المعاصرين لا يقفون عند تشويه تعاليم ماركس ، بل يذهبون إلى أبعد من ذلك، إلى تشويه تعاليم لينين ، المكمّل و المطوّر العظيم للماركسية .

لقد أشار بيان إجتماع موسكو إلى أنّ " الخطر الرئيسي فى الوقت الحاضر هو التحريفية أو ، بكلمة اخرى ، الإنتهازية اليمينية ". و يقول البعض إنّ حكم إجتماع موسكو هذا لم يعد صالحا فى ظلّ الظروف الراهنة . و نحن نعتقد أنّ هذا القول خطأ . فهو يجعل الناس يهملون أهمّية النضال ضد الخطر الرئيسي- التحريفية - كما أنّه مضرّ جدّا بالقضية الثوريّة للبروليتاريا . و منذ السبعينات فى القرن التاسع عشر كانت هناك فترة من التطوّر " السلمي" للرأسمالية ، ظهرت خلالها تحريفية برنشتين القديمة ، و هكذا تماما فى ظلّ الظروف الراهنة ، عندما يجبر المستعمِرون على قبول التعايش السلمي ، و عندما يوجد نوع من " السلم الداخلي " فى كثير من البلدان الرأسمالية ، تجد الإتّجاهات التحريفيّة سهولة فى النموّ و الإنتشار . و لهذا فعلينا دائما أن نحافظ على درجة عالية من اليقظة ضد هذا الخطر الرئيسي فى الحركة العمّالية .

و بصفتنا تلاميذ لينين ، و لينينيّين ، علينا أن نسحق تماما جميع محاولات المحرّفين المعاصرين لتشويه و تقطيع أوصال تعاليم لينين .

إنّ اللينينيّة هي التعاليم الثورية الكاملة للبروليتاريا ، إنّها نظرة إلى العالم ، ثورية كاملة لا تتجزّأ ، إستمرّت ، بعد ماركس و إنجلز، فى التعبير عن فكر البروليتاريا . و هذه التعاليم الثورية الكاملة و النظرة الثوريّة الكاملة إلى العالم التى لا تتجزّا يجب أن لا تشوّه أو تقطع أوصالها . إنّنا نعتقد بأنّ محاولات المحرّفين المعاصرين لتشويه و تقطيع أوصال اللينينية ما هي إلاّ دلالة على النضال اليائس الأخير الذى يخوضه المستعمِرون و هم يواجهون مصيرهم . فأمام الإنتصارات المتواصلة فى بناء الشيوعية فى الإتحاد السوفياتي ، و أمام التعزيز المطّرد لوحدة المعسكر الإشتراكي و على رأسه الإتحاد السوفياتي ، و أمام اليقظة المطّردة لشعوب العالم بأسره و النضالات الباسلة المتواصلة التى تشنّها سعيا وراء تحرير نفسها من أغلال الإستعمار الرأسمالي ، فإنّ المساعي التحريفيّة من تيتو و أشباهه هي مساع عقيمة تماما.

عاشت اللينينية العظيمة !

==

إلى الأمام على طريق لينين العظيم

هيئة تحرير **" جينمينجيباو"** ، صحيفة **جينمينجيباو** فى 22 نيسان " ابريل " 1960

إنّ الشغيلة الواعين فى العالم بأسره يحتفلون اليوم بالذكرى التسعين لميلاد ف . إ . لينين ، المعلّم الثوري العظيم للبروليتاريا .

لقد كان لينين مؤسس الحزب الشيوعي فى الإتحاد السوفياتي و باني أوّل دولة إشتراكية فى العالم ، الإتحاد السوفياتي ، و القائد الأعظم للحركة الشيوعية العالمية بعد ماركس و إنجلز . و قد طوّر لينين الماركسية ، فى النظريات المتعلّقة بالفلسفة ، والإقتصاد السياسي و الإشتراكية العلميّة ، إلى مرحلة جديدة ، مرحلة اللينينية . فاللينينية هي ماركسية عصر الإستعمار و الثورة البروليتارية .

إنّ إنتصار ثورة أكتوبر الإشتراكية بتوجيه لينين ، قد حرّر سدس مساحة الكرة الأرضيّة من الحكم الرأسمالي . و بعد حوالي ثلاثين عاما ولدت سلسلة من البلدان الإشتراكية الجديدة فى أوروبا و آسيا ، و تشكّل المعسكر الإشتراكي الجبّار. و بعد إنتصار الثورة الصينيّة ، أصبح المعسكر الإشتراكي اكثر من ربع مساحة الكرة الأرضيّة ، و أكثر من ثلث سكّان العالم . إنّ ميزان القوى الطبقيّة فى العالم قد تغيّر تغيّرا كبيرا لصالح البروليتاريا و الشغيلة .

و إنّ نظرية لينين و قضيّته عزيزتان جدّا على الشعب الصيني ؛ لأنّه فى اللينينية ، بالضبط ، وجد طريقه إلى التحرّر . لقد أشار لينين مرارا فى كتاباته ، فى الوقت الذى قلّ فيه من كان يعرفه فى الصين ، إلى الأهمّية العظمى و الآفاق الكبرى للنضال الثوري فى الصين . فمنذ عام 1913 ، وضع لينين فى مؤلفه **" المصير التاريخي لتعاليم كارل ماركس"** رأيه المشهور بأنّ آسيا " مصدر جديد لعواصف عالمية عظيمة جدّا ". و بعد ذلك " بعثت إلينا طلقات مدافع ثورة أكتوبر بالماركسية - اللينينية " كما قال الرفيق ماو تسى تونغ . دخلت الثورة الصينيّة مرحلة جديدة حين وجدت الماركسية – اللينينية و الحزب الثوري البروليتاري الماركسي – اللينيني .

لقد أشار لينين إلى أنّ الإستعمار هو عشيّة الثورة البروليتارية ، و أنّه سيفنى حتما فى النضالات المشتركة للبروليتاريا العالمية و الأمم المضطهَدة ؛ و أنّ الدولة هي جهاز للعنف يخدم الحكم الطبقي ، فعلى البروليتاريا أن تستخدم العنف الثوري للإطاحة بالعنف المعادي للثورة ، لسحق جهاز الدولة البورجوازي ، جهاز أمراء الحرب و البيروقراطيين ، و إقامة دولة جديدة قائمة على ديكتاتورية البروليتاريا ؛ و على البروليتاريا أن تسعى لتعزيز تحالفها مع الفلاحين ، و أن تحلّ بصورة تامة مسألة الأراضي الزراعيّة ، و أن تسعى للإستيلاء على زمام القيادة فى الثورة الديمقراطية ، و أن تحافظ على إستقلالها فى تحالفها مع البورجوازية الوطنية (أو حسب التعبير الشعبي الصيني ، التحالف معها و النضال ضدّها) ؛ و يجب أن تنشئ حزبا بروليتاريا ثوريّا من نوع جديد ، عليه أن يقاوم التحريفية التى تخون الماركسية ، و أن يدحر روح المغامرة اليسارية فى الحركة الشيوعية ، و أن يثق بقوّة بالجماهيرو يعتمد عليها . إنّ تعاليم لينين هذه قد سلّحت البروليتاريا فى العالم أجمع ، و سلّحت أيضا البروليتاريا فى الصين . إنّ السبب الرئيسي الذى من أجله لاقت الحقائق العامة للماركسية – اللينينية القبول بسرعة من جانب البروليتاريا و الشعب الثوري فى الصين ، هو أنّه لم يكن أمام الشعب الصيني الذى قاسى محنا فادحة أيّ مخرج إلاّ أن يكافح بحزم من أجل التحرّر . ففى الصين القديمة ، التى كانت تعاني أشدّ أنواع حكم الإستعمار و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية قسوة و وحشيّة ، كيف كان يمكن ان تحمل البروليتاريا و الجماهير الشعبية أيّة أوهام عن " طيبة قلب " المستعمرين ؟ و كيف كان يمكن أن تتوهّم ان الطبقة الحاكمة الرجعيّة ستسلّم سلطة الدولة للشعب بمحض إرادتها ؟

لقد طبّق الحزب السياسي للبروليتاريا الصينيّة ، الحزب الشيوعي ، و قائده الرفيق ماو تسى تونغ ، بشكل خلاّق ، الحقائق العامة للماركسية – اللينينية ، و دمجاها بالواقع المحدّد للثورة الصينية ، و دفعا على الأمام ، وبدون توقّف ، النضال الثوري فى الصين . و عندما خان الرجعيّون البورجوازيون ، ممثلين بشيانغكاي شيك ، الثورة ، و أغرقوا الشعب بحمام من الدم ، لم يكن فى وسع البروليتاريا الصينية و حزبها السياسي إلاّ أن يستخدما العنف الثوري ليقاوما العنف المعادي للثورة ، و بعد إثنين و عشرين عاما من الحرب الثورية ، أطاحا أخيرا بالحكم المظلم للإستعمار والرجعيّين من الكومنتانغ ، و أقاما ديكتاتورية الشعب الديمقراطية تحت قيادة البروليتاريا ، و سارا بالشعب الصيني فى طريق الإشتراكية الرحب .

إنّ إنتصار الثورة الصينية هو إنتصار الماركسية - اللينينة فى الصين . و إنّ الإنتصارات الكثيرة التى أحرزها الماركسية – اللينينية فى جميع أنحاء العالم ، و فى الصين ، قد أوضحت بشكل متزايد أنّ حقائق الماركسية – اللينينية ، حقائق لا تدحض ، و أنّها البوصلة التى ترشد جميع الطبقات المضطهدة ، و جميع الشعوب المضطهدة فى العالم بأسره ، فى سيعها إلى التحرّر ، و التى ترشد شعوب العالم أجمع فى السير نحو الإشتراكية و الشيوعية.

فما هي المهمّات الرئيسية للشعب الصيني الآن ونحن نحتفل بالذكرى التسعين لميلاد لينين ؟ إنّنا نعتقد بأنّ هناك ثلاث مهمات رئيسية هي : بناء الإشتراكية ، و النضال من أجل السلم العالمي ، و الإتّحاد مع أصدقائنا فى مختلف الأقطار .

إنّ المهمّة الأولى للشعب الصيني فى الوقت الراهن هي تطوير بنائنا الإشتراكي تطويرا عالي الوتيرة ، و جعل بلادنا ، فى وقت غير طويل ، دولة إشتراكية عظمى ذات صناعة حديثة ، و علم و ثقافة حديثين متطوّرة كلّها تطوّرا عاليا . و إنّ تحقيق هذه المهمّة لن يكون ذا أهمّية حاسمة بالنسبة للشعب الصيني فقط ، و إنّما سيكون أيضا ذا أهمية واضحة هائلة بالنسبة لقضيّة السلم و الإشتراكية لشعوب العالم .

إنّ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، وعلى رأسها الرفيق ماو تسى تونغ ، فى دمجها الحقائق العامة للماركسية – اللينينية بالواقع المحدّد للثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي فى بلادنا ، قد رسمت الخطّ العام وهو : بذل أقصى

الجهود و التطلّع إلى العلاء و تحقيق نتائج أعظم ، و أسرع ، و أفضل ، و أكثر إقتصادا فى بناء الإشتراكية . و إن الخطّ العام هو الضمانة الأكثر أهمّية فى تحقيق شعب بلادنا تحقيقا ناجحا لهذه المهمّة الكبرى .

و من أجل تحقيق هذه المهمّة الكبرى ، يجب على شعبنا ، كخطوة أولى ، أن يناضل للحاق ببريطانيا أو تجاوزها فى إنتاج المنتوجات الصناعية الرئيسية فى أقلّ من عشرة أعوام ، فيقيم ، بصورة أساسيّة ، نظاما صناعيّا كاملا ؛ و أن يعمل على تحقيق المنهاج الوطني للتطوّر الزراعي بين أعوام 1956 - 1967 قبل الموعد المحدّد ؛ فيتمّ بصورة أساسيّة تعميم المكننة الزراعيّة و منشآت حفظ المياه ، و إنجاز درجة لا بأس بها من الكهربة ؛ و يجب أن يناضل من أجل تنفيذ الثورة الثقافيّة و أن يعمّ بصورة أساسية ، و فى وقت غير طويل ، التعليم المدرسي الإبتدائي و الثانوي ، و التعليم فى أوقات الفراغ ، و أن يناضل لإنجاز المشروع الطويل الأمد لتطوير العلم و التكنيك بين أعوام 1956 – 1967 قبل الموعد المحدّد . و فى الوقت نفسه ، يجب الإستمرار فى تحقيق الثورة الإشتراكية فى الجبهات الإقتصادية ، و السياسية ، و الإيديولوجية ، و تحقيق الإنتصار التام للإشتراكية على الرأسمالية فى كلّ ميدان ، و رفع الوعي الإشتراكي و الشيوعي للجماهير الشعبية إلى درجة كبيرة . و من أجل إنجاز و تجاوز مخطّط الإقتصاد الوطني لعام 1960 ، يشنّ شعبنا ، فى الوقت الحاضر ، حملة ناشطة لزيادة الإنتاج و ممارسة الإقتصاد ، تتركّز حول الإبتكارات التكنيكيّة ، و الثورة التكنيكيّة ، سعيا وراء رفع إنتاج هذا العام من سبائك الحديد على 27،5 مليون طن ، و الفولاذ إلى 18، 4 مليون طن ، و الفحم إلى 425 مليون طن ، و القوة الكهربائية إلى أكثر من 55500 مليون كيلوواط ساعي ، و ليزيد إنتاج كلّ من الحبوب و القطن بحوالي 10 بالمئة . و هكذا ستزداد القيمة الإجماليّة للإنتاج الصناعي و الزراعي هذا العام 23 بالمئة عن العام الماضي .

لقد بذل المستعمرون الأميركيّون قصاري جهودهم فى الهزء و الإفتراء حول ما إذا كان فى وسع الشعب الصيني إنجاز جعل بلاده بلدا إشتراكيّا قويّا بسرعة عالية . و لنأخذ مثلا بعيدا ؛ ففى تشرين الثاني (نوفمبر) 1958 قال ناظر الخارجية الأميركية السابق ، جون فوستر دالس بأنّه " من الصعب التصديق بأنّ هذا المسعى سينجح أو سيواظب عليه ". و لنأخذ مثالا حديث العهد ؛ قال مساعد ناظر الخارجية الأميركية الحالي بارسونز فى شباط (فبراير) من هذا العام بأن حملة الصين بزيادة سرعة تصنيعها " يمكن أن تؤدّى إلى إنهيار هذا الحكم من الداخل " . و لكن الغريب فعلا أنّه كلّما كانت إفتراءات المستعمرين قبيحة و ممجوجة ، كان الحماس الثوري لدى الشعب الصيني أعلى و كان أعظم نشاطا فى البناء . إنّ وضع الصين الإقتصادي ، و الوحدة السياسيّة لشعبنا يتطوّران أحسن فأحسن سنة بعد أخرى . و لا يشكّ أحد من الجماهير الواسعة اليوم ، بأنّنا ، بالتأكيد ، سنتمكّن من إنجاز مشروعنا العظيم فى البناء قبل الموعد المحدّد ، و من تجاوزه .

لقد أشارت الماركسية – اللينينية دائما إلى أن قوى المجتمع المنتجة يمكن أن تتحرّر فى ظلّ النظام الإشتراكي تحرّرا عظيما . و إعتقد لينين أنّ الحياة فى المجتمع الإشتراكي هي حركة جماهيرية حقّة تشارك فيها أغلبية السكّان أو حتى جميع السكّان ، حركة تظهر لأوّل مرّة فى التاريخ . فهو يعتقد أنّ القوّة الخلاّقة الهائلة للجماهير هي العامل الأساسي فى المجتمع الإشتراكي ؛ و أنّ ثمّة موردا لا ينضب من المواهب الخلاّقة بين العمّال و الفلاّحين . و قد وصف لينين أحد مبادئ الماركسية " الأكثر عمقا و فى الوقت نفسه الأكثر وضوحا " بالعبارات التالية :

" كلّما كان نطاق الحوادث ذات الأهمّية التاريخية و إتّساعها كبيرين ، كان عدد الجماهير التى تشترك فى هذه الحوادث أكبر، و بالعكس فكلّما كان التغيير الذى نرغب فى تحقيقه أكثر عمقا ، كان علينا أن نثير إهتمام الناس بهذا التغيير و نجعلهم يتّخذون موقفا واعيا إزاءه ، فنقنع الملايين و عشرات الملايين من الناس بأنّه ضروري . و إذا كانت ثورتنا قد خلّفت وراءها جميع الثورات الأخرى إلى مسافة بعيدة ، فإنّ سبب ذلك يعود أصلا إلى أنّها، عن طريق حكومة السوفيات، قد عبّأت عشرات الملايين من الناس الذين لم يكونوا يهتمّون فيما مضى ببناء الدولة ، للمشاركة بدور إيجابي فى هذا البناء " . (" **تقرير حول عمل مجلس ممثلي الشعب** ، ألقي فى مؤتمر مجلس السوفيات الثامن لعامة الروسيا ".)

إنّنا مقتنعون بأنّ سرعة التطوّر فى بلادنا ، مثلها مثل سرعة التطوّر فى الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية الأخرى ، ستتجاوز كثيرا أيّة سرعة بلغها البلدان الرأسمالية . و ذلك ، كما يقول الشيوعيون الصينيون ، يعنى أنّ فى وسعنا أن نتقدّم بسرعة القفز إلى أمام . ذلك لأنّنا ، كما قال لينين ، قد عبّأنا على أوسع نطاق ملايين و ملايين من الناس ليشاركوا فى بناء بلادنا بأعلى درجة من المبادرة والإبداع عن طريق الأمور التالية : الخطّ العام لحزبنا وهو : بذل أقصى الجهود و التطلّع إلى العلاء ، و تحقيق نتائج أعظم ، و أسرع ، و أفضل ، و أكثر إقتصادا فى بناء الإشتراكية ؛ و مجموعة السياسات التى

ننفّذها الآن بأسرها ، المعروفة ب " السير على قديمن إثنين " – أي التطوير ، فى وقت واحد ، للصناعة و الزراعة ، للصناعات الثقيلة و الخفيفة ، للصناعات التى تدار من قبل الحكومة المركزيّة ، و التى تدار محلّيا ، للمشاريع الكبيرة و أيضا المتوسّطة و الصغيرة ، للوسائل الحديثة و للوسائل المحليّة للإنتاج ؛ و كذلك عن طريق الحركة الجماهيرية الناهضة التى تتّسع فى بلادنا حاليّا لإبتكارات التكنيكية والثورة التكنيكية لتحقيق المكننة أو شبه المكننة ، و الأتمتة أو شبه الأتمتة ؛ و تدعم تطوّر كوموناتنا الشعبيّة الريفيّة ؛ وتعميم الكومونات الشعبية الحضريّة حاليّا .إنّ الصين تطوّر بناءها الإقتصادي وفق القوانين العامة للبناء الإشتراكي شأنها فى ذلك شأن الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية الأخرى ؛ و إنّ سلسلة السياسات المحدّدة التى إتّخذتها الصين فيما يتعلّق بمسائل البناء الإشتراكي هي ، بالضبط ، نتاج دمج الحقائق العامة للينينية بالواقع المحدّد للصين .

لقد أثار البورجوازيّون فى البلدان الغربيّة الذين قادهم جهلهم إلى الدهشة ، الصراخ حول الوتيرة العالية للإتحاد السوفياتي فى البناء الإشتراكي . و هم يرفعون الآن ، مرّة أخرى ، عقيرتهم بالصياح بدون نهاية حول بنائنا الإشتراكي السريع التطوّر ، و خطّنا العام ، و قفزاتنا الكبرى إلى الأمام ، و كوموناتنا الشعبية . و قد وجّه لينين العظيم منذ زمن طويل ضربة قاضية إلى هؤلاء المعتوهين فى مقاله المشهور " **ثورتنا** " الذى كتبه قبل عام من وفاته . فقد أشار لينين :

" إنّ روسيا التى تقف كما هي الآن ، على خطّ الحدود بين البلدان المتمدّنة و جميع البلدان الشرقية أو البلدان غير الأوروبية التى نقلتها هذه الحرب (الحرب العالمية الأولى) ، تماما لأوّل مرّة ن إلى طريق المدنيّة ، تستطيع ، بل يجب أن تكشف عن ظواهر معيّنة خاصة ، و هذه الظواهر و إن كانت لا تتعدّى الخطّ العام للتطوّر العالمي ، إلاّ أنها تميّز ثورة روسيا عن جميع الثورات السابقة فى البلدان الأوربية الغربية ، و تدخل إبتكارات جزئيّة معيّنة فى المرور إلى البلدان الشرقية ".

و يطرح لينين السؤال المعاكس التالي :

" و كيف يكون الأمر ما دام اليأس التام من الوضع قد زاد قوّة العمّال و الفلاّحين بمقدار عشرة أضعاف ، و جعل فى إمكاننا خلق المتطلّبات الأساسيّة لتطوير الحضارة بطريقة تختلف عن طريقة جميع البلدان الأوروبية الغربية ؟ "

تنبّأ لينين مرّة أخرى :

" إنّ أوروبيّينا السذّج لم يخطر ببالهم قط و لو فى الأحلام أن الثورات التالية فى البلدان الشرقيّة التى تملك عددا أكبر بكثير من السكّان ، و ظروفا إجتماعيّة أكثر تعقيدا بكثير ، ستظهر ، بدون شكّ ، صفات مميّزة أعظم ممّا فى الثورة الروسية ".

أليس ذلك ، بالضبط ، ما تدعمه الحقائق ؟ ألم يسبق الإتحاد السوفياتي ، بإستخدامه طريقة تختلف عن طرق جميع البلدان الغربية ، و فى حقبة قصيرة جدّا من الزمن و بسرعة خارقة ، جميع بلدان أوروبا الغربيّة الرأسمالية ، فى مستوى التطوّر الإقتصادي ، أو لم يلحق بالولايات المتّحدة و يبدأ بتجاوزها فى بعض الميادين المعيّنة ؟ و كذلك الأمر فى الصين ، أفلم تزد حقيقة كونها " فقيرة و قاحلة " ، و اليأس التام من الوضع ، و عشرات السنين من التمرّس بالنضال و التجربة المتراكمة ، بالإضافة إلى مساعدة المعسكر الإشتراكي الجبّار و على رأسه الإتّحاد السوفياتي ، و الفوائد التى تؤخذ من تجربة أربعين سنة من البناء فى الإتحاد السوفياتي - ألم تزد كلّ هذه الأمور أيضا قوّة العمّال و الفلاّحين الصينيّين إلى عشرة أضعاف ، و توفّر لنا إمكانيّة إستخدام طريقة تختلف عن طرق جميع البلدان الغربيّة ، لأن نسير قدما إلى الأمام بسرعة خارقة نحو صناعة حديثة ، و زراعة حديثة ، و علم و ثقافة حديثين ؟ لقد لعنتنا البورجوازية الغربيّة و حكمت علينا بالفشل ، و هناك ، بين صفوفنا ، فى الحقيقة ، بعض ببّغاواتها الذين يقولون بأنّ خطّنا العام و قفزاتنا الكبرى إلى الأمام و كوموناتنا الشعبيّة إنّما هي نتاجات الروح الثورية للماركسية - اللينينية . و لكن لندعهم ينتظرون و يرون ، لينتظروا عشرة أعوام ، مثلا ، و بعدها سيرون النتيجة . و بإختصار فإنّ السذّج الأجانب و الصينيّين برؤوسهم المحشوّة بالأفكار الميتافيزيكية لا يعرفون ، كما قال لينين ، إلاّ أن يعتبروا " طبيعة " العلاقات البورجوزية قاعدة ذهبيّة لا يمكن مسّها و " قد فشلوا تماما فى تفهّم ما هو الشيء الحاسم فى الماركسية ، ألا وهو ديالكتيكها الثوري"_. و لهذا ، و كما كانوا عاجزين فى الماضي عن فهم التغيّرات العظيمة التى حدثت فى الإتّحاد السوفياتي ، فكذلك هم اليوم عاجزون عن فهم جميع الأمور القويّة الحيّة التى تحدث فى الصين .

و المهمّة الكبرى الثانية للشعب الصيني فى الإحتفال بالذكرى التسعين لميلاد لينين هي صيانة السلم العالمي ، و مقاومة الحرب الإستعمارية ، بالتعاون مع جميع البلدان الإشتراكية و على رأسها الإتّحاد السوفياتي ، و مع جميع قوى العالم المحبّة للسلم ، و جميع قوى العالم المعادية للإستعمار، و المعادون للعدوان .

إنّ الماركسية – اللينينية كانت دائما تقاوم الحرب الإستعماريّة .

فعشيّة الحرب العالمية الأولى ، و أثناءها ، كان الشعار الثوريّ للينينيّة ، و القادة اليساريّين الآخرين للطبقة العاملة الذين تمسّكوا بالموقف الماركسي ، هو تحويل الحرب الإستعمارية إلى حرب أهليّة ، و ذلك لوضع حدّ للحرب الإستعمارية ، و الوصول إلى السلم . و كان السلم أحد الشعارات الرئيسية لثورة أكتوبر . و بعد إنتصار ثورة أكتوبر ، أصدر لينين فورًا مرسوم السلام ، داعيا إلى سلم عادل . و أعلن لينين بعد ذلك مرارا سياسة التعايش السلمي بين الدولة السوفياتيّة و الأمم الأخرى . لقد قام الإتّحاد السوفياتي بجهود هائلة معروفة للعالم ، قبل الحرب العالميّة الثانية و بعدها ، لصيانة السلم العالمي و إقامة أمن جماعي و تعايش سلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة .

و قد ناضلت جمهوريّة الصين الشعبية ، منذ تـاسيسها ، مع الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية الأخرى ، بنشاط لصيانة السلم العالمي . فمن 1950 حتى 1953 أرسل الشعب الصيني متطوّعيه إلى الجبهة الكورية ، فكافحوا ببطولة إلى جانب الشعب الكوري ، بغية إيقاف عدوان الولايات المتحدة ، و قد أجبروا جيش العدوان الأمريكي فى كوريا على قبول إتّفاقية الهدنة ، و بذلك صانوا السلم فى الشرق الأقصى . و فى عام 1954 ، إشتركت الحكومة الصينية بنشاط فى مؤتمر جنيف الذى عقدت فيه إتّفاقية حول إعادة السلم إلى الهند الصينيّة . و فى نفس العام أعلن قادة الحكومة الصينيّة مع قادة الحكومتين الهنديّة و البورميّة ، واحدة بعد أخرى ، و بصورة مشتركة ، المبادئ الخمسة الشهيرة للتعايش السلمي التى ظلّت حجر الأساس فى سياسة الصين الخارجية تجاه جميع البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . و فى عام 1955 إشتركت الحكومة الصينيّة بنشاط فى مؤتمر باندونغ للبلدان الآسيوية و الأفريقية الذى عقد فى أندونيسيا ، و الذى أعلن ، على أساس المبادئ الخمسة ، المبادئ العشرة التى تحدّد العلاقات بين البلدان الآسوية و الأفريقية . و فى عام 1958 سحبت الصين كلّ متطوّعيها الشعبيّين من كوريا . و إشترك الشعب الصيني دائما و بنشاط فى حركة السلم العالمية و الآسيوية ، و دعا مرارا إلى تحقيق الأمن الجماعي فى آسيا و منطقة المحيط الهادي ، و إلى إقامة منطقة فيهما مجرّدة من الأسلحة الذرّية . و تدعو الحكومة الصينيّة بإستمرار إلى تسوية النزاعات مع البلدان الأخرى (بما فيها الولايات المتحدة) بالوسائل السلميّة ، و ليس بوسائل الحرب ، و ما زالت حتى الوقت الحاضر تجري مفاوضات حول هذه المسألة مع الولايات المتّحدة التى تحتلّ أرض الصين ، تايوان .

لقد ناضلت البلدان الإشتراكية و الأحزاب الشيوعية لمختلف بلدان العالم بأسره نضالا ثابتا ، فى سبيل السلم العالمي والحفاظ عليه .

فقد دعا بيان موسكو الذى أُقرّ فى إجتماع الأحزاب الشيوعيّة و أحزاب العمّال فى البلدان الإشتراكية الذى عقد فى موسكو فى تشرين الثاني (نوفمبر) من عام 1957، و كذلك بيان السلم الذى أقرّه أربعة و ستّون حزبا شيوعيا و عمّاليّا ، الطبقة العاملة ، و جميع الناس المحبّين للسلم فى العالم إلى العمل على صيانة السلم ؛ و أشار البيانان إلى أنّ هذا النضال هو أهمّ نضال فى العالم بأسره فى الوقت الراهن . و قد أشير فى بياني موسكو إلى أنّه توجد فى العالم الآن قوى جبّارة لصيانة السلم ، و أنّ تحالف هذه القوى الجبّارة قد وفّر الإمكانيّة العمليّة لمنع إنفجار الحرب . و منذ إجتماع موسكو ، تعزّزت قوى السلم أكثر . و ذلك ، قبل كلّ شيء ، لأنّ المعسكر الإشتراكي ، و على رأسه الإتحاد السوفياتي قد أصبح أكثر قوّة ، فقد سبق الإتحاد السوفياتي الولايات المتّحدة بصورة أوضح من قبل فى الناحية العسكرية ، و فى أكثر ميادين العلم و التكنيك أهمّية ، و قام رئيس مجلس وزراء الإتحاد السوفياتي الرفيق ن. س. خروشوف بسلسلة من الزيارات السلمية إلى الولايات المتّحدة و البلدان الرأسمالية الأخرى ، و قامت الحكومة السوفياتيّة بجهود هامّة جديدة حول مسائل نزع السلاح و إيقاف تجارب الأسلحة النوويّة و غيرها ، إنّ الجهود السلميّة التى يبذلها الإتّحاد السوفياتي ، و الصين ، و البلدان الإشتراكية الأخرى تعطى تأثيرا أعمق فأعمق فى أذهان الناس . و فى الوقت نفسه قد ظهرت تطوّرات هامة جديدة فى حركات الإستقلال الوطني فى آسيا، وأفريقيا ، و أميركا اللاتينية ، و نضالات الشعوب فى البلدان الرأسمالية فى سبيل الديمقراطية و الإشتراكية . و تتّسع بإستمرار التناقضات الداخلية فى المعسكر الإستعماري ، فجماهير الشعب الواسعة فى الولايات المتّحدة نفسها تظهر ، فى كلّ مكان ، إستياء و قلقا حول سياسة الحكومة الخارجية المعادية للسلم ؛ و يواجه المستعمرون الأميركيّون صعوبات متزايدة و عزلة متزايدة . و قد أجبرت جميع هذه الظروف الإستعمار

الأمريكي ، المدبّر الرئيسي لحرب جديدة ، على قبول إقتراح محادثات الذروة بين الشرق و الغرب ، و على تغيير نغمته فى مناسبات معيّنة مدّعيا بأنّه أيضا " يرغب فى السلم " . و قد أثبتت الحقائق أن قوى السلم فى العالم تفوق قوى الحرب ، و هذا هو مظهر حقيقة أنّ " الريح الشرقية تتغلّب على الريح الغربية " كما يقول الرفيق ماو تسى تونغ .

إنّ الريح الشرقيّة تتغلب على الريح الغربيّة ، و هذا هو الوضع العالمي الجديد فى الآونة الراهنة . وهو يختلف ، بصورة أساسيّة ، عن الوضع فى حياة لينين ، و عن الوضع عشيّة الحرب العالمية الثانية . و من الضروري تماما إدراك هذا الوضع الجديد فى النضال ضد مشروع الحرب الجديدة الإستعماريّة . و هذا الوضع الجديد قد أعطى ثقة و شجاعة لم يسبق لهما مثيل لجميع القوى المحبّة للسلم ، و جميع القوى المعادية للإستعمار ، و المعادية للعدوان فى العالم بأسره . و لكن لا يمكن أن نقول مطلقا إنّ هذا التغيّر فى ميزان القوى قد غيّر طبيعة الإستعمار ، و لذلك فإنّه قد قضى تماما على إمكانيّة أيّ حرب فى حياة المجتمع الحديث ، أو أنّ البشرية قد دخلت عصر السلم الأبدي .

لقد أكّدت اللينينية دائما أن الإستعمار هو مصدر الحرب الحديثة . و قد قال لينين إنّ " الحرب الحديثة هي حصيلة الإستعمار" (**" مشروع قرار جناح زيمرفولد اليساري"**) و إنّ الحرب " تنبعث من طبيعة الإستعمار نفسه " (**" كلمة الختام حول تقرير منهاج الحزب فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي"**.) و آراء لينين هذه ذات الأهمّية المبدئية الأساسية هي نتيجة تحليل علمي عميق للإستعمار؛ و قد أثبت حقائق تاريخيّة لا تحصى أنّ هذا التحليل العلمي حقيقة لا تتزعزع . و قد أورد إجتماع موسكو للأحزاب الشيوعية و أحزاب العمّال ، الذى عقد منذ أكثر من عامين ، آخر الحقائق لإثبات مبدأ لينين هذا . يقول بيان إجتماع موسكو :

" طالما يبقى الإستعمار فستكون هناك تربة للحروب العدوانية . و خلال سنوات ما بعد الحرب الماضية ، شنّ المستعمِرون الأميركيون و البريطانيون و الفرنسيون و المستعِمرون الآخرون و عملاؤهم، أو لا يزالون يشنّون ، حروبا فى الهند الصينيّة ، و أندونيسيا ، و كوريا ، و الملايو ، و كينيا ، و غواتيمالا، و مصر ، و الجزائر ، و عمان و اليمن . و فى نفس الوقت ترفض القوى الإستعمارية العدوانيّة بعناد نزع السلاح ، و تحريم إستخدام و إنتاج الأسلحة الذرّية و الهيدروجينية ، و التوصّل إلى إتّفاقية حول الوقف الفوري لتجارب هذه الأسلحة . و ما زال المستعمِرون يواصلون " الحرب الباردة " و سباق التسلّح ، ويبنون المزيد من القواعد العسكرية ، و يتّبعون السياسة العدوانيّة ، سياسة نسف السلم ، و قد خلقوا بذلك خطر حرب جديدة . فإذا ما إنفجرت حرب عالميّة قبل التوصّل على إتّفاقية حول تحريم الأسلحة النوويّة ، فإنّ من المحتّم انّها ستكون حربا نوويّة لم يسبق لها مثيل فى القوّة التخريبيّة .

" و فى ألمانيا الغربية يجرى إحياء العسكرية بمساعدة الولايات المتّحدة و بذلك خلق مصدر لخطر جدّي للحرب فى قلب أوروبا ...

" وفى الوقت نفسه يحاول المستعمرون فرض " مبدأ دالس- أيزنهاور" المشهور بسمعته السيّئة على شعوب الشرقين الأدنى و الأوسط المحبّة للحرّية ، خالقين بذلك خطرا على السلم فى هذه المنطقة ...

" و كتلة السياتو العدوانيّة خلقت خطرا للحرب فى جنوب شرقي آسيا ".

و يقول بيان السلام للأربعة و ستّين حزبا شيوعيا و عمّاليّا :

" إنّ قوى السلم قوى جبّارة ، و بإستطاعتها منع الحرب و صيانة السلم . و لكنّا نحن الشيوعيّين ، نعتقد بأنّه من واجبنا أن نحذّر جميع الناس فى العالم بأن خطر حرب مريعة مبيدة لم يزل .

" فمن أين يأتى التهديد لسلم و لأمن الشعوب؟ إنّ الذى يتحّمس للحرب و يحلم بها هو : الإحتكارت الرأسمالية التى كدّست ثروات لم يسبق لها مثيل من الحربين العالميّتين، و من سباق التسلّح الراهن . إنّ سباق التسلّح الذى يوفّر الأرباح الطائلة للرأسماليين الإحتكاريّين يرهق أكثر فأكثر كاهل الشغّيلة بالأعباء الثقيلة ، و يجعل إقتصاد كثير من البلدان سيّئا بشكل خطير . إنّ الأوساط الحاكمة لبعض البلدان الرأسمالية ، تحت ضغط الإحتكارات ، و خصوصا إحتكارات الولايات المتّحدة ، قد رفضت مقترحات نزع السلاح ، و تحريم الأسلحة النوويّة ، و التدابير الأخرى الرامية على درء حرب جديدة ...

" إنّ السلم يمكن الحفاظ عليه فقط إذا كان ، كلّ أولئك الذين يعزّ عليهم السلم ، يوحّدون جهودهم ، و يشحذون يقظتهم فيما يتعلّق بمكائد مثيري الحرب ، و يدركون تماما بأنّ واجبهم المقدسّ هو تشديد النضال من أجل صيانة السلم المهدّد " .

و يتّضح من هذا أنّ المبدأ اللينيني القائل بأنّ الإستعمار هو مصدر الحرب الحديثة ، ليس ، و لا يمكن أن يكون مطلقا ، " قد فات أوانه " . فطالما أنّ الإستعمار موجود ، فلا يمكن تخفيف اليقظة ضد خطر الحرب . و من هذا الموقع الأساسي يقوم الشعب الصيني بالنضال لصيانة السلم العالمي و مقاومة الحرب الإستعمارية . و إنّنا نرحب بكلّ خطوة فى إنفراج الوضع الدولي ، و نرحب بالجهود المخلصة للسلم من جانب أي بلد (بما فى ذلك الولايات المتحدة) ، و فى الوقت نفسه نطلع الأمّة بأسرها ، و نطلع الرأي العام العالمي ، فى حينه ، على النشاطات المنكرة للمستعمِرين الذين يواصلون تدبير المؤامرات لحروب جديدة ، ونثير إنتباههما ، و نشير إلى أنّه إذا ما توحّدت جميع قوى السلم فى العالم مع بعضها بعضا ، فإنّ بإستطاعتها أن تطغى على قوى الحرب ، و أنّ لنضالنا مستقبلا وضاءا . لقد قمنا بهذا فى الماضي ، و سنواصل العمل كذلك فى المستقبل .

إنّ الإستعمار الأميركي لا يضمر غير الحقد لمجهود المعسكر الإشتراكي ، و على رأسه الإتحاد السوفياتي ، من أجل السلم . وهو يعلن جهارا سياسة العداء لجمهورية الصين الشعبية ، و يهاجم بصفاقة الموقف العادل للشعب الصيني فى صيانة السلم العالمي و مقاومة الحرب الإستعمارية . وقد قام الشعب الصيني ، فى حينه ، بفضح حقيقة أنّ حكومة الولايات المتّحدة التى يرأسها أيزنهاور ، ما تزال منذ محادثات كامب دافيد بين الرفيق خروتشوف و أيزنهاور فى أيلول (سبتمبر) الماضي ، تواصل العمل بنشاط لزيادة التسلّح و الإستعدادات للحرب ، و توسيع عدوانها . و قد نشر الناطقون بإسم الإستعمار الأميركي الإفتراء القائل بأنّ الشعب الصيني لا يبدو متحمّسا لإنفراج الوضع الدولي ، و لكن هذه الفرية شائنة أكثر من أن توصف بالكلمات . و لمّا كانت حكومة الولايات المتّحدة ، و أيزنهاور نفسه فى حقيقة الواقع ، غارقين فى زيادة التسلّح ، و الإستعدادات للحرب ، و توسيع العدوان ، الأمر الذى يتعارض مع مطلب إنفراج الوضع الدولي ، فما فائدة إخفاء هذا الأمر أو حتى تبييضه و تجميله و إطرائه بالنسبة إلى الوضع الدولي؟ إنّ هذا ، على العكس ، سيجعل مسبّبي التوتّر أكثر طيشا و جموحا .

إنّ الحقائق تغنى عن كلّ بيان . فلنلق فقط نظرة على أقصر موجز لأقوال حكومة الولايات المتحدة و أيزنهاور و أفعالهما ضد السلم منذ محادثات كامب دافيد فى أيلول (سبتمبر) الماضي :

ففى 16 تشرين الأوّل (أكتوبر) عام 1959 قال مساعد ناظر الخارجية الأميركية إندرو ه. بيردينغ ، فى خطاب له ، أنّ الولايات المتحدة لا تستطيع قبول التعايش السلمي ، لأنّ ذلك سيعنى قبول الحالة الراهنة للمعسكر الإشتراكي .

وفى 21 تشرين الأوّل (أكتوبر) إستصدرت الولايات المتحدة بالضغط قرارا غير شرعي حول ما يدعى ب " مسألة التيبت " عن طريق الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة ، متدخّلة بذلك فى شؤون الصين الداخليّة ، و مفترية على سحق الحكومة الصينيّة لعصيان الفئة الرجعية من مالكي الأقنان فى منطقة التيبت .

و فى 22 تشرين الأوّل (أكتوبر) أصدرت نظارة الخارجية الأمريكية بيانا بمناسبة مرور ثلاثة أعوام على العصيان المعادي للثورة فى المجرّ تطعن فيه بالحكومتين المجرّية و السوفياتيّة ، و " تمجّد " العناصر المعادية للثورة التى قامت بالعصيان .

و فى 3 تشرين الثاني (نوفمبر) و عندما تظاهر الشعب فى منطقة قناة باناما من أجل إستعادة سيادة باناما على منطقة القناة ، قمع جيش الإحتلال الأميركي الشعب المتظاهر و جرح أكثر من 120 من البناميّين .

وفى 13 تشرين الثاني (نوفمبر) قال نائب رئيس الولايات المتّحدة نيكسون :" إنّ الدول الغربيّة لا تستطيع قبول ما يدعوه السوفيات التعايش السلمي " .

وفى 22 تشرين الثاني (نوفمبر) نشر ناظر الخارجية الأميركية هيرتر مقالا فى مجلة " باريد " الأميركيّة يشنّع بالإتحاد السوفياتي زاعما أن له " نوايا عدوانيّة " و أنّه ينفّذ " حملة توسعيّة " .

و فى 27 تشرين الثاني (نوفمبر) أصدرت نظارة الخارجية الأميركية بيانا تطعن فيه بألبانيا زاعمة بأنّها " خاضعة للسيطرة السوفياتية ".

و فى الأول من كانون الأوّل (ديسمبر) زار ايزنهاور أحد عشر بلدا فى أوروبا و آسيا و أفريقيا بغرض توسيع الحرب الباردة . و قد دقّ خلال زيارته و بكلّ قوّته الطبول لتعزيز الأحلاف العسكرية الغربيّة قائلا بأنّ " حلف شمالي الأطلسي يبقى حجر الزاوية فى سياستنا الخارجية "، و أنّ الولايات المتّحدة لا تستطيع التخلّى عن حلف السنتو، كما عمل بنشاط على توسيع شبكة قواعد القذائف الموجّهة الأميركية فى الخارج .

وفى 9 كانون الأول (ديسمبر) إستصدرت الولايات المتّحدة بالضغط قرارا حول المسألة الكوريّة عن طريق الجمعيّة العموميّة للأمم المتّحدة . و بالرغم من النداء الذى أصدره المجلس الشعبي الأعلى للجمهورية الديمقراطية الشعبيّة الكوريّة فى 27 تشرين الأوّل (أكتوبر) ، فإنّها رفضت سحب القوّات الأميركية من جنوبي كوريا و تحقيق توحيد سلمي للبلاد ، و أكثر من ذلك أصرّت على إجراء ما دعي " الإنتخابات الحرّة " فى كوريا تحت " إشراف " الأمم المتّحدة التى كانت أحد الطرفين المتحاربين .

و فى نفس اليوم إستصدرت الولايات المتّحدة بالضبط ، عن طريق الجمعيّة العمومية للأمم المتحدة قرارا حول ما يدعى " المسألة المجريّة " ، يشكّل تدخّلا فى شؤون المجرّ الداخلية .

و فى 15 كانون الأوّل (ديسمبر) قدّم هيرتر " مشروع عشر سنوات " إلى إجتماع مجلس حلف الناتو (الأطلسي) مطالبا كتلة الناتو أن تكون لها " القوّة الرادعة " لأنّ تشنّ حربا واسعة النطاق ، و" المرونة الكافية " لشنّ حروب محلّية .

وفى 24 كانون الأوّل (ديسمبر) دفعت الولايات المتّحدة حفنة من أشدّ العناصر الموالية لها فى لاووس للقيام بإنقلاب عسكري و توسيع الحرب الأهليّة فى لاووس بشكل أكبر .

وفى 29 كانون الأوّل (ديسمبر) أعلن أيزنهاور بأنّه إبتداء من أوّل كانون الثاني (يناير) 1960 ستصبح الولايات المتّحدة " حرة فى إستئناف تجارب الأسلحة النوويّة " .

و فى 7 و 18 كانون الثاني (يناير) عام 1960 قدّم أيزنهاور رسالتيه عن دولة الإتّحاد و الموازنة مطالبا الولايات المتحدة ب " تخصيص أي حصة من مواردها " تكون ضروريّة لتأمين " قوّة رادعة " و حدّد النفقات العسكرية للسنة المالية 1961 بأكثر من 455000 مليون دولار، أي 57،1 بالمئة من مجموع الموازنة . و شنّع على البلدان الإشتراكية فى رسالته عن دولة الإتّحاد زاعما أنّها " دول بوليسية " ، و على الإتحاد السوفياتي بأنّه " الشيوعية الإستعمارية " ، و على المعسكر الإشتراكي بأنّه " نظام الأتباع المتجهّمين ".

و فى 15 كانون الثاني (يناير) قال نيكسون " فى ظلّ أيّة ظروف ، لا يجوز للولايات المتّحدة و حليفاتها أن تخفض من قوّاتها ".

و فى 19 كانون الثاني (يناير) وقّعت فى واشنطن " معاهدة التعاون والأمن المتبادلين " بين اليابان و الولايات المتّحدة . و هذه المعاهدة العدوانية للتحالف العسكري ، موجّهة رأسا ضد الصين ، و الإتّحاد السوفياتي ، و الجمهورية الديمقراطية الشعبية الكوريّة ، وهي تهدّد سلم جميع البلدان الآسيويّة و أمنها .

و فى 3 شباط (فبراير) أعلن ايزنهاور فى مؤتمر صحفي قائلا :" لا أعرف أي شيء عن روح كامب دافيد " و أشار أيضا إلى أن الولايات المتّحدة ستزوّد حليفاتها بالمعلومات السرّية حول الأسلحة النوويّة .

و فى 5 شباط (فبراير) أصدرت نظارة الخارجية الأمريكية بيانا ترفض فيه مرّة أخرى إقتراح إجتماع أعضاء حلف وارسو ، القائل بأن توقّع منظمة معاهدة وارسو و كتلة الناتو معاهدة عدم إعتداء متبادل .

و فى 15 شباط (فبراير) أصدر هيرتر بيانا ذهب فيه إلى حدّ إثارة المطالبة بأن" تتمتّع مرّة أخرى بالإستقلال الوطني " ثلاث جمهوريات من جمهوريات الإتّحاد السوفياتي هي : ليتوانيا ، و لاتفيا، و إستونيا .

و فى 16 شباط (فبراير) قال أيزنهاور فى رسالته " الأمن المتبادل " أنّ حقيقة التخفيضات فى القوّات السوفياتية العسكرية ، إذا كانت حقيقة ، فإنّها لا تغيّر ضرورة الإحتفاظ بدفاعنا الجماعي " " و إنّها لحماقة كبيرة أن نتخلّى أو نضعف مركزنا للقوّة الرادعة المشتركة ". و قال أيضا : بالنسبة للولايات المتحدة فإنّها "...تحتاج إلى مثابرة راسخة ، صابرة ، و بغير ضجّة فى بذل جهودنا للتمسّك بدفاعاتنا المشتركة ". و أعلن أنّ 2000 مليون دولار هي مخصّصات المساعدة العسكرية الأجنبيّة للسنة المالية الجديدة، أي بزيادة 700 مليون دولار بالنسبة للسنة الفائتة .

و فى 17 شباط (فبراير) ذكر أيزنهاور فى تقريره عن الوضع فى الشرق الأوسط ، بأنّ الولايات المتّحدة ستواصل إحتلال أرض الصين ، تايوان ، وإنّه ما زال " يأمل" بأنّ الصين الجديدة " ستنهار" ، و أكثر من ذلك ، فقد ذكر بأنّ الولايات المتحدة ستتّبع " سياسة ترمى إلى معاكسة نموّ قوّة (الصين) هذه "، و " تتمسّك بالتدابير الرامية إلى مقاومة هذه القوّة ".

و بين 22 شباط (فبراير) و 3 آذار (مارس) قام أيزنهاور بزيارة أميركا الجنوبية مدافعا عن تعزيز " نظام القارّة الأميركية بكاملها " ، مادحا مؤتمر سانتياغو لوزراء خارجيّة منظّمة الدول الأميركيّة الذى عقد فى آب (أغسطس) من العام الماضي ، و الذى كان يهدف إلى التدخّل فى كوبا . و أكثر من ذلك ، فقد ذكر بأنّ الولايات المتّحدة ستواصل التمسّك بما يدعى " مبدأ مونرو" الذى يعتبر أنّ القارة الأميركية تتبع الولايات المتّحدة .

و فى 26 شباط (فبراير) و بعد إرسال القذائف الموجّهة بإستمرار إلى كوريا الجنوبية إنتهاكا لإتّفاقية الهدنة الكوريّة ، أطلقت الولايات المتّحدة علنا قذيفة موجّهة من نوع " ماتادور" فى أوزان فى كوريا الجنوبية .

و فى 29 شباط (فبراير) رفضت الولايات المتّحدة ، فى مذكّرة جوابيّة إلى الحكومة الكوبيّة ، طلب الحكومة الكوبيّة بأن تمتنع الولايات المتّحدة عن إتّخاذ التدابير التى يمكن أن تضرّ بالشعب الكوبي ، و ذلك كشرط ضروريّ لإستئناف المحادثات الأميركية – الكوبية . و مضت تهدّد معلنة أنّ الولايات المتحدة تبقي حرّة فى إتخاذ " أيّة خطوات " تراها ضروريّة . و قبل هذا و بعده كانت الطائرات الأميركية تضرب كوبا بالقنابل بإستمرار . و إستنادا إلى بيان 14 آذار (مارس) الذى أصدره رئيس الوزراء الكوبي ، كاسترو ، فإنّ الطائرات الأميركية أغارت على كوبا أكثر من أربعين مرّة .

و فى 9 آذار (مارس) قال مساعد ناظر الخارجية الأميركية للشؤون الأفريقية ج.س. ساترثوايت ، بأنّ الولايات المتحدة لها " مصالح سياسيّة و عسكريّة خاصة " فى شمال أفريقيا . و قال : " و من المهمّ جدّا أيضا أن تبقى الولايات المتّحدة على حقوقها فى إستخدام قواعد هامة معيّنة لها فى أفريقيا ؛ و أن تواصل الولايات المتّحدة و حليفاتها الحصول على موارد واسعة من المواد الهامة فى أفريقيا ، و بصورة رئيسية المواد المعدنيّة ". و ذكر أيضا أنّ ثمة حاجة " للتنسيق بين نهوض القومية (فى أفريقيا) و طرق الإنتقال المنظّم من الماضى إلى المستقبل ".

و فى 16آذار (مارس) بدأت الولايات المتّحدة و طغمة شيانغ كاي شيك مناورات عسكرية واسعة النطاق فى مضائق تايوان إشترك فيها 50000 من القوّات الأميركية .

وقال أيزنهاور فى نفس اليوم ، و هو اليوم التالي لإصدار البيان المشترك بين أيزنهاور و أيدناور، " لقد إتّفقنا على أنّه لم يكن هناك تغيير فى السياسة من أي جانب من الجانبين " و قال " إنّنا لن نتخلّى عن حقوقنا فى برلين ".

و فى 21 آذار (مارس) إعتدت السفن الحربية الأميركية مرّة أخرى على مياه الصين الإقليمية . و أصدرت الحكومة الصينية تحذيرها الخطير ال93 للولايات المتّحدة . و فى الفترة منذ تشرين الأوّل (أكتوبر) 1959 حتى هذا الوقت إعتدت الولايات المتحدة على المياه و الأجواء الإقليمية للصين 21 مرّة .

و فى 30 آذار (مارس) أكّد أيزنهاور بأنّه حتى لو وافقت الولايات المتّحدة الآن على توقيع إتّفاق لإيقاف التجارب النوويّة بصورة مؤقّتة ، فإنّ هذا لا يلزم الرئيس الأميركي التالي . و قال بأنّ " أي خلف له الحقّ فى أن يمارس رأيه فى هذا الأمر". و سار هيرتر شوطا أبعد من ذلك فقال فى الثامن من نيسان (ابريل) إنّه من وجهة النظر القانونية فإنّ " مقدرة أيزنهاور على ربط الولايات المتّحدة بإلتزامات لفترة أطول من الزمن " " تبقى محصورة خلال فترة رئاسته فقط ".

و فى 4 نيسان (ابريل) صدق أيزنهاور رسميّا على مشروع التطوير العاجل للقذائف البالستيكية العابرة للقارات ، و الغواصات النوويّة التى تطلق القذائف الصاروخية من نوع " بولاريس" . و تفيد الأنباء أن حكومة الولايات المتحدة تستعدّ لزيادة عدد القذائف الصاروخية العابرة للقارات المقرّر إنتاجها خلال ثلاث سنوات من 270 قذيفة إلى 312 ، و عدد الغواصات النوويّة من 7 إلى 40.

و فى 9 نيسان (أبريل) جعجع ر. س. بنسون ، قائد قوّة الغواصات التابعة للأسطول الأميركي فى المحيط الهادي ، بأنّ الولايات المتّحدة ستستخدم 30 غوّاصة من الغواصات النوويّة التى تطلق القذائف الصاروخيّة من نوع " بولاريس" لتطويق الإتحاد السوفياتي و البلدان الإشتراكية الأخرى .

و فى 14 نيسان (ابريل) عارض إيتون مندوب الولايات المتحدة فى إجتماع لجنة الدول العشر لنزع السلاح ، الإقتراح الذى تقدّمت به البلدان الإشتراكية ، بأن تتعهّد جميع الأمم التى تملك الأسلحة النوويّة بأنّ لا تكون البادئة بإستخدامها ، و أكّد مرّة أخرى بأنّ الولايات المتّحدة لا تستطيع أن تقبل الإقتراح السوفياتي لنزع السلاح العام الشامل .

و فى 20 نيسان (ابيرل) ألقى ديلون وكيل نظارة الخارجية الأمريكية خطابا هاجم فيه سياسة الإتحاد السوفياتي الخارجية ، و طعن بالإتّحاد السوفياتي زاعما بأنّه يبيّت " مطامع توسعية " . و قال " إن تعبير " التعايش" هو فى الحقيقة تعبير مخيف و مستهجن". و إنّه يجب أن " يقذف فى سلّة المهملات ".. و راح يهذى حول " إبقاء و تعزيز" قوّة الولايات المتحدة العسكرية و نظام كتلها العدوانيّة العسكريّة .

وفى نفس اليوم قام العصاة فى فنزويلا الذين تؤيّدهم الولايات المتّحدة بتمرّد مسلّح محاولين الإطاحة بالحكومة الفنزويليّة .

إنّ الحقائق المدوّنة هنا ، بالطبع ، بعيدة عن أن تستنفد ، وهي تستند فقط إلى معلومات نشرتها علنا حكومة الولايات المتحدة و الصحف و المجلات الأميركية . و مهما يكن من أمر ، فإنّنا نودّ أن نسأل : اليست كلّ هذه حقائق ؟ أوليست هذه هي الحقائق الأساسية لسياسة الولايات المتّحدة الراهنة ؟ و هل يمكن أن يقال بأن هذه الوقائع فى سياسة الولايات المتحدة ليست إلاّ مخلّفات تافهة غير مهمّة من العهود السابقة ؟ طبيعي أنّ الحقائق لا تؤيد هذا . فالحقيقة هي أنّنا ، حتى بعد محادثات كامب دافيد ، و حتى عشيّة مؤتمر الذروة بين الشرق و الغرب ، لا نرى أبدا أي تغيّر جوهري فى السياسة الحربيّة للإستعمار الأميركي ، و لا فى السياسة التى تتّبعها حكومة الولايات المتّحدة و أيزنهاور شخصيّا . فالإستعمار الأميركي ليس فقط يبذل قصاري جهوده لتوسيع قوّته العسكريّة العدوانيّة ، و لكنّه أيضا يساعد قوى العسكريّة فى ألمانيا الغربيّة و اليابان بشكل محموم ، و يحوّل هذين البلدين إلى بؤرة حرب جديدة . و يجب أن يفهم أنّ كلّ هذا يؤثّر على مصير الجنس البشري بأسره . و إنّها لضرورة لازمة ، مقاومة العسكريّة فى ألمانيا الغربيّة و اليابان ، و العسكرية التى تغذى من قبل الولايات المتحدة فى البلدان الأخرى ، و لكن سياسة الحرب التى ينتهجها الإستعمار الأميركي هي التى تلعب الآن و قبل كلّ شيء ، الدور الحاسم فى كلّ هذا. والتغاضي عن هذه النقطة ، هو تغاض عن جوهر الأمر و أصله . و لذلك ، فإن لم تركّز الشعوب المحبّة للسلم فى العالم بأسره قوّتها على مواصلة فضح سياسة الحرب التى تنتهجها سلطات الولايات المتحدة فضحا حازما ، و إذا لم تخض نضالا دؤوبا ضدّها ، فإنّ النتيجة ستكون حتما كارثة فادحةً.

فكيف يحقّ للشعب الصيني الذى يقف فى الصفوف الأمامية للنضال من أجل السلم سويّة مع شعوب الإتحاد السوفياتي ، و البلدان الإشتراكية الأخرى، أن يلوذ بالصمت حول جميع هذه الحقائق ؟ و أي حق لنا فى أن ندع الأميركيين يقترفون ، و يقولون ، و يعرفون كلّ هذه الأمور ، و أن لا ندع شعوب الصين و البلدان الأخرى تعرف حقيقة الأمور؟ فهل ممّا يسيء إلى السلم ، و يزيد التوتّر ، أن نوضح الوضع الحقيقي للأمور إلى الرأي العام الصيني و العالمي ، و ممّا يساعد السلم و يخفّف التوتّر أن نخفي الحقيقة فقط ؟ و هل بهذه الطريقة " يصان " السلم حسب منطق المستعمِرين الأمريكيّين؟ أو هل هذا هو " السلم فى الحرّية " الذى أشار إليه أيزنهاور و من هم على شاكلته ؟

إن المستعمِرين الأميركيين ، الذين يدبّرون بنشاط حربا جديدة ، يأملون حقّا أن نخفي الوضع الحقيقي للأمور؛ و يأملون أن نتخلّى عن وجهة نظر الماركسية - اللينينية ، وأن نؤمن بأنّ طبيعة الإستعمار يمكن أن تتغيّر، أو حتى أنّها قد تغيّرت ؛ و يأملون أن نفعل فى النضال لصيانة السلم العالمي كما يفعل المسالمون البورجوازيون تماما ، أي يأملون ألاّ نعبئ و لا نعتمد على أوسع الجماهير الشعبيّة التى تقف ضد الإستعمار ، و ضد الحرب الإستعماريّة ، و ضد العدوان الإستعماري ، و يأملون أن نبالغ قدر الإمكان فى تقدير إيماءات السلم التى أجبرت القوى الإستعمارية العدوانيّة على إظهارها ، و أن

نجعل الجماهير غافلة ، أو أن نبالغ فى تقدير القدرة الحربيّة للقوى الإستعماريّة العدوانيّة ، و بذلك نوقع الجماهير الشعبية فى هلع . و بإختصار فإنّ المدبّرين لحرب جديدة يأملون أن نتظاهر مثلهم بأنّنا نريد السلم أو أن نريد سلما زائفا ، حتى يتمكّنوا فجأة من فرض الحرب على الشعوب ، تماما كما فعلوا فى الحربين العالميّتين الأولى و الثانية .

و لكن ، إسمعوا أيّها المدبّرون لحرب جديدة ! إنّ آمالكم لن تتحقّق أبدا . فطالما أنّنا نريد السلم حقّا ، و نريد سلما حقيقيّا ، فإنّنا لن نقع أبدا فى شرككم . و يجب علينا أن نواصل فضح جميع مؤامرات المستعمِرين الأميركيين و المستعمِرين الآخرين و مكائدهم التى تضرّ السلم ، و أن نبذل أقصى ما فى وسعنا لتعبئة الجماهير الواسعة التى تقف ضد الإستعمار و الحرب الإستعمارية و العدوان الإستعماري ، و كي تخوض نضالا عنيدا ضد المدبّرين لحرب جديدة ، ونجعلها تحتفظ، فى هذا النضال ، بيقظة عالية و ثقة قوّية ، و أن نكافح ، إلى النهاية ، لمنع حرب جديدة . و بهذا فقط نكون ، فعلا ، نرغب فى السلم ، و نحصل على سلم حقيقيّ . و بغير ذلك نكون مدّعين برغبتنا فى السلم ، أو أنّنا لا نحصل إلاّ على سلم زائف .

و مع أنّ طبيعة الإستعمار ، كما قلنا سابقا ، لا يمكن أن تتغيّر ، فإنّنا واثقون تماما بأنّه إمّا واصلت القوى الجبّارة المدافعة عن السلم خوض نضال موحّد حازم ، فإنّ بوسعها حتما أن تقيم صفّا من الحواجز يمنع المستعمِرين من إقتراف ما يريدون ، حسب ما تمليه عليهم طبيعتهم . و أكثر من ذلك ، ففى حالة الطوارئ ، كما جاء فى بيان موسكو :

" ... إذا ما غامر مجانين الحرب المستعمِرين ، بالرغم من كلّ شيء ، بشنّ حرب ، فإنّ الإستعمار سيحكم على نفسه بالدمار، لأنّ الشعوب لن تصبر بعد الآن على النظام الذى يسبّب لها تلك الآلام القاسية ويستلزم منها التضحيات الفادحة ".

و لقد كان من الضروري حتما ، أن يشير بيان موسكو إلى هذا . و لم يكن ذلك ليضعف أفق السلم بل ليعزّزه . لأنّه بهذا فقط لا تتجرّد شعوب مختلف البلدان من تسلّحها المعنوي ، و لا تخضع لتهويل مجانين الحرب وتهديدهم ، و لا تقع فى الذعر و الحيرة إذا ما إنفجرت الحرب ، لسوء الحظّ ، فى النهاية .

إنّ المرونة ، و الصبر ، و التفهّم المعيّن ، و المصالحة المعيّنة هي أمور ضرورية للتوصّل إلى التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة . و إنّ الشعب الصينيّ فى نضاله ضد الأعداء الداخليّين و الخارجيّين ، لم يرفض فى الماضي إجراء تسويات لا تضرّ بالمصالح الأساسيّة للشعب ، و لن يرفض القيام بذلك فى المستقبل . و إنّ الشعب الصيني يؤيّد بحرارة جهود_الرفيق خروتشوف و الحكومة السوفياتية فيما يتعلّق بمحادثات الذروة بين الشرق و الغرب ، وهو أكثر من ذلك ، يأمل أن تغيّر الحكومة الأميركية الموقف المتعنّت الذى إتّخذته حتى الآن ، و بذلك جعل من الممكن للمحادثات أن تتوصّل إلى الإتّفاقيات التى تنتظرها الشعوب ، حول مسائل نزع السلاح ، و وقف تجارب الأسلحة النوويّة ، و مسألتي برلين الغربية و ألمانيا ، و مسألة إنفراج الوضع الدولي .

ولكن النضال من أجل السلم العالمي هو نضال طويل الأمد ، فالإستعمار لن يقبل بسهولة أيّة إتّفاقية مؤاتية للسلم . و أكثر من ذلك ، فإنّ ما لا يحصى من الحقائق التاريخيّة يثبت أن ما يوافق عليه المستعمِرون يمكن أن ينقضوه أيضا فى أيّ وقت يشاءون . و لذلك فالنضال ضروري سواء للتوصّل إلى إتّفاقيات فى صالح السلم ، أو التمسّك بهذه الإتّفاقيات لدى التوصّل إليها ، و قد أصاب لينين إذ قال :

" لقد إنتشر الآن النضال من أجل السلم ؛ و هذا نضال صعب . فمن يظنّ أنّ من السهولة إحراز السلم ، و من يظنّ أنّه ما علينا إلاّ أن نذكر السلم حتى يقدّمه لنا البرجوازيّون على طبق ، فهو شخص ساذج تماما . و من يحاول أن يعزو هذا الرأي إلى البلاشفة فإنّه يمارس الخداع . و الراسماليون يستميتون فى القتال بغية إقتسام الغنائم . فمن الواضح أن سحق الحرب هو قهر رأس المال . و بهذا المعنى بالضبط بدأت الحكومة السوفياتية النضال ". (**" خطاب فى المؤتمر الأوّل لممثّلى بحريّة عامة الروسيا ".**)

و بسبب أن الحرب الحديثة هي حصيلة طبيعة الإستعمار ، وأنّ طبيعة الإستعمار لا يمكن أن تتغيّر ، لهذا السبب بالذات ، فإنّ النضال لتحقيق السلم العالمي وصيانته ، هو بالضرورة ، نضال مديد معاد للإستعمار . و لهذا فإنّ نشر نظريّة لينين عن الإستعمار بصورة متكرّرة ، و فضح جوهر الإستعمار ، و جميع حيله الخادعة ، أصبح مهمّة ملحّة فى قضيّة السلم فى الوقت الراهن .

فما دام الإستعمار هو مصدر الحرب الحديثة ، فإنّ من الضروري ، فى النضال من أجل السلم العلمي ، الإتّحاد مع جميع القوى التى تقف ضد الإستعمار ، و الحرب الإستعمارية ، و العدوان الإستعماري . و قد نصّ بيان موسكو :

" إنّ الذى يصون قضية السلم هو هذه القوى الجبّارة لعصرنا : معسكر البلدان الإشتراكية الذى لا يقهر ، و على رأسه الإتحاد السوفياتي ؛ و بلدان آسيا و أفريقيا الشغوفة بالسلم و التى تأخذ موقفا معاديا للإستعمار و تشكل سويّة مع البلدان الإشتراكية منطقة سلم واسعة ؛ و الطبقة العاملة العالمية ، و فوق كلّ شيء طليعتها – الأحزاب الشيوعية ؛ و حركة تحرّر شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات ؛ و حركة السلم الجماهيريّة لشعوب العالم . إنّ القوى التى تقاوم بحزم مشاريع حرب جديدة هي ، إلى جانب القوى المذكورة آنفا ، شعوب البلدان الأوروبية التى أعلنت الحياد ؛ و شعوب اميركا اللاتينية ، و الجماهير الشعبية فى البلدان الإستعماريّة . و إنّ تحالف هذه القوى الجبّارة يستطيع منع الحرب ".

إنّ المستعمِرين ، و خصوصا المستعمِرين الأميركيين ، لا يدعون حجرا إلاّ و يقلبونه ، فى محاولتهم لشقّ هذا النضال الموحّد . إنّهم يحلمون بوضع النضال من أجل السلم العالمي فى موضع مضاد لحركات الإستقلال الوطني فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية ، و لنضالات الشعوب من أجل الحرّية و الديمقراطية و الإشتراكية . و يحاورون بأنّه طالما أن السلم مرغوب فيه ، فإنّ الأمم المضطهَدة يجب أن لا تقاوم العدوان ، و الشعوب المستغلّة يجب أن لا تهبّ إلى الثورة . حتى أنّهم يقولون إنّ من واجب البلدان الإشتراكية ، فيما يظهر ، أن تمنع شعوب البلدان الأخرى من القيام بالثورة . إنّ كلّ هذا محض هراء .إنّ الماركسيين - اللينينيّين ، كما يعرف كلّ إنسان ، قد آمنوا دائما بأنّ الثورة ، بالنسبة إلى الأمم المضطهَدة أو الشعوب المستغلّة ، لا يمكن أن تصدّر . و كذلك لا يقدر أحد و لا يحقّ له أن يمنع الثورة . فالثورات الحديثة تنبع بصورة أساسيّة من العدوان و الإضطهاد و النهب الإستعماري للأمم المتأخّرة و الجماهير الشغيلة داخل البلدان الإستعمارية نفسها . و لهذا و طالما أنّ الإستعمار لن يتخلّى عن عدوانه ، و إضطهاده ، ونهبه ، و طالما أن الإستعمار يبقى إستعمارا ، فإنّ الشعوب المضطهَدة فى مختلف البلدان لن تتخلّى عن ثوراتها الوطنية ، و ثوراتها الإجتماعية .

إنّ البلدان الإستعمارية لم تتوقّف حتى هذه اللحظة عن التدخّل فى الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى ، بما فيها البلدان الإشتراكية ، وهي مع ذلك تروّج كذبا أنّ البلدان الإشتراكية تتدخّل فى شؤون البلدان الأخرى الداخليّة . و بالطبع ، فإنّ البلدان الإشتراكيّة لا تتدخّل فى شؤون البلدان الأخرى ، بما فيها البلدان الإستعمارية . و مع ذلك ، فإن الدول الإستعمارية تحاول الآن إجبار أو إغراء البلدان الإشتراكية على مساعدتها للتدخّل فى شؤون البلدان الأخرى الداخليّة ، أليس هذا بطلان إلى أقصى الحدود ؟

و طالما أنّ الإستعمار باق ، و يواصل إنتهاج سياسات العدوان ، و الإضطهاد ، و النهب ، بوسائل العنف ، فإنّ البلدان الإشتراكية تأخذ دائما موقف العطف و التأييد للأمم المضطهدَة و الشعوب المستغلّة فى مقاومتها للإستعمار . ذلك لأنّ نضالها يمثّل إرادة الشعب ، و يضعف القوى الإستعمارية ، و لأنّه فى صالح السلم العالمي . أليس سخيفا إلى أقصى الحدود ، التفكير بأنّ تطوّر هذا النضال و التأييد المقدّم له ليسا فى صالح السلام ؟

إنّ البلدان الإشتراكية و شعوب العالم المعادية للإستعمار و الشغوفة بالسلم ، تناضل جميعها لوضع حدّ للحرب . و كلّما كانت قوّة البلدان الإشتراكية و القوّة المعادية للإستعمار و المحبّة للسلم فى دول العالم أعظم ، كانت إمكانية منع الحرب أكبر. و لهذا فإنّ تقوية البلدان الإشتراكية ، و حركة التحرّر الوطني ، و حركة تحرير البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية ، و زيادة القوى المحبّة للسلام فى دول العالم ، تجعل من الممكن ، بصورة أكثر فعاليّة ، منع الحرب الإستعمارية و الدفاع عن السلم العالمي .

و المهمّة العظمى الثالثة للشعب الصيني فى الإحتفال بالذكرى التسعين لمولد لينين هي تقوية و تعزيز الصداقة و التضامن مع الشعوب الأخرى و بالدرجة الأولى مع البلدان الإشتراكية ، و على رأسها الإتحاد السوفياتي .

إنّ الماركسية - اللينينية ، هي الأمميّة البروليتارية الحقيقية . و قد كانت منذ بدايتها ظاهرة أمميّة . فإنتصار الثورة الصينيّة و تقدّم البناء الإشتراكي فى جمهورية الصين الشعبيّة متعلّقان بشكل لا ينفصم بالتأييد الأممي البروليتاري . و إنّ الشعب الصيني يشكر إلى الأبد هذا التأييد ، و لن ينسى مطلقا ، واجبه فى أن يؤيّد ، بجهوده الخاصة ، البروليتاريا

العالميّة ، و الأمم المضطهَدة . و لهذا السبب ، بالذات ، أشار الرفيق ماو تسى تونغ بقوّة عشيّة تأسيس جمهوريّة الصين الشعبيّة قائلا :

" إذا لخصنا تجاربنا و ركّزناها فى نقطة واحدة وجدناها : ديكتاتورية الشعب الديمقراطية بقيادة الطبقة العاملة (عن طريق الحزب الشيوعي) و على أساس تحالف العمّال و الفلاّحين . و هذه الديكتاتورية يجب أن تتوحّد مع القوى الثوريّة العالميّة. هذا هو صيغتنا ، و تجربتنا الرئيسية ، و منهاجنا الأساسي ."

و لهذا السبب ، بالذات ، يوجد أيضا ، كما هو معروف تماما ، شعاران مكتوبان بالحروف الكبيرة على الجدار فى تينآمن فى بيكين أحدهما " عاشت جمهورية الصين الشعبية ! " و الثاني " عاشت الوحدة العظمة لشعوب العالم ! ".

إن الشعب الصيني ، فى جميع الأوقات ، بحاجة إلى التمسّك بالصداقة و التضامن مع الشعوب الأخرى . و الشعب الصيني سعيد بأن يرى أن الوحدة الأخويّة بيننا و بين البلدان الأخرى فى المعسكر الإشتراكي ، على رأسه الإتّحاد السوفياتي العظيم ، تتنامي يوميّا ، و أنّ صداقتنا مع شعوب آسيا ، و أفريقيا ، و أميركا اللاتينيّة التى تحبّ السلم و تقاوم العدوان الإستعماري ، تتّسع من يوم إلى آخر ، و أنّ إتّصالاتنا الوديّة مع الشعوب فى البلدان الرأسمالية الأخرى ، تتزايد أيضا بمرور كلّ يوم . و على هذا الأساس ، سيعزّز الشعب الصيني بجهود لا تكلّ ، صداقتنا و تضامننا مع جميع الشعوب الأخرى ، و ذلك لخوض نضال مشترك من أجل المصالح المشتركة لجميع الشعوب .

إن المستعمِرين و خصوصا المستعمِرين الأميركيين فى محاولتهم نسف تضامن شعوب العالم ، يحرضون بشكل محموم على حملات معادية للصين فى بلدان معيّنة . ولكن هذه الحملات لم تحظ و لن تحظى أبدا بتأييد من الشعوب ، لأنّها حملات لا مبرّر لها أبدا . إنّ الشعب الصيني يبنى ، بكدّ ، حياة سلمية جديدة فى بيته ، و يعمل بما فى وسعه لأن يعيش بصداقة مع جيرانه ، فهو لم ينطلق إلى أي بلد أجنبي أو إلى ما وراء بحاره ليقيم قواعد عسكرية ، و قواعد للقذائف الموجّهة ، فلماذا يلقى العداء إذن ؟ و نحن نعلم أنّ الإتّحاد السوفياتي الذى خلقه لينين ، كان بلدا مسالما ، و مع ذلك تعرّض للطعن و الهجوم خلال فترة طويلة من الزمن ، من جانب أناس معادين للسوفيات لأغراض داخليّة معيّنة فى بعض البلدان الكبيرة و الصغيرة (بما فيها بعض الدول التى ساعدها الإتحاد السوفياتي كالصين ، مثلا ، أثناء حكم الكومنتنغ). و لكن هذا لم ينجح بإلحاق الضرر بالإتّحاد السوفياتي ، و إنّما فضح فقط حقيقة العناصر المعادية للسوفيات على أنّها ضد السلم و الشعب . و الحملات المعادية للصين التى يحرّض عليها المستعمِرون و الرجعيّون فى بلدان معيّنة ستنتهى حتما إلى نفس المصير .

إنّ المستعمِرين ، و التحريفيّين المعاصرين المتواطئين معهم ، و حفنة من الرجعيّين فى مختلف البلدان ، مسعورين بشكل خاص ، فى الوقت الحاضر ، فى محاولتهم لشقّ الوحدة الأخويّة التى لا تنفصم عراها بين الصين و البلدان الإشتراكية الأخرى بمختلف الوسائل الدنيئة ، و مثيرو الوقيعة هؤلاء هم خبثاء و أغبياء إلى أبعد الحدود . إنّهم لن يستطيعوا أن يفهموا أبدا أنّ وحدة البلدان الإشتراكية قد تشكّلت و تنامت تحت راية الماركسية – اللينينية العظيمة التى لا تتزعزع . يقول بيان موسكو :

" إنّ كون البلدان الإشتراكية متضامنة فى أسرة كبرى موحّدة يرجع إلى أنّها تتّبع الطريق الإشتراكي المشترك ، و إلى الجوهر الطبقي المشترك لنظامها الإجتماعي و الإقتصادي و سلطة الدولة ، و إلى حاجتها للمساعدة و التأييد المتبادلين . و إلى مصالحها و أهدافها المشتركة فى النضال ضد الإستعمار و لتحقيق إنتصار الإشتراكية و الشيوعية ، و إلى إيديولوجية الماركسية – اللينينية المشتركة بينها جميعا ".

إنّ حقيقة أن المستعمِرين و التحريفيين المعاصرين و حفنة من الرجعيين فى مختلف البلدان يحاولون بشراسة إيجاد هذا الشقاق ن لا تدلّ على مناعة موقعهم ؛ و لكنّها تظهر انّهم يقتربون من حتفهم . إنّ إنتصارات اللينينيّة السريعة فى نصف القرن الماضي ، و بصورة خاصة فى الخمس عشرة سنة منذ الحرب العالمية الثانية ، قد وضعتهم على نار . فأمام هذه الإنتصارات التى هزّت الأرض و التى تدعمها أوسع الجماهير ، لم يعد الإستعمار الذى يحاول عبثا السيطرة على العالم ، فى الحقيقة ، أكثر من " عملاق من طين " ، كما وصفه لينين فى مقاله " **خلاصة أسبوع تجنيد أعضاء الحزب فى موسكو و مهماتنا** " . و من الطبيعي أن يكونوا معادين للتطوّر الكاسح و التضامن الراسخ للحركة الإشتراكية ، و حركة الإستقلال الوطني تحت راية لينين . و لكن كلّما أكثروا الشتم ، دلّ ذلك بوضوح اكثر على إنتصار اللينينية المحتّم . و قد

كان لينين يبتهج عندما يهاجم من قبل أعداء الثورة ، لأنّ هذا يبرهن تماما على أنّه مصيب ، و أكثر من مرّة إقتبس فى كتاباته الأبيات التالية للشاعر الروسي الكبير نيكراسوف :

إن الإفتراءات تنهال عليه

وهو يريد سماع الإستحسان

لا فى أصوات المديح العذبة

بل فى حمأة الشتائم و الإنفعال !

فهل لا تثبت صحّة اللينينية بشتائم الأعداء الحانقة ، و إنّما بمديحهم ؟

إنّ الشعب الصيني فى جهوده لبناء الإشتراكية ، وصيانة السلم و مقاومة الحرب ، و تعزيز وحدة القوى الثوريّة فى مختلف الدول ، قد هوجم دائما و بشكل محموم من قبل أعداء الثورة . و لكن كلّ هذا قد برهن تماما على أنّ الطريق التى إختارها الشعب الصيني هي الطريق الصحيحة . و إنّ الشعب الصيني سيتقدّم دائما ببسالة فى طريق لينين العظيم نحو إنتصار قضية الإشتراكية فى جميع أنحاء العالم !

و لا شكّ مطلقا أنّ الماركسية – اللينينية ستحقّق حتما إنتصارات أعظم ، ليس فقط فى الإتّحاد السوفياتي ، و الصين ، و البلدان الإشتراكية الأخرى ، و إنّما أيضا فى جميع بلدان العالم الأخرى . بالطبع ، إنّ التاريخ يتطوّر بصورة غير متساوية . و مع ذلك فإنّ التعرّجات و الركود فى مجرى التطوّر الطويل للتاريخ الإنساني ليست إلاّ ظواهر جزئيّة و مؤقتة .

لقد أشرنا فى بدء هذا المقال إلى مقالة " **المصير التاريخي لتعاليم كارل ماركس** " التى كتبها لينين عام 1913 . فقد أشار لينين فى هذه المقالة ، بصورة خاصة ، إلى أنّ آسيا هي مصدر جديد لعواصف عالمية ، لأنّه ، فى ذلك الحين ، كان ركود نسبيّ فى تطوّر الثورة فى أوروبا . و إستنتج لينين إذّاك أنّ هذا الركود ليس إلاّ ظاهرة عابرة سطحيّة و أن الفترة التالية من التاريخ ستمكّن الماركسية ، مبدأ البروليتاريا ، من تحقيق إنتصارات أعظم .

و كتب لينين :

" عندما يكون الإنتهازيون ما يزالون يتغنّون بكلّ قوتهم ب" السلم الإجتماعي" و يطبّلون و يزمّرون بأنّ فى الإمكان تفادي العواصف فى ظلّ " النظام الديمقراطي " يكون مصدر جديد لعواصف عالمية عظمى قد إنبثق فى آسيا ... و بعد آسيا ، بدأت أوروبا تتحرّك أيضا . و لكن ليس بالأسلوب الآسيوي ... فسياق التسلّح المحموم و سياسة الإستعمار يحوّلان " السلم الإجتماعي" فى أوروبا الحديثة ، إلى شيء أشبه ببرميل من البارود . و فى نفس الوقت فإنّ عملية تفكّك **جميع** الأحزاب البرجوازية و نضوج البروليتاريا تسير قدما إلى أمام ".

إنّ نبوءة لينين العلميّة هذه تحقّقت فى روسيا فى عام 1917 ، ثمّ تحقّقت على نطاق أوسع بعد إنتهاء الحرب العالميّة الثانية . إنّ المصادر الجديدة لعواصف عالمية قد نبعت اليوم لا فى آسيا فقط ، بل فى أفريقيا و أميركا اللاتينية أيضا . فلم يعد للإستعمار مؤخّرة مأمونة على أي بقعة من بقاع هذه الأرض . و ما زالت توجد الآن درجة معيّنة من " السلم الإجتماعي " فى بعض بلدان أوروبا الغربيّة و أميركا الشمالية . و لكن تبعا لسياق التسلّح المسعور و السياسات الإستعمارية لهذه البلدان ، و بسبب قوّة المعسكر الإشتراكي ، و على رأسه الإتّحاد السوفياتي ، و نهوض حركات الإستقلال الوطني و الحركات الشعبية الثورية ، و تبعا للشعبيّة المتزايدة لحركة السلم ، فإنّ " السلم الإجتماعي " فى هذه البلدان الغربيّة يتحوّل فى الجوهر أكثر فأكثر إلى برميل من البارود ، كما وصفه لينين ، فليناضل الشعب الصيني و شعوب العالم الأخرى معا لتحرز اللينينيّة ، النظرية الماركسية لعصر الإستعمار و الثورة البروليتارية إنتصرات أعظم فى الفترة التاريخية المقبلة !

==

لنتّحد تحت راية لينين الثورية

التقرير الذى ألقي فى الإجتماع الذى عقدته اللجنة المركزية

للحزب الشيوعي الصيني في بيكين فى 22 نيسان (ابريل) سنة 1960

للإحتفال بالذكرى التسعين لمولد لينين

بقلم : لو تنغ يي

أيها الرفاق و الأصدقاء :

يصادف اليوم 22 نيسان (ابريل) الذكرى التسعين لمولد لينين العظيم .

لقد كان لينين معلّما ثوريّا عظيما ، بعد ماركس و إنجلز ، للبروليتاريا ، و الشغّيلة ، و الأمم المضطهَدة فى العالم بأسره . ففى ظلّ الظروف التاريخية لعصر الإستعمار ، و فى لهب الثورة الإشتراكية البروليتارية ، دافع لينين بحزم عن التعاليم الثورية لماركس و إنجلز و طوّرها . إن اللينينيّة هي ماركسية عصر الإستعمار و الثورة البروليتارية ، و إنّ إسم لينين فى نظر شغّيلة العالم بأسره ، رمز إنتصار الثورة البروليتاريّة ، رمز إنتصار الإشتراكية و الشيوعية .

و عندما وُلد لينين ، منذ تسعين عاما مضت ، كانت البشريّة ما تزال تحت حكم الرأسماليّة المظلم . و قد قاد لينين و الحزب البلشفي الروسي البروليتاريا و الشغّيلة الروس فحطّموا سلسلة الإستعمار العالمي ، وأطاحوا بحكم العنف البرجوازي ، بإستخدام العنف الثوري ، و أحرزوا النصر فى ثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى ، و أسّسوا أوّل دولة لديكتاتورية البروليتاريا ، و فتحوا عصرا جديدا فى تاريخ البشريّة . لقد جعلت ثورة أكتوبر حلم الشغّيلة و البشريّة التقدّمية منذ آلاف السنين حقيقة واقعة ، فأقامت ، لأوّل مرّة فى التاريخ ، مجتمعا متحرّرا من إستثمار إنسان لإنسان ، فوق سدس الكرة الأرضيّة . و قد حاول المستعمِرون عبثا خنق هذه الدولة السوفياتيّة التىُ ولدت حديثا . و قامت أربع عشرة دولة رأسمالية بالتدخّل المسلّح ، بالتواطؤ مع القوى المعادية للثورة فى روسيا آنذاك . و قد قاد لينين و البلاشفة ، الطبقة العاملة السوفياتية البطلة و الشغيلة السوفيات الأبطال ، فسحقوا التدخّل الإستعماري المسلّح و قضوا على العصيان المعادي للثورة فى الداخل . و قد أشار لينين إلى طريق البناء الإشتراكي ، و طريق التصنيع الإشتراكي ، و جماعيّة الزراعة . و بعد أن مات لينين قادت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى الإتّحاد السوفياتي و الحكومة السوفياتية و على رأسهما ستالين ، الشعب السوفياتي ، فى تنفيذ تعليمات لينين ، بحيث أن الإتّحاد السوفياتي ، الذى كان متأخّرا إقتصاديّا و تكنيكيّا ، أصبح بسرعة و فى فترة تاريخية قصيرة ، بلدا إشتراكيّا قويّا . و فى الحرب العالمية الثانية أصبح الإتحاد السوفياتي القوّة الرئيسية فى هزيمة العدوان الفاشستي ، و ساعد شعوب بلدان اوروبا الشرقية على تحقيق تحرّرها ، و ساعد شعوب البلدان الآسيوية على هزيمة الإستعمار الياباني ، مقوّيا إلى درجة كبيرة قضيّة الثورة البروليتارية ، و قضيّة التحرّر الوطني ، و مقدّما مساهمة عظيمة جدّا للسلم العالمي . و قد دخل الإتحاد السوفياتي الآن العصر التاريخي للبناء الشامل للشيوعية . فتحت قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي فى الإتحاد السوفياتي ، و الحكومة السوفياتية ، و على رأسهما الرفيق ن. س . خروشوف ، حقّقت فى الإتحاد السوفياتي إنجازات رائعة فى البناء الإقتصادي ، وتقدّم فيه العلم و التكنيك بقفزات و وثبات ، و أطلق الإتّحاد السوفياتي أوّل مجموعة فى العالم من الأقمار الصناعيّة الأرضيّة و الصواريخ الكونيّة ، فاتحا بذلك عصرا جديدا فى ترويض الإنسان للطبيعة . و قد حفّزت هذه الإنجازات الكبيرة شعوب العالم أجمع كثيرا فى نضالاتها ضد الإستعمار ، و من أجل التحرّر الوطني ، و الديمقراطية الشعبية ، و الإشتراكية ، و من أجل سلم عالمي أبدي .

إنّ حياة لينين كانت حياة ثوري بروليتاري عظيم ، أنفقت فى نضال عنيف ضد الإستعمار ، و ضد جميع أنواع الرجعيين و الإنتهازيين . و قد تطوّرت اللينينية فى النضالات ضد الإستعمار والإنتهازية . إنّ الميزة الخاصة للينينيّة ، لم تحي فقط، و بصورة تامة، المحتوى الثوري للماركسية الذى أضعفه محرّفو الأممية الثانية ، ولم تستعد فقط الحدّ الثوري للماركسية ، الذى ثلموه ، و لكنّها طوّرت أيضا المحتوى الثوري للماركسية تطويرا أكثر ، شحذت حدّها الثوري فى ظلّ ظروف تاريخية جديدة و على ضوء التجربة التاريخية الجديدة .

لقد تطوّرت الرأسمالية فى نهاية القرن التاسع عشر ، إلى مرحلة جديدة ، مرحلة الرأسماليّة الإحتكارية ، أو الإستعمار . و فى هذه المرحلة ظهرت جميع تناقضات الرأسمالية بصورة أكثر شمولا و عمقا . و وضع هذا مهمّة جديدة أمام الماركسيين ، تتطلّب أن يقوموا بتحليل جديد لهذه المرحلة الجديدة للرأسمالية . و لم يكن هناك غير لينين العظيم الذى حقّق هذه المهمّة .

فقد أعطى لينين تحليلا عميقا للطبيعة الجوهريّة للإستعمار ، و دحض بصورة تامة تبييض الإستعمار و الإعتذار له من قبل مرتدّي الطبقة العاملة كبرنشتين و كاوتسكي . و شرح لينين بصورة علميّة حقيقة أن الإستعمار هو الرأسماليّة الإحتكاريّة البالية المحتضرة ، و أنّه عشيّة الثورة الإشتراكية البروليتارية . ففى عصر الإستعمار تطوّرت التناقضات بين البورجوازيّة و البروليتاريا فى نفس البلد ، كما تطوّرت التناقضات بين البلدان الرأسمالية ، و التناقضات بين البلدان الرأسمالية الإستعمارية و المستعمرات و أشباه المستعمرات ، إلى درجة من الحدّة لم يسبق لها مثيل ، و هذه التناقضات لا يمكن أن تحلّ إلاّ بالثورات . و يحاول المستعمِرون أن يقضوا على سلسلة التناقضات ، المذكورة آنفا ، بإغراق الملايين و الملايين من الناس فى بحر من الدم فى الحروب بين القوى الإستعمارية ، و فى حروب الإعتداء على المستعمرات و أشباه المستعمرات ، و حروب القمع ضد البروليتاريا و الشغيلة فى بلدانهم أنفسها . و لكن على العكس من رغبة المستعمرين ، فإنّ الحروب الإستعمارية المعادية للثورة عاجزة عن القضاء على تناقضات الإستعمار، بل إنّها بالضبط ، تزيد من حدّة هذه التناقضات ، و تعجّل أكثر بإنفجار الثورة .

و كما هو معروف تماما ، فقد أشار لينين فى مؤلفه المشهور **" رسالة من بعيد "** بعد ثورة شباط (فبراير) الروسيّة فى عام 1917 ، فيما يتعلّق بمسألة الثورة الروسية إلى أنّ الحرب الإستعمارية التى شملت العالم كلّه حينذاك ، قد أصبحت " المخرج القدير" : ذلك أنّها كانت تزيد بشكل واسع من سرعة مجرى التاريخ العالمي ، مولّدة أزمات عالميّة ، إقتصادية و سياسية ، و وطنية ، و دوليّة ، متفاقمة تفاقما لا نظير له ؛ و قلبت فجأة عربة النظام القيصري الروسي القذرة الملطّخة بالدماء ، فى هذا الإنعطاف المفاجئ الذى لا مثيل له فى التاريخ العالمي ؟ (**" رسالة من بعيد "** ، 7 آذار (مارس) عام 1917، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلّد 23 صفحة 306).

إنّ الماركسيين – اللينينيين معارضون فى ظلّ أيّة ظروف للنظام الإستعماري و الحروب الإستعمارية . و يعتقدون بأنّ تناقضات نظام الإستعمار الرأسمالي نفسه ستسبّب ، بالضرورة و بصورة حتمية ، الثورة البروليتارية و ثورات المستعمرات و أشباه المستعمرات . إنّ إنتهازيي الأممية الثانية تملكهم ذعر قاتل من " قوّة " الإستعمار الظاهريّة فتركوا البورجوازيين يستأجرونهم و عملوا للإستعمار . و تمشّيا مع مصالح المستعمِرين روّجوا تأثيرات إصلاحية و إستسلامية بين جماهير العمّال و الشعب و قاوموا طريق الثورة . و عندما إنفجرت الحرب الإستعماريّة إنحدروا إلى الموقف المخزي ، موقف تأييد الحرب الإستعماريّة . و على النقيض من الإنتهازيين أخذ لينين دائما موقف الثوري البروليتاري و وقف فى الجبهة الأماميّة ضد الحرب الإستعماريّة . و قد فضح لينين الإنتهازيين و كشف عن وجههم الحقيقي كشركاء للمستعمِرين . و قاوم بقوّة و حزم الحرب الإستعمارية ؛ و عندما إنفجرت الحرب الإستعمارية دعا إلى وضع حدّ لها بشنّ حرب ثورية . و قد أشار لينين بأنّ " النظام الإشتراكي فقط يستطيع تحرير الإنسان من الحرب " (**" مهمّات جناح زيمرفولد اليساري فى الحزب الديمقراطي الإجتماعي السويسري"** ، تشرين الأول (أكتوبر) – تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1916، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلّد 23 صفحة 138.)

إنّ الروح الثورية لللينينيّة تظهر بصورة بارزة فى تعاليم الثورة البروليتارية ، و ديكتاتورية البروليتاريا . فمن أجل تحطيم " النظريات " التحريفيّة لكاوتسكي و أشباهه الرامية إلى تبييض نظام الديمقراطية البورجوازية ، و تخدير الروح الثورية للبروليتاريا ، أشار لينين مرارا إلى أنّ على الثورة البروليتارية أن تسحق جهاز الدولة البرجوازية و تستعيض عنها بديكتاتورية البروليتاريا ، فقال :

" إنّ الثانية (الدولة البرجوازية) **لا يمكن** أن تستبدل بالدولة البروليتارية (ديكتاتورية البروليتاريا) فى مجرى عملية " الزوال الطبيعي" ؛ فكقاعدة عامة يمكن أن يحدث هذا فقط عن طريق ثورة عنيفة ". و " هذا بالذات هو أساس تعاليم ماركس و إنجلز **بأسرها** " (**" الدولة و الثورة "** ، آب (أغسطس) – أيلول (سبتمبر) عام 1917، المجموعة الكاملة لمؤلات لينين – المجلد 25 صفحات 387- 388.)

وأشار لينين أكثر من ذلك إلى أنّ ديكتاتورية البروليتاريا هي إستمرار للصراع الطبقي بشكل آخر ، و فى ظلّ ظروف جديدة، و أنّها نضال دائب لقمع مقاومة الطبقات المستغِلّة ، و ضد العدوان الأجنبي ، و ضد القوى القديمة و تقاليدها . فبدون ديكتاتورية البروليتاريا لا يمكن أن يكون هناك إنتصار للإشتراكية . إنّ ديكتاتورية البروليتاريا هي نظام سياسي ديمقراطي أكثر بمليون مرّة من الديكتاتورية البورجوازية .

لقد طبّق لينين و طوّر بشكل نيّر الفكرة الماركسيّة عن الثورة المتواصلة و إعتبرها مبدأ أساسيّا موجّها للثورة البروليتارية . و بيّن لينين المبدأ القائل إنّ على البروليتاريا أن تستولي على قيادة الثورة الديمقراطية البورجوازية و تحوّل الثورة الديمقراطية البورجوازية ، بدون إنقطاع ، إلى ثورة إشتراكية . و أكثر من ذلك ، أشار لينين إلى أن الثورة الإشتراكية ليست الهدف النهائي ، بل يجب مواصلة التقدّم لتحقيق الإنتقال إلى المرحلة العليا من الشيوعية و قد قال :

" عندما نبدأ التحوّل الإشتراكي ، يجب أن نضع لأنفسنا ، بوضوح ، الهدف النهائي لهذا التحوّل ، أي هدف بناء المجتمع الشيوعي " (**" تقرير حول تعديل منهاج الحزب و تغيير إسمه "** ، ألقي فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) ، 8 آذار (مارس) عام 1918، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلّد 27 ، صفحة 114).

و إعتمادا على القانون المطلق للتطوّر الإقتصادي و السياسي غير المتساوي للرأسمالية ، توصّل لينين إلى نتيجة أنّ الإشتراكية ستحقّق الإنتصار أوّلا فى بلد واحد او عدّة بلدان . و إنّ التقدّم ، من إنتصار الإشتراكية فى بلد او عدّة بلدان إلى إنتصارها فى بلدان العالم بأسره ، سيستغرق عصرا تاريخيّا كاملا . و كان لينين ، على ثقة تامة بمستقبل الثورة العالمية . فقد قال فى مقاله الأخير **" الأفضل خير و إن كان أقلّ "** :

" إنّ نتيجة النضال ، فى التحليل النهائي ، ستقرّرها حقيقة أن روسيا ، و الهند ، و الصين إلخ تشكّل الأغلبيّة الساحقة من سكّان العالم . و هذه الأغلبيّة ، بالضبط ، هي التى إندفعت أيضا بسرعة غريبة ، فى السنوات القليلة الماضية ، إلى النضال من أجل التحرّر ، بحيث لا يمكن أن يكون فى هذا المجال ، أدنى ظلّ من الشكّ ، حول ما ستكون عليه النتيجة النهائية للنضال العالمي . و بهذا المعنى فإنّ الإنتصار النهائي للإشتراكية مضمون بصورة تامة و مطلقة ".(**" الأفضل خير و إن كان أقلّ "** ، 2 آذار (مارس) عام 1923، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلد 33 صفحات 453 -454 .)

إنّ النظام الرأسمالي سيقبر بالتأكيد ، و سيحلّ محله حتما النظام الإشتراكي و الشيوعي . فهذا قانون موضوعي مستقلّ عن الإرادة الإنسانيّة .

لقد شرح لينين ، بعد ماركس و إنجلز ، بصورة أوفى هذا القانون ، و مجّد كثيرا المبادرة الثوريّة لجماهير الشعب . و قد دلّ إنتصار ثورة أكتوبر العظمى بقيادة لينين ، البشريّة بأسرها إلى طريق التحرّر التام ، و إلى الأفق النيّر للإشتراكية و الشيوعية . و كما قال الرفيق ماو تسى تونغ : " إذا أردنا الكلام بصورة أساسيّة ، فإنّ طريق الإتحاد السوفياتي ، طريق ثورة أكتوبر ، هو الطريق المشرق المشترك لتطوّر الإنسانية جمعاء". (**" خطاب فى دورة السوفيات الأعلى للإتحاد السوفياتي إحتفالا بالذكرى الأربعين لثورة أكتوبر الإشتراكية العظمى ".)**

إنّ الثورة الصينية هي إستمرار لثورة أكتوبر . و الحزب الشيوعي الصيني و الرفيق ماو تسى تونغ قد دمجا الحقائق العامة للماركسية – اللينينية بالتطبيق المحدّد للثورة الصينية ، و من ثمّ فإنّ الثورة الصينية سارت فى الإتجاه الصحيح ، و ظهرت فى مظهر جديد برّاق .

إنّ الرفيق ماو تسى تونغ أظهر بصورة تامة الروح الثورية للماركسية – اللينينية ، و قد دافع عن الماركسية – اللينينية و طوّرها أكثر فى ظلّ ظروفنا . و قاد حزبنا الثورة الصينيّة فى الطريق الثوري الذى أشار إليه الرفيق ماو تسى تونغ ، و سار بها بإستمرار من نصر إلى نصر .

إنّ ثورة الديمقراطية الجديدة فى بلادنا ، كانت ثورة بقيادة البروليتاريا ، إشتركت فيها الجماهير الشعبية الغفيرة ، ضد الإستعمار ، و الإقطاعية ، و الرأسمالية البيروقراطية . و لم يتحقّق إنتصار هذه الثورة إلاّ بعد أكثر من عشرين عاما طوالا من الحرب الثورية .

و فى مجرى الثورة الطويل كان المستعمِرون العدو الأكبر الذى يجابه الشعب الصيني . و قبل أن تحرز الثورة الصينيّة النصر، لاقت الصين الضغط و السيطرة من جانب جميع الدول الإستعمارية فى العالم . و بعد إنتصار الثورة الصينية شنّ المستعمرون الأميركيون هجوما مسلّحا ضد الجمهورية الديمقراطية الشعبيّة الكوريّة ، و هدّدوا أمن بلادنا ، و إحتلوا ارضنا تايوان بالقوّة المسلّحة ، و حاولوا القضاء على الثورة الصينية بفرض الحصار و حظر النقل ، و إستخدام " الفردية الديمقراطية " المزعومة . و لكن الحزب الشيوعي الصيني عبّأ ، بالروح الثورية العالية للماركسية – اللينينية ، أوسع الجماهير الشعبية ، و إستأصل مشاعر " موالاة أميركا ، و عبادة أميركا ، و خشية اميركا " التى بثّها المستعمرون، و خدمهم و شنّ نضالا ضد الإستعمار و عملائه فى الصين ، و أطاح أخيرا بالضغط و السيطرة الإستعماريين فى الصين ، و صان بقوّة ثمار ثورتنا .

لقد تعاون حزبنا مرّتين مع الكومنتانغ - الحزب السياسي البرجوازي - و إنشقّ عنه مرّتين . و لذلك فإنّه يملك تجربة غنيّة جدّا حول مسألة الإتّحاد مع البرجوازية و النضال ضدّها . فليس لدى حزبنا تجربة غنيّة فى النضال المسلّح فقط ، بل أيضا فى النضال السلمي .

إنّ الحزب الشيوعي الصيني ، تحت قيادة الرفيق ماو تسى تونغ ، قد طبّق بصورة صحيحة و محدّدة ، الأفكار التى أوضحها لينين عن إضطلاع البروليتاريا بالقيادة فى الثورة الديمقراطية البورجوازية . و عن قيادة البروليتاريا لجماهير الفلاحين فى تنفيذ ثورة ديمقراطية بصورة شاملة ، و عن كون الثورة الديمقراطية حربا فلاحيّة و ثورة لتقسيم الأراضي ، و عن الثورة المتواصلة فى تحويل الثورة الديمقراطية إلى ثورة إشتراكية . و قد لعبت هذه الأفكار دورا موجّها فى إحراز إنتصارات مستمرّة فى ثورتنا .

لقد علّمنا لينين أنّ من المستحيل قهر الأعداء الأقوياء بدون حزب ثوري بروليتاري متمرّس بالنضالات المستمرّة . و يجب أن يتّخذ هذا الحزب الماركسية – اللينينية كأساس إيديولوجي له ، و يجب أن يكون له برنامج ثوري بروليتاري ، و أن تكون له روابط وثيقة بالجماهير الواسعة من الشغيلة . و حزبنا الشيوعي الصيني هو بالضبط حزب ثوري بروليتاري من هذا النوع . فقد بلغ حزبنا مرحلة النضج أثناء النضالات ضد الأعداء الأقوياء فى الداخل و الخارج ، و ضد الإنتهازية اليمينيّة و " اليسارية " . و لم تتوطّد بصورة راسخة القيادة الماركسية – اللينينية للجنة حزبنا المركزيّة بقيادة الرفيق ماوتسى تونغ، إلاّ بعد نضالات متكرّرة ضد إنتهازية اليمين و " اليسار". و بفضل وجود قيادة كهذه بالذات إستطاع حزبنا ، فى مرحلة الثورة الديمقراطية ، أن يضمن بشكل راسخ قيادة بروليتارية و سار بالثورة الديمقراطية إلى النصر التام ، و حول بسرعة إنتصار الثورة الديمقراطية إلى إنتصار للثورة الإشتراكية .

و فى نضالات حزبنا ضد إنتهازية اليمين و " اليسار" كانت مؤلفات لينين مثل **" خطتان للحزب الديمقراطي الإجتماعي فى الثورة الديمقراطية "** ، و **" الدولة و الثورة "** ، و **" مرض الطفولة " اليساري" فى الحركة الشيوعية "** ، و **" الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتس**كي " ، أكثر أسلحتنا الإيديولوجية اهمّية .

و طبّق حزبنا فى تجربة الثورة الصينية ، التعاليم الماركسية – اللينينية عن الثورة المتواصلة و تطوّر الثورة على مراحل ، و حلّ بشكل صحيح و محدّد ، سلسلة من المشاكل فى تحويل الثورة الديمقراطية فى بلادنا إلى ثورة إشتراكية . و قد قال لينين فى الحديث عن العلاقة بين الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية :

" إنّ الثورة الأولى يمكن أن تتحوّل إلى الثورة الثانية . و الثورة الثانية فى مرورها ، يمكن أن تحلّ مسائل الثورة الأولى . و الثانية تدعم عمل الأولى . و النضال ، و النضال وحده ، يقرّر إلى أي حدّ تتفوّق الثورة الثانية على الثورة الأولى". (" الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر " ، 14 تشرين الأوّل (اكتوبر عام 1921، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلد 33، صفحة 35).

و قال أيضا :

" كلّما كان تحقيق الثورة الديمقراطية أكثر كمالا كان تطوّر هذا النضال الجديد (إشارة إلى الثورة الإشتراكية) أسرع ، و أكثر إنتشارا ، و أنقى ، و أكثر حزما ". (**" خطّتان للحزب الديمقراطي الإجتماعي فى الثورة الديمقراطية "** ، حزيران (يونيو) – تموز (يوليو) عام 1905 ، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينيني – المجلد 9 ، صفحة 115).

و تثبت الظروف فى بلادنا بشكل قاطع أنّه كلّما سارت الثورة الديمقراطية بصورة شاملة كان تطوّر الثورة الإشتراكية أسرع و أسهل ، و إن زيادة سرعة البناء الإشتراكي ستساعد حتما على تحقيق الشيوعية .

إنّ الإستمرار فى الثورة الإشتراكية حتى النهاية يعنى أنّنا يجب أن نحرز إنتصار الثورة الإشتراكية ، ليس فقط على الجبهة الإقتصادية ، و إنّما على الجبهتين السياسية و الإيديولوجية أيضا ، و أن نزيح بإستمرار التأثير البورجوازي السياسي و الإيديولوجي ، و أن نحلّ بإستمرار التناقضات بين علاقات الإنتاج و القوى المنتجة ، و بين البناء الفوقي و الأساس الإقتصادي التى تبرز فى مجرى البناء الإشتراكي . و بهذه الطريقة يكون من الممكن أن تعبّأ بصورة تامة المبادرة الثوريّة للجماهير ، و تشكّل فى البناء الإشتراكي " حركة جماهيرية ، حقيقية ، تشترك فيها **أغلبية** السكّان و حتى مجموع السكّان " ، (" **الدولة و الثورة** " ، آب (أعسطس) – ايلول (سبتمبر) عام 1917 ، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلّد 25 ، صفحة 459) كما وصفها لينين) و بذلك نعجّل كثيرا بقفزة القوى الإجتماعية المنتجة إلى الأمام .

و ثمّة نوع من النظريّة يعتقد بأنّه لا توجد فى المجتمع الإنساني إلاّ تناقضات بين أنفسنا و العدوّ، و لا توجد تناقضات داخل الشعب ؛ و أنّ بين علاقات الإنتاج و القوى المنتجة ، و بين البناء الفوقي و الأساس الإقتصادي فى المجتمع الإشتراكي ، يوجد فقط وجه للمطابقة المتبادلة دون وجه للتناقض ؛ و أنّنا فى البناء الإشتراكي نحتاج فقط إلى الإعتماد على التكنيك ، و ليس على الجماهير ؛ و أن لا حاجة لتطوير النظام الإشتراكي و إنّما تعزيزه فقط ، و لو كان من الضروري تطويره للتقدّم نحو الشيوعية ، فليست هناك حاجة أيضا إلى المرور بالنضال و المرور بقفزة نوعية ؛ و هكذا فإنّ مجرى الثورة المتواصلة للمجتمع الإنساني ينتهي إلى هذه النقطة و ليس إلى أبعد منها . و هذه فى إصطلاحات الفكر الفلسفي ، راي ميتافيزيكي ، و ليس رأيا ماديّا ديالكتيكيا .

و يطبّق الرفيق ماوتسى تونغ فى كتابه " **حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب** " المادية الديالكتيكية للماركسية-اللينينية على مرحلة البناء الإشتراكي فى بلادنا ، مثيرا مسألة وضع خطّ بين تناقضاتنا مع العدوّ والتناقضات بين الشعب ، و مسألة المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب و مسألة المعالجة الصحيحة للتناقضات بين علاقات الإنتاج و القوى المنتجة ، و بين البناء الفوقي والأساس الإقتصادي ، فى ظلّ النظام الإشتراكي . و هذه النظرية الماركسية – اللينينية ، تختلف بصورة اساسية عن الرأي الميتافيزيكي المذكور آنفا . و على أساس هذه النظرية ، بالضبط ، و إستنادا إلى التجربة المتوّفرة فى ممارسة البناء الإشتراكي فى بلادنا ، وضع خط حزبنا العام : خطّ بذل أقصى الجهود و التطلّع إلى العلاء ، و تحقيق نتائج أعظم ، و أسرع ، و أفضل ، و أكثر إقتصادا فى بناء الإشتراكية .

و إسترشادا بالخطّ العام لحزبنا فى البناء الإشتراكي ، شهدت بلادنا قفزات كبيرة إلى الأمام فى الإنتاج الصناعي و الزراعي ، و ظهور الكومونات الشعبية الريفيّة و الحضريّة و حركة الإبتكارات التكنيكية و الثورة التكنيكية ، و ربط التعليم بالعمل المنتج ، و قفزات عظيمة إلى الأمام فى أعمال التجارة ، و البحث العلمي ، و الثقافة و الفنّ ، و الصحّة العامة ، و الرياضة البدينية .

إنّ خطّ حزبنا العام للبناء الإشتراكي لم يهاجم فقط من قبل المستعمِرين و المحرفين المعاصرين ، و إنّما تعرّض أيضا لإفتراء من جانب بعض السذّج الجهلة على أنّه " تعصّب البورجوازية الصغيرة " كما يزعمون . و لكن الحقائق تبقى حقائق . فخطّنا العام للبناء الإشتراكي هو خطّ عام ماركسي لينيني . و بتقدّم قضية بنائنا الإشتراكي ، بتوجيه هذا الخطّ العام ، يتعرّض وجه بلادنا لتغيّر سريع فى جميع الميادين .

لقد حلّل لينين الطابع الإنتقالي للمجتمع الإشتراكي فى " **الدولة و الثورة** " و غيره من المؤلفات . و أشار إلى أنّ الإشتراكية لم تستطع بعد أن تتحرّر ، كلّيا ، إقتصاديّا و سياسيا و إيديولوجيّا من تقاليد الرأسمالية و آثارها ، و إنّها لم تصبح بعد مجتمعا شيوعيّا كامل النموّ و النضج ، و إنّها ما تزال المرحلة الدنيا من الشيوعية و عليها ان تقوم بالإنتقال إلى المرحلة العليا من الشيوعية ، الشيوعية الكاملة النموّ و النضج . و أفكار لينين هذه ، ذات أهمّية كبيرة لنا . فما دمنا شيوعيّين وجب علينا ، إستنادا إلى المبادئ الماركسية – اللينينية عن الثورة المتواصلة ، و تطوّر الثورة على مراحل ، أن نخلق بنشاط الشروط لتحقيق الشيوعية و نحن نواصل البناء الإشتراكي . و قد أشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني إلى الشروط الضروريّة لتحقيق الشيوعية فى بلدنا بالمستقبل . وهذه الشروط هي :

" عندما يكون الإنتاج الإجتماعي قد أصبح وافرا للغاية ؛ و الوعي الشيوعي و الخلق الشيوعي للشعب بأسره قد إرتفع إلى درجة عليا ؛ و يكون التعليم العام قد تحقّق و إرتفع مستواه ؛ و تكون الفروق بين العمّال و الفلاحين ، بين المدينة والريف ، بين العمل الذهني و اليدوي ، تلك الفروق التى خلّفها المجتمع البائد و التى لم يكن بدّ من الإحتفاظ بها فى عصر الإشتراكية قد إختفت تدريجيّا ؛ و تكون بقايا الحقّ البرجوازي غير المتساوي الذى هو إنعكاس هذه الفروق قد إختفت أيضا تدريجيّا ؛ و أصبحت وظيفة الدولة مقصورة على حماية الوطن ضد عدوان خارجي ، و لم تعد تلعب أي دور على النطاق الداخلي . فى ذلك الوقت سيدخل المجتمع فى بلادنا عصر الشيوعية الذى يطبّق فيه مبدأ " من كلّ حسب قدرته و لكلّ حسب حاجته " .(" **قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول إقامة الكومونات الشعبية فى الريف** " ، آب (أغسطس) عام 1958).

إنّ الإنتصارات التى أحرزها شعبنا فى ثورة الديمقراطية الجديدة ، و الثورة الإشتراكية ، و البناء الإشتراكي ، قد تحقّقت جميعا تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني ، و على رأسه الرفيق ماو تسى تونغ ، و إسترشادا بتفكير ماو تسى تونغ الذى يدمج الحقائق العامة للماركسية – اللينينية بالتطبيق المحدّد للثورة الصينية. و قد تلقّينا المساعدة من الحزب الشيوعي العظيم فى الإتحاد السوفياتي ، و من الحكومة السوفياتية ، و الشعب السوفياتي ، و من جميع البلدان الإشتراكية ، و من الأحزاب الشيوعية و أحزاب العمال ، و الشغيلة و التقدّميين فى مختلف البلدان فى العالم ، و الشعب الصيني سيحفظ دائما هذه الروح الأمميّة العظيمة ، و لن ينساها أبدا .

إنّنا نعيش اليوم فى عصر عظيم جديد ينهار فيه النظام الإستعماري بسرعة أعظم ، و تتوالي فيه إنتصارات الشعوب و يقظتها فى جميع أنحاء العالم .

و الماركسيون – اللينينيون ، و المحرّفون المعاصرون ، إنطلاقا من موقفين و رأيين مختلفين بصورة أساسيّة وصلوا إلى إستنتاجات مختلفة بصورة أساسيّة حول هذا الوضع . فالماركسيون – اللينينيون يعتبرون هذا العصر عصرا جديدا ومؤاتيا بشكل لا مثيل له للثورة البروليتارية فى بلدان العالم ، و للثورة الوطنية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات . إنّ قوى السلم قد نمت نموّا عظيما و قد صارت ثمّة إمكانية عمليّة لمنع الحرب . فعلى شعوب العالم بأسره أن تشدّد بشكل أقوى النضال ضد الإستعمار، و أن تدفع تطوّر الثورة ، و تدافع عن السلم العالمي . و من جهة أخرى يعتبر المحرّفون المعاصرون هذا " عصرا جديدا " قد إختفت فيه من جدول أعمال العالم ، الثورة البروليتارية فى مختلف البلدان ، و الثورة الوطنية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات . و يعتقدون بأنّ الإستعمار سينسحب عن مسرح التاريخ بمحض إرادته ، و بدون ثورة ؛ و أنّ سلما أبديّا سيخيّم من تلقاء نفسه بدون أن نشنّ نضالاتنا المعادية للإستعمار . و هكذا فإنّ مسألة ما إذا كان المرء يريد الثورة أم لا ، و ما إذا كان يريد أن يقاوم الإستعمار أم لا ، قد أصبحت الإختلاف الأساسي بين الماركسيين – اللينييين ، و المحرّفين المعاصرين .

إنّ الحجج الرئيسية للمحرّفين المعاصرين فى تحريف الماركسية – اللينينية الثورية و تشويهها وخيانتها ، هي إدّعاؤهم بأنّه فى ظلّ الظروف التاريخية للعصر الجديد ، فإنّ تحليل لينين للإستعمار قد " فات أوانه " ، و أنّ طبيعة الإستعمار قد " تغيّرت "، و أنّ الإستعمار قد " أقلع" عن سياساته ، سياسات الحرب و العدوان . و بحجّة ما يدّعى بالنظر " التاريخي ، غير الجامد " للتراث النظري الذى تركه لينين ، هاجموا المحتوى الثوري ، و الروح الثورية للماركسية – اللينينية .

و فى الظروف التى تتغلّب فيها الريح الشرقيّة على الريح الغربيّة ، و التى أصبحت فيها الغلبة لقوى الإشتراكية و السلم على قوى الحرب الإستعمارية ، توجد صعوبات جمّة بين صفوف المستعمِرين الذين يهوون على حالة أصعب فأصعب . إنّ المستعمرين يقومون بكلّ أشكال النضالات اليائسة فى مسعى لإنقاذ أنفسهم من الهلاك . و مؤخرا حاول المستعمِرون ، و خصوصا المستعمِرون الأميركيّون ، جهدهم إستخدام خطط اكثر مكرا و خداعا للإستمرار فى سياسات العدوان و النهب ، و تخدير شعوب العالم . و حتى المستعمِرون الأميركيون أنفسهم لا يخفون أحيانا عزمهم على إتّباع خطط أكثر " مرونة " كما يزعمون . فقد إستخدموا ، بوسائل متنوّعة ، طريقة الحرب و طريقة السلم ، بالتعاقب ، فبينما يكثرون من زيادة التسلّح ، و التحضيرات للحرب ، و يقومون بالتهديد بحرب نوويّة ، ينشرون فى الوقت نفسه ستارة من الدخان عن " السلم" و يستخدمون القنابل المعسولة فى محاولة لخلق إنطباع زائف بأن المستعمِرين يدعون إلى السلم . فمن جهة لجأوا إلى القمع القاسي للحركات الثوريّة ، و من جهة أخرى عمدوا إلى التضليل و الرشوة فى محاولة لتخفيف الحركات الثوريّة و شقّها . و قد لجأ المستعمِرون إلى هذه الوسائل الخادعة لغرض واحد هو إخفاء طبيعتهم العدوانية النهّابة ، و تغطية تحضيراتهم للحرب لتحقيق غرضهم فى تفكيك الحركات الثورية فى مختلف البلدان ، و الحركات الثورية فى

المستعمرات و اشباه المستعمرات، و نضال شعوب جميع البلدان من أجل السلم العالمي ، و لإستعباد شعوب مختلف البلدان و دكّ البلدان الإشتراكية .

فلمكافحة الخطط المختلفة التى يتّبعها المستعمِرون ضد الشعوب ، يجب على شعوب مختلف البلدان فى كلّ انحاء العالم أن تستخدم أيضا فى كفاحها ضد الإستعمار خططا و وسائلا متنوّعة للنضال الثوري . لقد إعتقد الماركسيّون – اللينينيّون ، دائما ، أنّه فى النضال الثوري يجب أن تكون هناك صلابة فى المبدأ و مرونة فى الخطط . إنّ كلّ وسائل الثورة و أشكال النضال ، غير الشرعية منها و " الشرعية " ، خارج البرلمان و داخله ، الدامية وغير الدامية ، الإقتصادية والسياسية ، العسكرية و الإيديولوجية – كلّ هذه يقصد من ورائها فضح المستعمِرين فضحا أكثر و الكشف عن قناع المستعمِرين كمعتدين و رفع الوعي الثوري بإستمرار، و تعبئة جماهير الشعب على نطاق أوسع لمقاومة المستعمِرين و الرجعيين ، و تطوير النضال من أجل السلم العالمي و التحضير للنصر و إحرازه فى الثورة الشعبيّة و الثورة الوطنيّة .

و قد إعتقد الماركسيون – اللينينيون دائما أيضا ، أنّ على البروليتاريا أن تتّحد مع إحتياطيها لكي تحرز إنتصار الثورة . يجب على البروليتاريا أن تدخل فى تحالف قوي مع الفلاّحين ، و الشغّيلة الآخرين ، و جماهير الشعب المضطهَدة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات ، الذين هم حلفاؤها الأساسيّون . وبالإضافة إلى ذلك فعلى البروليتاريا ، فى مختلف الفترات أن تتّحد مع الآخرين الذين يمكن الإتّحاد معهم . فمن أجل مصالح الشعب ، بالطبع ، على البروليتاريا أن تستفيد بصورة كاملة من التناقضات بين المستعمِرين ، حتى لو كانت تناقضات مؤقّتة و جزئية . كلّ ذلك بغرض الإطاحة بالمستعمِرين و الرجعيّين .

و فى النضال ضد الإستعمار و سياسته العدوانيّة ، فإن من المسموح به تماما ، و من الضروري و فى مصلحة شعوب مختلف البلدان ، أن تقوم البلدان الإشتراكية ، كلّما أمكن ذلك ، بالمفاوضات السلميّة و تبادل الزيارات مع البلدان الإستعمارية ، و أن تناضل لتسوية النزاعات الدوليّة بالطرق السلمية بدلا من الحرب ، و أن تسعى إلى توقيع إتّفاقيات للتعايش السلمي أو معاهدات عدم إعتداء .

و قد بذلت الحكومة السوفياتية جهودا عظيمة لتخفيف التوتّر الدولي و الدفاع عن السلم العالمي . و إن الحزب الشيوعي الصيني ، و الحكومة الصينية ، و الشعب الصيني يؤيّدون تأييدا إيجابيّا المقترحات السلميّة التى قدّمتها الحكومة السوفياتية و على رأسها الرفيق ن. س . خروشوف لعقد إجتماع الذروة بين الشرق و الغرب ، و لنزع السلاح العام ، و تحريم الأسلحة النووية ... و ما إلى ذلك .

إنّ المحرّفين المعاصرين خانوا كلّية الروح الثورية للماركسية – اللينينية ، و خانوا مصالح شعوب العالم قاطبة ، و خضعوا و سلّموا للبرجوازيين و المستعمِرين . و هم يعتقدون بأن المستعمِرين قد غيّروا طبيعتهم ، و أقلعوا عن سياسة الحرب بمحض إختيارهم ؛ و أنّه لذلك لم تعد هناك حاجة للنضالات المعادية للإستعمار و لم تعد هناك حاجة للثورات . و يبذلون قصارى جهودهم لتغطية سياسات المستعمِرين الأميركيّين ، سياسات العدوان و الحرب ، و تجميل الإستعمار ، و أيزنهاور ، رأس المستعمِرين الأميركيين . و قد أصبح أيزنهاور ، على حدّ وصفهم له ، " مبعوث سلام " ، و لم يعد الإستعمار الأميركي عدوّا للسلم ، و لم يعد عدوّ حركات التحرّر الوطني للمستعمرات و أشباه المستعمرات ، و لم يعد ألدّ أعداء الشعوب فى العالم بأسره . و بإختصار ، فعلى رأي المحرّفين المعاصرين ، يبدو أنّه لم يعد هناك أي فرق بين الإستعمار و الإشتراكية ، و أنّ كلّ من يصرّ على النضال ضد الإستعمار ، و على الثورة ، سيعيق السلم ، و التعايش السلمي ، وهو " ذو جمود عقائدي متصلّب " .

إنّنا ، نحن الماركسيين – اللينينيين ، نعرف جيّدا ما هو الجمود العقائدي ، و قد ناضلنا بإستمرار ضدّه . و يملك حزبنا الشيوعي الصيني تجربة غنيّة فى كفاح الجمود العقائدي . إنّ الجموديّين يريدون الثورة ، و لكنّهم لا يدركون ضرورة دمج الحقائق العامة للماركسية – اللينينية بالتطبيق المحدّد للثورة فى بلدانهم أنفسها ، و لا إستغلال تناقضات العدوّ المحدّدة ، و تركيز القوى للنضال ضد العدوّ الرئيسي ، و الدخول فى تحالف مناسب مع مختلف القوى الوسطيّة ، و لا يعرفون كيف يطبّقون بمرونة خطط النضال و أساليبه ، و بذلك يتركون البروليتاريا فى وضع تحارب فيه بمفردها . إنّنا نعارض مثل هذا الجمود العقائدي لأنّه مضرّ بالثورة . و نعارض الجمود العقائدي من أجل أن ندفع بالثورة إلى الأمام ، و أن نطيح بالعدوّ . و المحرّفون المعاصرون يقومون بالعكس تماما . فمقاومة " الجمود العقائدي " بالنسبة إليهم مجرد حجّة ليعارضوا من ورائها الثورة ، و يحاولوا القضاء عليها و تشويه الماركسية – اللينينية و إفسادها . و بكلمات لينين

فإنهم " يتناسون ، و يطمسون ، و يشوّهون الجانب الثوري لهذا المبدأ ، و روحه الثوريّة ، و يدفعون إلى المقدّمة ، و يمجّدون ما هو مقبول أو ما يبدو مقبولا للبرجوازيين " . (**" الدولة و الثورة "** ، آب (أغسطس) – ايلول (سبتمبر) عام 1917، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين – المجلّد 25 ، صفحة 373). إنّ التحريفيّين المعاصرين يفترون على الماركسية – اللينينية بانّها " الجمود العقائدي ". و هذه حيلة خسيسة يتخذها المرتدّون عن الطبقة العاملة ، لتفسيخ الروح الثورية للماركسية – اللينينية .

إنّ الثورة هي روح الماركسية – اللينينية . و قد وضع ماركس و إنجلز ، أمام بروليتاريا العالم بأسره ، المهمّة التاريخية العظيمة ، مهمّة القضاء على النظام الرأسمالي و تحرير البشرية جمعاء . و فى ظلّ ظروف تاريخيّة جديدة أيقظ لينين البروليتاريا العالميّة ، و جميع الشعوب المضطهَدة لخوض النضال الثوري المتّقد . لقد وُلدت الماركسية – اللينينية فى النضال البروليتاري الثوري ، و تطوّرت بإستمرار فى ذلك النضال . و قد تتغيّر الآراء الماركسية – اللينينية حول بعض المسائل الفرديّة بمرور الزمن و التغيّرات فى الوضع ، امّا الروح الثورية للماركسية - اللينينية فلا يمكن أن تتغيّر مطلقا . فقد غيّر لينين على ضوء الظروف التاريخية فى عصره آراء ماركس و إنجلز حول المسائل الفرديّة ، و أثار مسائل ، لم يكن بإستطاعة ماركس و إنجلز ان يثيراها فى أيّامهما . و لكن هذه التغيّرات لم تضعف ، فى أقلّ شيء ، الروح الثورية للماركسية ، بل زادت أكثر القوّة الكفاحية الثورية للماركسية . إنّ الثورة هي قاطرة التاريخ . و هذا هو الوضع فى المجتمع الطبقي ، و سيبقى كذلك فى المجتمع الشيوعي فى المستقبل ؛ و الفرق فقط ، فى أنّ ثورة ذلك العصر ستكون مختلفة فى الطبيعة و الأسلوب .

إنّنا نعرف بأنّ الإستعمار الأميركي هو ألدّ أعداء ثورة الشعوب فى مختلف البلدان ، و ألدّ أعداء حركة التحرّر الوطني و السلم العالمي و أشدّهم مكرا . و أيزنهاور هو زعيم الإستعمار الأميركي الآن . و قد أشار لينين منذ زمن بعيد إلى أنّ الإستعمار الأميركي هو ألدّ أعداء شعوب العالم أجمع وهو يلعب دور الدركي. و قد تمادي الإستعمار الأميركي الآن اكثر، مقيما نفسه دركيّا على العالم يخنق الثورة فى كلّ مكان ، و يقمع حركة التحرّر الوطني ، و النضال الثوري للبروليتاريا فى البلدان الرأسمالية ، و يخرّب حركة شعوب العالم من أجل السلم . والإستعمار الأميركي لا يحاول فقط ، فى كلّ دقيقة، أن يدكّ البلدان الإشتراكية و يقضى عليها ، و لكنّه تحت ستار مقاومة الشيوعية و الإشتراكية يبذل أيضا قصاري جهوده فى أن يتغلغل على المناطق المتوسّطة فى أمل عابث لتحقيق السيطرة على العالم . و سياسات العدوان و الحرب هذه ، التى يتّبعها الإستعمار الأميركي لم تتغيّر حتى هذا اليوم . و مهما كانت الخطط التضليليّة التى يتّبعها الإستعمار الأميركي، و أيّان كانت ، فإنّ طبيعته العدوانيّة النهّابة لن تتغيّر حتى موته . فالإستعمار الأميركي هو العماد الأخير للإستعمار الدولي . فإذا أرادت شعوب العالم أن تدافع عن السلم العالمي ، فإنّ رأس حربة النضال يجب أن يوجّه ضد الإستعمار الأميركي . أمّا ما إذا كان المرء يجرؤ أو لا يجرؤ على فضح المستعمِرين ، خصوصا المستعمِرين الأميركيين ، و أمّا ما إذا كان المرء يجرؤ أو لا يجرؤ على النضال ضدّهم ، فذلك هو المحكّ فيما إذا كان يريد أو لا يريد القيام بالثورة الشعبية، و إحراز التحرّر التام للأمم المضطهَدة و تحقيق سلم عالمي حقيقي .

فمن أجل مقاومة السياسة العدوانيّة للإستعمار الأميركي ، يجب الإتّحاد مع جميع القوى الثورية ، و القوى المحبّة للسلم فى العالم بأسره . فالسلم العالمي يمكن أن يدافع عنه بصورة أكثر ، و بصورة فعّالة ، فقط عن طريق ربط نضال شعوب البلدان الإشتراكية ، و النضال الوطني التحرّري لشعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات ، و النضال الثوري البروليتاري فى البلدان الرأسمالية ، ونضال جميع الشعوب من أجل السلم ، و تشكيلها فى جبهة جبّارة معادية للإستعمار ، و تسديد ضربات صارمة لسياسات الإستعمار الأميركي ، سياسات العدوان و الحرب . إنّ المعسكر الإشتراكي ، و على رأسه الإتحاد السوفياتي ، هو القوّة الرئيسية فى الدفاع عن السلم العالمي . و نضالات التحرّر الوطني لشعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات ، و النضالات الثوريّة للبروليتاريا و الشغّيلة فى البلدان الرأسمالية ، هي أيضا قوى عظيمة فى الدفاع عن السلم العالمي . و إنّ الإنفصال عن نضالات التحرّر الوطني للمستعمرات و أشباه المستعمرات ، و عن النضالات الثوريّة للبروليتاريا و الشغيلة فى البلدان الرأسمالية ، سيضعف إلى حدّ كبير القوى المدافعة عن السلم العالمي ، و يخدم مصالح الإستعمار .

و ما من قوّة تستطيع أن تعيق أو تحدّ من نهوض شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات إلى الثورة ، و سحق النير الذى ترزح تحته . فنضالاتها الثوريّة تلعب دورا فى زعزعة اساس النظام الإستعماري . و على جميع الماركسيين – اللينينيّين الثوريّين أن يدعموا هذه النضالات العادلة ، بحزم و بدون أدنى تحفّظ . و بالمثل ، فما من قوّة تستطيع أن تمنع

أو تحدّ من نهوض البروليتاريا والشغيلة فى البلدان الرأسمالية إلى الثورة للإطاحة بالحكم الرجعي لرأس المال الإحتكاري. و إنّ نضالاتها الثورية تستطيع أن تقيّد ايدي الإستعمار و تمنعه من شنّ حرب عدوانية . فعلى جميع الماركسيين – اللينينيين ، أيضا، أن يدعموا هذه النضالات الثوريّة العادلة بحزم و بدون أدنى تحفّظ . و التأييد القوى لهذين النوعين من النضال يشكّل تعزيزا فعّالا للنضال دفاعا عن السلم العالمي . و يرى لينين أنّ البروليتاريا فى البلدان الإشتراكية يجب أن تدافع ، بمساعدة البروليتاريا و الجماهير الشغّيلة للأمم المضطهَدة فى العالم أجمع ، عن ثمار النصر الذى حقّقته الثورة البروليتارية ؛ و عليها فى الوقت نفسه ، أن تدعم قضيّة الثورة البروليتاريّة فى البلدان الأخرى لتتقدّم بإستمرار، و أن تضعف بإستمرار قوّة الإستعمار حتى تقبر الرأسمالية و تنتصر الإشتراكية فى جميع انحاء العالم . و كلينينيين ، يجب أن نتذكّر دائما هذه الأفكار الأساسية للينين .

إنّ التحريفية المعاصرة هي حصيلة السياسة الإستعمارية . لقد أصيب المحرّفون المعاصرون بهلع شديد من السياسة الإستعمارية ، سياسة التهديد بالحرب النوويّة . فتحوّلوا من الخوف من الحرب ، إلى الخوف من الثورة ، و إنتقلوا من عدم رغبتهم هم أنفسهم فى الثورة إلى معارضة قيام غيرهم بالثورة . و فى مسايرتهم لحاجات الإستعمار، يحاولون إعاقة تطوّر حركة التحرّر الوطني ، و حركة الثورة البروليتارية فى مختلف البلدان . ويحاول المستعمِرون جعل البلدان الإشتراكية تنحطّ إلى بلدان رأسمالية .

و المحرّفون المعاصرون ، أمثال تيتو ، قد كيّفوا أنفسهم وفق حاجة المستعمِرين هذه .

إنّ كون مقاومة التحريفية المعاصرة أمرا مهمّا يعود إلى أنّ المحرّفين المعاصرين يستطيعون ان يلعبوا ، بين جماهير العمّال و الشغّيلة دورا، لا يمكن أن يلعبه البرجوازيّون ، و الديمقراطيّون الإجتماعيّون اليمينيّون ._فهم عملاء الإستعمار ، و أعداء البروليتاريا و شغّيلة جميع البلدان .

و يشير بيان إجتماع ممثّلي الأحزاب الشيوعيّة و أحزاب العمّال للبلدان الإشتراكية الذى عقد فى موسكو فى تشرين الثاني (نوفمبر) 1957، إلى ضرورة الدفاع عن الماركسية – اللينينية فى الوضع الراهن .

يقول البيان :

" إنّ البرجوازية الإستعمارية تبذل قصارى جهودها لإفساد الجماهير من الناحية الإيديولوجية . فهي تشوّه الإشتراكية ، و تفتري على الماركسية – اللينينية ، و تضلّل الجماهير و تبلبلها . لذلك فإنّ تعميق التثقيف الماركسي- اللينيني للجماهير، ومحاربة الإيديولوجية البورجوازية ، و فضح الأكاذيب ، والإختلافات المفتراة للدعاية الإستعمارية ضد نظام الإشتراكية، و الحركة الشيوعية ، و نشر أفكار الإشتراكية ، و السلم و الصداقة بين شعوب البلدان على نطاق واسع و بأسلوب حي مقنع ، هي أمور ذات أهمّية أولية ".

و يقول البيان أكثر من ذلك :

" تسعى التحريفية المعاصرة للطعن فى التعاليم العظمى للماركسية – اللينينية ، و تزعم أنّها " غير ملائمة للعصر" ، كأنّها فقدت الآن أهمّيتها بالنسبة للتقدّم الإجتماعي . و يحاول المحرّفون بكلّ جهدهم إفساد الروح الثوريّة للماركسيّة و تخريب الإيمان بالإشتراكية بين الطبقة العاملة و الشغّيلة . فهم ينكرون الضرورة التاريخية للثورة البروليتارية ولديكتاتورية البروليتاريا خلال فترة الإنتقال من الرأسمالية على الإشتراكية ، و ينكرون الدور القيادي للحزب الماركسي – اللينيني ، و ينكرون مبدأ الأممية البروليتارية ، و يدعون إلى نبذ المبادئ اللينينيّة الأساسيّة حول تنظيم الحزب ، و قبل كلّ شيء ، نبذ المركزية الديمقراطية ، و ذلك لتحويل الحزب الشيوعي من منظمة ثوريّة كفاحيّة إلى نوع من جمعيّة للمجادلة ".

إنّ التحريفية المعاصرة هي ، فى الوقت الحاضر ، الخطر الرئيسي على الحركة الشيوعية العالمية ، و واجبنا المقدّس أن نظهر بشكل كامل روح لينين الثورية ، و أن نكشف بشكل تام الصورة الحقيقية لعميلة الإستعمار هذه ، التحريفية المعاصرة .

إنّ بيان إجتماع موسكو هو المنهاج للحركة الشيوعية العالمية لعصرنا . و قد إعترفت به الأحزاب الشيوعية و أحزاب العمّال لمختلف البلدان . و نحن ، الحزب الشيوعي الصيني ، جنبا إلى جنب ، مع الأحزاب الشيوعية و احزاب العمّال للبلدان الأخرى ، نحافظ بإخلاص على هذا المنهاج العظيم و نقوم بتنفيذه .

لقد كانت الحركة الشيوعية منذ البداية حركة عالمية . فالتضامن الأممي البروليتاري هو الضمانة الأساسيّة لإنتصار قضيّة الشعب الثوريّة فى مختلف بلدان العالم ، و لإنتصار قضيّة التحرّر الوطني للأمم المضطهَدة ، وإنتصار نضال الشعوب من أجل السلم العالمي . فخدمة لمصالح البلدان الإشتراكية ، و مصالح البروليتاريا و الشغّيلة فى مختلف البلدان ، و لأجل تحرّر الأمم المضطهَدة ، و الدفاع عن السلم العالمي ، يجب علينا ، فى جميع الأوقات ، أن نعزّز التضامن الأممي البروليتاري . إن الماركسيين – اللينينيين يحرسون دائما ، كما يحرسون حدقة عيونهم ، وحدة المعسكر الإشتراكي و على رأسه الإتحاد السوفياتي ، و وحدة صفوف الشيوعية العالمية ، و وحدة البروليتاريا العالمية ، و وحدة الشعوب فى العالم بأسره . و يعتبر المستعمِرون و المحرِّفون المعاصرون هذه الوحدة الأمميّة العظيمة ، أكبر عقبة أمام محاولتهم تفكيك الحركة الثوريّة لمختلف البلدان . فهم يخطّطون ليلا نهارا و يحاولون عبثا تخريب هذه الوحدة عن طريق احقر نشاطات التفرقة و بذر بذور الشقاق و الإشاعات الحقيرة و الإفتراءات ، و لكن هذه الدسائس الخبيثة مكتوب لها الإفلاس الذريع حتما .

إنّ القضيّة الإشتراكيّة للبروليتاريا ، إسترشادا بالتعاليم الثورية للماركسية - اللينينية ، ستحرز ، و تستطيع بالتأكيد أن تحرز ، النصر التام فى جميع انحاء العالم ، و سيسود الإنسانيّة حتما سلم أبدي .

فلنتّحد و لنتقدّم ببسالة تحت الراية الثورية لينين العظيم !

عاشت الماركسية – اللينينية !

===

++++++++++++++++++++++++++++++++=============================

الفصل الثالث :

إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية

رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ردّا على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرخة فى يوم 30 مارس (آذار) عام 1963

(14 يونيو " حزيران " عام 1963)

دار النشر باللغات الأجنبية – بيكين 1963

إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

أيها الرفاق الأعزّاء ،

لقد درست اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الرسالة الموجّهة إليها من قبل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي و المؤرخة فى يوم 30 مارس (آذار) عام 1963 .

إنّ جميع الذين تهمّهم وحدة المعسكر الإشتراكي و وحدة الحركة الشيوعية العالمية يهتمون أشدّ الإهتمام بمحادثات الحزبين الصيني و السوفياتي و يأملون أن تساعد محادثاتنا على إزالة الخلافات و تعزيز الوحدة و أن تخلق ظروفا ملائمة لعقد إجتماع لممثلي الأحزاب الشيوعية و العمّالية فى مختلف البلدان .

إنّه لواجب مقدّس مشترك على الأحزاب الشيوعية و العمالية فى كلّ البلدان أن تصون و تعزّز وحدة صفوف الشيوعية العالمية . إنّ الحزبين الصيني و السوفياتي يتحملان مسؤولية أعظم إزاء وحدة كلّ المعسكر الإشتراكي و وحدة كلّ الحركة الشيوعية العالمية ، و عليهما بالطبع أن يبذلا جهودا أكبر فى هذا الصدد .

توجد الآن سلسلة من الخلافات المبدئية الهامة فى صفوف الشيوعية العالمية . و لكن مهما تكن هذه الخلافات خطيرة علينا أن نتذرّع بصبر كاف لنلتمس طرقا لإزالتها حتى نوحّد قوانا و نعزّز نضالنا ضد عدوّنا المشترك .

وتتطلّع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، مدفوعة بهذه الرغبة الصادقة ، إلى محادثات الحزبين الصيني و السوفياتي التى ستحلّ قريبا .

إنّ اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي قد طرحت بشكل متسلسل فى رسالتها المؤرّخة فى 30 مارس (آذار) وجهات نظرها حول القضايا التى فى حاجة إلى المناقشة فى المحادثات بين الحزبين الصيني و السوفياتي ، و عرضت بصفة خاصة قضية الخط العام للحركة الشيوعية العالمية . و نودّ فى رسالتنا هذه أن نعبّر أيضا عن وجهات نظرنا حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية و بعض القضايا المبدئية المتعلّقة به و نقدمها كإقتراح لنا .

و نأمل أن يؤدّي هذا العرض لوجهات النظر إلى التفاهم المتبادل بين حزبينا و يساعد على المناقشة نقطة نقطة و بصورة مفصلة فى المحادثات .

و نأمل أيضا أن يساعد ذلك الأحزاب الشقيقة فى البلدان المختلفة على معرفة وجهات نظرنا و يساعد على تبادل الآراء بشكل كامل فى إجتماع عالمي للأحزاب الشقيقة .

1- إنّ الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية يجب أن يكون مطابقا لنظرية الماركسية اللينينية الثورية حول المهمّة التاريخية للبروليتاريا ، و لا يجب أن ينحرف عنها .

إنّ إجتماعي موسكو فى عام 1957 و عام 1960 قد أقرّا التصريح و البيان على التوالي بعد تبادل كامل للآراء و وفقا لمبدأ الوصول إلى الإجتماع عن طريق المشاورات . و قد وضحت هاتان الوثيقتان الخصائص المميزة لعصرنا و القوانين المشتركة للثورة الإشتراكية و البناء الإشتراكي ، و وضعتا الخطّ المشترك لجميع الأحزاب الشيوعية و العمّالية . إنّ التصريح و البيان يشكلان البرنامج المشترك للحركة الشيوعية العالمية .

حقّا ، لقد ظهرت خلال السنوات الأخيرة فى صفوف الشيوعية العالمية خلافات حول فهم تصريح عام 1957 و بيان عام 1960 و الموقف منهما . و القضية الأساسية هنا هي : قبول او عدم قبول المبادئ الثورية التى وردت فى التصريح و البيان . و فى التحليل النهائي هي مسألة قبول حقيقة الماركسية اللينينية العامة أم لا ، وهي الإعتراف بالأهمّية العامة لطريق ثورة أكتوبر أم لا ، و هي قبول حقيقة أن الشعوب التى لا تزال تعيش تحت النظام الإستعماري و الرأسمالي و التى تشكّل ثلثي سكّان العالم لا تزال فى حاجة إلى القيام بالثورة أم لا ، وهي قبول حقيقة أن الشعوب التى أصبحت تسير فى طريق الإشتراكية و التى تشكّل ثلث سكاّن العالم لا تزال فى حاجة إلى السير بثورتها إلى النهاية أم لا ؟

لقد أصبح واجبا ملحّا لا غنى عنه للحركة الشيوعية العالمية الراهنة أن تذود بحزم عن المبادئ الثورية لتصريح عام 1957 و بيان عام 1960 .

و فقط بالإتباع الحازم للتعاليم الثورية للماركسية اللينينية و للطريق المشتركة لثورة أكتوبر ، يمكن أن تفهم المبادئ الثورية الواردة فى التصريح و البيان فهما صحيحا و يتّخذ تجاهها موقف صحيح .

2- ما هي المبادئ الثورية للتصريح و البيان ؟ يمكن أن تلخّص كالآتي –

ياعمّال العالم إتحدوا ، يا عمّال العالم و شعوبه المضطهدَة و أممه المضطهدَة إتحدوا ، و عارضوا الإستعمار و رجعيي مختلف البلدان ، و ناضلوا فى سبيل السلم العالمي و التحرّر الوطني و الديمقراطية الشعبية و الإشتراكية ، و دعّموا و وسّعوا المعسكر الإشتراكي ، و سيروا بالثورة البروليتارية العالمية خطوة خطوة إلى النصر الكامل ، و أقيموا عالما جديدا خاليا من الإستعمار و الرأسمالية و نظام إستغلال الإنسان للإنسان .

هذا فى نظرنا هو الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية فى المرحلة الراهنة .

3- إنّ الخطّ العام هذا ينطلق من الوضع العالمي الواقعي ككلّ و من التحليل الطبقي للتناقضات الأساسية فى العالم المعاصر كما هو موجّه ضد الإستراتيجية العالمية المعادية للثورة لدى الإستعمار الأمريكي .

و إنّ الخط العام هذا هو خطّ لتنظيم الجبهة المتّحدة الواسعة التى يكون المعسكر الإشتراكي و البروليتاريا العالمية قلبها و التى تعارض الإستعمار و رجعيي مختلف البلدان برئاسة الولايات المتحدة ، وهو خطّ لتعبئة الجماهير بصورة جريئة و لتوسيع القوى الثورية و كسب قوى الوسط و عزل القوى الرجعية .

و إنّ الخطّ العام هذا هو خطّ لشنّ النضالات الثورية بحزم من قبل شعوب مختلف البلدان و للسير بالثورة البروليتارية العالمية إلى النهاية ، وهو أيضا خطّ لمناهضة الإستعمار و صيانة السلم العالمي بأكثر صورة فعّالة .

و إذا حدّد الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية من جانب واحد بأنّه هو " التعايش السلمي " و " المباراة السلمية " و " الإنتقال السلمي" فإنّ ذلك نقض للمبادئ الثورية الواردة فى تصريح عام 1957 و بيان 1960 ، و تخلّ عن المهمّة التاريخية للثورة البروليتارية العالمية ، و إنحراف عن التعاليم الثورية للماركسية اللينينية .

إنّ الخط العام للحركة الشيوعية العالمية يجب أن يعكس القانون العام لتطوّر تاريخ العالم . إنّ النضالات الثورية لدى البروليتاريا و الشعوب فى مختلف البلدان سوف تسير عبر مراحل مختلفة ، و ستكون لها خصائصها المميّزة ، و لكنّها سوف لا تتخطّى القانون العام لتطوّر تاريخ العالم . و إنّ هذا الخطّ العام يجب أن يوضح الإتجاه الأساسي للنضالات الثورية لدى البروليتاريا و الشعوب فى مختلف البلدان .

عندما يضع كلّ حزب شيوعي أو عمّالي خطّه المحدّد و سياساته المحدّدة ، يكون فى أرقى درجات الأهمّية ان يلتزم بمبدأ ربط الحقيقة العامة للماركسية اللينينية بالممارسة العملية المحدّدة للثورة و البناء فى بلده الخاص .

4- إنّ نقطة الإنطلاق فى تحديد الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية هي التحليل الطبقي المحدّد للسياسات و الإقتصاديات العالمية ككلّ ، و لواقع الظروف العالمية ، و يعنى ذلك التحليل الطبقي المحدّد للتناقضات الأساسية فى العالم المعاصر.

إذا تجنّب المرء التحليل الطبقي المحدّد و أمسك بظواهر سطحية معيّنة جزافا و توصل إلى نتائج ذاتية لا أساس لها فإنّه لا يستطيع أبدا أن يتوصّل إلى نتائج صحيحة فيما يتعلّق بالخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية بل سينزلق حتما إلى طريق مغايرة تماما عن طريق الماركسية اللينينية .

ما هي التناقضات الأساسية فى العالم المعاصر ؟ يرى الماركسيون اللينينيون دائما أنّ هذه التناقضات الأساسية هي :

التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإستعماري ؛

التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى البلدان الرأسمالية ؛

التناقض بين الأمم المضطهَدَة و الإستعمار؛

التناقضات فيما بين البلدان الإستعمارية و فيما بين الجماعات الرأسمالية الإحتكارية .

إنّ التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإستعماري هو تناقض بين نظامين إجتماعيين مختلفين جوهريّا هما الإشتراكية و الرأسمالية ، و لا شكّ أنّ هذا التناقض حاد جدّا . و لكن الماركسيين اللينيين يجب ألاّ يعتبروا التناقضات فى العالم مجرد تناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإستعماري لا غير.

لقد تغيّر ميزان القوى العالمية ، و أصبح بصورة متزايدة فى صالح الإشتراكية و الشعوب و الأمم المضطهَدَة ، و ليس فى صالح الإستعمار و رجعيي البلدان المختلفة قطعا . و مع ذلك فالتناقضات المذكورة آنفا ما زالت قائمة موضوعيّا .

إنّ هذه التناقضات و النضالات الناتجة عنها متداخلة بعضها بالبعض و يؤثّر بعضها فى البعض الآخر . و لا يمكن للمرء أن يمحو أي تناقض من هذه التناقضات الأساسية او أن يضع تناقضا محلّ كل التناقضات الأخرى كما يشاء .

و من المحتّم أن تؤدّي هذه التناقضات إلى ثورات الشعوب ، تلك الثورات التى بإمكانها وحدها حلّ هذه التناقضات .

5- إنّ الآراء الآتية و المتعلّقة بقضية التناقضات الأساسية فى العالم المعاصر ينبغى أن تدحض :

(أ) الرأي الذى يمحو المحتوى الطبقي للتناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإستعماري و لا ينظر إلى هذا التناقض بإعتباره تناقضا بين دول تحت ديكتاتورية البروليتاريا و دول تحت ديكتاتورية الرأسماليين الإحتكاريين ؛

(ب) الرأي الذى يعترف فقط بالتناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإستعماري بينما يهمل أو يقلّل من أهمّية التناقضات بين البروليتاريا و البرجوازية فى العالم الرأسمالي ، و بين الأمم المضطهَدة و الإستعمار ، و فيما بين البلدان الإستعمارية ، و فيما بين الجماعات الرأسمالية الإحتكارية ، و النضالات التى تثيرها هذه التناقضات ؛

(ج) الرأي القائل بأن التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى العالم الرأسمالي يمكن أن يحلّ بدون ثورة بروليتارية فى كلّ بلد من البلدان ، و بأنّ التناقض بين الأمم المضطهدَة و الإستعمار يمكن أن يحلّ بدون ثورة من قبل الأمم المضطهدَة ؛

(د) الرأي الذى ينكر أن تطوّر التناقضات الكامنة فى العالم الرأسمالي المعاصر لا بدّ أن يؤدّي إلى وضع جديد تنجرّ فيه البلدان الإستعمارية إلى صراع حاد ، و يؤمن بأنّ التناقضات فيما بين البلدان الإستعمارية يمكن أن تسوى أو حتى يمكن إزالتها عن طريق " إتفاقيات دولية فيما بين الرأسماليين الإحتكاريين الكبار" ؛

(ه) الرأي القائل بأنّ التناقض بين النظامين العالميين الإشتراكي و الرأسمالي سوف يختفى بصورة أوتوماتيكية خلال " المباراة الإقتصادية " ، و بأنّ التناقضات الأساسية الأخرى فى العالم ستتلاشى بصورة أوتوماتيكية أيضا مع تلاشى التناقض بين هذين النظامين و بأنّ " عالما لا حروب فيه " و عالما جديدا يتصف ب " التعاون فى جميع الوجوه " سيظهر للوجود .

واضح أنّ الآراء الخاطئة هذه لا بدّ أن تؤدّي إلى سياسات خاطئة و ضارة و من ثمّ تجلب النكسات و الخسائر من هذا النوع أو ذاك على قضية الشعوب و الإشتراكية .

6- لقد طرأ تغيّر جذري منذ الحرب العالمية الثانية على ميزان القوى بين الإستعمار و الإشتراكية . و الدلالة الرئيسية على هذا التغيّر هي أن العالم الآن لم يعد عالما فيه بلد إشتراكي واحد فقط بل ظهر فيه عدد من البلدان الإشتراكية التى تشكّل المعسكر الإشتراكي الجبار ، و أنّ الشعوب التى إتّخذت طريق الإشتراكية الآن لم يعد تعدادها قرابة مائتي مليون نسمة بل بلغ ألف مليون أو ثلث سكّان العالم .

إنّ المعسكر الإشتراكي هو وليد نضالات البروليتاريا العالمية و شغيلة العالم . و إنّه ملك لشعوب البلدان الإشتراكية كما هو ملك للبروليتاريا العالمية و شغيلة العالم .

إنّ المطالب المشتركة لدي شعوب بلدان المعسكر الإشتراكي و البروليتاريا العالمية و شغيلة العالم هي فى الأساس أنّه يجب على الأحزاب الشيوعية و العمالية فى المعسكر الإشتراكي :

أن تلتزم بالخطّ الماركسي اللينيني و تتبع سياسات ماركسية لينينية صحيحة فى الداخل و الخارج ؛

أن تدعم ديكتاتورية البروليتاريا و التحالف بين العمال و الفلاحين تحت قيادة البروليتاريا ، و تسير بالثورة الإشتراكية إلى أمام حتى النهاية فى الميادين الإقتصادية و السياسية و الإيديولوجية ؛

أن تطوّر روح المبادرة و الخلق لدي الجماهير الشعبية الغفيرة ، تنهض بالبناء الإشتراكي بصورة مخطّطة ، و تطوّر الإنتاج ، و تحسّن معيشة الشعب ، و تعزّز الدفاع الوطني ؛

أن تدعم وحدة المعسكر الإشتراكي على أساس الماركسية اللينينية ، و تؤيد البلدان الإشتراكية الأخرى على أساس الأممية البروليتارية ؛

أن تعارض السياسات العدوانية و الحربية التى يتّبعها الإستعمار ، و تدافع عن السلم العالمي ؛

أن تعارض السياسات المعادية للشيوعية و الشعب و الثورة التى يتّبعها الرجعيّون فى جميع البلدان ؛

أن تساعد النضالات الثوريّة التى تخوضها الطبقات و الأمم المضطهَدَة فى العالم بأسره .

إنّ إنجاز هذه المطالب هو واجب الأحزاب الشيوعيّة و العمّالية فى بلدان المعسكر الإشتراكي تجاه شعوبها و تجاه البروليتاريا و الشغيلة فى العالم .

و بإنجاز هذه المطالب فإنّ المعسكر الإشتراكي سيؤثّر تأثيرا حاسما فى تقدّم التاريخ البشري .

و لهذا السبب بالذات يحاول المستعمرون و الرجعيّون دائما و بكلّ وسيلة التأثير فى السياسات الداخلية و الخارجية لبلدان المعسكر الإشتراكي و تقويض المعسكر الإشتراكي و تمزيق وحدة البلدان الإشتراكية و خاصة وحدة الصين و الإتحاد السوفياتي . و إنّهم يحاولون دائما التسلّل إلى البلدان الإشتراكية و القيام بالأعمال الهدّامة فيها و يداعبهم الأمل المغرور فى تحطيم المعسكر الإشتراكي .

إنّ مسألة ما هو الموقف الصحيح تجاه المعسكر الإشتراكي هي مسألة مبدئية هامة جدّا تواجه جميع الأحزاب الشيوعية و العمالية .

تقوم الأحزاب الشيوعية و العمالية الآن فى ظروف تاريخية جديدة بتنفيذ الواجب الأممي البروليتاري واجب الوحدة و النضال . و عندما كان فى العالم بلد إشتراكي واحد فقط و عندما كان هذا البلد معرضا لعداء و تهديد كلّ المستعمرين و الرجعيّين لإتّباعه الحازم الخطّ الماركسي اللينيني الصحيح و السياسات الماركسية اللينينية الصحيحة ، كان المحك لإختبار الأممية البروليتارية لكلّ حزب شيوعي هو ما إذا كان يدافع بحزم عن هذا البلد الإشتراكي الوحيد أو لا ؟ أمّا الآن وقد أصبح فى العالم معسكر إشتراكي يتكوّن من ثلاثة عشر بلدا : ألبانيا و الإتحاد السوفياتي و جمهورية ألمانيا

الديمقراطية و بلغاريا و بولندا و تشيكوسلوفاكيا و رومانيا و الصين و جمهورية الفيتنام الديمقراطية و كوبا و جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية و مغوليا و هنغاريا ، فالمحك لإختبار الأممية البروليتارية لكلّ حزب شيوعي فى هذه الظروف هو ما إذا كان يدافع بحزم أم لا عن المعسكر الإشتراكي كلّه ، و ما إذا كان يدافع أم لا يدافع عن وحدة بلدان هذا المعسكر كلّها على أساس الماركسية اللينينية ، و ما إذا كان يدافع أم لا يدافع عن الخطّ الماركسي اللينيني و السياسات الماركسية اللينينية التى يجب أن تسير عليها البلدان الإشتراكية .

و إذا لم يتّبع أي فرد الخطّ الماركسي اللينيني الصحيح و السياسات الماركسية اللينينية الصحيحة و لم يدافع عن وحدة المعسكر الإشتراكي ، بل خلق ، على النقيض من ذلك ، التوتّر و الإنقسامات فى داخل المعسكر الإشتراكي إلى حدّ إتباع سياسات المحرّفين اليوغسلافيين، و حاول تصفية المعسكر الإشتراكي او ساعد البلدان الرأسمالية على مهاجمة البلدان الإشتراكية الشقيقة ، إذن فهو يخون مصالح البروليتاريا العالمية كلّها و مصالح شعوب العالم بأسره .

و إذا إتّبع أيّ فرد خطى الآخرين و دافع عن الخطّ الإنتهازي الخاطئ و السياسات الإنتهازية الخاطئة التى يتّبعها بلد إشتراكي معيّن ، بدل التمسّك بالخطّ الماركسي اللينيني الصحيح و السياسات لماركسية اللينينية الصحيحة التى يجب على البلدان الإشتراكية أن تتّبعها ، و دافع عن سياسة الإنقسام بدل التمسّك بسياسة الوحدة ، إذن فقد شطّ عن الماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية .

7- لقد حلّ المستعمرون الأمريكيون بالإفادة من الوضع عقب الحرب العالمية الثانية محلّ الفاشست الألمانيين و الإيطاليين و اليابانيين و حاولوا إقامة أمبراطورية عالمية ضخمة لا مثيل لها من قبل . و كانت الأهداف الإستراتيجية للإستعمار الأمريكي دائما هي العدوان و السيطرة على المنطقة الوسطى الواقعة بين الولايات المتحدة و المعسكر الإشتراكي و إخماد ثورات الشعوب و الأمم المضطهَدَة ، و السير للقضاء على البلدان الإشتراكية و وضع جميع الشعوب و البلدان فى العالم ، بما فيها حلفاء الولايات المتحدة ، تحت إستعباد و سيطرة الراسمال الإحتكاري الأمريكي .

و منذ الحرب العالمية الثانية ظلّ المستعمرون الأمريكيون يروّجون للحرب ضد الإتحاد السوفياتي و المعسكر الإشتراكي. و لهذه الدعاية جانبان : بينما يستعدّ المستعمرون الأمريكيون فعلا لمثل هذه الحرب يستخدمون هذه الدعاية أيضا كستار دخاني لتغطية إضطهادهم للشعب الأمريكي و لتوسيع عدوانهم على بقية العالم الرأسمالي .

و قد جاء فى بيان عام 1960 :

" إنّ الإستعمار الأمريكي قد أصبح أكبر مستثمر عالمي . "

و" إنّ الولايات المتحدة الأمريكية هي الحصن الرئيسي للحكم الإستعماري المعاصر".

" و إنّ الإستعمار الأمريكي هو القوة الرئيسية للعدوان و الحرب."

" و إن سير الأحداث العالمية فى السنوات الأخيرة قد أتى بالكثير من الدلائل الجديدة على كون الإستعمار الأمريكي هو الملاذ الرئيسي للرجعيّة العالميّة و الدرك الدولي و عدوّ شعوب العالم بأسره ."

إنّ الإستعمار الأمريكي يدفع سياساته العدوانية و الحربية فى كلّ أرجاء العالم ، و لكن النتيجة ستكون حتما على نقيض ما يريد و ستكون فقط تعجيل يقظة الشعوب فى كلّ البلدان و دفع ثوراتها إلى أمام .

و هكذا وضع المستعمرون الأمريكيون أنفسهم فى موضع المعارضة لشعوب العالم أجمع و أصبحوا مطوّقين بهذه الشعوب . إنّ البروليتاريا العالمية يجب و يمكنها أن توحّد جميع القوى التى يمكن توحيدها و تستفيد من التناقضات الداخلية فى معسكر العدوّ و تؤسّس أوسع جبهة متّحدة ضد المستعمرين الأمريكيين و أتباعهم .

إنّ الطريق الواقعي الصحيح هو أن يكون مصير الشعوب و البشريّة رهنا على وحدة و نضال البروليتاريا العالمية و على وحدة و نضال الشعوب فى كلّ البلدان .

و على النقيض من ذلك ، فإنّ عدم التمييز بين الأعداء من جانب و بين الأصدقاء و أنفسنا من الجانب الآخر و تعليق مصير الشعوب و البشريّة على التعاون مع الإستعمار الأمريكي فإنّ ذلك معناه حرف الناس إلى طريق الضلال . و هذا وهم قد دحضته وقائع السنوات القلائل الماضية .

8- إنّ مناطق آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية الواسعة هي المناطق التى تتجمّع فيها مختلف أنواع التناقضات فى العالم المعاصر، و الإستعمار أضعف ما يكون سيطرة فى هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التى تسدّد الآن الضربات المباشرة إلى الإستعمار .

إنّ الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية فى هذه المناطق و حركة الثورة الإشتراكية العالمية هما التيّاران التاريخيّان العظيمان فى عهدنا الحاضر .

إنّ الثورة الوطنية الديمقراطية فى هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة .

إنّ النضالات الثورية المعادية للإستعمار التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية تدكّ و تقوّض أسس سيطرة الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد بقوّة وهي الآن قوّة جبّارة لصيانة سلام العالم .

لذلك و بمعنى خاص ، فإنّ قضية الثورة البروليتارية العالمية برمّتها تدور على النضالات الثورية لدى شعوب هذه المناطق ، التى تشكّل الأغلبية العظمى من سكّان العالم .

لذلك فإنّ النضالات الثورية المعادية للإستعمار التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ليست قطعا أمرا ذا مغزى إقليمي و لكنّها أمر ذو أهمّية عامّة بالنسبة إلى قضيّة الثورة البروليتارية العالمية بأكملها .

إنّ أشخاصا معيّنين الآن يذهبون إلى حدّ إنكار المغزى العالمي العظيم للنضالات الثورية المعادية للإستعمار التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و بحجّة تحطيم الحواجز القومية و اللونيّة و الجغرافية يحاولون بكلّ ما فى وسعهم محو الخطّ الفاصل بين الأمم المضطهدَة و المضطهِدة و بين البلدان المضطهَدَة و المضطهِدة و كبت النضالات الثورية لشعوب هذه المناطق . و هذا فى واقع الأمر خدمة لحاجات الإستعمار و لخلق " نظرية " جديدة لتبرير حكم الإستعمار فى هذه المناطق و ترويج سياسات حكمه الإستعماري القديم و الجديد . إنّ هذه " النظرية " فى واقع الأمر لا تسعى لتحطيم الحواجز القومية و اللونية و الجغرافية بل تسعى للإبقاء على حكم " الأمم المتفوّقة " على الأمم المضطهَدَة . فطبيعي و معقول جدّا إذن أن تقابل هذه " النظرية " الخدّاعة بالرفض من قبل شعوب هذه المناطق .

إنّ الطبقة العاملة فى كلّ بلد إشتراكي و فى كلّ قطر رأسمالي عليها أن تضع فعلا موضع التنفيذ الحقيقي الشعارين النضاليين ، شعار " يا عمّال العالم إتحدوا ! " و شعار " يا عمال العالم و أممه المضطهَدَة إتحدوا ! " ، و عليها أن تدرس الخبرة الثورية لدى شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و ان تؤيد هذه الشعوب بحزم فى نشاطاتها الثورية و تعتبر قضيّة تحرّرها أعظم مساندة تعتمد عليها و متّفقة رأسا مع مصالحها . ذلك هو الطريق الفعّال الوحيد لتحطيم الحواجز القوميّة و اللونيّة و الجغرافيّة و ذلك وحده هو الأمميّة البروليتارية الحقيقيّة .

إنّ الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية الأوروبية و الأمريكية لا يمكن أن تحرّر نفسها إن لم تتّحد مع الأمم المضطهَدَة و إن لم تحرّر تلك الأمم . لقد أصاب لينين عندما قال :

إنّ الحركة الثورية فى البلدان المتقدّمة تصبح فعلا أكذوبة محضة إذا لم يتّحد عمّال اوروبا و أمريكا فى نضالهم ضد الرأسمال إتّحادا وثيقا تاما مع مئات و مئات الملايين من عبيد " المستعمرات " الذين يضطهدهم الرأسمال.(1- " المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية " . " مؤلفات لينين الكاملة " ، المجلد 31.)

إنّ أشخاصا معيّنين فى صفوف الشيوعية العالمية يذهبون الآن إلى إتّخاذ موقف سلبيّ أو موقف الإزدراء أو موقف الإنكار تجاه نضالات الأمم المضطهَدَة من أجل التحرّر . و هم فى الحقيقة يحمون مصالح الطبقة الرأسمالية الإحتكارية و يخونون مصالح البروليتاريا و ينحطّون فيصبحون إشتراكيين – ديمقراطيين .

و الموقف الذى يتّخذ تجاه النضالات الثورية لدى الشعوب فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية هو مقياس هام لتمييز الذين يريدون الثورة عمّن لا يردونها ، و لتمييز الذين يدافعون حقّا عن السلم العالمي عن الذين يعينون قوى العدوان و الحرب .

9- تواجه الأمم و الشعوب المضطهَدَة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية المهمّة الملحّة مهمّة محاربة الإستعمار و أتباعه .

إنّ التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية فى هذه المناطق رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية معارضة الإستعمار و معارضة الحكم الإستعماري القديم و الجديد و تحقيق الإستقلال الوطني و الديمقراطية الشعبية ، و أن تقف فى مقدّمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية ، و أن تكافح من أجل مستقبل إشتراكي .

إنّ أقساما واسعة جدّا من السكّان فى هذه المناطق ترفض أن تصير عبيدا للإستعمار، و لا تشتمل هذه الأقسام فقط على العمّال و الفلاحين و المثقفين و البرجوازيين الصغار و حسب بل تشتمل أيضا على البرجوازيين المحلّيين الوطنيين و حتى بعض الملوك و الأمراء و الأرستقراطيين الوطنيين .

على البروليتاريا و حزبها أن يثقا بقوّة الجماهير الشعبية و أن يتّحدا قبل كلّ شيء مع الفلّاحين و أن يؤسّسا تحالفا وطيدا بين العمّال و الفلاحين . و ممّا هو ذو أهمّية من الدّرجة الأولى بالنسبة للأفراد الطليعيين من البروليتاريا أن يعملوا فى مناطق الريف و يساعدوا الفلاحين على تنظيم أنفسهم و يرفعوا وعيهم الطبقي و عزّة النفس القوميّة و الثقة بالنفس .

و ينبغى للبروليتاريا و حزبها أو يوحّدا على أساس التحالف بين العمّال و الفلاحين جميع الفئات التى يمكن توحيدها و أن ينظّما جبهة متّحدة واسعة ضد الإستعمار و أتباعه . و من أجل تعزيز و توسيع هذه الجبهة المتّحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري بإستقلاله الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي و أن يصرّ على قيادة الثورة .

على الحزب البروليتارية و جماهير الشعب الثوريّة أن تتعلّم كيف تتقن النضال بجميع أشكاله بما فى ذلك النضال المسلّح. عليها أن تهزم القوة المسلّحة المعادية للثورة ، بالقوة المسلحة الثوريّة كلّما لجأ الإستعمار و أتباعه إلى القمع المسلّح .

إنّ البلدان الوطنية التى كسبت إستقلالها السياسي حديثا لا تزال تواجه المهمّات الشاقة لتوطيد الإستقلال السياسي ، و تصفية القوى الإستعمارية و الرجعية المحلية، و إنجاز الإصلاح الزراعي و الإصلاحات الإجتماعية الأخرى ، و تطوير إقتصادها الوطني و ثقافتها الوطنية . إنّه لذو أهمّية عملية و حاسمة بالنسبة لهذه البلدان أن تكون على حذر و تحارب سياسات الحكم الإستعماري الجديد التى يسير عليها الحكام المستعمرون القدامى للحفاظ على مصالحهم و خاصة عليها أن تحذر و تحارب الحكم الإستعماري الجديد الأمريكي .

و فى بعض هذه البلدان تواصل البرجوازية المحلّية الوطنية الوقوف بجانب جماهير الشعب فى النضال ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري ، و تتّخذ إجراءات معيّنة فى صالح التقدّم الإجتماعي . و هذا يتطلّب من الحزب البروليتاري أن يقدّر الدور التقدّمي الذى تلعبه البرجوازية المحلّية الوطنية تقديرا وافيا و أن يعزّز الإتحاد معها .

و بإزدياد حدّة التناقضات الإجتماعية الداخلية و الصراع الطبقي العالمي أخذ البرجوازيّون و خاصة البرجوازيين الكبار فى بعض البلدان المستقلّة حديثا يميلون إلى الإستعمار اكثر فأكثر ، ويعتمدون عليه ، و يتّبعون سياسات معادية للشعب و الشيوعية و الثورة . و هذا يتطلّب من الحزب البروليتاري أن يعارض بحزم هذه السياسات الرجعية .

و إنّ البرجوازية بصفة عامة فى هذه البلدان ذات طبيعة مزدوجة . فعندما يجرى تشكيل الجبهة المتّحدة مع البرجوازية ينبغى للحزب البروليتاري أن يتبع سياسة الإتّحاد و النضال فى آن واحد . و ينبغى أن يتّبع سياسة الإتّحاد مع البرجوازية طالما كانت تميل نحو التقدّمية و معادية للإستعمار و الإقطاع و لكن ينبغى أن ينتهج سياسة النضال ضد ميولها الرجعية ، ميول المصالحة و التواطء مع الإستعمار و القوى الإقطاعية .

و فيما يختصّ بالمسألة القومية فإن نظرة الحزب البروليتاري إلى العالم هي الأممية لا القومية . و فى النضال الثوري يؤيد الحزب البروليتاري القومية التقدمية و يعارض القومية الرجعية . و يجب عليه دائما أن يرسم خطّا فاصلا واضحا بين نفسه و بين القومية البرجوازية و لا ينبغى له أبدا أن يقع أسيرا لها .

جاء فى بيان عام 1960 :

إن الشيوعيين يفضحون محاولات الجناح الرجعي من البرجوازية إظهار المصالح الأنانية لهذه الطبقة على أنّها مصالح الأمّة جمعاء ، و هم يفضحون الإستخدام الديماغوجي من جانب بعض السياسيين البرجوازيين ، للشعارات الإشتراكية من أجل الهدف نفسه ...

و إذا أصبحت البروليتاريا ذيلا للإقطاعيين و البرجوازيين فى الثورة ، فإنّه لا يمكن أن يحقّق نصر حقيقي كامل للثورة الوطنية الديمقراطية بل و حتى إذا تحقّق نوع من النصر فإنّه من غير الممكن أيضا أن يوطّد ذلك النصر.

و فى مجرى النضالات الثوريّة التى تخوضها الأمم و الشعوب المضطهَدَة يجب على الحزب البروليتاري أن يضع برنامجه الخاص به الذى هو كلّيا ضد الإستعمار و الرجعية المحليّة و من أجل الإستقلال الوطني و الديمقراطية الشعبية . وعليه أن يعمل مستقلاّ بين الجماهير و يوسّع بلا إنقطاع القوى التقدّمية و يكسب القوى الوسطى و يعزل القوى الرجعية ؛ و بذلك فقط يمكنه أن يسير بالثورة الوطنية الديمقراطية إلى النهاية و يوجّه الثورة إلى طريق الإشتراكيّة .

10 – فى البلدان الإستعمارية و الرأسمالية فإنّ الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا هما ضروريّتان لحلّ تناقضات المجتمع الرأسمالي حلاّ كاملا .

و فى سبيل إنجاز هذا الواجب يجب على الحزب البروليتاريّ تحت الظروف الراهنة أن يقود الطبقة العاملة و الشغيلة الآخرين بصورة نشطة فى النضالات لمعارضة الرأسمال الإحتكاري و للدفاع عن الحقوق الديمقراطية و لمعارضة خطر الفاشستية و لتحسين ظروف المعيشة و لمعارضة توسيع الإستعمار للتسلّح و إستعداداته للحرب و لصيانة السلم العالمي و لتأييد النضالات الثورية التى تقوم بها الأمم المضطهَدة تأييدا نشطا .

و فى البلدان الرأسمالية التى يسيطر عليها الإستعمار الأمريكي أو يحاول السيطرة عليها ، ينبغى على الطبقة العاملة و جماهير الشعوب أن توجّه هجومها بصورة رئيسية إلى الإستعمار الأمريكي ، و أيضا إلى الطبقة الرأسمالية الإحتكارية و القوى الرجعية المحلّية الأخرى التى تخون المصالح الوطنية .

إنّ النضالات الجماهيرية الواسعة النطاق فى البلدان الرأسمالية خلال السنوات الأخيرة أظهرت أنّ الطبقة العاملة و الجماهير الكادحة الأخرى فى هذه البلدان أصبحت فى يقظة جديدة . و نضالاتها التى توجّه الضربات إلى الرأسمال الإحتكاري و الرجعية قد فتحت آفاقا مشرقة للقضية الثورية فى بلدانها ، كما أنّها تشكل مساندة قوية للنضالات الثورية التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية و لبلدان المعسكر الإشتراكي .

إنّ الأحزاب البروليتارية فى البلدان الإستعمارية أو الرأسمالية يجب عليها أن تحتفظ بإستقلالها الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي فى قيادة النضالات الثورية . و فى نفس الوقت عليها أن توحّد جميع القوى الممكن توحيدها و أن تقيم جبهة متّحدة واسعة ضد الرأسمال الإحتكاري و ضد السياسات الإستعمارية للعدوان و الحرب .

و أثناء قيادة النضالات المباشرة قيادة فعّالة ، ينبغى للشيوعيين فى البلدان الرأسمالية أن يربطوا هذه النضالات بالنضال من أجل المصالح الطويلة الأمد و العامة ، و يعلّموا الجماهير بروح ثورية ماركسية لينينية ، و يرفعوا دون إنقطاع وعيها السياسي و يضطلعوا بالواجب التاريخي للثورة البروليتارية . و إن لم يفعلوا ذلك ، وإن إعتبروا الحركة المباشرة كلّ شيء و حدّدوا تصرّفاتهم تبعا لكلّ حالة منفردة و حصروا أنفسهم فى الأحداث اليوميّة و ضحّوا بمصالح البروليتاريا الأساسية ، فإنّ ذلك هو الإشتراكية – الديمقراطية قلبا و قالبا .

إنّ الإشتراكية – الديمقراطية هي إتجاه إيديولوجي برجوازي . و قد أشار لينين منذ وقت بعيد إلى أن الأحزاب الإشتراكية – الديمقراطية هي فرق سياسية للبرجوازيين و عميلتهم فى حركة الطبقة العاملة و سندهم الإجتماعي الرئيسي . يجب على الشيوعيين فى كلّ وقت أن يرسموا خطّا فاصلا واضحا بين أنفسهم و بين الأحزاب الإشتراكية - الديمقراطية حول القضية الأساسية للثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا ، و يصفّوا النفوذ الإيديولوجي للإشتراكية – الديمقراطية فى الحركة العمّالية العالمية و فى وسط شغّيلة العالم . و لا شكّ أبدا أنّه يجب على الشيوعيين كسب الجماهير الواقعة تحت نفوذ الأحزاب الإشتراكية – الديمقراطية و كسب العناصر اليسارية و الوسطى فى داخل الأحزاب الإشتراكية –

الديمقراطية ، تلك العناصر التى ترغب فى معارضة الرأسمال الإحتكاري المحلّي و سيطرة الإستعمار الأجنبي ، و أن يتّحدوا معها فى النشاطات الواسعة المشتركة للنضال اليومي لدي حركة الطبقة العاملة و للنضال من أجل صيانة السلم العالمي .

من أجل قيادة البروليتاريا و الشغيلة الآخرين فى الثورة يجب على الأحزاب الماركسية اللينينية أن تكون بارعة فى النضال بجميع أشكاله و أن تستبدل بسرعة شكلا بآخر عندما تتغيّر ظروف النضال . و لا يمكن لطليعة البروليتاريا أن تبقى مانعة لا تغلب فى جميع الظروف إلاّ إذا برعت فى جميع أشكال النضال – السلمي و المسلّح ، العلني و السرّي ، الشرعي و غير الشرعي ، البرلماني و الجماهيري إلخ ... و إنّه لخطأ أن يرفض إستعمال شكل النضال البرلماني و الأشكال الشرعية الأخرى للنضال ، فى الوقت الذى يجب فيه أن تستعمل و يمكن أن تستعمل . و لكن إذا إنحطّ حزب ماركسي لينيني و أصبح مفتونا بالبرلمانية و القانونية و حصر النضال فى الحدود التى يسمح بها البرجوازيين فإنّ ذلك سيؤدى حتما إلى نبذ الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا .

11- و بخصوص مسألة الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية يجب على الحزب البروليتاري أن ينطلق من موقف الصراع الطبقي و الثورة و ان يرتكز على التعاليم الماركسية اللينينية الخاصة بالثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا .

إنّ الشيوعيين يفضلون دائما إحداث الإنتقال إلى الإشتراكية بالوسائل السلمية . و لكن هل يمكن جعل الإنتقال السلمي مبدأ إستراتيجيا عالميا جديدا للحركة الشيوعية العالمية ؟ قطعا لا .

إنّ الماركسية اللينينية ترى دائما أن المسألة الأساسية لجميع الثورات هي مسألة سلطة الدولة . و قد ورد بوضوح فى تصريح عام 1957 و بيان عام 1960 أنّ " اللينينية تعلم ، و التجربة التاريخية تثبت ، أنّ الطبقات المسيطرة لا تتخلّى عن الحكم طوعا . " إنّ الحكومة الهرمة لا تسقط أبدا من تلقاء نفسها حتى فى زمن الأزمة ، ما لم تدفع . و هذا قانون عام للصراع الطبقي .

و قد أشار ماركس و لينين فى ظروف تاريخية محدّدة إلى إمكانية التطوّر السلمي للثورة . و لكن التطور السلمي للثورة ، كما قال لينين ، هو " فرصة إستثنائية نادرة فى تاريخ الثورات " .

و فى الواقع لم توجد بعد فى تاريخ العالم سابقة واحدة فى الإنتقال السلمي من الرأسمالية إلى الإشتراكية .

و يقول أشخاص معيّنون : لم تكن هناك سابقة عندما تنبأ ماركس بأن الإشتراكية ستحلّ حتما محلّ الرأسمالية ، فلماذا لا يمكننا أن نتنبّا بإنتقال سلمي من الرأسمالية إلى الإشتراكية رغم عدم وجود سابقة ؟

إنّ هذا التشبيه تشبيه سخيف . و قد حلّل ماركس ، مستخدما المادية الديالكتيكية و المادية التاريخية ، تناقضات المجتمع الرأسمالي و إكتشف القوانين الموضوعية لتطوّر المجتمع البشري و توصّل إلى نتيجة علمية ، بينما الأنبياء الذين يعلّقون كلّ آمالهم على " الإنتقال السلمي " ينطلقون من المثالية التاريخية و يمحون أهمّ التناقضات الأساسية للمجتمع الرأسمالي و يناقضون التعاليم الماركسية اللينينية حول الصراع الطبقي ، ثمّ يتوصّلون إلى نتيجة ذاتيّة لا أساس لها . فكيف يمكن لهؤلاء الناس الذين يناقضون الماركسية أن يجدوا أيّة مساعدة من ماركس ؟

واضح لكلّ فرد أن البلدان الرأسمالية تعزّز الآن جهاز الدولة و بخاصة أجهزتها العسكرية . و الغرض الرئيسي من ذلك هو قمع الشعب فى بلادها ذاتها .

إنّ الحزب البروليتاري لا ينبغى له أبدا أن يبني تفكيره و سياساته الموضوعة للثورة و جميع أعماله على إفتراض أن الإستعمار و الرجعيين سيقبلون تحولا سلميّا .

يجب على الحزب البروليتاري أن يعدّ نفسه لإحتمالين – بينما يعدّ لتطوّر سلمي للثورة ، يجب عليه أيضا أن يعد إعدادا كاملا لتطوّر غير سلمي للثورة . يجب على الحزب البروليتاري أن يركّز على العمل الشاق عمل تجميع القوّة الثوريّة حتى يكون على إستعداد لإنتزاع النصر عندما تنضج الشروط للثورة ، أو لتسديد ضربات قويّة إلى المستعمرين و الرجعيّين عندما يشنّون هجوما مفاجئا أو هجوما مسلّحا .

و إذا لم ينجز الحزب البروليتاري هذه الإعدادات فإنّه سيشلّ الإرادة الثوريّة لدى البروليتاريا و يجرّد نفسه من السلاح إيديولوجيا و يقع فى حالة سلبية تماما هي عدم الإستعداد من الناحية السياسيّة و التنظيمية ، و الأمر الذى يؤدّى إلى دفن قضيّة الثورة البروليتارية .

12- إن جميع الثورات الإجتماعية فى مراحل التاريخ البشري المختلفة هي حتميّة تاريخية و تخضع لقوانين موضوعيّة مستقلّة عن إرادة الإنسان . و فضلا عن ذلك فإنّ التاريخ قد دلّ على أنّه ما من ثورة أحرزت النصر بدون تعرّجات و تضحيات .

إنّ واجب الحزب البروليتاري هو أن يحلّل على أساس النظرية الماركسية اللينينية الظروف التاريخية المحددة ، و يضع الإستراتيجية و التاكتيك الصحيحين ، و يقود الجماهير الشعبية إلى تخطّى الصخور الخفية و يتجنّب التضحيات غير اللازمة حتى يحقّق الهدف خطوة فخطوة . هل يمكن تجنّب التضحيات كلّيا ؟ لم يكن الأمر هكذا بالنسبة لثورات العبيد ، و ثورات الأقنان ، و الثورات البرجوازية أو الثورات الوطنية كما لم يكن الحال كذلك بالنسبة للثورات البروليتارية . و حتى و لو كان الخطّ المرشد للثورة صحيحا فإنّه من المستحيل وجود ضمان كامل لإنعدام النكسات و التضحيات فى مجرى الثورة . و طالما تمّ الإلتزام بالخطّ الصحيح ، فإنّ الثورة لا بدّ أن تنتصر فى النهاية . إنّ التخلى عن الثورة بحجّة تجنّب التضحيات هو فى الحقيقة مطالبة الشعوب بأن تبقى مستعبدة أبدا ، و أن تصبر على آلام و تضحيات لا حدّ لها .

إنّ أبجديّة الماركسية اللينينية تعلمنا أن مخاض ثورة أخفّ بكثير من ألم المجتمع القديم المزمن . و قد أصاب لينين حين قال : " و حتى إذا كان مجرى الحوادث سلميّا إلى أقصى درجة فإنّ النظام (الرأسمالي) الحاضر يفرض دائما و حتما على الطبقة العاملة تضحيات لا تحصى ". (" مذبحة أخرى " ، " مؤلفات لينين الكاملة " المجلد 5.)

و كلّ من يظنّ أنّه يمكن القيام بالثورة فقط عندما يكون كلّ شيء سهلا طبعا و فقط عندما يوجد ضمان مسبّق لإنعدام التضحيات و الفشل هو ليس ثوريّا قطعا .

مهما كانت الظروف صعبة و كيفما كانت التضحيات جمّة و الفشل الذى قد تتكبّده الثورة كبيرا ، فإنّه يجب على الثوريين البروليتاريين أن يعلموا الجماهير بروح الثورة ، و أن يرفعوا عاليا راية الثورة ، لا أن يتخلّوا عنها .

إذا أقدم الحزب البروليتاري على الثورة بصورة طائشة قبل نضوج الظروف الموضوعية فإنّ ذلك يكون مغامرة " يسارية " . و إذا لم يجرؤ الحزب البروليتاري على قيادة الثورة و إنتزاع سلطة الدولة عندما تكون الظروف الموضوعية ناضجة ، فإنّ ذلك يكون إنتهازية يمينية .

و حتى فى الأيّام العادية عندما يقود الحزب البروليتاري الجماهير للقيام بالنضال اليومي ، عليه أن يعدّ و يحضّر صفوفه و الجماهير الشعبية إيديولوجيّا و سياسيّا و تنظيميّا من أجل الثورة و يدفع النضالات الثوريّة حتى لا تفوته الفرصة لقلب سلّة الرجعية و إقامة سلطة دولة جديدة عندما تكون ظروف الثورة ناضجة . و إلاّ فإنّ الحزب البروليتاري ستفوته الفرصة فى إنتزاع نصر الثورة رغم نضوج الظروف الموضوعيّة .

على الحزب البروليتاري أن يتمسّك بالمبادئ تمسّكا حازما كما يجب عليه أن يكون مرنا ، و عليه فى بعض الأحيان أن يساوم مساومة ضرورية تخدم مصالح الثورة . و لكن لا ينبغى له أبدا أن يتخلى عن السياسات القائمة على المبدأ و عن هدف الثورة بحجّة المرونة و المساومات الضرورية .

على الحزب البروليتاري أن يقود الجماهير الشعبية إلى شنّ النضالات ضد الأعداء ، و يجب عليه أن يعرف كيف يستفيد من التناقضات الموجودة بين هؤلاء الأعداء . و لكن الغرض من الإستفادة من تلك التناقضات هو تسهيل الوصول إلى هدف نضالات الشعب الثورية ، لا لتصفية هذه النضالات .

لقد أثبتت وقائع لا تحصى أنّه حيثما وجد حكم الإستعمار و الرجعية الأسود فإنّ الشعب الذى يشكّل أكثر من تسعين بالمائة من السكان سيهبّ ثائرا عاجلا أو آجلا .

و إذا عزل الشيوعيون أنفسهم عن المطالب الثورية لدى الجماهير فإنّهم سيفقدون حتما ثقة الجماهير بهم ، و سيقذف بهم التيّار الثوري إلى المؤخّرة .

و إذا سارت الجماعة القياديّة فى أي حزب من الأحزاب على خطّ غير ثوري و حوّلت الحزب إلى حزب إصلاحي فإنّ الماركسين اللينينيين فى داخل الحزب و خارجه سيحلون محلّ تلك الجماعة و يقودون الشعب للقيام بالثورة . و إذا لم يحدث هذا فإنّ الثوريين البرجوازيين سيتقدّمون لقيادة الثورة ، و سيفقد الحزب البروليتاري قيادتها . و عندما تخون البرجوازية الرجعية الثورة و تقمع الشعب فإنّ خطّا إنتهازيا سيسبّب خسائر مفجعة غير لازمة للشيوعيين و الجماهير الثورية .

و إذا إنزلق الشيوعيون فى طريق الإنتهازية فإنهم سيصبحون وطنيين برجوازيين و يصبحون ذيولا للمستعمرين و البرجوازيين الرجعيين .

هناك أشخاص معيّنون يزعمون أنهم قدّموا أعظم مساهمات خلاّقة للنظرية الثورية منذ وفاة لينين و أنّهم وحدهم المصيبون ؛ و لكن المشكوك فيه جدّا هو : هل فكّروا حقّا فى الخبرة الشاملة لكلّ الحركة الشيوعية العالمية ؟ هل إعتبروا حقّا مصالح و هدف و مهام الحركة الشيوعية العالمية مطابقة للماركسية اللينينية ؟

لقد كسبت الحركة الشيوعية العالمية و حركة التحرّر الوطني خلال السنوات القلائل الماضية كثيرا من التجارب و الدروس . هناك تجارب تستحقّ تمجيد الناس ، و هناك تجارب تحزن الناس . و على الشيوعيين و الثوريين فى جميع البلدان أن يفكّروا و يدرسوا بجدّ هذه التجارب ، تجارب النجاح و تجارب الفشل ، حتى يستخلصوا من ذلك نتائج صحيحة و دروسا نافعة .

13- إنّ البلدان الإشتراكية تؤيّد و تساعد النضالات الثورية التى تخوضها الشعوب و الأمم المضطهَدَة فى العالم قاطبة كما أنّ هذه النضالات الثورية تؤيد و تساعد البلدان الإشتراكية . إنّ حركات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية و الحركات الثورية لدى شعوب البلدان الرأسمالية سند قوي للبلدان الإشتراكية . إنّه لخطأ تماما أن ينكر ذلك .

و الموقف الوحيد الذى ينبغى للبلدان الإشتراكية أن تتّخذه إزاء النضالات الثوريّة لدى الشعوب و الأمم المضطهَدَة هو موقف عطف حار و تأييد نشط ، و لا ينبغى لها إطلاقا أن تتّخذ إزاءها موقف عدم الإكتراث أو موقف أنانية قومية أو موقف عصبيّة أمّة كبيرة .

قال لينين : " إنّ التحالف مع الثوريين فى البلدان المتقدّمة و مع الشعوب المضطهَدَة ضد أي من المستعمرين و جميعهم هو السياسة الخارجية للبروليتاريا " (" السياسة الخارجية للثورة الروسية " . " مؤلفات لينين الكاملة " المجلد 25.) كلّ من يعجز عن إدراك هذه النقطة و يعتبر التأييد و المعونة التى تقدّمها البلدان الإشتراكية للشعوب و الأمم المضطهَدَة عبأ أو إحسانا فهو سائر فى إتجاه مضاد للماركسية اللينينية و الأمميّة البروليتارية .

إنّ تفوّق النظام الإشتراكي و منجزات البلدان الإشتراكية فى البناء يلعبان دور القدوة والإلهام للشعوب والأمم المضطهَدة . و لكن دور القدوة و الإلهام هذا لا يمكن أبدا أن يحلّ محلّ النضالات الثورية لدى الشعوب و الأمم المضطهَدة . و لا يمكن لأي شعب أو أمّة مضطهَدَة أن تتحرّر إلاّ بنضالها الثوري الحازم .

بالغ أشخاص معيّنون فى تقدير دور المباراة السلميّة وحدها بين البلدان الإشتراكية و البلدان الإستعمارية محاولين وضع المباراة السلمية محلّ النضالات الثورية لدى جميع الشعوب و الأمم المضطهَدَة . و طبقا لتبشيرهم يخيّل للمرء أن الإستعمار سينهار من تلقاء نفسه خلال هذه المباراة السلمية ، و أنّ الأمر الوحيد الذى ينبغى لجميع الشعوب و الأمم المضطهَدَة أن تفعله هو الإنتظار فى هدوء لحدوث هذا . فهل يوجد بين هذا و وجهات النظر الماركسية اللينينية أي شيء مشترك ؟

و قد إخترع أشخاص معيّنون فضلا عن ذلك عبارة غريبة هي أن الصين و بعض بلدان إشتراكية أخرى تريد " إثارة حروب " و ترويج الإشتراكية بواسطة " الحروب بين الدول ". إنّ مثل هذه العبارة ليست سوى إفتراءات إستعمارية و رجعية كما جاء فى بيان عام 1960 . إذا تحدثنا بصراحة فإنّ غرض أولئك الذين يردّدون هذه الإفتراءات هو تغطية حقيقة أنّهم يعارضون الثورات لدى شعوب و أمم العالم المضطهَدَة و يعارضون مساندة الآخرين لهذه الثورات .

14- لقد قيل الكثير فى السنوات الأخيرة حول قضية الحرب و السلم . و وجهات نظرنا و سياساتنا حول هذه القضية معروفة لدى كلّ العالم ، ولا يمكن لأي شخص أن يشوّهها .

و لكن من المؤسف أنّه رغما من أنّ أشخاصا معيّنين فى الحركة الشيوعية العالمية يتحدّثون كثيرا عن حبّهم العظيم للسلم و كراهيتهم للحرب ، إلاّ أنّهم لا يرغبون حتى فى إحراز فهم قليل للحقيقة البسيطة الواضحة التى عرضها لينين بشأن قضية الحرب .

قال لينين :

يبدو لي أن الشيء الأساسي الذى ينسي عادة و الذى لم يلق الإنتباه الملائم حول قضية الحرب ، مما أدّى إلى إثارة كثير من الجدال – و بودّي أن أقول أنه جدال عقيم يائس و لا غرض منه - هو أنّ الناس ينسون المسألة الجوهرية التى هي الطابع الطبقي للحرب ، و لماذا نشبت الحرب ، و ما هي الطبقات التى تشنّ الحرب ، و الظروف التاريخية و الظروف الإقتصادية التاريخية التى سببت الحرب . (" الحرب و الثورة ". " مؤلفات لينين الكامل ة" المجلّد 24).

و فى نظر الماركسيين اللينينيين فإنّ الحرب هي إمتداد للسياسة بطرق أخرى ، و إنّ كلّ حرب لا يمكن أن تنفصل عن النظام السياسي و النضالات السياسية التى تسببها . و إذا حاد المرء عن هذا الرأي الماركسي اللينيني العلمي الذى أثبته كلّ تاريخ الصراع الطبقي فى العالم فلا يمكنه أن يفهم أبدا لا مسألة الحرب و لا مسألة السلم .

هناك أنواع مختلفة للسلم و أنواع مختلفة للحرب . و ينبغى للماركسيين اللينينيين أن يكونوا على فهم واضح : من أي نوع ذلك السلم ؟ و من أي نوع تلك الحرب المعيّنة ؟ إنّ الخلط بين الحروب العادلة و الحروب غير العادلة بلا تمييز و معارضة كلّ الحروب ، ما هو إلاّ موقف المسالمين البرجوازيين و ليس موقف الماركسيين اللينينيين .

يقول أشخاص معيّنون إنّ الثورات ممكنة كلّيا بدون حرب . فأيّ نوع من الحرب يقصدون- أحرب تحرّر وطني أم حربا ثورية أهلية ، أم حربا عالمية ؟

إن كانوا يقصدون حرب تحرّر وطني أو حربا ثوريّة أهليّة ، فإنّ هذا القول هو فى الحقيقة معارضة للحروب الثورية و للثورة . و إن كانوا يقصدون حربا عالمية فيتّضح أن ذلك تصويب نحو هدف لا وجود له . و رغما من أنّ الماركسيين اللينينيين أشاروا ، بناء على أساس تاريخ الحربين العالميّتين ، إلى أن الحروب العالمية لا بدّ أن تؤدّي إلى الثورة ، إلاّ أنّه ما من ماركسي لينيني قال أو سيقول بأنّ الثورة يجب أن تكون عن طريق الحرب العالمية .

يتّخذ الماركسيون اللينينيون إزالة الحرب كمثل أعلى لهم و يؤمنون بأن الحرب يمكن إزالتها من الوجود .

و لكن كيف تمكن إزالة الحرب ؟

هكذا كان رأي لينين :

... إن هدفنا هو إقامة النظام الإشتراكي للمجتمع ، ذلك النظام الذى بالقضاء على تقسيم البشرية إلى طبقات و بالقضاء على إستغلال الإنسان للإنسان و إستغلال أمّة لأمة أخرى ، سيقضى حتما على كلّ إمكانية للحرب . (نفس المصدر)

يقول بيان عام 1960 بكلّ وضوح أيضا : " إنّ إنتصار الإشتراكية فى العالم كلّه يزيل نهائيّا الأسباب الإجتماعية و القومية لنشوب أيّة حرب ".

و مع ذلك يرى أشخاص معيّنون الآن فعلا أنّه من الممكن تحقيق " عالم بلا أسلحة و لا قوّات مسلحة و لا حروب " عن طريق " نزع السلاح الكامل الشامل " ، بينما نظام الإستعمار و إستغلال الإنسان للإنسان لا يزال قائما ، إنّ هذا وهم محض .

إنّ أبجدية الماركسية اللينينية تخبرنا أنّ القوات المسلّحة هي الجزء الأساسي من جهاز الدولة ، و أنّ ما يسمّى بعالم بلا أسلحة و لا قوات مسلّحة ، لا يمكن إلاّ أن يكون عالما بلا دول . لقد قال لينين :

إنّه فقط بعد أن تجرّد البروليتاريا البرجوازية من سلاحها يصبح فى مقدورنا ، دون خيانة رسالتها التاريخية العالمية ، إلقاء جميع الأسلحة إلى كومة المهملات . و لا شكّ أنّ البروليتاريا سوف تفعل ذلك . و لكن فقط بعد الإيفاء بهذا الشرط و لا قبل ذلك بالتأكيد .(" البرنامج الحربي للثورة البروليتارية " ؛ " مؤلفات لينين الكاملة " المجلد 23).

ما هي الحقائق الواقعة فى عالم اليوم؟ هل هناك دالّة حتى و لو كانت صغيرة تبرهن على أن البلدان الإستعمارية برئاسة الولايات المتحدة على إستعداد لإنجاز نزع السلاح الكامل الشامل ؟ أليست كلّها على إنفراد و مجتمعة منغمسة فى توسيع السلاح الكامل الشامل ؟

لقد كان رأينا دائما أنّه من أجل فضح و معارضة توسيع التسلّح و الإستعدادات الحربيّة لدى المستعمرين ، من الضروري وضع إقتراح نزع السلاح العام . و فضلا عن ذلك فمن الممكن إجبار الإستعمار على قبول إتّفاقية ما حول نزع السلاح عن طريق النضال المشترك من قبل بلدان المعسكر الإشتراكي و شعوب كلّ العالم .

و إذا إعتبر المرء نزع السلاح الكامل الشامل الطريق الأساسي للسلم العالمي ، و نشر الوهم القائل بأنّ الإستعمار سوف يتخلّى عن أسلحته من تلقاء نفسه ، و حاول تصفية النضالات الثوريّة لدى الشعوب والأمم المضطهَدَة بحجة نزع السلاح ، فما غرضه من ذلك سوى خداع شعوب العالم عن عمد و مساعدة المستعمرين فى سياساتهم العدوانية و الحربيّة .

من أجل التغلّب على الفوضى الفكريّة القائمة الآن فى حركة الطبقة العاملة العالمية حول قضية الحرب و السلم ، نعتبر أن إستنتاجات لينين التى نبذها المحرّفون المعاصرون يجب أن تعاد إلى مكانها لمصلحة معارضة السياسات الإستعمارية العدوانية و الحربية و لمصلحة صيانة السلم العالمي .

تطالب شعوب العالم قاطبة بمنع نشوب حرب عالمية جديدة . و من الممكن منع نشوب حرب عالمية جديدة .

و السؤال الآن : ما هو الطريق لتحقيق السلم العالمي ؟ وفقا لوجهة النظر اللينينية فإنّ السلم العالمي يمكن أن يكسب فقط بنضالات الشعوب فى جميع البلدان ، لا بإستجداء المستعمرين من أجله . إنّ السلم العالمي يمكن أن يصان بصورة فعّالة فقط بالإعتماد على تطوّر قوى المعسكر الإشتراكي ، وعلى النضالات الثورية لدى البروليتاريا و الشغيلة فى كلّ البلدان ، و على النضالات التحرّرية لدى الأمم المضطهَدَة ، و على نضالات جميع الشعوب و البلدان المحبّة للسلم .

هذه هي السياسة اللينينية . و أي سياسة مناقضة لهذه سوف لا تؤدّي قطعا إلى سلم عالمي ، بل سوف تزيد أطماع المستعمرين و تزيد خطر الحرب العالمية .

و خلال السنوات الأخيرة ظلّ أشخاص معيّنون ينشرون القول بأن شرارة واحدة من حرب تحرّر وطني أو من حرب ثورية شعبيّة سوف تؤدّى إلى حريق عالمي يحطّم كلّ البشرية . و لكن ما هي الحقائق الواقعة ؟ على النقيض ممّا يقوله هؤلاء الأشخاص فإنّ حروب التحرّر الوطني و الحروب الثوريّة الشعبيّة التى وقعت منذ الحرب العالمية الثانية لم تؤدّ إلى حرب عالمية . إنّ إنتصار هذه الحروب الثوريّة قد أضعف بصورة مباشرة قوى الإستعمار و عزّز بصورة عظيمة السلم العالمي . ألم تدلّ هذه الحقائق على سخف ذلك القول ؟

15- إن تحريم و تدمير الأسلحة النووية بصورة كاملة واجب هام فى النضال لصيانة السلم العالمي . و يجب علينا أن نبذل أقصى جهودنا لهذا الغرض .

إنّ الأسلحة النوويّة ذات قوة تدميرية لا شبيه لها ، الأمر الذى جعل المستعمرين الأمريكيين يسيرون منذ أكثر من عشرة أعوام على سياستهم الإبتزازية النووية لتحقيق طمعهم فى إستعباد شعوب كلّ البلدان و فى السيطرة على العالم .

و لكن عندما يهدّد المستعمرون البلدان الأخرى بالأسلحة النوويّة يعرضون الشعوب فى بلدانهم نفسها للتهديد نفسه ، و هكذا يثيرون شعوبهم لمعارضة الأسلحة النوويّة و معارضة السياسات الإستعمارية العدوانية و الحربيّة . و فى نفس الوقت بينما يداعب المستعمرين أملهم المغرور بإهلاك خصومهم بالأسلحة النووية يعرّضون فى الحقيقة أنفسهم لخطر الهلاك .

إنّ إمكانية تحريم الأسلحة النووية كائنة فعلا . و لكن إذا أجبر المستعمرون على قبول إتّفاقية حول تحريم الأسلحة النوويّة فإنّه قطعا لا " لحبّهم للبشريّة " ، بل لضغط شعوب العالم و لأجل مصالحهم الحيوية .

وعلى النقيض ممّا يفعله المستعمرون تعتمد البلدان الإشتراكية على القوّة العادلة لدي الشعوب وعلى سياساتها الصحيحة ، كما هي ليست بحاجة إطلاقا إلى المقامرة بالأسلحة النوويّة هو فقط بغرض الدفاع عن نفسها و لمنع الإستعمار من إثارة حرب نووية .

وفى نظر الماركسيين اللينينيين فإنّ الشعوب هي صانعة التاريخ . إنّ الإنسان فى الوقت الحاضر كما كان فى الماضى هو العامل الحاسم فى تطوّر التاريخ و فى الحياة الواقعية ؛ إنّ الماركسيين اللينينيين يعيرون أهمّية لدور التغير التكنولوجي ، و لكن من الخطأ تحقير دور الإنسان و المبالغة فى دور التكنولوجيا .

إنّ ظهور الأسلحة النوويّة لا يوقف تقدّم التاريخ البشري و لا ينقذ النظام الإستعماري من مصيره المحتوم ، كما أنّ ظهور جميع التكنيك الجديد فى الماضي لم يكن بوسعه إنقاذ النظم القديمة من مصيرها المحتوم .

إنّ ظهور الأسلحة النوويّة لم يكن بإمكانه و ليس بإمكانه و ليس بوسعه أن يغيّر قانون الصراع الطبقي ، و لم يكن بإمكانه و ليس بوسعه أن يغيّر طبيعة الإستعمار و الرجعية .

لذلك لا يمكن القول بأنّه مع ظهور الأسلحة النوويّة فإنّ إمكانية و ضرورة الثورات الإجتماعية و الوطنية قد زالتا ، أو أن المبادئ الأساسية للماركسية اللينينية و خاصة المبادئ الخاصة بالثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا و الخاصة بالحرب و السلم قد فات أوانها و تحوّلت إلى " عقائد " بالية .

16- إنّ لينين هو الذى قدّم الإستنتاج القائل بأنّ من الممكن للبلدان الإشتراكية أن تتعايش سلميّا مع البلدان الرأسمالية . و من المعروف جدّا أنّه بعد صدّ الشعب السوفياتي العظيم التدخّل المسلّح الأجنبي ، كان الحزب الشيوعي السوفياتي و الحكومة السوفياتية تحت قيادة لينين ثمّ ستالين يتبعان بثبات سياسة التعايش السلمي ، و إنّهما أجبرا على شنّ حرب دفاعيّة عندما هوجم الإتحاد السوفياتي من قبل المستعمرين الألمانيين .

إنّ جمهورية الصين الشعبية ظلّت تتمسّك منذ تأسيسها بسياسة التعايش السلمي مع البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . و إنّها هي التى إبتكرت المبادئ الخمسة للتعايش السلمي .غير أنّه منذ سنوات قليلة إدّعى أشخاص معيّنون فجأة بأنّ سياسة لينين للتعايش السلمي هي " إكتشاف عظيم " توصّلوا إليه و زعموا أنّ لهم حقّ إحتكار تفسير هذه السياسة . و إعتبروا " التعايش السلمي" كتابا سماويّا مليئا بالأسرار يحتوى على كلّ شيء و يعزون إليه كلّ نجاح كسبته شعوب العالم بالنضال . و أكثر من ذلك يصفون كل من لا يوافقون على تشويههم لآراء لينين بأنّهم يعارضون التعايش السلمي و بأنّهم أناس يجهلون تماما لينين و اللينينية . و بأنّهم خوارج يستحقّون الموت حرقا .

كيف يمكن للشيوعيين الصينيين أن يوافقوا على هذا الرأي و ذلك التصرّف ؟ كلاّ ! إنّ هذا لمستحيل .

إنّ مبدأ لينين حول التعايش السلمي واضح و مفهوم جدّا لكلّ إنسان عادي . إنّ التعايش السلمي يقصد به العلاقات بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة و لا ينبغى لأي إنسان أن يؤوّله حسبما يريد . و لا ينبغى أبدا أن يمدّ فيطبّق على العلاقات بين الأمم المضطهَدَة و المضطهِدة ، و بين البلدان المضطهَدة و المضطهِدة ، أو بين الطبقات المضطهَدة و المضطهِدة ، و لا ينبغى أبدا أو يوصف بأنّه هو المحتوي الرئيسي للإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية فضلا عن الزعم بأن التعايش السلمي هو طريق البشريّة إلى الإشتراكية . و السبب فى ذلك هو أنّ ممارسة التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة أمر لا يسمح للبلدان التى تمارس التعايش السلمي و لا يمكنها أبدا ، أن تمسّ و لو شعرة من الأنظمة الإجتماعية للبلدان التى تتعايش معها سلميّا . أمّا الصراع الطبقي و النضال من أجل التحرّر الوطني و الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية فى البلدان المختلفة فأمر آخر. و تلك كلّها نضالات ثورية حادة ، نضالات حياة أو موت ، تهدف إلى تغيير الأنظمة الإجتماعية . و لا يمكن أبدا أن يحلّ التعايش السلمي محلّ النضالات الثورية لدى الشعوب . و الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية فى أي بلد يمكن تحقيقه فقط عبر الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا فى ذلك البلد .

و خلال تطبيق سياسة التعايش السلمي لا يمكن تفادي النضالات بين البلدان الإشتراكية و البلدان الإستعمارية فى الميادين السياسية و الإقتصادية و الإيديولوجية . و لا يمكن إطلاقا وجود " تعاون شامل لجميع الجوانب " .

من الضروري للبلدان الإشتراكية أن تجري مفاوضات من هذا النوع أو ذاك مع البلدان الإستعمارية . و من الممكن التوصّل إلى إتّفاقيات معيّنة ، عبر المفاوضات بالإعتماد على السياسات الصحيحة لدى البلدان الإشتراكية و على ضغط الجماهير الشعبية فى البلدان المختلفة . غير أن المساومات الضرورية بين البلدان الإشتراكية و البلدان الإستعمارية لا تتطلّب من الشعوب و الأمم المضطهَدة أن تفعل نفس الشيء فتساوم مع الإستعمار و أتباعه : و لا ينبغى لأي فرد فى أي وقت أن يطالب بإسم التعايش السلمي الشعوب و الأمم المضطهَدة بأن تتخلّى عن نضالاتها الثورية .

إنّ تطبيق البلدان الإشتراكية سياسة التعايش السلمي ملائم لكسب جوّ سلمي عالمي للبناء الإشتراكي و ملائم لكشف سياسات الإستعمار العدوانية و الحربية . و لكن إذا كان الخطّ العام للسياسة الخارجية للبلدان الإشتراكية قاصرا على التعايش السلمي فمن المحال سواء معالجة العلاقات بين البلدان الإشتراكية فيما بينها أو العلاقات بين البلدان الإشتراكية و بين الشعوب و الأمم المضطهَدة معالجة صحيحة . و لذلك من الخطأ جعل التعايش السلمي الخطّ العام للسياسة الخارجية للبلدان الإشتراكية .

فى رأينا أنّ الخطّ العام للسياسة الخارجية للبلدان الإشتراكية يجب أن يحتوى على الآتي : تطوير علاقات الصداقة و المساعدة المتبادلة و التعاون بين بلدان المعسكر الإشتراكي بما يتماشي مع مبدأ الأممية البروليتارية ؛ و السعي إلى تحقيق التعايش السلمي على أساس المبادئ الخمسة مع البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة و معارضة سياسات الإستعمار العدوانية و الحربية ؛ و تاييد و مساعدة النضالات الثورية التى تقوم بها جميع الشعوب و الأمم المضطهَدة . و هذه الأوجه الثلاثة متداخلة و لا يمكن فصلها عن بعضها ، و لا يمكن ترك أي وجه منها .

17- بعد إستيلاء البروليتاريا على السلطة ، يستمرّ الصراع الطبقي بصفته قانونا موضوعيّا مستقلاّ عن إرادة البشر ، لفترة تاريخية طويلة جدّا . غير أنّه يختلف فقط عن شكله الذى كان قبل الإستيلاء على السلطة .

لقد أشار لينين عدّة مرات بعد ثورة أكتوبر إلى :

(أ) إن المستغلّين الذين أطيح بهم عن الحكم يحاولون دائما بألف طريق و طريق إسترداد " الجنّة " التى حرموا منها .

(ب) إنّ عناصر رأسمالية جديدة تتولّد دائما و تلقائيّا فى جوّ البرجوازية الصغيرة .

(ج) إن المنحلّين السياسيين و العناصر البرجوازية الجديدة قد تظهر فى صفوف الطبقة العاملة و بين موظّفي المنظمات الحكومية ، نتيجة النفوذ البرجوازي و إنتشار جوّ البرجوازية الصغيرة المفسد.

(د) إنّ الظروف الخارجية لإستمرار الصراع الطبقي فى داخل القطر الإشتراكي هي الحصار الذى تفرضه الرأسمالية العالمية ، و تهديد المستعمرين بالتدخّل المسلّح ، و النشاطات الهدّامة التى يقومون بها بغرض إحداث التحوّل السلمي .

لقد برهنت الحياة على صحّة هذه النتائج التى توصّل إليها لينين .

منذ عشرات السنين أو منذ فترات أطول ، بعد تحقيق التصنيع الإشتراكي و التعاون الزراعي ، يستحيل القول بأنّ بلدا إشتراكيّا سيخلو من تلك العناصر التى شجبها لينين مرارا ، مثل الذين يعتمدون على البرجوازية ، و الطفيليين ، و المضاربين ، و الغشّاشين ، و المتعطلين ، و الصعاليك المتمرّدين ، و مختلسي أموال الدولة ، كما يستحيل القول بانّ بلدا إشتراكيّا لم يعد بحاجة إلى أداء الواجب الذى وضعه لينين ، واجب تصفية " هذا المرض المعدي و هذا الطاعون و هذه القرحة التى ورثتها الإشتراكية عن الرأسمالية " ، أو إنّ بلدا إشتراكيّا يمكنه التخلى عن هذا الواجب .

إنّ البلد الإشتراكي يتطلّب فترة تاريخية طويلة جدّا حتى يمكنه أن يحلّ خطوة فخطوة مسالة من سينتصر – هل الإشتراكية أم الرأسمالية ؟ إنّ الصراع بين طريق الإشتراكية و طريق الرأسمالية يتخلّل هذه الفترة التاريخية بأكملها . و يرتفع هذا الصراع و ينخفض كالأمواج ، و أحيانا يصبح صراعا حادا للغاية . و هناك أشكال مختلفة و متنوّعة من النضال .

لقد ذكر تصريح موسكو لعام 1957 بحقّ أنّ " الإستيلاء على الحكم ليس ، بالنسبة للطبقة العاملة سوى بداية الثورة ، لا نهايتها ".

إنّ إنكار وجود الصراع الطبقي فى فترة ديكتاتورية البروليتاريا و إنكار ضرورة إكمال الثورة الإشتراكية حتى آخرها فى الجبهات الإقتصادية و السياسية و الإيديولوجية هو أمر خاطئ ، لا ينطبق على الواقع الموجود كما هو نقض للماركسية اللينينية .

18- لقد كان رأي ماركس و لينين معا أنّ الفترة التى تسبق وجود مرحلة المجتمع الشيوعي الأرقى ، هذه الفترة بكاملها هي فترة الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية ، فترة ديكتاتورية البروليتاريا . و فى هذه الفترة الإنتقالية تمرّ ديكتاتورية البروليتاريا أي الدولة البروليتارية بعملية ديالكتيكية ، هي تأسيس و تدعيم و تقوية ثمّ زوال تدريجي .

لقد وضع ماركس هذه المسألة فى " النقد التحليلي لبرنامج غوتا " على النحو التالي :

بين المجتمع الرأسمالي و المجتمع الشيوعي تقع فترة الإنتقال الثوري من الأوّل إلى الثاني . و تقابل هذه أيضا فترة إنتقال سياسي لا تكون فيها الدولة إلاّ الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا. (" مؤلفات ماركس و إنجلز المختارة " ، المجلد الثاني.)

كثيرا ما أكّد لينين نظرية ماركس العظيمة حول ديكتاتورية البروليتاريا ، و حلّل تطوّر هذه النظرية خاصة فى مؤلفه البارز " الدولة و الثورة " حيث كتب :

... إنّ الإنتقال من المجتمع الرأسمالي – المتطوّر نحو الشيوعية – إلى مجتمع شيوعي ، مستحيل دون " فترة إنتقال سياسي " والدولة فى هذه الفترة لا يمكن إلاّ أن تكون الديكاتورية الثورية للبروليتاريا (" مؤلفات لينين الكاملة " ، المجلد 25).

و أضاف يقول :

إنّ جوهر تعاليم ماركس حول الدولة قد تملكه فقط الذين فهموا أنّ ديكتاتورية طبقة واحدة ضرورية لا لكلّ مجتمع طبقي بصورة عامة و للبروليتاريا التى ألقت بالبرجوازية و حسب ، بل لكلّ الفترة التاريخية التى تفصل ما بين الرأسمالية و " المجتمع اللاطبقي" أي الشيوعية .(نفس المصدر)

كما ورد سابقا فإنّ إستنتاجات ماركس و لينين الأساسية هي أنّ ديكتاتورية البروليتاريا سوف تستمرّ حتما طوال الفترة التاريخية بأكملها أي فترة الإنتقال من الرأسمالية إلى الشيوعية ، أي أنّها تستمرّ خلال جميع تلك الفترة قبل إزالة جميع الفوارق الطبقية و دخول مجتمع لاطبقي – هو مرحلة أرقى للمجتمع الشيوعي .

ماذا يحدث إذا أعلن فى منتصف الفترة أن ديكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية ؟

ألا يعارض هذا تعاليم ماركس و لينين الخاصة بدولة ديكتاتورية البروليتاريا معارضة أساسية ؟

أولا يسمح هذا بتطوّر " هذا المرض المعدي و هذا الطاعون و هذه القرحة التى ورثتها الإشتراكية عن الرأسمالية " ؟

إنّ هذا سيقود ، بمعنى آخر، إلى نتائج فى أقصى درجات الخطورة و يجعل أي إنتقال إلى الشيوعية أمرا خارجا عن الموضوع .

هل يمكن وجود " دولة لجميع الشعب " ؟ و هل يمكن وضع " دولة لجميع الشعب " محلّ دولة ديكتاتورية البروليتاريا ؟

إنّ هذه المسألة ليست مسألة تتعلّق بالشئون الداخلية الخاصة ببلد معيّن ، و لكنّها تختصّ بقضيّة أساسية ذات أثر مباشر على حقيقة الماركسية اللينينية العامة .

فى رأي الماركسيين اللينينيين أنّه لا توجد دولة يقال إنّها لاطبقية أو دولة فوق الطبقات . و طالما ظلّت الدولة دولة لا بدّ أن يكون لها طابع طبقي ، و طالما بقيت الدولة لا يمكن أن تكون دولة " لجميع الشعب " . و حالما يصبح المجتمع دون طبقات لا يعدّ للدولة فيه وجود .

إذن ما الذى يسمى ب" دولة لجميع الشعب " ؟

إنّ كلّ شخص له إلمام بأبجديّة الماركسية اللينينية يعرف أن ما يسمى ب " دولة جميع الشعب" ليس شيئا جديدا . فلقد سمّت الشخصيات الممثّلة للبرجوازية دائما الدولة البرجوازية ب " دولة لجميع الشعب " أو ب " دولة تكون فيها السلطة فى يد جميع الشعب ".

قد يقول أشخاص معيّنون إنّ مجتمعهم أصبح مجتمعا دون طبقات . و لكننا نقول : كلا ! فهناك طبقات و صراعات طبقية فى جميع البلدان الإشتراكية دون إستثناء .

طالما وجدت بقايا الطبقات المستغِلّة القديمة التى تحاول الرجوع ، و طالما كانت عناصر برجوازية جديدة تتولّد بصورة دائمة ، و طالما وجد الطفيليون و المضاربون و المتعطلون و الصعاليك المتمردون و مختلسو أموال الدولة و اشباههم ، فكيف يمكن القول إنّه لا توجد طبقات و صراعات طبقية ؟ و كيف يمكن القول إنّه لم تعد أي حاجة لديكتاتورية البروليتاريا ؟

تعلّمنا الماركسية اللينينية أنّه بالإضافة إلى كبت الطبقات المعادية فإنّ المهام التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا يجب أن تتضمّن معالجة العلاقات بين الطبقة العاملة و الفلاحين معالجة صحيحة أثناء بناء الإشتراكية ، و تدعيم تحالفهم السياسي و الإقتصادي ، و خلق الظروف الملائمة لإزالة الفوارق الطبقية بين العامل و الفلاح بصورة تدريجية .

على أساس القاعدة الإقتصادية لمجتمع إشتراكي نجد أنّ الفوارق بين ملكية كلّ الشعب و الملكية الجماعية موجودة فى جميع البلدان الإشتراكية دون إستثناء ، كما توجد أيضا ملكية خاصة . إنّ ملكية كلّ الشعب و الملكية الجماعية هما نوعان من الملكية و نوعان من علاقات الإنتاج فى المجتمع الإشتراكي . و العمّال فى المؤسسات التى يملكها كلّ الشعب ، و الفلاّحون فى المزارع التى تملك بصورة جماعيّة ينتمون إلى نوعين مختلفين من الشغيلة فى المجتمع الإشتراكي . و عليه فإنّ الفوارق الطبقية بين العامل و الفلاّح موجودة فى جميع البلدان الإشتراكية دون إستثناء . و سوف لا تختفى هذه الفوارق حتى يتمّ الوصول إلى المرحلة الأرقي للشيوعية . إنّ التطوّر الإقتصادي فى جميع البلدان الإشتراكية فى الوقت الحاضر ما زال بعيدا و بعيدا عن التطوّر الإقتصادي فى المرحلة الأرقى للشيوعية حيث يطبق مبدأ " لكلّ حسب مقدرته و لكلّ حسب حاجته ". و لهذا فإنّ القضاء على الفوارق الطبقية بين العامل و الفلاح سوف يستغرق وقتا طويلا و طويلا جدّا . و ما لم يتمّ القضاء على هذه الفوارق الطبقية يستحيل القول بأنه لا طبقات فى المجتمع أو أنّه لم تعد هنالك حاجة لديكتاتورية البروليتاريا .

هل يحاول المرء بتسمية الدولة الإشتراكية ب " دولة جميع الشعب " وضع النظرية البرجوازية حول الدولة مكان النظرية الماركسية اللينينية الخاصة بالدولة ؟ هل يحاول المرء وضع دولة ذات طبيعة مختلفة مكان دولة ديكتاتورية البروليتاريا ؟

إذا كان هذا هو المقصود لا يعدّ ذلك إلاّ إرتدادا تاريخيّا عظيما . إنّ تحلّل النظام الإجتماعي فى يوغسلافيا درس خطير .

19 – ترى اللينينية أنّه على حزب البروليتاريا أن يظلّ موجودا مع ديكتاتورية البروليتاريا فى البلدان الإشتراكية . و حزب البروليتاريا لا يمكن الإستغناء عنه خلال كلّ الفترة التاريخية لديكتاتورية البروليتاريا . و السبب هو أنّه لا بدّ لديكتاتورية البروليتاريا من أن تناضل ضد أعداء البروليتاريا و الشعب ، و أن تعيد تكوين الفلاّحين و غيرهم من صغار المنتجين ، و أن تدعم بصورة مستمرّة صفوف البروليتاريا ، و أن تبني الإشتراكية ، و أن تحقّق الإنتقال إلى الشيوعية . و لا شيء من هذه الأشياء يمكن فعله دون قيادة حزب البروليتاريا .

هل يمكن وجود " حزب لجميع الشعب" ؟ و هل يمكن وضع " حزب لجميع الشعب " مكان الحزب الذى هو طليعة البروليتاريا ؟

إنّ هذه المسألة ليست أيضا قضيّة تمس الشئون الداخلية لأي حزب معيّن ، و لكنها تختصّ بمسألة أساسيّة ذات أثر مباشر على حقيقة الماركسية اللينينية العامة .

في رأي الماركسيين اللينينيين ، لا يوجد شيء يقال إنّه حزب سياسي لاطبقي أو فوق الطبقات . و جميع الأحزاب السياسية ذات طابع طبقي . و الروح الحزبية هي التعبير المركز للطبيعة الطبقية .

حزب البروليتاريا هو الحزب الوحيد القادر على تمثيل مصالح كلّ الشعب . و يمكنه ذلك بوجه التحديد لأنّه بمقدور البروليتاريا أن تحرّر نفسها فى النهاية فقط بتحرّر كلّ البشرية ، و لأنّ هذا الحزب قادر على معالجة القضايا وفقا لطبيعة البروليتاريا و تبعا لمصالحها الحاضرة و المستقبلية ، و لأنّه مخلص إلى درجة غير محدودة للشعب و يتّصف بروح التضحية بالنفس ، على ذلك ، كانت مركزيّته الديمقراطية و نظامه الحديدي . و من المستحيل دون حزب كهذا الحفاظ على ديكتاتورية البروليتاريا و تمثيل مصالح الشعب كله .

ماذا يحدث إذا أعلن فى منتصف الطريق قبل دخول المرحلة الأرقي للمجتمع الشيوعي أن حزب البروليتاريا قد أصبح " حزب جميع الشعب" و إذا أنكرت طبيعته الطبقية البروليتارية ؟

ألا يعارض هذا تعاليم ماركس و لينين الخاصة بحزب البروليتاريا معارضة جذرية ؟

أولا ينزع هذا عن البروليتاريا و جميع الشغّيلة سلاحها التنظيمي والإيديولوجي ؟ أولا يعدّ مساويا للمساعدة على إعادة الراسمالية ؟

أولا يعدّ الحديث عن أي إنتقال إلى المجتمع الشيوعي فى مثل هذه الظروف ك " السير جنوبا بدفع المركبة إلى جهة الشمال " ؟

20 – لقد خرق أشخاص معيّنون خلال السنوات القلائل الماضية تعاليم لينين التى لا تتجزّأ حول العلاقات المتداخلة بين القادة و الحزب و الطبقة و الجماهير، و أثاروا مسألة " مكافحة عبادة الفرد ". إنّ هذا أمر خاطئ و ضار .

إنّ نظرية لينين حول هذا الموضوع هي كما يلي :

(أ) الجماهير تنقسم إلى طبقات ؛

(ب) غالبا ما تقود الطبقات أحزاب سياسية ؛

(ج) الأحزاب السياسية ، كقانون عام ، توجّهها جماعات ثابتة نوعا ما ، تتشكّل من أكثر الأفراد هيبة ونفوذا و خبرة و الذين يختارون لإحتلال أكثر المناصب مسئولية و يسموّن بالقادة .

قال لينين : " كلّ هذه أمور أبجديّة ".

إنّ حزب البروليتاريا هو مركز قيادة البروليتاريا فى الثورة و النضال . و على كلّ حزب بروليتاري أن يمارس المركزية على أساس الديمقراطية و أن يؤسس قيادة ماركسية لينينية قوية ، قبل أن يصبح طليعة منظّمة ذات قوّة كفاحية . إنّ إثارة قضية " مكافحة عبادة الفرد " هي فى حقيقة الأمر وضع القادة فى موضع المعارضة للجماهير و تحطيم القيادة الموحّدة التى تقوم على أساس المركزية الديمقراطية فى داخل الحزب و تحليل قوة الحزب النضالية و تفتيت صفوفه .

لقد نقد لينين الأفكار الخاطئة التى تضع القادة فى موضع المعارضة للجماهير. و أسماها بأفكار " سخيفة للغاية و بليدة " .

لا يستحسن الحزب الشيوعي الصيني دائما المبالغة فى دور الفرد ، و دعا و تمسّك بممارسة المركزية الديمقراطية فى داخل الحزب و دعا إلى ربط القيادة بالجماهير ، بإعتبار أنّ القيادة الصحيحة تعرف كيف تبلور آراء الجماهير .

بينما يكافح بعض الأشخاص بصخب ما يسمّى ب " عبادة الفرد " يبذلون فى الحقيقة جهدهم للإضرار بسمعة الحزب البروليتاري و ديكتاتورية البروليتاريا ؛ و فى نفس الوقت يبالغون إلى درجة عظيمة فى الدور الذى يلعبه أفراد معيّنون ، و يحاولون إلقاء جميع الأخطاء على أكتاف الآخرين ، و يدّعون أن جميع المدح و الثناء من حقّهم .

و أكثر خطورة من هذا أنّ أشخاصا معيّنين يتدخّلون بصورة فظّة تحت ستار " مكافحة عبادة الفرد " فى الشئون الداخلية للأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة الأخرى ، و يجبرون الأحزاب الشقيقة الأخرى على تغيير قياداتها بغرض فرض خطّهم الخاطئ على هذه الأحزاب . فما كلّ هذا إذا لم يكن عصبيّة الأمّة الكبيرة و الإنعزالية و الإنقسامية ؟ و ما كلّ هذا إن لم يكن نشاطات هدّامة ؟

لقد حان الوقت للقيام بدعاية جادة و شاملة لتعاليم لينين التى لا تقبل التجزئة فيما يتعلّق بالصلات المتداخلة بين القادة و الحزب و الطبقة و الجماهير .

21 – العلاقات بين البلدان الإشتراكية هي علاقات دوليّة من نوع جديد . و العلاقات بين البلدان الإشتراكية ، سواء كانت هذه البلدان كبيرة أم صغيرة وسواء كانت متقدّمة إقتصاديّا أكثر أم أقل تقدّما ، يجب أن تكون على أساس المساواة التامة ، و الإحترام التام لوحدة الأراضي و للسيادة الوطنية و الإستقلال ، و عدم التدخّل فى الشئون الداخلية لكلّ منها ؛ كما يجب أن تكون أيضا على أساس مبدأ التأييد المتبادل و المساعدة المتبادلة ، المتّفق مع الأممية البروليتارية .

على كلّ بلد إشتراكي أن يعتمد فى الأساس على نفسه لبناء نفسه .

و على كلّ بلد إشتراكي بناء على ظروفه المحدّدة أن يعتمد أوّلا و قبل كلّ شيء على عمل شعبه الجاد و ذكائه ، و أن يستخدم جميع مصادره الممكن إستخدامها إلى أقصى الحدود بصورة مخطّطة ، و أن يفيد إلى أقصى درجات الإفادة من جميع طاقاته فى البناء الإشتراكي ، و هكذا فقط يمكنه بناء الإشتراكية بصورة فعّالة و أن يطوّر إقتصاده بصورة سريعة .

هذا هو الطريق الوحيد أمام كلّ بلد إشتراكي لتقوية منعة المعسكر الإشتراكي قاطبة ، و لزيادة القوى التى تساعد القضية الثوريّة لدى البروليتاريا العالمية . و عليه فمراعاة مبدأ الإعتماد أساسا على النفس فى البناء هي التطبيق المحدّد للأممية البروليتارية .

إذا إنطلق أي بلد إشتراكي من مصالحه الجزئية فقط و طالب من جانب واحد بأن تخضع البلدان الشقيقة الأخرى لحاجياته و إستخدم حجة معارضة ما يسمى ب " العمل على إنفراد " و " القومية " بغرض منع البلدان الشقيقة الأخرى من تطبيق مبدأ الإعتماد أساسا على جهودها الخاصة فى بنائها و من تطوير إقتصادها بصورة مستقلّة أو حتى ذهب إلى درجة مباشرة الضغط الإقتصادي على البلدان الشقيقة الأخرى ، فما كل هذه إذن غير مظاهر تدلّ على الأنانية القومية .

من الضروري تماما للبلدان الإشتراكية ممارسة المساعدة و التعاون و التبادل فى ميدان الإقتصاد . و مثل هذا التعاون الإقتصادي يجب أن يكون على أساس مبادئ المساواة التامة و النفع المتبادل و المساعدة الرفاقية المتبادلة .

و ما إنكار هذه المبادئ الأساسية و فرض إرادة المرء الخاصة على الآخرين تحت ستار " تقسيم العمل على نطاق عالمي " أو " التخصص " و التغول على إستقلال و سيادة البلدان الشقيقة الأخرى و الإضرار بمصالح شعوبها سوى عصبيّة الأمّة الكبيرة .

إنّه ممّا لا يقبله العقل أن يتّبع المرء فى العلاقات بين البلدان الإشتراكية سياسة كسب الربح لنفسه على حساب الآخرين ، هذا العمل الذى هو صفة من صفات العلاقات بين البلدان الرأسمالية أو أن يتمادي إلى درجة إتّخاذ " الإندماج الإقتصادي " و " السوق المشتركة " اللتين أنشأتهما الجماعات الرأسمالية الإحتكارية بغرض الإستيلاء على الأسواق و تقاسم الأرباح ، كأمثلة على البلدان الإشتراكية أن تتبعها فى المساعدة و التعاون المتبادلين بينها فى ميدان الإقتصاد .

22- لقد وضع تصريح عام 1957 و بيان عام 1960 المبادئ المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة . و هذه هي مبادئ الوحدة و التضامن المتبادل و المساعدة المتبادلة و مبدأ الإستقلال و المساواة و مبدأ الوصول إلى الإجماع عن طريق المشاورة – كلّ هذه المبادئ تقوم على أساس الماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية .

إنّنا نلاحظ أن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي فى رسالتها بتاريخ 30 مارس (آذار) تقول إنّه لا توجد " أحزاب كبيرة و أخرى تابعة " فى الحركة الشيوعية ، و إنّ جميع الأحزاب الشيوعية مستقلّة و متساوية ، و إنّه عليها أن تبني جميعا علاقاتها على أساس الأممية البروليتارية و المساعدة المتبادلة .

إنّه من صفات الشيوعيين الحميدة أن تنطبق أفعالهم على أقوالهم . إنّ الطريق الوحيد الصحيح لصيانة و تقوية الوحدة بين الأحزاب الشقيقة هو التمسّك بصورة صادقة و ليس نقض مبدأ الأممية البروليتارية ، و الإلتزام حقّا بالمبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و ليس تحطيمها ، وأن يلتزم المرء هكذا لا بالكلمات و حسب و لكن أهمّ من ذلك بالأفعال .

إذا كان مبدأ الإستقلال و المساواة مقبولا فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة فيصبح من غير المسموح به إذن لأي حزب من الأحزاب أن يضع نفسه فوق الأحزاب الأخرى ، و أن يتدخّل فى شئونها الداخلية ، و أن يسير على أسلوب النظام الأبوي الإقطاعي فى علاقاته معها .

و إذا قُبل القول بأنّه ما من " كبار" و " تبع " فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، فمن غير المسموح به إذن فرض برنامج و قرارات و خطّ حزب معيّن ، على الأحزاب الشقيقة الأخرى بإعتبارها " البرنامج المشترك " للحركة الشيوعية العالمية .

و إذا قُبل مبدأ الوصول إلى الإجماع عن طريق المشاورة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة ، يجب إذن على المرء ألاّ يؤكد " من يقف فى جانب الأغلبية " أو " من يقف فى جانب الأقلّية " ، فيعتمد على ما يسمّى بأغلبية بغرض فرض خطه الخاطئ و تطبيق سياسات إنعزالية و إنقساميّة .

و إذا تمّ الإتّفاق على أنّ الخلافات بين الأحزاب الشقيقة يجب أن تحلّ عن طريق المشاورات الحزبية الداخلية فلا يسمح بأن تهاجم الأحزاب الشقيقة الأخرى علنا و بالإسم فى مؤتمر يعقده حزب ينتمى إليه المرء أو فى مؤتمر أي حزب آخر، و فى خطابات قادة الأحزاب و فى القرارات و البيانات إلخ...ناهيك عن أنّ تمدّ الخلافات الإيديولوجية بين الأحزاب الشقيقة إلى محيط العلاقات بين الدول .

إنّ رأينا هو أنّه فى الظروف الراهنة التى توجد فيها خلافات فى صفوف الشيوعية العالمية يكون من الأهمّية الخاصة تأكيد الإلتزام الدقيق بالمبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة كما وردت فى التصريح و البيان .

فيما يتعلّق بالعلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة تحتلّ العلاقات السوفياتية الألبانية مركزا بارزا فى الوقت الحاضر . و مسألة العلاقات بين الحزب السوفياتي و الألباني ، و العلاقات بين البلدين هي مسألة ما هو الطريق الصحيح لمعاملة حزب شقيق و بلد شقيق ؟ و ما إذا وجب الإلتزام بالمبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة التى وضعت فى التصريح و البيان أم لا ؟ إنّ حلّ هذه القضية حلاّ صحيحا هو أمر ذو أهمّية مبدئية فى صيانة وحدة المعسكر الإشتراكي و وحدة الحركة الشيوعية العالمية .

إنّ معاملة حزب العمل الألباني الماركسي اللينيني الشقيق هي أمر من الأمور . و معاملة طغمة المحرّفين اليوغسلاف المرتدّة عن الماركسية اللينينية هي أمر آخر تماما . و هذان الأمران المختلفان إختلافا أساسيّا من حيث الطبيعة لا يجب وضعهما على قدم المساواة بأي حال من الأحوال .

لقد قلتم فى رسالتكم " إنّنا لا نفقد الأمل فى إحتمال تحسين العلاقات بين الحزب الشيوعي السوفياتي و حزب العمل الألباني ". و لكنكم فى نفس الوقت تواصلون هجومكم على الرفاق الألبانيين زاعمين أنّهم يمارسون ما تسمونه ب " النشاطات الإنقسامية ". من الواضح جدّا أنّ هذا يناقض نفسه كما أنه لا يساعد بأي حال من الأحوال على حلّ مسألة العلاقات السوفياتية الألبانية .

من الذى إرتكب أعمالا إنقسامية فى العلاقات السوفياتية الألبانية ؟ من الذى مدّ الخلافات الإيديولوجية بين الحزبين السوفياتي و الألباني إلى العلاقات بين الدولتين؟

من الذي كشف علنا أمام العدوّ الخلافات بين الحزبين السوفياتي و الألباني و بين البلدين ؟

من الذى دعا علنا على إحداث تغيير فى قيادة الحزب الألباني و الدولة الألبانية ؟

إنّ جميع هذه الأسئلة سهلة و واضحة للعالم قاطبة .

هل من المعقول ألا يكون الرفاق القياديّون فى الحزب الشيوعي السوفياتي يشعرون حقّا بمسئوليتهم تجاه حقيقة أن العلاقات السوفياتية الألبانيّة قد تدهورت إلى هذه الدرجة الخطيرة ؟

إنّنا نعبّر مرّة أخرى عن أملنا المخلص أن يراعى الرفاق القياديّون فى الحزب الشيوعي السوفياتي المبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة و أن يبادروا بالسعي إلى إيجاد طريق فعال لتحسين العلاقات السوفياتية الألبانية .

و بالإختصار ، فإن مسالة معالجة العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة هي مسألة يجب أن ينظر إليها نظرة جدّية للغاية . و الإلتزام الدقيق بالمبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة هو الطريق الوحيد لتوجيه أقوى ردع إلى التشنيعات المشابهة التى يطلقها المستعمرون و الرجعيون حول " يد موسكو" .

إنّ الأممية البروليتارية مطلوبة من كلّ الأحزاب دون إستثناء كبيرة كانت أم صغيرة ، فى الحكم ام خارج الحكم ، غير أنّ الأحزاب الكبيرة و الأحزاب التى فى الحكم تتحمّل بصفة خاصة مسئولية ثقيلة فى هذا الصدد . إنّ سلسلة من الأحداث المؤلمة التى وقعت فى المعسكر الإشتراكي فى الفترة الأخيرة قد أضرّت لا بمصالح الأحزاب الشقيقة المعيّنة و حسب ، بل بمصالح الجماهير الشعبية الواسعة فى بلدانها أيضا . و هذا يبرهن بصورة مقنعة على أنّ البلدان الأكبر و الأحزاب الأكبر عليها أن تتذكّر دائما وصيّة لينين القائلة بأنّه لا يجب أبدا إرتكاب خطأ عصبيّة الأمّة الكبيرة .

يقول رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي فى رسالتهم إنّ " الحزب الشيوعي السوفياتي لم يتّخذ أبدا و لن يتّخذ أي خطوة قد تؤدى إلى بذر العداوة بين شعوب بلادنا تجاه الشعب الصيني الشقيق او أية شعوب أخرى" . و هنا لا نودّ العودة و سرد الحوادث العديدة غير السارّة التى وقعت فى الماضي . إلاّ أن رغبتنا هي أن يلتزم رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي إلتزاما دقيقا بهذا القول فى أعمالهم فى المستقبل .

خلال السنوات القلائل الماضية باشر أعضاء حزبنا و شعبنا أعظم درجة من ضبط النفس فى وجه سلسلة من الحوادث الخطيرة التى ناقضت المبادئ المرشدة فى العلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة ، و بالرغم من الصعوبات و الخسائر العديدة التى فرضت علينا . لقد مرّت روح الأممية البروليتارية لدى الشيوعيين الصينيين و الشعب الصيني بتجربة قاسية .

إنّ الحزب الشيوعي الصين مخلص دائما و دون أدنى تردّد للأممية البروليتارية و يتمسّك بمبادئ تصريح عام 1957 و بيان عام 1960 المرشدة للعلاقات بين الأحزاب الشقيقة و البلدان الشقيقة و يدافع عنها ، و يصون و يدعم وحدة المعسكر الإشتراكي و وحدة الحركة الشيوعية العالمية .

23 – بغرض تنفيذ البرنامج المشترك للحركة الشيوعية العالمية الذى إتّفقت عليه الأحزاب الشقيقة بالإجماع ، يجب شنّ نضال لا مساومة فيه ضد جميع أنواع الإنتهازية التى هي إنحراف عن الماركسية اللينينية .

يذكر التصريح و البيان ان التحريفية أو بمعنى آخر الإنتهازية اليمينية ، هي الخطر الأساسي فى الحركة الشيوعية العالمية. و التحريفية اليوغسلافية هي ممثلة للتحريفية المعاصرة .

و جاء فى البيان على وجه الخصوص :

لقد شجبت الأحزاب الشيوعية بالإجماع الشكل اليوغسلافي للإنتهازية العالمية الذى هو تعبير مركز عن " نظريات " المحرفين المعاصرين .

و إستمرّ البيان يقول :

إن قادة رابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، بعد أن خانوا الماركسية اللينينية التى أعلنوا أنّها أصبحت بالية فات أوانها ، قابلوا بيان الأحزاب الشيوعية و أحزاب العمال الصادر عام 1957 ببرنامجهم التحريفي الخاص المعادي للينينية . و قد جعلوا رابطة الشيوعيين اليوغسلاف تخاصم الحركة الشيوعية العالمية جمعاء ، و فصلوا بلادهم عن المعسكر الإشتراكي ، و جعلوها تابعة " للمساعدة " المزعومة من جانب المستعمرين ، من أمريكيين و غيرهم ...

و يواصل البيان القول :

و يقوم المحرّفون اليوغسلاف بتصرّفات هدّامة ضد المعسكر الإشتراكي و الحركة الشيوعية العالمية . و بحجة ممارسة سياسة على هامش الكتل ، يبذل المحرّفون اليوغسلاف نشاطا يلحق الضرر بوحدة جميع القوى و كافة الدول المسالمة .

و عليه يصل البيان إلى النتيجة الآتية :

و من الواجب الضروري للأحزاب الماركسية اللينينية دائما ، فضح القادة المحرّفين اليوغسلاف و الكفاح بقوّة و عزم لصيانة الحركة الشيوعية و حركة العمّال من أفكارهم المعادية للينينية .

و المسألة الموضوعة هنا هي مسألة مبدئية هامة فى الحركة الشيوعية العالمية .

لقد حدث حتّى منذ وقت قريب أن صرّحت طغمة تيتو علنا بأنّها تثابر على إتّخاذ برنامجها التحريفي و موقفها المعادي للماركسية اللينينية موقف معارضة التصريح و البيان .

لقد صرف الإستعمار الأمريكي و شركاؤه فى منظمة حلف شمال الأطلسي عدّة آلاف ملايين الدولارات الأمريكية لرعاية طغمة تيتو منذ فترة طويلة . وبالإلتحاف بثوب " الماركسية اللينينية " و رفع راية " بلد إشتراكي" ، ظلّت طغمة تيتو تحطّم الحركة الشيوعية العالمية و القضيّة الثورية لدى شعوب العالم خادمة كفصيلة خاصة للإستعمار الأمريكي .

و ممّا لا أساس له مطلقا و مجاف للحقائق القول بأّن يوغسلافيا تبدى " إتجاهات محدّدة إيجابية " و بأنّها " بلد إشتراكي " و أنّ طغمة تيتو هي " قوة معادية للإستعمار" .

إنّ أشخاصا معيّنين يحاولون الآن إدخال الطغمة اليوغسلافية التحريفية على العائلة الإشتراكية الكبيرة و صفوف الشيوعية العالمية ، و هذا معناه تمزيق الإتفاق الذى أقرّ بالإجماع فى إجتماع عام 1960 الذى عقدته الأحزاب الشقيقة تمزيقا علنيّا و هذا أمر يستحيل السماح بحدوثه .

لقد برهنت حقيقة أن الإتجاه الإيديولوجي التحريفي قد غمر الحركة العمالية العالمية كما برهنت خبرات و دروس الحركة الشيوعية العالمية العديدة فى السنوات القلائل الماضية ، بصورة كاملة ، على صحّة النتيجة التى جاءت فى التصريح و البيان و القائلة بأنّ التحريفية هي الخطر الرئيسي فى الحركة الشيوعية العالمية الراهنة .

و مع ذلك طفق أشخاص معيّنون يقولون علنا إنّ الجمود العقائدي و ليس التحريفيّة هو الخطر الرئسي ، أو إن الجمود العقائدي لا يقلّ خطرا عن التحريفية إلخ... فأيّ نوع من المبادئ يدلّ عليه كلّ هذا ؟

على الماركسين اللينينيين الثابتين و على الأحزاب الماركسية اللينينية الحقيقية أن تضع المبادئ فى المحلّ الأوّل . و عليها ألاّ تتاجر بالمبادئ فتستحسن شيئا ما اليوم ، و شيئا آخر غدا ، و تدعو لأمر ما اليوم ، و لآخر غدا .

إنّ الشيوعيين الصينيين سوف يواصلون مع جميع الماركسيين اللينيين شنّ نضال لا مساومة فيه ضد التحريفية المعاصرة بغرض صيانة نقاء الماركسية اللينينية و الموقف المبدئي للتصريح و البيان .

وبينما يكافح الشيوعيون ضد التحريفية التى هي الخطر الرئيسي فى الحركة الشيوعية العالمية عليهم ايضا مكافحة الجمود العقائدي .

كما جاء فى تصريح عام 1957 ، على الأحزاب البروليتارية " أن تتمسّك تمسّكا حازما بمبادئ الجمع بين الحقيقة العامة لماركسية اللينينية و التطبيق العملي الملموس للثورة و للبناء فى بلدانها ".

و هذا يعنى :

من الضروري من جانب فى جميع الأوقات الإلتزام بحقيقة الماركسية اللينينية العامة . و إن لم يفعل هذا فسيقود إلى إرتكاب أخطاء إنتهازية يمينية أو أخطاء تحريفية .

و من الجانب الآخر من الضروري دائما الإنطلاق من الواقع و الحفاظ على الصلات الوثيقة بالجماهير و تلخيص خبرة النضال الجماهيري بصورة دائمة ، و إجراء العمل المستقلّ لإستنباط و تطبيق السياسات و التاكتيكات الملائمة للظروف المحدّدة فى البلاد . و إن لم يفعل المرء هذا و إذا نقل بصورة ميكانيكية سياسات و تاكتيكات حزب شيوعي آخر و خضع خضوعا أعمى لإرادة الآخرين المفروضة عليه أو قبل دون تحليل برنامج و قرارات حزب شيوعي آخر بإعتبارها خطّه، سوف يرتكب أخطاء الجمود العقائدي .

إنّ بعض الناس ينقضون الآن هذا المبدأ الأساسي الذى تمّ تأكيده منذ وقت بعيد فى التصريح . و بحجّة " تطوير الماركسية اللينينية تطويرا خلاّقا " يلقون جانبا بحقيقة الماركسية اللينينية العامة . و بالإضافة لهذا يسمّون وصفاتهم المعزولة عن الواقع و الجماهير و التى هي من نتاج تخيّلاتهم الذاتية يسمونها " حقائق ماركسية لينينية عامة " و يجبرون الآخرين على قبول هذه الوصفات دون قيد أو شرط .

و هذا هو السبب الذى نتجت عنه ظواهر خطيرة عديدة فى الحركة الشيوعية العالمية الراهنة .

24- إنّ التجربة البالغة الأهمية التى جنتها الحركة الشيوعية العالمية هي أن تطوّر الثورة و إنتصارها يرتكزان على وجود حزب بروليتاري ثوري .

لا بدّ من وجود حزب ثوري .

لا بدّ من وجود حزب ثوري مبني على أساس النظرية الثورية و الأسلوب الثوري للماركسية اللينينية .

لا بدّ من وجود حزب ثوري يعرف كيف يمزج بين حقيقة الماركسية اللينينية العامة و بين الأعمال المحدّدة للثورة فى بلاده .

لا بدّ من وجود حزب ثوري يعرف كيف يربط القيادة ربطا وثيقا بالجماهير الواسعة من الشعب .

لا بدّ من وجود حزب ثوري يثابر على الحقيقة و يصلح الأخطاء و يعرف كيف يباشر النقد و النقد الذاتي .

مثل هذا الحزب الثوري فقط بوسعه أن يقود البروليتاريا و الجماهير الواسعة من الشعب لهزيمة الإستعمار و عملائه و يكسب النصر التام فى الثورة الوطنية الديمقراطية و يكسب الثورة الإشتراكية .

و إذا لم يكن حزبا ماركسيّا لينينيّا بل حزبا تحريفيا ،

و إذا لم يكن حزبا طليعيا للبروليتاريا بل حزبا يسير خلف البرجوازية ،

و إذا لم يكن حزبا يمثّل مصالح البروليتاريا و جميع جماهير الشغيلة بل حزبا يمثّل مصالح الأرستقراطية العمالية ،

و إذا لم يكن حزبا أمميّا بل حزبا قوميّا ،

و إذا لم يكن حزبا بوسعه أن يستخدم عقله و يفكر لنفسه بنفسه و يحرز معرفة صحيحة لإتجاهات الطبقات المختلفة فى بلاده نفسها ، عن طريق البحث الجاد و الدراسة ، و يعرف كيف يطبّق حقيقة الماركسية اللينينية العامة و يمزجها بالأعمال المحدّدة لبلاده ، إذا لم يكن هكذا ، بل كان حزبا يردّد كالببغاء كلمات الآخرين ، و ينقل الخبرة الأجنبية دون تحليل ، و يندفع هنا و هناك إستجابة لعصا إرشاد اشخاص معيّنين فى الخارج ، فإنّ حزبا كهذا يصبح خليطا من التحريفية و الجمود العقائدي و كلّ شيء ما عدا المبدأ الماركسي اللينيني .

من المستحيل تماما على حزب كهذا أن يقود البروليتاريا و الجماهير الشعبية الواسعة إلى شنّ نضال ثوري و أن يكسب الثورة و أن يؤدّي الرسالة التاريخية العظيمة للبروليتاريا .

إنّ هذه مسألة على جميع الماركسيين اللينينيين و جميع العمّال الواعين طبقيّا و جميع الطليعيّين أن يفكّروا فيها تفكيرا عميقا .

25 – يقع على الماركسيين اللينينيين واجب التمييز بين الحقيقة و الزيف فيما يتعلّق بالخلافات التى نشأت فى الحركة الشيوعية العالمية . و من أجل المصلحة المشتركة للوحدة من أجل النضال ضد العدوّ ، دعونا دائما إلى حلّ المشاكل عن طريق المشاورات الحزبية الداخلية ، و عارضنا كشف الخلافات علنا أمام العدوّ .

و كما يعرف رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي فإنّ المجادلة العلنية الراهنة فى الحركة الشيوعية العالمية قد أثارها قادة احزاب شقيقة معيّنة و فرضوها علينا .

و طالما أثير جدال علني ، يجب أن يباشر على أساس المساواة بين الأحزاب الشقيقة و على أساس الديمقراطية و بوضع الحقائق و الإقناع عن طريق التعليل .

و طالما هاجم قادة احزاب معيّنة أحزابا شقيقة أخرى علانيّة و أثاروا مناظرة علنيّة رأينا أنّه ما من سبب أو حقّ يجعلهم يمنعون الأحزاب الشقيقة التى هوجمت من أن تردّ علنا .

و طالما نشر قادة أحزاب معيّنة عددا لا يحصى من المقالات يهاجمون فيه أحزابا شقيقة أخرى فلماذا يرفضون نشر المقالات التى كتبتها ردّا عليهم تلك الأحزاب ، على صحافتهم نفسها ؟

وفى الفترة الأخيرة تعرض الحزب الشيوعي الصيني لهجمات سخيفة . لقد أثار المهاجمون ضجّة كبرى ، و لفّقوا متجاهلين الحقائق تهما عديدة ضدّنا . و لقد نشرنا فى صحافتنا هذه المقالات و الخطب التى تتضمّن الهجوم علينا .

لقد نشرنا نحن أيضا بالنص الكامل فى صحافتنا تقرير القائد السوفياتي فى إجتماع مجلس السوفيات الأعلى فى يوم 12 ديسمبر (كانون الأوّل) عام 1962 ، كما نشرنا مقال هيئة تحرير " البرافدا " بتاريخ السابع من يناير (كانون الثاني) عام 1963 ، و خطاب رئيس وفد الحزب الشيوعي السوفياتي لدى المؤتمر السادس لحزب الوحدة الإشتراكي الألماني فى السادس عشر من يناير (كانون الثاني) عام 1963 ، و مقال هيئة تحرير " البرافدا " بتاريخ العاشر من فبراير (شباط) عام 1963 .

كما نشرنا أيضا النصّ الكامل للرسالتين الواردتين من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرّختين فى يوم 21 فبراير (شباط) و يوم 30 مارس (آذار) عام 1963.

لقد رددنا على بعض المقالات و الخطب التى هاجمتنا فيها أحزاب شقيقة و لكنّنا لم نرد على البعض الآخر منها ، و على سبيل المثال لم نرد مباشرة حتى الآن على المقالات و الخطب العديدة التى كتبها وألقاها رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي.

لقد كتبنا بين الخامس عشر من ديسمبر (كانون الأوّل) عام 1962 و الثامن من مارس (آذار) عام 1963 سبع مقالات ردّا على من هاجمونا و كانت هذه المقالات بالعناوين التالية :

" يا عمّال العالم إتحدوا ضد عدوّنا المشترك " ،

" الخلافات بين الرفيق تولياتي و بيننا " ،

" اللينينية و التحريفية المعاصرة " ،

" لنتحد على أساس تصريح موسكو و بيان موسكو " ،

" من أين أتت الخلافات؟ - ردّ على توريز و رفاق آخرين " ،

" مزيد من القول حول الخلافات بين الرفيق تولياتي و بيننا - بعض قضايا اللينينية الهامة فى العالم المعاصر" ،

" تعليق على بيان الحزب الشيوعي الأمريكي " .

قد تقصدون هذه المقالات عندما إتّهمتم فى ختام رسالتكم المؤرخة فى يوم 30 مارس (آذار) الصحافة الصينية ب " الهجوم الذى لا أساس له مطلقا " على الحزب الشيوعي السوفياتي . إنّ وصف المقالات التى نشرناها ردّا على من هاجمونا بأنّها " هجوم" ، ما هو إلاّ قلب الأمر رأسا على عقب .

طالما كنتم تصفون مقالاتنا بأنّها " لا أساس لها مطلقا " و أنّها سيئة إلى هذه الدرجة ، فلماذا لا تنشرون هذه المقالات السبع بأكملها و التى تصفونها ب " هجوما أساس له مطلقا " كما نشرنا نحن مقالاتكم ، و تتركون جميع الرفاق السوفيت و الشعب السوفياتي يفكّرون و يحكمون بأنفسهم ، من المصيب و من المخطئ ؟ و بالطبع لكم كلّ الحقّ فى أن تفنّدوا نقطة نقطة هذه المقالات التى تصفونها ب " هجوم لا أساس له مطلقا ".

و بالرغم من أنّكم تصفون مقالاتنا بأنها " لا أساس لها مطلقا " و أحكامنا بأنّها خاطئة ، إلاّ أنكم لا تخبرون الشعب السوفياتي ما هي أحكامنا فى الحقيقة . إنّ هذا العمل من العسير وصفه بموقف جاد تجاه مناقشة القضايا بين الأحزاب الشقيقة و تجاه الحقيقة و تجاه الجماهير .

نحن نتمنّى بأن يصبح ممكنا إيقاف المناظرة العلنيّة بين الأحزاب الشقيقة . و هذه قضية تجب معالجتها على أساس مبادئ الإستقلال و المساواة و الوصول إلى الإجماع عن طريق المشاورة بين الأحزاب الشقيقة . و ليس لأيّ أحد الحق فى الحركة الشيوعية العالمية فى شنّ الهجمات كلّما أراد ، أو أن يأمر ب" إنهاء المجادلة العلنيّة " كلّما شاء بغرض منع الجانب الآخر من الردّ .

معروف لرفاق الحزب الشيوعي السوفياتي أنّه بغرض خلق جوّ مؤات لعقد إجتماع الأحزاب الشقيقة قرّرنا بصورة مؤقّتة إيقاف الإجابة العلنيّة على الهجمات العلنيّة التى وجهت بالإسم إلينا من قبل رفاق احزاب شقيقة ، إبتداء من التاسع من مارس (آذار) عام 1963 . و نحن نحتفظ بحقّ الإجابة العلنيّة .

وفى رسالتنا المؤرخة فى يوم 9 مارس (آذار) ، ذكرنا أنّه فيما يتعلّق بمسألة إيقاف المناظرة العلنية " من الضروري أن يجري حزبنا و الأحزاب الشقيقة المعنيّة بعض المناقشات و أن يتمّ الوصول إلى إتّفاق عادل و مقبول لدى الجميع " .

إن ما سبق هو أفكارنا فيما يختصّ بالخط العام للحركة الشيوعية العالمية و بعض القضايا المبدئية المتعلّقة بالموضوع . و نحن نتمنى كما أشرنا فى بداية هذه الرسالة أن يكون وضع أفكارنا بهذه الصورة الصريحة مفيدا لتفاهمنا المتبادل . و بالطبع قد يتّفق معنا الرفاق فى هذه الآراء أو يختلفون معنا . و لكن رأينا هو أن القضايا التى نناقشها هنا هي القضايا الحاسمة التى تتطلّب الإنتباه و الحلّ من قبل الحركة الشيوعية العالمية . و نتمنّى أن تناقش جميع هذه القضايا و أيضا القضايا التى عرضت فى رسالتكم مناقشة كافية فى المحادثات بين حزبينا و فى إجتماع ممثلي جميع الأحزاب الشقيقة .

بالإضافة إلى هذا فهناك قضايا أخرى ذات أهمّية مشتركة مثل نقد ستالين و بعض القضايا الهامة المبدئية المتعلقة بالحركة الشيوعية العالمية التى أثيرت فى المؤتمر العشرين و المؤتمر الثاني و العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي و نتمنّى أن يكون هناك تبادل صريح أيضا للآراء حولها أثناء المحادثات .

فيما يتعلّق بالمحادثات بين حزبينا فقد إقترحنا فى رسالتنا بتاريخ 9 مارس (آذار) أن يحضر الرفيق خروتشوف إلى بيكين و إذا لم يكن هذا ملائما إقترحنا أن يقود رفيق مسئول آخر من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وفدا إلى بيكين أو نرسل نحن وفدا إلى موسكو .

و بما أنّكم ذكرتم فى رسالتكم بتاريخ 30 مارس (آذار) أن الرفيق خروتشوف لا يستطيع الحضور إلى الصين ، و لم تعبّروا عن الرغبة فى إرسال وفد إلى الصين فقد قرّرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني أن ترسل وفدا إلى موسكو .

فى رسالتكم بتاريخ 30 مارس (آذار) وجّهتم الدعوة إلى الرفيق ماو تسى تونغ لزيارة الإتحاد السوفياتي . و لكن منذ 23 فبراير (شباط) ذكر الرفيق ماو تسى تونغ بوضوح فى محادثاته مع السفير السوفياتي لدى الصين السبب الذى يحول بينه و بين زيارة الإتحاد السوفياتي فى الوقت الحاضر . و قد كنتم على علم تام بهذا .

عندما إستقبل رفيق مسئول من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني السفير السوفياتي لدى الصين فى 9 مايو (أيار) أخبركم بأنّنا سنرسل وفدا إلى موسكو فى منتصف يونيو (حزيران). و قد وافقنا على تأجيل المحادثات بين حزبينا حتى الخامس من يوليو (تموز) إستجابة لطلب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي .

نحن نتمنّى بإخلاص أن تحرز المحادثات بين الحزبين الصيني و السوفياتي نتائجا إيجابية وتساهم فى التحضير لعقد إجتماع ممثلى الأحزاب الشيوعية و العمالية لجميع البلدان .

لقد أصبح من الضروري الآن أكثر من أي وقت مضى لشيوعيّي جميع البلدان أن يتّحدوا على أساس الماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية و على أساس التصريح و البيان اللّذين أقرّتهما بالإجماع الأحزاب الشقيقة .

إنّ الحزب الشيوعي الصيني مستعدّ لمواصلة جهوده دون كلل مع الأحزاب الماركسية اللينينية و الشعوب الثوريّة فى جميع أرجاء العالم ، لصيانة مصالح المعسكر الإشتراكي و الحركة الشيوعية العالمية و قضية تحرّر الشعوب و الأمم المضطهَدة و النضال ضد الإستعمار و من أجل السلم العالمي .

و نحن نتمنّى الّا تقع فى الحركة الشيوعية العالمية احداث تحزن المقرّبين الأعزاء و تسرّ الأعداء فى المستقبل من جديد . إنّ الشيوعيين الصينيين يؤمنون بثبات بأن الماركسيين اللينينيين و البروليتاريا و الشعوب الثوريّة فى كلّ مكان سوف يتّحدون إتّحادا أوثق و يتغلّبون على جميع الصعاب و العقبات و يكسبون إنتصارات أعظم فى النضال ضد الإستعمار ومن أجل صيانة السلم العالمي و فى النضال من أجل القضية الثورية لشعوب العالم و قضية الشيوعية العالمية .

يا عمّال العالم إتحدوا ! يا عمّال و شعوب و أمم العالم المضطهَدة إتّحدوا ! عارضوا عدوّنا المشترك !

مع تحياتنا الشيوعية .

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني

يوم 14 يونيو (حزيران) عام 1963

==
==

الفصل الرابع :

مدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد

صحيفة " جينمينجباو " و مجلّة " العلم الأحمر" – 22 أكتوبر 1963

طبع فى جمهورية الصين الشعبية – دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1963

لقد إنتشرت عاصفة ثوريّة عظمى منذ الحرب العالميّة الثانية فى كلّ من آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية . و قد أعلن الإستقلال فى أكثر من خمسين قطرا آسيويّا و أفريقيّا ، و إنطلقت الصين و الفيتنام و كوريا و كوبا فى طريق الإشتراكية . و هكذا تغيّر وجه آسيا و أفريقيا وأمريكا اللاتينية تغييرا هائلا .

وبينما أصيبت الثورة فى المستعمرات و أشباه المستعمرات بنكسات خطيرة بعد الحرب العالميّة الأولى بسبب قمع المستعمِرين و عملائهم ، تغيّر الوضع تغيّرا أساسيّا بعد الحرب العالميّة الثانية . و لم يعد بإستطاعة المستعمِرين أن يطفئوا نيران التحرّر الوطني الكاسحة . إنّ نظام حكمهم الإستعماري القديم يتحلّل بسرعة . و أصبحت مؤخّرتهم جبهة أماميّة تشتعل بالنضالات المعادية للإستعمار و قد أطيح بسيطرة الإستعمار فى بعض المستعمرات و البلدان التابعة . و فى البعض الآخر أصيبت بضربات قويّة أخذت تتأرجح من هولها . وممّا هو محتّم أن يضعف حكم الإستعمار بفعل هذا و يهتزّ فى أقطاره نفسها .

إنّ إنتصارات ثورات الشعوب فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، إلى جانب ظهور المعسكر الإشتراكي ، تزفّ أنشودة النصر فى أيامنا و عصرنا الراهن .

إنّ عاصفة ثورة الشعوب فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة تتطلّب من كلّ قوّة سياسية فى العالم أن تتّخذ تجاهها موقفا . وبينما تبعث هذه العاصفة الثوريّة العظمى الرعب فى قلوب المستعمِرين و الحكّام الإستعماريين فيرتجفون هلعا تبعث السرور و الفرح فى قلوب الشعوب الثورية فى العالم . يقول المستعمِرون و الحكّام الإستعماريون " إنّ هذه مخيفة ، مخيفة **!** " و تقول الشعوب الثورية " إنها جميلة ، جميلة **!** " . إنّ المستعمِرين و الحكّام الإستعماريّين يقولون " إنّها تمرّد، و ممنوعة ". و لكن الشعوب الثوريّة تقول " إنّها ثورة ، وهي من حق الشعب ، كما أنّها تيّار تاريخي لا يقاوم ".

إنّ احد الخطوط الفاصلة الهامّة بين الماركسيّين اللينينيّين من جانب و المحرّفين المعاصرين من الجانب الآخر هو الموقف الذى يتّخذه كلّ من الجانبين تجاه هذه القضيّة التى أصبحت فى أقصى درجات الحدّة فى السياسة العالميّة المعاصرة ؟ إنّ الماركسيين اللينيين يقفون بحزم إلى جانب الأمم المضطهّدة ، و يؤيّدون حركة التحرّر الوطني تأييدا نشيطا . أمّا المحرّفون المعاصرون فهم يقفون فى الواقع مع المستعمِرين و الحكّام الإستعماريّين و ينكرون و يقاومون حركة التحرّر الوطني بكلّ وسيلة ممكنة .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لا يجرءون فى أقوالهم على نبذ شعارات التأييد لحركة التحرّر الوطني نبذا تاما ، و فى بعض الأحيان يذهبون إلى درجة إتّخاذ إجراءات معيّنة من شأنها أن تخلق مظهرا للتأييد خدمة لمصالحهم الخاصة . و لكن إذا فحصنا جوهر آراءهم و سياساتهم خلال عدد من السنين لوجدنا أن موقفهم تجاه نضالات التحرّر للأمم المضطهَدة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية إمّا هو موقف سلبي أو موقف إستخفاف أو إستنكار ، و أنّهم يخدمون كمدافعين عن الحكم الإستعماري الجديد .

فى الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي فى 14 يوليو (تموز) عام 1963 و فى عدد من المقالات و التصريحات ، بذل رفاق الحزب الشيوعي السوفياتي جهودا كبيرة للدفاع عن آراءهم الخاطئة ، و لمهاجمة

الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة حركة التحرّر الوطني . و لكن الحصيلة الوحيدة لذلك كانت برهانا جديدا على موقف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، المعادي للماركسية اللينينية و المعادي للثورة حول هذه المسألة .

لننظر إلى " نظرية " قادة الحزب الشيوعي السوفياتي و أعمالهم فيما يتعلّق بحركة التحرّر الوطني .

إلغاء مهمّة مناهضة الإستعمار و الحكم الإستعماري

لقد أحرزت حركة التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة إنتصارات ذات أهمّية تاريخية عظمى حتى الآن . و هذا ما لا يستطيع أحد ان ينكره . و لكن هل يستطيع أحد القول إنّ شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية قد أدّت مهمّة مناهضة الإستعمار و الحكم الإستعماري و عملائهما أداءا تاما ؟

إنّ جوابنا هو ، لا. إنّ هذه المهمّة الكفاحية لا تزال بعيدة عن الأداء التام .

و مع ذلك فإنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد نشروا مرارا الرأي القائل بأنّ الحكم الإستعماري قد إختفى او انّه أخذ فى الإختفاء من عالم اليوم . و هم يؤكّدون " أنّ هناك شعوبا تعدادها خمسون مليونا على وجه الأرض لا تزال تئنّ تحت سيطرة الحكم الإستعماري "، و أنّ بقايا الحكم الإستعماري توجد فقط فى أماكن مثل أنغولا و موزابيق البرتغاليّتين فى أفريقيا ، و أنّ إلغاء الحكم الإستعماري قد دخل فعلا " المرحلة النهائية " .

فما هي الحقائق ؟

تفحّصوا أولا الوضع فى آسيا و أفريقيا . فهناك مجموعة من البلدان قد أعلنت إستقلالها و لكن العديد من هذه البلدان لم يتخلّص تماما من سيطرة و عبودية الإستعمار و الحكم الإستعماري ، و لا يزال هدفا للنهب و العدوان الإستعماريّين و حلبة الصراع بين الحكام الإستعماريين القدامي و الجدد. ففى بعض هذه البلدان تغيّر الحكّام الإستعماريّون القدامي إلى حكام إستعماريّين جدد، و ما زالوا يحافظون على حكمهم الإستعماري عن طريق عملائهم المدرّبين . وفى البعض الآخر، خرج الذئب من الباب الأمامي ، و لكن النسر دخل من الباب الخلفي ، إذ إستبدل الحكم الإستعماري القديم بالجديد أي الحكم الإستعماري الأمريكي الأكثر قوّة و الأكبر خطرا . إنّ مخالب الحكم الإستعماري الجديد ، ممثّلا بالإستعمار الأمريكي ، تهددّ شعوب آسيا و أفريقيا تهديدا عظيما.

ثم إستمعوا إلى شعوب أمريكا اللاتينية .

يقول بيان هافانا الثاني : " إنّ أمريكا اللاتينيّة اليوم ترسف فى أغلال إستعمار هو أقوى بكثير من الإمبراطورية الإستعماريّة الإسبانيّة و أشدّ منها قسوة و وحشية ".

و يضيف :

" منذ أن وضعت الحرب العالميّة الثانية أوزارها... تجاوزت الأموال التى توظّفها الولايات المتّحدة العشرة مليارات من الدولارات ، إضافة إلى أن أمريكا اللاتينيّة هي مورد للمواد الأوّلية الرخيصة و سوق للمنتجات الغالية الثمن ".

ثم يستطرد البيان القول :

" ... تتدفّق أموال أمريكا اللاتينية بإستمرار إلى الولايات المتّحدة بنسبة تبلغ حوالي 4000 دولار فى الدقيقة ، 5 ملايين دولار فى اليوم ، أو مليارى دولار فى السنة ، فيكون المجموع 10 مليار دولار فى كلّ خمس سنوات ، و مقابل كلّ ألف دولار ينهبونها منّا يخلفون لنا جثّة واحدة . جثّة بألف دولار . هذا هو ثمن ما يسمّى بالإستعمار ."

إنّ الحقائق واضحة . و لم يتخلّ المستعمِرون ، بعد الحرب العالميّة الثانية ، عن الحكم الإستعماري بكلّ تأكيد ، و لكنّهم فقط تبنّوا شكلا جديدا هو الحكم الإستعماري الجديد . إنّ إحدى المميّزات الهامّة لمثل هذا الحكم الإستعماري الجديد هي أن

المستعمِرين قد أجبروا على تغيير أسلوبهم القديم – أسلوب الحكم الإستعماري المباشر فى بعض المناطق و إتباع أسلوب جديد فى الحكم و الإستغلال الإستعماريين بالإعتماد على العملاء الذين إختاروهم و درّبوهم لهذا الغرض . إنّ المستعمِرين برئاسة الولايات المتحدة يسيطرون أو يستعبدون البلدان المستعمَرة و البلدان التى أعلنت إستقلالها و ذلك عن طريق تنظيم الكتل العسكرية ، وإنشاء القواعد العسكرية ، و إقامة " الإتحادات " أو " المجموعات " و تدعيم الأنظمة القرقوزية . كما أنّهم ، عن طريق " المعونة " الإقتصادية او الأشكال الأخرى ، يبقون هذه البلدان أسواقا لبضائعهم ، و مصادر المواد الأولية ، و منافذ لتصدير رؤوس أموالهم كما ينهبون ثرواتها و يمتصّون دماء شعوبها . و بالإضافة لذلك يستخدمون الأمم المتّحدة كأداة هامة للتدخّل فى الشؤون الداخليّة لمثل هذه البلدان و لممارسة العدوان العسكري و الإقتصادي و الثقافي عليها . و عندما يعجزون عن مواصلة حكمهم لهذه البلدان بالوسائل " السلميّة " يلجأون إلى تدبير الإنقلابات العسكرية . و يقومون بالأعمال الهدّامة إلى حدّ اللجوء إلى التدخّل و العدوان المسلّحين المباشرين .

إنّ الولايات المتّحدة أشدّ نشاطا و مكرا فى الحكم الإستعماري الجديد . و بهذا السلاح يحاول المستعمِرون الأمريكيون جاهدين الإستيلاء على مستعمرات المستعمِرين الآخرين و مناطق نفوذهم ، و بسط سيطرتهم العالمية .

إنّ الحكم الإستعماري الجديد هو حكم إستعماري أشدّ وبالا و شرّا .

إننا نودّ أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي كيف يمكن القول فى مثل هذه الأحوال إنّ إلغاء الحكم الإستعماري قد دخل فعلا " المرحلة النهائية " ؟

لقد بلغ التهوّر بقادة الحزب الشيوعي السوفياتي درجة أنّهم أصبحوا ينشدون العون من بيان 1960 فى محاولتهم دعم هذه الأكاذيب . فهم يقولون ، ألا يذكر بيان 1960 عملية التحلّل العنيفة لنظام الحكم الإستعماري ؟ و لكن هذا الإستنتاج الوارد فى البيان حول التحلّل السريع للحكم الإستعماري القديم لا يمكن بأيّ حال أن يخدم حجّتهم حول إختفاء الحكم الإستعماري. فالبيان يشير بوضوح إلى أنّ " الولايات المتّحدة الأمريكية هي الحصن الرئيسي للحكم الإستعماري الراهن " ، و إلى أنّ " المستعمِرين و على رأسهم الولايات المتحدة ، يبذلون جهودا يائسة للحفاظ على الإستغلال الإستعماري لشعوب المستعمرات القديمة بأساليب جديدة و بأشكال جديدة " ، و إلى أنّهم " يحاولون إبقاء قبضتهم على شرايين السيطرة الإقتصادية و النفوذ السياسي فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ". و بهذه العبارات يفضح البيان بالضبط ما يبذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جهدهم لستره.

لقد إبتكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ايضا " النظرية " التى تقول بأنّ حركة التحرّر الوطني قد دخلت " مرحلة جديدة " محورها المهمّات الإقتصادية . و حجّتهم هي أنّه بينما " كان النضال فى السابق أساسا فى المجال السياسي " أصبحت القضية الإقتصادية اليوم " المهمة المركزيّة " و " الحلقة الأساسيّة فى دفع تطوّر الثورة ".

نعم ، إنّ حركة التحرّر الوطني قد دخلت مرحلة جديدة ، لكنّها ليست بأي حال " المرحلة الجديدة " التى وصفها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي . ففى هذه المرحلة الجديدة إرتفع مستوى الوعي السياسي للشعوب الآسوية و الأفريقية و الأمريكية اللاتينية إلى درجة لم تسبق من قبل ، كما أن الحركة الثورية تندفع اليوم قدما بقوّة لم يسبق لها مثيل ، و أنّ هذه الشعوب تطالب ملحّة بإستئصال قوى الإستعمار و عملائه فى بلدانها إستئصالا تاما ، و تكافح فى سبيل إستقلال سياسي و إقتصادي تامين . إنّ المهمّة الأوّلية و الملحّة التى تواجه هذه البلدان لا تزال هي دفع تطوير النضال ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم . و لا يزال هذا النضال جاريا بعنف فى الميادين السياسيّة و الإقتصاديّة و العسكريّة و الثقافيّة و الإيديولوجيّة و غيرها . و لا تزال النضالات فى هذه الميادين تجد أقوى تعبير لها فى النضال السياسي ، الذى كثيرا ما يتطوّر لا محالة إلى نضال مسلّح عندما يلجأ المستعمِرون إلى القمع المسلّح المباشر أو غير المباشر . من المهمّ جدّا للبلدان المستقلّة حديثا أن تطوّر إقتصادها المستقلّ و لكن يجب ألاّ يفصل هذا الواجب أبدا عن النضال ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم .

إنّ نظرية " المرحلة الجديدة " هذه التى يدافع عنها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، مثل نظرية " إختفاء الحكم الإستعماري " التى يروّجونها ، يقصد بها بوضوح تبييض النهب والعدوان اللذين يباشرهما الحكم الإستعماري الجديد المتمثّل بالولايات المتحدة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و ستر التناقضات الحادة بين الإستعمار و الأمم المضطهَدة ، و شلّ النضال الثوري لشعوب القارات .

و وفقا لنظريّتهم هذه ، فإنّ الكفاح ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم ، لم يعد بالطبع ضروريّا ، لأنّ الحكم الإستعماري أخذ يختفى و أصبح التطوّر الإقتصادي الواجب الرئيسي لحركة التحرّر الوطني . و إذا إتّبع المرء هذا المنطق ألا يصل إلى نتيجة أنّه يمكن الإستغناء تماما عن حركة التحرّر الوطني ؟ لهذا السبب فإنّ مثل " المرحلة الجديدة " التى وصفها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، و التى تحتلّ فيها المهام الإقتصاديّة مركز الصدارة لا تعنى بوضوح غير عدم مقاومة الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد و عملائهم ، إنّها مرحلة لم تعد فيها حركة التحرّر الوطني مرغوبا فيها .

وصفات لإلغاء ثورة الأمم المضطهَدَة

لقد إبتكر قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، تمشّيا مع نظرياتهم المغلوطة و بعد جهد جهيد ، عددا من الوصفات (الروشتات) لعلاج جميع علل الأمم المضطهَدة . فدعنا نتفحّصها الآن .

تسمى الوصفة الأولى بالتعايش السلمي و المباراة السلميّة .

كثيرا ما عزا قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جميع الإنتصارات الكبرى لحركة التحرّر الوطني التى أحرزتها الشعوب الآسيوية والأفريقية و الأمريكية اللاتينية بعد الحرب إلى ما يدعونه ب " التعايش السلمي" و " المباراة السلميّة " . فالرسالة المفتوحة للجنة المركزيّة للحزب الشيوعي السوفياتي تقول :

" فى ظروف التعايش السلمي ، سجّلت إنتصارات هامّة جديدة خلال السنوات الأخيرة فى النضال الطبقي للبروليتاريا و فى نضال الشعوب من أجل الحرّية الوطنيّة . إنّ التطوّر الثوري العالمي يسير بنجاح ".

ويقولون أيضا إنّ حركة التحرّر الوطني تتطوّر فى ظروف التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة و فى ظروف المباراة الإقتصادية بين النظامين الإجتماعيين المتعارضين . و إنّ التعايش السلمي و المباراة السلمية " تساعدان على تعجيل عمليّة تحرّر الشعوب المكافحة لتحرير نفسها من السيطرة الإقتصادية للإحتكارات الأجنبية " ، و إنّهما تستطيعان توجيه " ضربة ساحقة " إلى " نظام العلاقات الرأسمالية بأسره ".

على جميع الأقطار الإشتراكية أن تمارس السياسة اللينينية للتعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة. و لكن التعايش السلمي و المباراة السلميّة لا يمكن قط أن يحلاّ محلّ النضالات الثوريّة للشعوب . إنّ إنتصار الثورة الوطنية لجميع المستعمرات والبلدان التابعة يجب كسبه فى الأساس عن طريق النضال الثوري لجماهير هذه البلدان نفسها، هذا النضال الذى لا يمكن أن يستعاض عنه بأي نضال للبلدان الأخرى .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتقدون بأنّ إنتصارات الثورة التحرّرية الوطنية لا تنتج فى الأساس عن النضالات الثورية للجماهير، و أن الشعوب لا يمكن أن تحرّر نفسها ، و أنّه يجب عليها أن تنتظر الإنهيار الطبيعي للإستعمار عبر التعايش السلمي و المباراة السلميّة . و يعادل هذا فى الواقع مطالبة الأمم المضطهَدة أن تسكت على النهب و الإستعباد الإستعماريين إلى الأبد و أن لا تنهض للمقاومة و الثورة.

أمّا الوصفة الثانية فتسمّى بمساعدة البلدان المتخلّفة .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يفاخرون بالدور الذى تلعبه مساعدتهم الإقتصادية للأقطار المستقلّة حديثا . فقد قال الرفيق خروتشوف إنّ بوسع مساعدة كهذه أن تجعل هذه البلدان " تتجنّب خطر إستعباد جديد " ، و أن " تدفع تقدّمها و تساهم فى تطوّرها الطبيعي و حتى فى دفع سرعة العمليّات الداخلية التى قد تأخذ هذه البلدان فى الطريق الرئيسي الذى يقود إلى الإشتراكية ".

من الضروري والمهمّ بالنسبة إلى البلدان الإشتراكيّة أن تقدّم للبلدان المستقلّة حديثا مساعدة إقتصاديّة على أساس الأممية . و لكن لا يجوز بأيّة حال أن يقال إنّ إستقلال هذه البلدان الوطني و تقدّمها الإجتماعي يعزيان فقط للمساعدة الإقتصادية التى تتسلّمها من الأقطار الإشتراكية و لا يعزيان بشكل رئيسي للنضالات الثوريّة لشعوبها بالذات .

لنقل بصراحة ، إنّ سياسة المساعدة للبلدان المستقلّة حديثا التى سار عليها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فى السنوات الأخيرة و الغرض منها هما موضع شكّ و ريبة. إذ أنّهم كثيرا ما يتّخذون موقف تعصّب الدولة الكبيرة ، و موقف الأنانيّة القوميّة فى المسائل المتعلّقة بمساعدة البلدان المستقلّة حديثا ، و يضرّون بالمصالح الإقتصادية و السياسية للبلدان التى تتسلّم مساعدتهم ، الأمر الذى حطّ بسمعة الأقطار الإشتراكية . امّا بالنسبة لمساعدتهم للهند فهنا تتّضح على وجه الخصوص دوافعهم الخفيّة . إنّ الهند تأتي فى رأس قائمة البلدان المستقلّة حديثا التى يقدّم لها الإتحاد السوفياتي مساعدة إقتصاديّة ، هذه المساعدة يقصد بها بوضوح تشجيع حكومة نهرو فى سياستها الموجّهة ضد الشيوعية و ضد الشعب و ضد الأقطار الإشتراكية . و حتى المستعمِرين الأمريكيّين قد ذكروا ان مثل هذه المساعدة السوفياتية " تتّفق جدّا و مصلحتنا (أي مصلحة الولايات المتحدة) ".

و بالإضافة إلى ذلك يقترح قادة الحزب الشيوعي السوفياتي علنا التعاون مع الإستعمار الأمريكي فى " تقديم المساعدة للبلدان المتخلّفة " ، فقد قال خروتشوف فى خطاب ألقاه فى الولايات المتّحدة فى شهر سبتمبر (أيلول) عام 1959 :

" إن نجاحاتكم و نجاحاتنا الإقتصاديّة سيثنى عليها كلّ العالم الذى يتوقّع من دولتينا العظيمتين مساعدة الشعوب المتخلّفة قرونا فى تطوّرها الإقتصادي لتنهض على أرجلها بسرعة أكثر ".

أنظروا ! إنّ الحصن الرئيسي للحكم الإستعماري المعاصر (على وجه التحديد الإستعمار الأمريكي) سيساعد الأمم المضطهَدَة " لتنهض على أرجلها بسرعة أكثر"! إنّه لشيء يثير الدهشة حقّا . ألا يريد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فقط أن يكونوا شركاء مع الحكم الإستعماري الجديد بل يفتخرون فى أن يصبحوا كذلك .

و تسمى الوصفة الثالثة بنزع السلاح .

لقد قال خروتشوف :

" إنّ نزع السلاح يعنى نزع سلاح قوى الحرب و إزالة العسكريّة و إستعباد التدخّل المسلّح فى الشؤون الداخلية لأيّ بلد و القضاء تماما و نهائيّا على جميع أشكال الحكم الإستعماري ".

و قال أيضا :

" إنّ نزع السلاح سيخلق ظروفا مناسبة لزيادة هائلة فى نطاق المساعدة للدول الوطنية التى تأسّست حديثا . و إّن ما خصّص لغرض هذه المساعدة مجرد ثمانية إلى عشرة بالمئة من ال120 مليارا من الدولارات التى تصرف على الأغراض العسكرية فى العالم قاطبة فسيكون من الممكن القضاء على الجوع و المرض و الأمّية فى المناطق الفقيرة فى الكرة الأرضية خلال عشرين عاما ."

لقد كان رأينا دائما أنّ النضال من أجل نزع السلاح العام يجب أن يشنّ من أجل فضح و مقاومة_توسّع التسلّح الإستعماري و الإستعدادات الحربية الإستعمارية . و لكن لا يجوز لأحد أن يقول إنّ الحكم الإستعماري سيستأصل عن طريق نزع السلاح .

إنّ خروتشوف يردّد هنا كالواعظ : ايتها الشعوب المغلوبة على أمرها فى العالم ، بورك فيك ! و لتهبط عليك شآبيب الرحمة ! لو أنّك فقط تذرعين بالصبر و تنتظرين حتى يلقى المستعمرون سلاحهم ، فلا شكّ أنّ الحرّية ستهبط عليك . إنتظري حتى يبدى المستعمرون الرحمة فتصبح مناطق العالم المنكوبة بالفقر جنّة على الأرض تفيض لبنا و عسلا !...

إنّ هذا ليس دعما للأوهام و حسب ، بل أفيون لتخدير الشعوب .

و تسمى الوصفة الرابعة بإستئصال الحكم الإستعماري عن طريق الأمم المتّحدة .

إنّ خروتشوف يعتقد بأنّ الأمم المتّحدة لو إتّخذت إجراءات لإجتثاث نظام الحكم الإستعماري ، " لمكّنت الشعوب التى تقاسي الآن من الإذلال الناتج عن السيطرة الأجنبيّة من أن تحرز مستقبلا باهرا و قريبا فى التحرّر السلمي من الإضطهاد الأجنبي ".

لقد تساءل خروتشوف فى خطابه فى الجمعيّة العامة لهيئة الأمم المتّحدة فى شهر سبتمبر (أيلول) عام 1960 ، " و من غيرُ هيئة الأمم المتّحدة بوسعه أن يقف فى مقدّمة المناضلين لإزالة الحكم الإستعماري ؟ ".

إنّ هذا سؤال غريب يوجه ! فوفقا لرأي خروتشوف لا يجب على الشعوب الثوريّة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و ليس فى وسعها ، أن تستأصل بنفسها الحكم الإستعماري بل عليها أن تتطلّع إلى الأمم المتّحدة للمساعدة .

لقد قال خروتشوف أيضا فى الجمعيّة العامة للأمم المتّحدة :

" وهذا هو ما يحدونا لأنّ نهيب بحكمة و بعد نظر شعوب الأقطار الغربية ، و بحكوماتها و ممثّليها فى هذه الجمعيّة المهيبة للأمم المتّحدة . دعونا نتّفق على خطوات معيّنة لإلغاء نظام الحكم الإستعماري ، و بذلك ندفع بعمليّة تحلّله التاريخيّة الطبيعيّة إلى أمام ".

من الواضح أن ما يعنيه حقّا بالتطلّع إلى الأمم المتّحدة للمساعدة هو تطلّع إلى مساعدة المستعمِرين . إنّ الحقائق تظهر أنّ الأمم المتّحدة التى لا تزال تحت سيطرة المستعمِرين تستطيع فقط صيانة و تعزيز سيطرة الحكم الإستعماري ، و لكنها لا تستطيع أبدا إلغاءه .

و بإيجاز ، إنّ وصفات قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المقدّمة لحركة التحرّر الوطني قد إستنبطت لحمل الشعوب على الإعتقاد بأنّ المستعمرين سيتخلّون عن الحكم الإستعماري و يهبون الحرية و التحرّر للأمم و الشعوب المضطهَدَة و لذلك فإنّ جميع النظريّات و المطالب و النضالات الثوريّة قد فات أوانها و ليست ضروريّة و ينبغى بل يجب أن يتخلّى عنها و تطرح جانبا .

مقاومة حروب التحرّر الوطني

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، مع أنّهم يتحدّثون حول تأييد حركات و حروب التحرّر الوطني ، ظلّوا يحاولون بكلّ الوسائل حمل شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينيّة على التخلّى عن نضالاتها الثوريّة ، لأنّهم أنفسهم يرتجفون خوفا و هلعا فى وجه العاصفة الثوريّة .

إنّ لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي " النظرية " الشهيرة التى تقول " و حتى شرارة صغيرة بمقدورها أن تسبّب حريقا عالميّا " و أنّ أي حرب عالميّة لا بدّ و أن تكون حربا حراريّة نوويّة ، الأمر الذى يعنى فناء الجنس البشري . و لهذا يجأر خروشوف بأنّ " الحروب المحلية " فى عهدنا الحاضر خطيرة جدّا "، و أنّ " علينا أن نعمل جاهدين... لنطفئ الشرارات التى يحتمل أن تشعل لهيب الحرب ". و هكذا فإنّ خروتشوف لا يميّز قط بين الحروب العادلة و غير العادلة و يخون الموقف الشيوعي ، موقف تأييد الحروب العادلة .

إنّ تاريخ الثمانية عشر عاما منذ الحرب العالميّة الثانية قد أظهر أن حروب التحرّر الوطني لا يمكن تجنّبها طالما أن المستعمِرين و عملاءهم يحاولون المحافظة على حكمهم الوحشي بحرابهم و يستخدمون القوّة لقمع ثورة الأمم المضطهَدَة . إنّ هذه الحروب الواسعة النطاق و الضيّقة النطاق ضد المستعمِرين و عملائهم ، و التى لم تتوقّف أبدا ، كانت ضربات قويّة وجهت لقوى الحرب الإستعمارية ، و عزّزت القوى التى تدافع عن السلام العالمي ، و منعت المستعمِرين بشكل فعّال عن تحقيق خطّتهم لشنّ حرب عالميّة . و إذا تحدّثنا بصراحة ، فإنّ تقوّلات خروتشوف حول ضرورة " إطفاء" شرارات الثورة من أجل السلام هي محاولة لمقاومة الثورة بإسم صيانة السلام .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، إنطلاقا من آرائهم و سياساتهم المغلوطة هذه ، لا يطالبون جميع الأمم المضطهَدَة بأن تتخلّى عن نضالها الثوري للتحرّر ، و أن " تتعايش سلميّا " مع المستعمِرين و الحكام الإستعماريين و حسب ، بل بلغ بهم الحدّ درجة الوقوف إلى جانب المستعمِرين ، و إستخدام مختلف الأساليب لإطفاء شرارات الثورة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية .

خذوا مثلا حرب الشعب الجزائري الوطنية التحرّرية . إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يمتنعوا عن تقديم التأييد لحرب الشعب الجزائري الوطنية التحرّرية لفترة طويلة و حسب بل وقفوا فى الواقع إلى جانب الإستعمار الفرنسي . فقد إعتبر خروتشوف إستقلال الجزائر الوطني " قضية داخليّة " فرنسيّة . لقد قال متحدّثا عن القضية الجزائرية فى 3 أكتوبر (تشرين الأول) عام 1955 " لقد إعتبرت و لا أزال أعتبر قبل كلّ شيء أن الإتحاد السوفياتي لا يتدخّل فى الشؤون الداخليّة للدول الأخرى " و قال لدى إستقباله لمراسل صحيفة " فيغارو" الفرنسية فى 19 مارس (آذار) عام 1958 : " إنّنا لا نريد أن تصبح فرنسا ضعيفة ، إنّنا نريدها أن تصبح أعظم ممّا هي عليه ".

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من أجل التزلّف إلى المستعمِرين الفرنسيّين لم يجرءوا على الإعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لفترة طويلة . و لم يسارعوا بالإعتراف بالجزائر إلاّ بعد أن تحقّق نهائيّا إنتصار حرب مقاومة الشعب الجزائري ضد العدوان الفرنسي و أجبرت فرنسا على الموافقة على إستقلال الجزائر . إنّ هذا المسلك غير المشرّف قد جلب العار للأقطار الإشتراكية . و مع ذلك ، فإنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يمجدون عارهم و يزعمون بأنّ نصر الشعب الجزائري الذى دفع دمه ثمنا له يجب أن يعزى أيضا لسياسة " التعايش السلمي" .

دعنا نتفحص مرّة أخرى الدور الذى لعبه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فى مسألة الكونغو . فهم لم يرفضوا منح التأييد النشط لنضال الشعب الكونغولي المسلّح ضد الحكم الإستعماري و حسب ، بل كانوا توّاقين " للتعاون " مع الإستعمار الأمريكي فى إطفاء الشرارة فى الكونغو .

ففى 13 يوليو (تموز) عام 1960 ، إنضمّ الإتحاد السوفياتي إلى الولايات المتحدة فى التصويت على قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتّحدة حول إرسال قوّات الأمم المتّحدة إلى الكونغو ، و هكذا ساعد المستعمِرين الأمريكيين على إستخدام علم الأمم المتّحدة فى تدخّلهم المسلّح فى الكونغو ، و فضلا عن ذلك زوّد الإتحاد السوفياتي قوّات الأمم المتّحدة بوسائل النقل . و قد قال خروتشوف فى برقية بعث بها إلى كازافوبو و لومومبا فى 15 يوليو (تموز) : " إنّ مجلس الأمن للأمم المتّحدة قد قام بعمل مفيد " و من ثمّ إندفعت الصحافة السوفياتية فى سيل من المدح تكيله للأمم المتّحدة " لمساعدتها حكومة جمهورية الكونغو للدفاع عن إستقلال و سيادة البلاد "، و عبّرت عن الأمل بأن تتّخذ الأمم المتحدة " إجراءات حازمة ". و واصلت الحكومة السوفياتية فى بيانيها فى 21 أغسطس (آب) ، و 10 سبتمبر (أيلول) مدح الأمم المتّحدة التى كانت تقمع الشعب الكونغولي .

و فى عام 1961 أقنع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جيزنجا بحضور إجتماع البرلمان الكونغولي المنعقد تحت " حماية " قوّات الأمم المتّحدة و بالإنضمام إلى الحكومة القرقوزية . و قد إدّعت قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي كذبا و بهتانا أنّ إنعقاد البرلمان الكونغولي كان " حدثا هاما فى حياة الجمهورية الفتيّة " و " نجاحا للقوى الوطنية " .

و هكذا يظهر بوضوح أنّ هذه السياسات الخاطئة لقيادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قدّمت للإستعمار الأمريكي خدمة كبرى فى عدوانه على الكونغو . فقد قُتل لومومبا ، و سجن جيزنجا ، و إضطُهد العديد من الوطنيّين الآخرين ، كما أنّ النضال الكونغولي فى سبيل الإستقلال الوطني قد أصيب بنكسة . أفلا تشعر قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي بأي مسئولية تجاه كلّ هذا ؟

المناطق التى تتركّز فيها التناقضات العالميّة الراهنة

إنّه لأمر طبيعي محض أن رفضت الشعوب الثوريّة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية أقوال و أفعال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضد حركات و حروب التحرّر الوطني . و لكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لم يستخلصوا الدرس اللازم و لم يغيّروا خطّهم الخاطئ و سياساتهم المغلوطة . و بدلا من ذلك ، فقد إستشاطوا غيظا للإهانة التى لحقت بهم ، فشنّوا سلسلة من الهجمات و الإفتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني و الأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى .

إنّ الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تتّهم الحزب الشيوعي الصيني بأنّه يدفع قدما " نظرية جديدة " و تقول :

" ... و وفقا للنظريّة الجديدة فإنّ التناقض الأساسي فى عصرنا هو ، على ما يظهر ، التناقض لا بين الإشتراكية و الإستعمار ، بل بين حركة التحرّر الوطني و الإستعمار . و فى رأي الرفاق الصينيّين أن القوّة الحاسمة فى النضال ضد الإستعمار ليست النظام الإشتراكي العالمي و لا نضال الطبقة العاملة العالمية ، بل حركة التحرّر الوطني إيّاها ."

إنّ هذا تزييف فى المقام الأوّل . فقد أشرنا فى رسالتنا المؤرخة فى 14 يونيو(حزيران) إلى أنّ التناقضات الأساسية فى العالم المعاصر هي التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإستعماري و التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى القطار الرأسمالية و التناقض بين الأمم المضطهَدَة و الإستعمار و التناقضات فيما بين الأقطار الإستعمارية و فيما بين الجماعات الرأسمالية الإحتكارية .

و قد أشرنا كذلك إلى أنّ التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإستعماري هو تناقض بين النظامين الإجتماعيّين المختلفين أساسا- الإشتراكي و الرأسمالي وهو بدون أدنى شكّ تناقض حاد جدّا . و لكن يجب على الماركسيين اللينينيين ألاّ يعتبروا أن التناقضات فى العالم تتكوّن ببساطة من التناقض القائم بين المعسكر الإشتراكي والمعسكر الإستعماري فقط.

إنّ رأينا لبيّن واضح جدّا.

لقد أوضحنا فى رسالتنا فى 14 يونيو (حزيران) الوضع الثوري فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية و أهمّية و دور حركة التحرّر الوطني و هذا ما قلنا :

1- " إنّ مناطق آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية الواسعة هي المناطق التى تتجمّع فيها مختلف أنواع التناقضات فى العالم المعاصر ، و الإستعمار أضعف ما يكون سيطرة فى هذه المناطق . وهي مراكز عواصف الثورة العالميّة التى تسدّد الآن الضربات المباشرة إلى الإستعمار ".

2- " إنّ الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية فى هذه المناطق و حركة الثورة الإشتراكية العالمية هما التيّاران التاريخيّان العظيمان فى عهدنا الحاضر ".

3- " إن الثورة الوطنية الديمقراطية فى هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة ".

4- " إنّ النضالات الثورية المعادية للإستعمار التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية تدك و تقوّض أسس سيطرة الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد بقوّة و هي الآن قوّة جبّارة لصيانة سلام العالم ."

5- " لذلك و بمعنى محدّد ، فإنّ قضية البروليتاريا العالمية برمّتها تدور على النضالات الثوريّة لشعوب هذه المناطق التى تشكّل الأغلبية الساحقة من سكّان العالم ".

6- " لذلك فإنّ النضالات الثورية المعادية للإستعمار التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ليست قطعا أمرا ذا مغزى إقليمي ، و لكنّها أمر ذو أهمّية عامة بالنسبة إلى قضيّة الثورة البروليتارية العالمية بأكملها " .

هذه هي الإستنتاجات الماركسية اللينينية و الأحكام التى تمّ التوصّل إليها بواسطة التحليل العلمي إنطلاقا من حقائق عصرنا .

لا يستطيع أحد أن ينكر أن وضعا ثوريّا مؤاتيا للغاية موجود اليوم فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية . إنّ ثورات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية اليوم هي أهمّ القوى التى تكيل ضربات مباشرة للإستعمار . كما أنّ التناقضات فى العالم تتركّز فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية .

إنّ مركز التناقضات العالميّة و النضالات السياسية العالميّة ليس ثابتا بل يتنقّل مع التغيّرات فى النضالات العالميّة و الوضع الثوري . و نحن نعتقد أنّه مع تطوّر التناقض و النضال بين البروليتاريا و البرجوازية فى أوروربا الغربية و أميركا الشمالية - معاقل الرأسمالية و مواطن قلب الإستعمار، سيحين اليوم الحاسم فى المعركة . وعندما يحلّ ذلك اليوم ستصبح أوروبا الغربيّة و أميركا الشماليّة بدون شكّ مركز النضالات السياسية العالميّة و التناقضات العالميّة .

لقد قال لينين فى عام 1913 : " ... إنّ مصدرا جديدا للعواصف العالمية الكبرى قد ظهر فى آسيا... إننا نعيش اليوم فى عصر العواصف هذا و " إنعكاساتها " على أوروبا ".(المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين، المجلّد 18).

و قال ستالين عام 1925 :

" إنّ البلدان المستعمَرة تشكّل المؤخرة الأساسية للإستعمار . و إندلاع الثورة فى هذه المؤخرة لا بدّ له أن يقوّض الإستعمار ليس بمعنى أن الإستعمار سيجرد من مؤخّرته و حسب بل بمعنى أن إندلاع الثورة فى الشرق كذلك لا بدّ أن يكون له أثر قويّ على تشديد الأزمة الثوريّة فى الغرب ". (المجموعة الكاملة لمؤلفات ستالين ، المجلد 7).

من الممكن أن تكون أقوال لينين و ستالين هذه خاطئة ؟

هذه الإستنتاجات التى وضعاها كانت منذ أمد طويل من أبجديّات الماركسية اللينينية . و من الواضح أنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الذين يصمّمون على التقليل من شأن حركة التحرّر الوطني ، لا بدّ أن يتجاهلوا تماما أبجديات الماركسية اللينينية و الحقائق الواضحة التى هي تحت أبصارهم .

تشويه الرأي اللينيني حول القيادة فى الثورة

تهاجم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، فى رسالتها المفتوحة فى 14 يوليو (تموز) أيضا رأي الحزب الشيوعي الصيني حول مسألة القيادة البروليتارية فى حركة التحرّر الوطني . فهي تقول :

"... إنّ الرفاق الصينيّين يريدون " تصحيح " لينين و البرهان على أن القيادة فى النضال العالمي ضد الإستعمار يجب أن لا تكون للطبقة العاملة ، بل للبرجوازية الصغيرة أو البرجوازية الوطنية ، و أحيانا حتى ل " بعض الملوك و الأمراء و الأرستقراطيين ذوى الأفكار الوطنية ".

إنّ هذا لتشويه مقصود لآراء الحزب الشيوعي الصيني .

فعند مناقشة ضرورة إصرار البروليتاريا على قيادة حركة التحرّر الوطني تقول رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني فى 14 يونيو (حزيران) :

" إنّ التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية فى هذه المناطق (أي آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية) رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية النضال ضد الإستعمار و ضد الحكم الإستعماري القديم و الجديد و فى سبيل الإستقلال الوطني و الديمقراطية الشعبية ، و أن تقف فى مقدّمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثوريّة ، و أن تكافح من أجل مستقبل إشتراكي ." ...

" و ينبغى للبروليتاريا و حزبها أن يوحّدا على أساس التحالف بين العمّال و الفلاّحين جميع الفئات التى يمكن توحيدها و أن ينظّما جبهة متّحدة واسعة ضد الإستعمار و أتباعه . و من أجل تعزيز و توسيع هذه الجبهة المتّحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري بإستقلاله الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي و أن يصرّ على قيادة الثورة ".

و لدى التطرّق إلى ضرورة إقامة جبهة متّحدة واسعة و معادية للإستعمار فى حركة التحرّر الوطني تقول رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني :

" تواجه الأمم و الشعوب المضطهَدَة فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية المهمّة الملحّة ، مهمّة مكافحة الإستعمار و أتباعه "...

" إنّ أقساما واسعة جدّا من السكّان فى هذه المناطق ترفض أن تصير عبيدا للإستعمار ، و هي لا تشمل العمّال و الفلاّحين و المثقّفين و البرجوازيّين الصغار و حسب ، بل تشمل أيضا البرجوازيين المحلّيين الوطنيّين و حتى بعض الملوك و الأمراء و الأرستقراطيين الوطنيين " .

إنّ آراءنا واضحة تماما . فمن الضروري فى حركة التحرّر الوطني الإصرار على كلّ من قيادة البروليتاريا ، و إقامة جبهة متّحدة واسعة معادية للإستعمار . فما وجه الخطأ فى هذه الآراء ؟ و لماذا تشوّه و تهاجم قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي هذه الآراء الصحيحة ؟

لسنا نحن الذين تخلّينا عن آراء لينين حول قيادة البروليتاريا فى الثورة بل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين تخلّوا عنها .

إنّ الخطّ المغلوط لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي يتخلّى عن واجب مكافحة الإستعمار و الحكم الإستعماري تخلّيا تاما و يعارض حروب التحرّر الوطني معارضة تامة . و هذا يعنى أنّه يتطلب من البروليتاريا و الأحزاب الشيوعية للأمم والبلدان المضطهَدَة أن تطوي رايتها الوطنية للنضال ضد الإستعمار و فى سبيل الإستقلال الوطني و أن تسلمها للآخرين. و إذا كان هذا هو الحال فكيف يمكن للمرء أن يجرؤ على الحديث عن جبهة متّحدة معادية للإستعمار أو عن قيادة بروليتارية ؟

و هناك فكرة طالما دعا لها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مرارا وهي أنّه بوسع قطر ما أن يبني الإشتراكية تحت أي قيادة كان نوعها حتى إذا كانت تشتمل على قومي و رجعي كنهرو . وهذا أمر بعيد كلّ البعد عن فكرة القيادة البروليتارية.

إن الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تفسّر تفسيرا خاطئا العلاقة الصحيحة للتأييد المتبادل التى يجب أن تقوم بين المعسكر الإشتراكي و حركة الطبقة العاملة فى القطار الرأسمالية من جهة و بين حركة التحرّر الوطني من الجهة الأخرى مدعية أن الأقطار الإشتراكية و حركة الطبقة العاملة فى الأقطار المتروبوليتانية يجب أن " تقود " حركة التحرّر الوطني . و قد بلغت بها الجرأة درجة الإدعاء بأن هذا " يقوم على أساس " آراء لينين حول القيادة البروليتارية . و من الواضح أنّ هذا تشويه كامل و تحريف تام لأفكار لينين ، و يكشف أن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يريدون فرض خطّهم القاضي بإلغاء الثورة على الحركة الثوريّة للأمم المضطهَدة .

طريق القومية الضيّقة والتحلّل

إن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يحاولون فى رسالتهم المفتوحة فى 14 يوليو (تموز) إلصاق تهمة " عزل حركة التحرّر الوطني عن الطبقة العاملة العالمية و وليدها النظام الإشتراكي العالمي " بالحزب الشيوعي الصيني . و هم يتّهموننا أيضا ب " فصل " حركة التحرّر الوطني عن النظام الإشتراكي و حركة الطبقة العاملة فى الأقطار الرأسمالية الغربية و ب " وضع " الأولى فى مجابهة الأخيرتين . و هناك شيوعيّون آخرون ، أمثال قادة الحزب الشيوعي الفرنسي ، يردّدون بصوت مرتفع أقوال قادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

و لكن ما هي الحقائق ؟ إنّ الذين يضعون حركة التحرّر الوطني فى موضع معارض للمعسكر الإشتراكي و حركة الطبقة العاملة فى الأقطار الرأسمالية الغربية ليسوا غير قادة الحزب الشيوعي السوفياتي و أتباعهم ، الذين لا يمتنعون عن تأييد حركة التحرّر الوطني و حسب بل يقاومونها أيضا .

لقد كان رأي الحزب الشيوعي الصيني دائما هو أن النضالات الثوريّة لجميع الشعوب تؤيد بعضها البعض . و نحن ننظر دائما لحركة التحرّر الوطني من وجهة النظر الماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية و من وجهة نظر الثورة البروليتارية العالميّة ككلّ . و نحن على يقين بأن التطوّر المظفّر لثورة التحرّر الوطني أمر فى أعظم درجات الأهميّة للمعسكر الإشتراكي و لحركة الطبقة العاملة فى القطار الرأسمالية و لقضيّة صيانة السلم العالمي .

و لكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي و أتباعهم يرفضون الإعتراف بهذه الأهمّية . فهم يتحدّثون فقط عن التأييد الذى يمنحه المعسكر الإشتراكي لحركة التحرّر الوطني و ينكرون التأييد الذى تمنحه حركة التحرّر الوطني للمعسكر الإشتراكي . إنّهم يقصرون حديثهم على دور حركة الطبقة العاملة فى الأقطار الرأسمالية الغربيّة فى توجيه الضربات للإستعمار و يقلّلون من دور حركة التحرّر الوطني فى هذا الصدد أو ينكرونه إنكارا تاما . إنّ موقفهم هذا يناقض الماركسية اللينينية و لا يعتبر الحقائق و لهذا فهو خاطئ .

إنّ مسألة أي موقف يُتّخذ تجاه العلاقة بين الأقطار الإشتراكية و ثورة الأمم المضطهَدة و تجاه العلاقة بين حركة الطبقة العاملة فى القطار الرأسمالية و ثورة الأمم المضطهَدة تتضمّن مبدأ هاما هو ما إذا كان يجب التمسّك بالماركسية اللينينية و الأمميّة البروليتاريّة أم لا .

فوفقا للماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية ، يجب على كلّ قطر إشتراكي أحرز النصر فى ثورته أن يؤيد ويساعد بنشاط نضالات التحرّر التى تخوضها الأمم المضطهَدة . كما يجب على الأقطار الإشتراكيّة أن تغدو قواعدا لتأييد و تطوير ثورة الأمم و الشعوب المضطهَدة فى جميع أنحاء العالم ، و أن تشكّل أوثق تحالف معها و تسير بالثورة البروليتارية العالمية قدما حتى النهاية .

و لكن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعتبرون فعلا أن إنتصار الإشتراكية فى قطر واحد أو عدّة أقطار هو نهاية للثورة البروليتارية العالمية . إنّهم يريدون أن يخضعوا ثورة التحرّر الوطني لخطّهم العام للتعايش السلمي ، و المصالح القوميّة لبلادهم نفسها .

فعندما حارب ستالين فى عام 1925 دعاة التصفية الذين كان يمثّلهم التروتسكيون و الزينوفيافيون ، أشار إلى أن إحدى المميّزات الخطيرة لنزعة التصفية هي :

"... فقدان الثقة بالثورة البروليتارية العالمية ، و فقدان الثقة بنصرها . و موقف الريبة و التشكّك إزاء حركة التحرّر الوطني فى المستعمرات و البلدان التابعة ... و العجز عن فهم المطلب الأولى للأمميّة الذى يقضى بأنّ إنتصار الإشتراكية فى بلد واحد ليس نهاية فى حدّ ذاته ، بل هو وسيلة لتطوير و تأييد الثورة فى البلدان الأخرى". (المجموعة الكاملة لمؤلفات ستالين ، المجلد 7).

و أضاف :

" إن هذا هو طريق القومية الضيّقة و التحلّل ، طريق التصفية التامة للسياسة الأمميّة للبروليتاريا ، لأنّ الناس المصابين بهذا المرض يعتبرون أن بلدنا ليس جزءا من الكلّ الذى يطلق عليه الحركة الثورية العالمية و لكن يعتبرونه بداية و نهاية هذه الحركة ، معتقدين أنّه تجب التضحية بمصالح جميع البلدان الأخرى فى سبيل مصالح بلادنا." (نفس المصدر السابق)

و قد وصف ستالين خطّ تفكير دعاة التصفية كما يلى :

" هل نؤيد حركة التحرّر فى الصين ؟ لكن لماذا ؟ أولن يكون ذلك محفوفا بالمخاطر؟ أولن يجلب هذا لنا الدخول فى نزاع مع البلدان الأخرى ؟ أولن يكون من الأفضل لو أنّنا أقمنا " مناطق نفوذ " فى الصين بالإتّفاق مع الدول " المتقدّمة " و إختطفنا بعض الشيء من الصين لمصلحتنا الخاصة ؟ إنّ هذا سيكون مفيدا و مأمون الجانب فى نفس الوقت ... و هكذا دواليك ."(نفس المصدر السابق)

و قد إستنتج :

" و مثل هذا النوع الجديد " لإطار التفكير" القومي الضيّق الذى يحاول تصفية السياسة الخارجيّة لثورة أكتوبر ، كما يخلق عناصر التحلّل ". (نفس المصدر السابق)

لقد ذهب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليّون أبعد من دعاة التصفية القدامى . و فخورين بذكائهم يختارون ما هو " مفيد ومأمون الجانب " فى نفس الوقت . و قد صمّموا ، إذ أنّهم يخافون خوف الموت من الدخول فى نزاع مع الأقطار

الإستعمارية ، صمّموا على معارضة حركة التحرّر الوطني . لقد أسكرتهم فكرة إقامة " الدولتين العظيمتين" مناطق نفوذ فى أنحاء العالم قاطبة .

إنّ نقد ستالين لدعاة التصفية هو وصف جيّد لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليين . إذ أنّهم ساروا على هدى دعاة التصفية وعمدوا إلى تصفية السياسة الخارجية لثورة أكتوبر و سلكوا طريق القومية الضيقة و التحلّل.

لقد حذّر ستالين وقتذاك :

" من الواضح أنّه ليس بوسع أوّل قطر أحرز النصر أن يحافظ على دور حامل لواء الحركة الثوريّة العالميّة إلاّ على أساس التمسّك بالأمميّة تماما ، و على أساس السياسة الخارجية لثورة أكتوبر . إنّ طريق أدنى حدّ من المقاومة و طريق القوميّة الضيّقة فى السياسة الخارجية ما هو إلاّ طريق عزلة و تحلّل أوّل قطر أحرز النصر ". (نفس المصدر السابق)

إنّ تحذير ستالين هذا ذو مغزى عملي خطير بالنسبة إلى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الحاليين .

مثال للتعصّب الإجتماعي

و بالمثل ، و تمشّيا مع الأممية البروليتاريّة ، يجب على بروليتاريا و شيوعيّي الأمم المضطهَدة أن يقوموا تأييدا نشطا لكلّ من حقّ الأمم المضطهَدة فى الإستقلال الوطني و نضالاتها فى سبيل التحرّر ، و بتأييد الأمم المضطهَدة تصبح بروليتاريا الأمم المضطهَدة فى وضع مؤات أكثر لكسب ثورتها .

لقد وضع لينين النقاط على الحروف عندما قال :

" إنّ الحركة الثورية فى الأقطار المتقدّمة ستكون فى الواقع محض أكذوبة إذا لم يتّحد تماما عمّال اوروبا و أميركا بشكل وثيق فى غمرة نضالهم ضد رأس المال مع ملايين الملايين من عبيد " المستعمرات " الذين يضطهِدهم رأس المال ." (المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين ، المجلّد 31)

و مع ذلك فإنّ بعض من يسمّون أنفسهم ماركسيين لينينيين قد تخلّوا عن الماركسية اللينينية حول هذه القضية ذات الأهمّية المبدئية الأساسيّة. و قادة الحزب الشيوعي الفرنسي هم خير مثال فى هذا الصدد :

فمن جهة تخلّى قادة الحزب الشيوعي الفرنسي خلال فترة طويلة عن النضال ضد الإستعمار الأمريكي ، رافضين خوض كفاح حازم ضد سيطرة الإستعمار الأمريكي على فرنسا و تقييداته لها فى الميادين السياسية و الإقتصادية و العسكرية ، و مسلّمين راية النضال الوطني الفرنسي ضد الولايات المتّحدة إلى أناس كديغول؛ و من الجهة الأخرى ، ظلّوا يستخدمون شتّى الوسائل و المبرّرات للدفاع عن المصالح الإستعمارية للمستعمِرين الفرنسيين ، و رفضوا تأييد حركات التحرّر الوطني فى المستعمرات الفرنسية ، و قاوموها فعلا و لا سيما الحروب الثوريّة الوطنية ؛ وهكذا غرقوا فى مستنقع التعصب القومي .

لقد قال لينين : " إنّ الأوروبيّين كثيرا ما ينسون أن شعوب المستعمرات هم أيضا أمم ،و لكن السماح بهذا " النسيان " بمثابة السماح بالتعصّب القومي ". (المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين ، المجلد 23) و مع ذلك فإن قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي التى يمثّلها الرفيق توريز لم تسكت على هذا " النسيان " و حسب بل إعتبرت بصراحة شعوب المستعمرات الفرنسية " رعايا فرنسيين من دم أجنبي " ؛ و رفضت الإعتراف بحقّ هذه الشعوب فى الإستقلال الوطني و الإنفصال عن فرنسا، و ايّدت علنا سياسة " المزج الوطني " التى إتّبعها المستعمِرون الفرنسيّون .

إنّ قادة الحزب الشيوعي الفرنسي قد إتّبعوا لأكثر من عشر سنوات خلت سياسة المستعمِرين الفرنسيين الإستعمارية ، و خدموا كذيل للرأسمال الإحتكاري الفرنسي . ففى عام 1946، عندما لعب الحكّام الرأسماليّون الإحتكاريّون الفرنسيّون حيلة الحكم الإستعماري الجديد بإقتراحهم تشكيل إتّحاد فرنسي ، تبعوا خطاهم و أعلنوا " لقد تخيلنا دائما أن الإتحاد

الفرنسي هو إتّحاد حرّ لشعوب حرّة " و أنّ " الإتحاد الفرنسي سيسمح بتنظيم العلاقات على أساس جديد بين شعب فرنسا و شعوب ما وراء البحار التى ضُمّت لفرنسا فى الماضي ". و فى عام 1958، عندما إنهار الإتّحاد الفرنسي و إقترحت الحكومة الفرنسية إقامة " المجموعة الفرنسية " للمحافظة على نظامها الإستعماري ، تبعها قادة الحزب الشيوعي الفرنسي مرّة أخرى و أعلنوا " إنّنا نعتقد أنّ إقامة مجموعة حقيقية ستكون حدثا إيجابيّا ".

وبالإضافة لذلك حاول قادة الحزب الشيوعي الفرنسي فى مقاومتهم لمطلب شعوب المستعمرات الفرنسية بالإستقلال الوطني ، حاولوا حتى تخوينها ، قائلين إنّ " أيّة محاولة للإنفصال عن إتّحاد فرنسا ستقود فقط إلى تعزيز الإستعمار ، و مع أنّ الإستقلال يمكن أن يكسب ، إلاّ انّه سيكون مؤقتا و إسميّا و مزيّفا " . و قد أعلنوا بصراحة أكثر : " إنّ المسألة هي : ما إذا سيصبح الإستقلال الذى لا يمكن تجنّبه الآن مع فرنسا ، أو بدون فرنسا ، أو ضد فرنسا . إنّ مصلحة بلدنا تتطلّب أن يكون هذا الإستقلال مع فرنسا ".

و فيما يتعلّق بمسألة الجزائر يتّضح أكثر موقف التعصّب القومي لقادة الحزب الشيوعي الفرنسي . لقد حاولوا مؤخّرا تبرير أنفسهم بالقول إنّهم " قد إعترفوا بالمطلب العادل لشعب الجزائر فى الحرّية " منذ أمد طويل. و لكن ما هي الحقائق؟

لقد رفض قادة الحزب الشيوعي الفرنسي لفترة طويلة الإعتراف بحقّ الجزائر فى الإستقلال الوطني . فقد تبعوا الرأسماليين الإحتكاريّين الفرنسيّين صائحين إنّ " الجزائر جزء لا يتجزّأ من فرنسا " و أنّ فرنسا " يجب أن تكون دولة إفريقية عظمى الآن و فى المستقبل " . إنّ توريز و غيره كانوا مهتمّين أشدّ الإهتمام بحقيقة أن الجزائر يمكن أن تزوّد فرنسا ب " مليون رأس من الغنم " و بكمّيات كبيرة من القمح سنويّا لتحلّ مشكلتها فى " نقص اللحوم " و ل" سدّ عجزها فى الحبوب ".

يا للعجب ! و يا له من تعصب قومي محموم لدى قادة الحزب الشيوعي الفرنسي ! هل يظهرون أي ذرّة من الأمميّة البروليتارية ؟ و هل لديهم أيّة ذرّة من الثورية البروليتاريّة ؟ إنّهم بإتّخاذهم موقف التعصّب القومي هذا خانوا المصالح الأساسيّة للبروليتاريا العالميّة . و المصالح الأساسيّة لبروليتاريا الفرنسيّة و المصالح الحقيقة للأمّة الفرنسية .

دحض " نظرية العنصرية " و " نظرية الخطر الأصفر"

بعد أن إستخدم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جميع طلاسمهم لمقاومة حركة التحرّر الوطني ، إنحطّوا الآن إلى درجة طلب العون من العنصرية التى هي أشدّ النظريّات الإستعمارية رجعيّة . إنّهم يصفون الموقف الصحيح للحزب الشيوعي الصيني فى تأييده الحازم لحركة التحرّر الوطني بأنّه " يخلق الحواجز العنصرية و الجغرافية " ، و " يحلّ وجهة النظر العنصرية محلّ وجهة النظر الطبقيّة "، و " يستخدم التحيّز القومي و حتى العنصري لدى الشعوب الآسيوية و الأفريقية ".

كان بوسع هذه الأكاذيب أن تخدع الناس ، لو أن الماركسية اللينينية لم تكن موجودة ، و لكن من سوء حظّ مختلقي هذه الأكاذيب أنّهم يعيشون فى عصر لا يناسبهم لأنّ الماركسية اللينينية وجدت طريقها إلى سويداء قلوب الناس . فكما قال ستالين بحقّ ، فإنّ اللينينية " قد حطّمت الجدار بين البيض و السود و بين الأوروبيين و الآسيويين ، و بين " المتمدّنين " و " غير المتمدّنين" من عبيد الإستعمار". (المجموعة الكاملة لمؤلفات ستالين م المجلد 9). فعبثا يحاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي إعادة بناء جدار العنصرية هذا من جديد .

و فى التحليل النهائي ، فإنّ المسألة الوطنية فى العالم الراهن هي قضية نضال طبقي و نضال معاد للإستعمار . فقد شكّل اليوم العمّال ، و الفلاّحون ، و المثقّفون الثوريّون ، و العناصر البرجوازية الوطنية المعادية للإستعمار ، و المتنوّرون الوطنيّون المعادون للإستعمار الآخرون من جميع الأجناس – الأبيض ، و الأسود ، و الأصفر ، و الحنطيّ ، شكّلوا جبهة متّحدة عريضة ضد المستعمِرين و على رأسهم الولايات المتّحدة و ضد أتباعهم . إنّ هذه الجبهة المتّحدة تتّسع و تتزايد قوّة . و ليست المسألة هنا هي مسألة الوقوف إلى جانب البيض أو الملوّنين ، بل مسألة الوقوف إلى جانب الشعوب و الأمم المضطهَدة أم إلى جانب حفنة من المستعمِرين و الرجعيّين .

وفقا للموقف الطبقي الماركسي اللينيني يجب على الأمم المضطهَدة أن ترسم خطّا واضحا فاصلا بينها و بين المستعمِرين و الحكام الإستعماريّين . إنّ طمس هذا الخطّ هو بمثابة وجهة نظر تعصّب قومي تخدم الإستعمار و الحكم الإستعماري .

لقد قال لينين :

" و هذا بالتحديد هو السبب الذى يجب أن تكون من أجله النقطة الرئيسية فى برنامج الإشتراكيين- الديمقراطيين هي مسألة التمييز بين الأمم المضطهِدة و المضطهَدة ، و التى هي جوهر الإستعمار ، هذه المسألة التى يتجنّبها كذبا أصحاب التعصّب الإجتماعي و كاوتسكي ." (المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين ، المجلد 21)

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بتحقيرهم لوحدة شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية فى النضال المعادي للإستعمار و وصفها بأنّها قائمة " على أساس المبادئ الجغرافية و العنصرية " ، وضعوا أنفسهم بوضوح فى موقف دعاة التعصّب الإجتماعي و كاوتسكي .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بترويجهم " نظرية العنصرية " و وصفهم حركة التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية بأنّها حركة يقوم بها الملوّنون ضد الجنس الأبيض – إنّما يرمون بوضوح إلى إثارة البغض العنصري بين البيض فى أوروبا و أمريكا الشمالية ، و إلى صرف شعوب العالم عن النضال ضد الإستعمار و إلى صرف حركة الطبقة العاملة العالميّة عن النضال ضد التحريفيّة المعاصرة .

لقد أثار قادة الحزب الشيوعي السوفياتي الضجيج حول " الخطر الأصفر" و " الخطر الوشيك الوقوع لجنكيز خان " . إنّ هذا فى الواقع لا يستحقّ الدحض . فنحن لا ننوى فى هذا المقال التعليق على الدور التاريخي لجنكيز خان ولا على تطوّر الأمم المنغوليّة و الروسية و الصينيّة حتى أصبحت دولا . و لكنّنا نودّ أن نذكر فقط قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بحاجتهم إلى مراجعة دروسهم التاريخية قبل إختلاق مثل هذه الأساطير ، لقد كان جنكيز خان خانا لمنغوليا ، و فى عهده تعرّضت كل من الصين و روسيا للعدوان المنغولي . و قد غزا جزءا من الشمال الغربي و شمال الصين فى عام 1215، كما غزا روسيا فى عام 1223. و بعد وفاته أخضع خلفه روسيا فى عام 1230 و قهر بعد تسع و ثلاثين سنة من ذلك أي فى عام 1279 الصين بأسرها .

إنّ للأديب الصيني المشهور لوسين فقرة حول جنكيز خان فى مقال كتبه عام 1934 ، و نحن نسوقها هنا كمرجع لكم إذ يبدو أنّه مفيد لكم .

لقد كتب ما يلي : عندما كنت شابا فى العشرين من عمرى

" ... قيل لى إنّ " جنكيز خاننا " قد قهر أوربا و أدخل أروع فترة فى " تاريخنا ". و لم أكتشف إلاّ عندما بلغت الخامسة و العشرين من عمرى أنّ ما يدعى بأروع فترة فى " تاريخنا " لم تكن فى الواقع غير الفترة التى قهر فيها المنغوليّون الصين و أصبحنا عبيدا . و لم أكن لأكتشف حتى شهر أغسطس (آب) الماضي ، عندما كنت أبحث فى ثلاثة كتب عن التاريخ المنغولي عن قصص تاريخية ، أن قهر المنغوليين " لروسيا " ، و غزوهم للمجرّ و النمسا قد سبقا فى الواقع قهرهم لكلّ الصين ، و أنّ جنكيز خان ذلك الزمان لم يكن بعد خانا لنا . لقد إستعبد الروس قبلنا و بالتالي فخليق بهم أن يقولوا " إنّه عندما أخضع جنكيز خاننا الصين ، أدخل أروع فترة فى تاريخنا " ". (المجموعة الكاملة لمؤلفات لوسين ، المجلّد 6 ، ص 109، الطبعة الصينية).

إنّ أيّ فرد ذى إلمام بسيط بتاريخ العالم الحديث يعرف أن " نظرية الخطر الأصفر" التى يثير حولها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مثل هذه الضجّة ليست إلاّ تركة للأمبراطور الألماني ويليام الثاني . قال ويليام الثاني قبل نصف قرن، " إننى أؤمن بالخطر الأصفر" .

لقد كان غرض الأمبراطور الألماني فى الدعوة ل " نظرية الخطر الأصفر" هو المزيد من تقسيم الصين ، و غزو آسيا ، وقمع الثورة فى آسيا ، و صرف إنتباه شعوب أوروبا عن الثورة ، و إستخدامها كستار لإستعداداته النشطة للحرب الإستعمارية العالميّة و لمحاولته لكسب زعامة العالم . و عندما نشر ويليام الثاني " نظرية الخطر الأصفر" هذه ، كانت البرجوازية الأوروبية فى تفسّخ عميق و رجعية للغاية ، كما كانت الثورات الديمقراطية تكتسح الصين ، و تركيا ، و بلاد

الفرس و تؤثر فى الهند ، حوالي الوقت الذى إندلعت فيه ثورة عام 1905 الروسيّة . لقد كانت تلك الفترة ، أيضا هي التى وضع لينين فيها ملاحظته المشهورة حول " أوروبا المتأخّرة و آسيا المتقدّمة ".

لقد كان ويليام الثاني رجلا عظيما ، فى زمانه ، و لكنّه قد أثبت فى الواقع أنّه لم يكن غير رجل من الثلج تحت الشمس إذ إختفى هذا الزعيم الرجعي عن المسرح فى وقت قصير جدّا مع نظريّته الرجعيّة التى إبتكرها . أمّا لينين العظيم فيعيش مع تعاليمه النيّرة إلى الأبد .

لقد مضت خمسون سنة و غدا الإستعمار فى أوروبا الغربية و أميركا الشمالية أكثر إحتضارا و رجعيّة . و أصبحت أيّامه معدودات . و فى الوقت ذاته أصبحت العاصفة الثوريّة التى تزأر فوق آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية أقوى أضعاف ما كانت عليه فى عهد لينين . إنّه ليصعب التصديق أنّه لا يزال هناك اليوم أناس يرغبون فى أن يتّبعوا خطوات ويليام الثاني. إنّ هذه حقّا لسخرية للتاريخ .

إنبعاث التحريفية القديمة فى زيّ جديد

إنّ سياسة قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي حول المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات لتتّفق مع السياسة المفلسة لمحرّفي الأمميّة الثانية لا غير . و الخلاف الوحيد هو أنّ محرفي الأمميّة الثانية قد خدموا الحكم الإستعماري القديم للمستعمِرين، بينما يخدم المحرّفون المعاصرون الحكم الإستعماري الجديد للمستعمِرين .

لقد غنّى المحرفون القدامي على نغمة الحكّام الإستعماريين القدامي ، بينما يغنّى خروتشوف على نغمة الحكام الإستعماريين الجدد .

إنّ أبطال الأمميّة الثانية ، الذين يمثّلهم برنشتاين و كاوتسكي كانوا مدافعين عن الحكم الإستعماري القديم للمستعمرين . فقد صرّحوا علنا بأنّ الحكم الإستعماري كان تقدّميّا ، و أنّه " قد جلب حضارة عالية " للمستعمرات و " طوّر القوى المنتجة " هناك حتى أنّهم ذهبوا إلى درجة القول إنّ " إلغاء المستعمرات يعنى عملا بربريّا ".

وفى هذا المجال يختلف خروتشوف نوعا ما عن المحرّفين القدامي ، إذ بلغت به الشجاعة أن يشجب نظام الحكم الإستعماري القديم .

و لكن كيف بلغ خروتشوف مثل هذه الشجاعة ؟ لقد حدث هذا لأنّ المستعمِرين قد غيّروا نغمتهم .

فبعد الحرب العالميّة الثانية ، و تحت الضربات المزدوجة للثورة الإشتراكية و ثورة التحرّر الوطني ، أجبر المستعمِرون على الإعتراف بأنّه " إذا ما حاول الغرب إبقاء الوضع القائم للحكم الإستعماري ، فإنّ ذلك سيجعل الثورة العنيفة أمرا حتميّا و الهزيمة حتميّة ". إنّ أشكال سيطرة الحكم الإستعماري القديم " على النقيض ...هي تثبت " القرحات الطافحة بالصديد " التى تدمرّ كلاّ من النشاط الإقتصادي و المعنوي لحياة الأمّة ". و هكذا أصبح ضروريّا تغيير الشكل و ممارسة حكم إستعماري جديد .

و هكذا أيضا ، بينما يغنّى خروتشوف على لحن الحكام الإستعماريين الجدد ، يتبجّح ب " نظرية إختفاء الحكم الإستعماري " من أجل تغطية الحكم الإستعماري الجديد ، و أكثر من ذلك فهو يحاول أن ينصح الأمم المضطهَدة بإحتضان هذا الحكم الإستعماري الجديد . إذ يدعو بنشاط إلى الرأي القائل بأنّ " التعايش السلمي " بين الأمم المضطهَدة و المستعمِرين المتمدِّنين سيجعل " الإقتصاد الوطني ينمو بسرعة ، و يجلب " إرتفاعا فى قواها الإنتاجية " و يجعل بمقدور السوق المحلّي فى البلدان المضطهَدة أن " يصبح أعظم بشكل لا يقارن " و " يوفّر مواد أولية أكثر ، و منتجات و بضائع مختلفة يتطلّبها إقتصاد الأقطار المتطوّرة صناعيّا " ، و فى نفس الوقت " سيرفع مستوى معيشة السكان فى الأقطار الرأسمالية العالية التطوّر ، بصورة كبيرة . "

و لم ينس خروتشوف أن يجمع بعض الأسلحة البالية من جعبة محرفي الأممية الثانية .

و هنا بعض الأمثلة على ذلك :

لقد قاوم المحرّفون القدامي حروب التحرّر الوطني ، و إعتقدوا أنّ المسألة الوطنية " يمكن أن تسوّى فقط عن طريق الإتّفاقيات الدولية " و " أنّ تتقدّم فى جميع فنون السلام ". و فيما يتعلّق بهذه المسألة ، تناول خروتشوف تركة محرفي الأمميّة الثانية ، و هو يدعو إلى " دفن نظام الحكم الإستعماري بهدوء ".

لقد هاجم المحرّفون القدامي الماركسيّين الثوريّين ، و إنهالوا عليهم بالإفتراء قائلين إنّ " البلشفية هي فى جوهرها نوع من الإشتراكية الميّالة للحرب "، و إنّ " الأممية الشيوعيّة يراودها الوهم بأن تحرير العمّال يمكن أن يتحقّق عن طريق حراب الجيش الأحمر المنتصر وهي تعتقد أنّ حربا عالمية جديدة ضرورية بالنسبة إلى الثورة العالمية ". و قد نشروا أيضا قصّة أن هذا الوضع " قد خلق أكبر خطر لحرب عالمية جديدة " . إنّ اللغة التى يستخدمها خروتشوف اليوم للإفتراء على الحزب الشيوعي الصيني و الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة الأخرى هي بالضبط نفس اللغة التى إستخدمها المحرّفون القدامى فى كيل الشتائم لبلشفيك . و من الصعب أن يجد المرء أي خلاف بينهما .

هذا و يجب أن يقال إنّ خروتشوف فى خدمته للحكم الإستعماري الجديد للمستعمِرين ليس أدنى شأنا عن المحرّفين القدامي فى خدمتهم للحكم الإستعماري القديم للمستعمِرين .

لقد أوضح لينين أن سياسة الإستعمار قد سبّبت إنشقاق حركة العمّال العالميّة إلى شقّين ، ثوري و إنتهازي . و قد وقف الشقّ الثوري إلى جانب الأمم المضطهَدة و قاوم المستعمِرين و الحكام الإستعماريين . و على النقيض من ذلك ، تغذّى الشقّ الإنتهازي على فتات الغنائم التى إعتصرها المستعمِرون و الحكام الإستعماريون من شعوب المستعمرات و أشباه المستعمرات ، و قد وقف إلى جانب المستعمِرين و الحكام الإستعماريين و قاوم ثورة الأمم المضطهَدة فى سبيل التحرّر .

إنّ نفس هذا النوع من الإنشقاق الذى أوضحه لينين بين الثوريين و الإنتهازيين فى صفوف حركة الطبقة العاملة العالميّة أخذ فى التكوّن الآن ليس فى صفوف حركة الطبقة العاملة فى الأقطار الرأسمالية و حسب بل و فى الأقطار الإشتراكية حيث تقبض البروليتاريا على زمام سلطة الدولة .

إنّ تجربة التاريخ تظهر أنّه إذا كان لحركة التحرّر الوطني أن تحرز إنتصارا تاما ، يجب عليها أن تشكّل تحالفا راسخا مع حركة الطبقة العاملة الثورية ، و أن ترسم خطّا واضحا فاصلا بين نفسها و المحرّفين الذين يخدمون المستعمِرين و الحكّام الإستعماريين ، و أن تستأصل آثرهم بحزم .

إنّ المحرفين هم عملاء للإستعمار ، خبّأوا أنفسهم بين صفوف حركة الطبقة العاملة العالمية . فقد قال لينين " إنّ الكفاح ضد الإستعمار يبقى أكذوبة إلاّ إذا إرتبط إرتباطا لا ينفصل مع الكفاح ضد الإنتهازية " (المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين ، المجلد 22) و هكذا فمن الواضح أنّ الكفاح الحالي ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري القديم و الجديد يجب أن يرتبط إرتباطا وثيقا مع الكفاح ضد المدافعين عن الحكم الإستعماري الجديد .

و مهما بالغ المستعمِرون فى إخفاء نواياهم و إستشاطوا يأسا ، و مهما بالغ المدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد فى تبييضه و مساعدته ، فلا مناص للإستعمار و الحكم الإستعماري من مواجهة حتفيهما . إنّ إنتصار ثورة التحرّر الوطني لا يقاوم . و عاجلا أو آجلا سيفلس المدافعون عن الحكم الإستعماري الجديد إفلاسا تاما .

يا عمّال العالم و أممه المضطهَدة إتّحدوا !

الفصل الخامس :

سياستان للتعايش السلمى متعارضتان تعارضا تاما

تعليق سادس على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي

بقلم هيئتي تحرير صحيفة " جينمينجيباو " و مجلّة " العلم الأحمر" ، 12 ديسمبر (كانون الأوّل) 1963

دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1964

ظلّ خروتشوف و الرفاق الآخرون يتحدّثون منذ المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي عن مسألة التعايش السلمي أكثر من أيّ شيء آخر .

و يدّعى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المرّة تلو الأخرى أنّهم مخلصون لسياسة لينين فى التعايش السلمي ، و أنّهم قد طوّروها بشكل خلاّق . و ينسبون كلّ الفضل فى الإنتصارات التى كسبتها شعوب العالم فى نضالاتها الثوريّة الطويلة إلى سياساتهم فى " التعايش السلمي " .

إنّهم يروّجون الفكرة القائلة بأنّ الإستعمار ، و الإستعمار الأميركي بشكل خاص ، يؤيّد التعايش السلمي ، و يفترون بشكل مسعور على الحزب الشيوعي الصيني و جميع الأحزاب الماركسية اللينينية بأنّها تعارض التعايش السلمي . حتى انّ الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي تفتري على الصين بأنّها تحبذ " التنافس لشنّ حرب " مع المستعمِرين .

إنّهم يصفون الأقوال و الأعمال التى خانوا بها الماركسية اللينينية ، و الثورة البروليتارية العالميّة ، و القضيّة الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدَة ، بأنّها تتّفق مع سياسة لينين فى التعايش السلمي . و لكن هل تستطيع كلمة " التعايش السلمي" أن تكون حقّا تميمة الوقاية لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي فى خيانتهم للماركسية اللينينية ؟ كلاّ ، كلاّ مطلقا .

إنّنا نواجه الآن بسياستين للتعايش السلمي متعارضتين تعارضا تاما .

إحداهما سياسة لينين و ستالين للتعايش السلمي التى يدعو إليها الماركسيون اللينينيون بما فيهم الشيوعيّون الصينيّون . و الأخرى هي سياسة التعايش السلمي المعادية للينينيّة ، وهي ما يدعى بالخطّ العام للتعايش السلمي الذى يدعو إليه خروشوف والآخرون .

و لنتفحّص الآن سياسة لينين و ستالين للتعايش السلمي و سقط المتاع الذى يسمّيه خروشوف_وآخرون بالخطّ العام للتعايش السلمي .

سياسة لينين و ستالين للتعايش السلمي

كان لينين هو الذى إبتكر فكرة أنّه على الدولة الإشتراكية أن تتّبع سياسة تعايش سلمي تجاه البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . و قد سار الحزب الشيوعي السوفياتي و حكومة الإتحاد السوفياتي تحت قيادة لينين و ستالين على هذه السياسة الصحيحة لمدّة طويلة .

إن مسألة التعايش السلمي بين الأقطار الإشتراكية و الرأسماليّة ما كان من الممكن لها أن تظهر قبل ثورة أكتوبر ، لأنّه لم تكن هناك دولة إشتراكيّة . و مع ذلك فقد تنبّأ لينين فى عامي 1915 – 1916 ، على أساس تحليله العلمي للإستعمار ، بأنّ " الإشتراكية لا يمكنها أن تحقّق النصر فى جميع الأقطار فى نفس الوقت . إنّها ستحقّق النصر أوّلا فى قطر أو بعض الأقطار ، بينما تبقى الأقطار الأخرى بورجوازية أو فى مرحلة ما قبل البورجوازية لبعض الوقت ." (" **البرنامج**

العسكري للثورة البروليتارية " ، المجموعة الكاملة لمؤلفات لينين ، المجلّد 23) و بمعنى آخر ، فإنّ الأقطار الإشتراكية ستعيش فترة معيّنة من الزمن ، جنبا إلى جنب مع الأقطار الرأسمالية أو الأقطار فى مرحلة ما قبل الرأسمالية . إنّ طبيعة النظام الإشتراكي بالذات تقرّر أنّه يجب على الأقطار الإشتراكية أن تنهج سياسة خارجية سلميّة . و قال لينين : " إنّ الطبقة العاملة يمكنها وحدها ، عندما تنتزع السلطة ، أن تنتهج سياسة سلام لا بالأقوال ... بل بالأفعال ." (**" مشروع قرار حول الوضع السياسي الراهن "** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ن المجلد 25) و يمكن القول بأنّ آراء لينين هذه تشكّل الأساس النظري لسياسة التعايش السلمي .

و بعد إنتصار ثورة أكتوبر أعلن لينين للعالم فى مناسبات عديدة أنّ السياسة الخارجيّة للدولة السوفياتيّة هي سياسة سلميّة . و لكن المستعمِرين كانوا مصمّمين على خنق الجمهورية الإشتراكية الحديثة العهد فى مهدها . فشنّوا تدخّلا مسلّحا ضد الدولة السوفياتية . و قد أشار لينين بصورة صحيحة إلى أنّه أمام هذا الوضع الذى يواجهنا " لن نستطيع أن نبقى فى الوجود ، إلاّ إذا دافعنا عن الجمهورية الإشتراكية بقوّة السلاح ". (**" تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي - البلشفيك - فى مؤتمر الحزب الثامن "** ، المجموعة الكاملة للمؤلفاتن المجلّد 29).

و فى عام 1920 هزم الشعب السوفياتي العظيم التدخّل الإستعماري المسلّح . و ظهر إلى حيّز الوجود توازن نسبيّ للقوى بين الدولة السوفياتية و الأقطار الإستعمارية . و قد ثبتت الدولة السوفياتية على أقدامها بعد إختبار القوّة_خلال بضع سنوات . و بدأت تتحوّل من الحرب إلى البناء السلمي . و فى هذه الظروف بالذات تقدّم لينين بفكرة سياسة التعايش السلمي . والواقع أنّه منذ ذلك الوقت فصاعدا لم يكن أمام المستعمِرين من خيار غير أنّ " يتعايشوا " مع الدولة السوفياتية.

و خلال عهد لينين كان هذا التوازن على الدوام غير مستقرّ أبدا ، و كانت الجمهورية الإشتراكية السوفياتية عُرضة لحصار رأسمالي شديد. و قد أشار لينين حينا بعد آخر إلى أنّه بسبب الطبيعة العدوانيّة للإستعمار ، ليس هناك من ضمان لأن تعيش الإشتراكية و الرأسمالية فى سلام لمدّة طويلة .

وفى الظروف القائمة آنذاك ، لم يكن من الممكن للينين أن يحدّد بالتفصيل محتوى سياسة التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . و لكن لينين العظيم قد وضع لأوّل دولة لدكتاتورية البروليتاريا السياسة الخارجية الصحيحة ، و تقدّم بالأفكار الأساسيّة لسياسة التعايش السلمي .

فماذا كانت أفكار لينين الأساسيّة حول هذه السياسة ؟

أوّلا : أشار لينين إلى أنّ وجود الدولة الإشتراكية هو على النقيض من إرادة المستعمِرين . و بالرغم من أنّها تمسّكت بسياسة خارجية سلميّة ، إلاّ أنّ المستعمِرين كانوا لا يرغبون فى العيش بسلام معها ، و سيبذلون كلّ ما يمكنهم و سينتهزون كلّ فرصة لمقاومة و حتى تدمير الدولة الإشتراكيّة .

و قال لينين :

" إنّ الإستعمار العالمي ... لم يستطع ...أن يعيش جنبا إلى جنب مع الجمهورية السوفياتية بسبب كلّ من موقفه الموضوعي و المصالح الإقتصادية للطبقة الرأسمالية الكامنة فيه ... " . (**" تقرير عن الحرب و السلم "** ، ألقي فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي – البلشفيك - المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 27).

ثمّ قال بعد ذلك :

"... إنّ وجود الجمهورية السوفياتية جنبا إلى جنب مع الدول الإستعمارية لوقت طويل هو أمر لا يتصوّر . إنّ أحد الجانبين يجب أن ينتصر فى النهاية . و قبل أن تحلّ تلك النهاية سيكون من المحتّم وقوع سلسلة من الإصطدامات المخيفة بين الجمهورية السوفياتية و الدول البورجوازية ". (" تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي – البلشفيك - فى مؤتمر الحزب الثامن " ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 29) .

و لذلك أكّد مرّة تلو الأخرى بأن على الدولة الإشتراكية أن تحافظ على يقظة تامة تجاه الإستعمار .

"... إنّ الدرس الذى يجب على العمّال و الفلاّحين أن يتقنوه هو أنّه يجب أن نكون على حذر و يقظة و أن نتذكّر أنّنا محاطون برجال و طبقات و حكومات تعبّر علنا عن كراهيّتها المتناهية لنا . و يجب علينا أن نذكر أنّنا دوما على قيد شعرة من جميع أنواع الغزو ." (**" حول السياسات الداخلية و الخارجية للجمهورية ، تقرير فى مؤتمر السوفيات التاسع لعموم روسيا "** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 33) .

ثانيا، أشار لينين إلى أنّه ، عن طريق النضال فقط ، أصبح بمقدور الدولة السوفياتية أن تعيش فى سلام مع الأقطار الإستعماريّة . و كان هذا نتيجة المحاولات المتعدّدة لإختبار القوّة بين الأقطار الإستعمارية و الدولة السوفياتيّة التى تبنّت سياسة صحيحة ، و إعتمدت على تأييد البروليتاريا و الأمم المضطهَدة فى العالم ، و أفادت من التناقضات بين المستعمِرين .

لقد قال لينين فى نوفمبر (تشرين الثاني) 1919 :

" هذا هو الطريق دوما - عندما يغلب العدوّ يبدأ فى الحديث عن السلام . لقد قلنا لهؤلاء السادة ، المستعمِرين الأوروبيّين ، المرّة تلو الأخرى إنّنا نوافق على السلام ، و لكنّهم ظلّوا يحلمون بإستعباد روسيا . و لقد أدركوا الآن أن أحلامهم لن تتحقّق " . (" خطاب فى المؤتمر الأوّل لعموم روسيا حول عمل الحزب فى الريف " ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 30) .

و أشار فى عام 1921 :

"... إنّ الدول الإستعمارية مع كلّ كراهيّتها لروسيا السوفياتية و رغبتها فى الإنقضاض عليها ، كان عليها أن تتخلّى عن هذه الفكرة ، لأنّ إنحلال العالم الرأسمالي يتقدّم بإطّراد ، و وحدته آخذة فى التقلّص أكثر فأكثر ، و ضغط قوى الشعوب المضطهَدَة المستعمرة التى يبلغ تعدادها أكثر من ألف مليون نسمة يصبح أقوى فى كلّ سنة ، و فى كلّ شهر ، بل فى كلّ أسبوع..." . (" خطاب فى إختتام المؤمر الوطني العاشر للحزب الشيوعي الروسي – البولشفيك " ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 32) .

ثالثا فى تنفيذه لسياسة التعايش السلمي ، طبّق لينين مبادئ مختلفة بالنسبة لمختلف أنواع الأقطار فى العالم الرأسمالي .

فقد أولى إهتماما خاصا لإقامة علاقات ودّية مع الأقطار التى كان يتهدّدها المستعمِرون و يضطهدونها . و أشار إلى أنّ " المصالح الأساسيّة لجميع الأمم التى تعاني من نير الإستعمار منسجمة " و أنّ " السياسة العالميّة للإستعمار تؤدّى إلى إقامة علاقات أوثق و تحالف و صداقة بين جميع الأمم المضطهَدَة ". و قال إنّ السياسة السلميّة للدولة السوفياتيّة " ستفرض بشكل متزايد إقامة روابط أوثق بين جمهورية إتّحاد روسيا الإشتراكية السوفياتية و عدد متنام من الدول المجاورة ". (**" عمل مجلس مفوضى الشعب ، تقرير فى مؤتمر السوفيات الثامن لعموم روسيا "** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 31) .

و قال لينين أيضا :

" إنّنا نضع لأنفسنا الواجب الأساسي التالي : قهر المستغلّين و كسب المتردّدين إلى جانبنا و هذا الواجب واجب على نطاق عالمي . و من بين المتردّدين سلسلة كاملة من الدول البورجوازية ، التى تكرهنا كدول بورجوازية ، لكنّها من الجهة الأخرى ، كدول مضطَهَدة ، تفضّل السلام معنا . " (" تقرير عن عمل اللجنة التنفيذية المركزية لعموم روسيا و مجلس مفوضي الشعب"، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 30) .

أمّا بالنسبة لأسس السلام مع الأقطار الإستعمارية ، مثل الولايات المتّحدة ، فقد قال : " ليمتنع الرأسماليّون الأميركيّون عن لمسنا " " ما هي العقبة لمثل هذا السلام ؟ " من جانبنا ، ليس هناك من عقبة ، بل من جانب الرأسماليّين الأميركيّين (وجميع الرأسماليين الآخرين) فالعقبة هي الإستعمار ." (**" جواب على أسئلة لمراسل الصحيفة الأميركية نيويورك إيفنج جورنال "** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 30).

رابعا ، لقد إبتكر لينين سياسة التعايش السلمي كسياسة تنتهجها البروليتاريا الحاكمة تجاه الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . و لم يجعلها أبدا مجمل السياسة الخارجيّة لدول إشتراكية . فقد أوضح المرّة تلو الأخرى أن المبدأ الأساسي للسياسة الخارجيّة هذه هو الأمميّة البروليتاريّة .

و قال لينين :

" إنّ روسيا السوفياتيّة تعتبر أعظم فخر لها أن تساعد عمّال العالم قاطبة فى نضالهم الشاق للإطاحة بالرأسمالية ". (" إلى المؤتمر العالمي الرابع للكومنترن و سوفيات بتروغراد لنواب العمّال و الجيش الأحمر" ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 33).

و فى مرسوم السلام الذى صدر بعد ثورة أكتوبر ، دعا لينين ، عندما إقترح على جميع الدول المتحاربة سلاما فوريّا بدون إستقطاع جزء من أراضيها أو عقوبات ماليّة ، العمّال الواعين طبقيّا فى الأقطار الرأسمالية إلى المساعدة عن طريق أشدّ الأعمال شمولا و تصميما ، و " للسير بقضية السلم و فى الوقت نفسه للسير بقضيّة تحرير جماهير الشغّيلة المستغَلين من جميع أشكال العبوديّة و الإستغلال ، إلى نهاية ناجحة " . (**" خطاب حول السلم "** ، ألقي فى المؤتمر الثاني لسوفيات نواب العمّال و الجيش لعموم روسيا ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 26) .

إنّ مشروع برنامج الحزب الذى خطّه لينين للمؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي قد نصّ بوضوح على أن " تأييد الحركة الثورية للبروليتاريا الإشتراكية فى الأقطار المتقدّمة " و " تأييد الحركة الديمقراطية و الثورية فى جميع الأقطار بشكل عام و فى المستعمرات و البلدان التابعة بشكل خاص يشكّلان النواحي الهامّة لسياسة الحزب الدولية ". (المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 27).

خامسا ، إعتقد لينين دائما أنّه من المستحيل للطبقات و الأمم المضطهَدة أن تتعايش سلميّا مع الطبقات و الأمم المضطهَدَة . إذ أشار فى " الإستنتاج حول المهمّات الأساسيّة للمؤتمر الثاني للأممية الشيوعية " إلى أنّه :

" ... حتى اكثر أقسام البرجوازية علما و ديمقراطية لا تتردّد الآن أبدا فى اللجوء إلى أي خدعة أو جريمة ، أو فى ذبح ملايين العمّال و الفلاّحين من أجل إنقاذ ملكيّتها الخاصة لوسائل الإنتاج " . (المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 31) .

هذا و كانت إستنتاجات لينين كما يلي :

" ... إنّ مجرد التفكير فى إخضاع الرأسماليين سلميّا لإرادة أغلبية المستغَلين ، و فى الإنتقال السلمي الإصلاحي إلى الإشتراكية ، ليس فى أقصى درجات الغباء و حسب ، بل و أيضا خداع صريح للعمّال ، و تزيين لعبودية الأجر الرأسمالية و إخفاء للحقيقة ." (نفس المصدر السابق).

و قد أشار مرارا إلى نفاق ما أسماه المستعمِرون بالمساواة بين الأمم فقال :

" إنّ عصبة الأمم و كلّ سياسة الدول المتحالفة بعد الحرب تكشف هذه الحقيقة بوضوح و تمييز أكثر ممّا مضى ، إذ أنّها فى كلّ مكان تشدّد النضال الثوري لكلّ البروليتاريا فى الأقطار المتقدّمة و جماهير الشغيلة فى المستعمرات و البلدان التابعة ، و تعجّل إنهيار الوهم الوطني للبرجوازية الصغيرة بأنّ الأمم يمكن أن تعيش بعضها مع البعض فى سلام و مساواة فى ظلّ الرأسمالية ." (**" مشروع أولى للإستنتاج حول المسألة الوطنية و مسألة المستعمرات"** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 31).

إنّ ما سبق يشكّل أفكار لينين الأساسيّة حول سياسة التعايش السلمي .

لقد تمسّك ستالين بسياسة لينين للتعايش السلمي . و خلال الثلاثين عاما التى قاد ستالين خلالها الإتّحاد السوفياتي إنتهج بإستمرار سياسة التعايش السلمي هذه . و لم يحدث قط إلاّ عندما قام المستعمِرون و الرجعيّون بإستفزازات مسلحة و شنّوا حروبا عدوانية ضد الإتّحاد السوفياتي ، أن إضطرّ الإتحاد السوفياتي لخوض الحرب الوطنية الكبرى و القتال دفاعا عن النفس .

و قد أشار ستالين إلى أنّ " علاقاتنا مع الأقطار الرأسماليّة قائمة على الإفتراض بأنّ التعايش بين نظامين متعارضين هو أمر ممكن " و أنّ " الحفاظ على علاقات سلمية مع الأقطار الرأسمالية هو واجب مفروض علينا ". (" **تقرير اللجنة المركزية السياسي** " الذى ألقي فى المؤتمر الخامس عشر للحزب الشيوعي السوفياتي – البلشفيك ، المجموعة الكاملة لمؤلفات ستالين ، المجلّد 10).

و أشار أيضا إلى أنّ :

" التعايش السلمي بين الرأسماليّة و الشيوعيّة ممكن تماما ، شريطة أن تكون هناك رغبة متبادلة فى التعاون ، و إستعداد لتنفيذ الإلتزامات التى يتعهّد بها ، و تقييد بمبدأ المساواة و عدم التدخّل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى ." (ستالين : " **أجوبة على أسئلة محرّرين أميركيّين** " ، **البرافدا** ، 2 ابريل – نيسان – 1952).

و بينما كان ستالين يتمسّك بسياسة لينين للتعايش السلمي ، كان يعرض بحزم الإمتناع عن تأييد ثورات الشعوب الأخرى من اجل التملّق للإستعمار . و قد أكّد بقوّة وجود خطّين متعارضين فى السياسة الخارجية و إلى أنّه لا مندوحة عن إتباع " هذا الخطّ أو ذاك ".

و الخطّ الأوّل هو أنّ " نواصل إتباع سياسة ثورية ، حاشدين بروليتاريي و مضطهَدى جميع الأقطار حول الطبقة العاملة فى الإتحاد السوفياتي – و فى هذه الحالة فإن الرأسمال العالمي سيبذل كلّ ما يستطيعه ليعرقل تقدّمنا ".

أمّا الخط الثاني فهو أنّ " ننبذ سياستنا الثورية ، و أن نوافق على القيام بعدد من التنازلات المبدئية تجاه الرأسمال العالمي – و فى هذه الحالة فإنّ الرأسمال العالمي بلا شكّ لن يرفض " مساعدتنا " على تحويل بلدنا الإشتراكي إلى جمهورية برجوازية " حسنة " ".

وقدّم ستالين مثلا هو " أن أميركا تطلب أن نتخلّى بشكل مبدئي عن سياسة تأييد حركة تحرّر الطبقة العاملة فى الأقطار الأخرى ، و هي تقول إنّه إذا ما قدّمنا هذا التنازل فإن كل شيء سيكون سهلا ... أفلا نقدّم هذا التنازل ؟ ".

و أجاب بالنفي قائلا : " ... إنّنا لا يمكن أن نوافق على هذه التنازلات أو ما يماثلها دون أن نكذب على أنفسنا ..." (" **عمل الإجتماع المشترك للجنة المركزية و لجنة الرقابة المركزية المنعقد فى أبريل – نيسان**" ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 11) .

إنّ ملاحظات ستالين هذه لا تزال على جانب كبير من الأهمية العمليّة . و فى الواقع ، هناك سياستان خارجيّتان متعارضتان تعارضا تاما ، و سياستان للتعايش السلمي متعارضتان تعارضا تاما . و الواجب الهام لجميع الماركسيّين اللينينيّين هو أن يعارضوا بحزم كلا من السياستين اللتين شجبهما ستالين ، سياسة الخيانة و الإستسلام و الإمتناع عن تأييد الثورة ، و السياسة التى تحوّل بلدا إشتراكيّا إلى جمهورية برجوازية " حسنة ".

<u>الحزب الشيوعى الصينى يتمسّك بسياسة لينين للتعايش السلمي</u>

تزعم الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي أن الحزب الشيوعي الصيني " ينقصه الإيمان بإمكانية التعايش السلمي " ، و تتّهمه إفتراء بأنّه يعارض سياسة لينين للتعايش السلمي .

فهل هذا صحيح ؟ لا بالطبع .

إنّ كلّ من يحترم الحقائق يستطيع أن يرى بوضوح أن الحزب الشيوعي الصيني و حكومة جمهورية الصين الشعبية قد إنتهجا بلا هوادة سياسة لينين للتعايش السلمي بنجاح كبير .

فمنذ الحرب العالميّة الثانية ، حصل تغيّر أساسي فى الميزان العالمي للقوى الطبقيّة . و قد إنتصرت الإشتراكية فى عدد من الأقطار ، و ظهر المعسكر الإشتراكي إلى عالم الوجود . و تنمو حركة التحرّر الوطني بسرعة ، كما ظهر عدد من الدول الوطنيّة التى حصلت حديثا على إستقلالها السياسي . أمّا المعسكر الإستعماري فقد ضعف كثيرا ، و أخذت التناقضات بين الأقطار الإستعمارية تزداد حدّة بإستمرار . و هذا الوضع يوفّر للأقطار الإشتراكية ظروفا أكثر ملاءمة لتطبيق سياسة التعايش السلمي تجاه الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة .

و فى هذه الظروف التاريخية الجديدة أغنى الحزب الشيوعي الصيني و الحكومة الصينية سياسة لينين للتعايش السلمي أثناء تطبيقها .

لقد قال الرفيق ماو تسى تونغ عشيّة ميلاد جمهورية الصين الشعبية :

" ... إننا نعلن للعالم أجمع أنّ ما نعارضه تمام المعارضة هو النظام الإستعماري و مؤامراته ضد الشعب الصيني . إنّنا على إستعداد للمفاوضة مع أيّة حكومة أجنبية حول مسألة إقامة علاقات دبلوماسية ، على أساس مبادئ المساواة و المنفعة المتبادلة و الإحترام المتبادل للوحدة و السيادة الإقليميّين ، شريطة أن تكون هذه الحكومة على إستعداد لفصم علاقتها مع الرجعيّين الصينيين ، وأن توقف التآمر معهم أو مساعدتهم و أن تتبنّى موقفا ودّيا حقيقيّا و ليس زائفا تجاه الصين الشعبية. إنّ الشعب الصيني يرغب فى أن يقيم تعاونا ودّيا مع شعوب جميع الأقطار و أن يستأنف و يوسّع التجارة الدوليّة من أجل تطوير الإنتاج و دفع الإزدهار الإقتصادي ". (**" خطاب فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر الإستشاري السياسي الجديد "** ، مجموعة المؤلفات المختارة ، المجلّد 4).

و وفقا لهذه المبادئ التى قدّمها الرفيق ماو تسى تونغ ، وضعنا سياستنا الخارجية السلميّة فى تعابير واضحة فى البرنامج المشترك الذى تبنّاه المؤتمر الإستشاري السياسي للشعب الصيني فى سبتمبر (ايلول) 1949، و من ثمّ فى دستور جمهورية الصين الشعبية الذى أجازه المجلس الوطني لنواب الشعب فى سبتمبر (ايلول) 1954.

و قد إبتكرت الحكومة الصينية فى عام 1954 مبادئ التعايش السلمي الخمسة المشهورة ، وهي الإحترام المتبادل للوحدة و السيادة الإقليميين ، وعدم الإعتداء المتبادل ، و عدم التدخّل فى الشؤون الداخلية للآخرين ، و المساواة و المنفعة المتبادلة، و التعايش السلمي . و صغنا مع الأقطار الآسيوية و الأفريقية الأخرى المبادئ العشرة على أساس المبادئ الخمسة فى مؤتمر باندونغ عام 1955.

و قد لخّص الرفيق ماو تسى تونغ فى عام 1956 تجربة بلادنا الواقعية فى الشؤون الدوليّة و وضّح بصورة أكثر المبادئ العامة لسياستنا الخارجيّة و قال :

" من أجل تحقيق سلام عالمي أبدي ، يجب علينا أن نطوّر تطويرا أكثر صداقتنا و تعاوننا مع الأقطار الشقيقة فى المعسكر الإشتراكي و أن نعزّز تضامننا مع جميع الأقطار المحبّة للسلام . و يجب علينا أن نسعى لإقامة علاقات ديبلوماسية طبيعيّة على أساس الإحترام المتبادل للوحدة و السيادة الإقليميتين و المساواة و المنفعة المتبادلة مع جميع الأقطار التى ترغب فى أن تعيش معنا بسلام . و يجب علينا أن نقدّم تأييدا نشيطا لحركة الإستقلال الوطني و التحرّر فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية و كذلك لحركة السلام و النضالات العادلة فى جميع الأقطار فى العالم ." (**" خطاب إفتتاحي فى المؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني"**).

و قال فى عام 1957 :

" إنّ سياستنا الأساسية ، حيث تكمن مصلحتنا الأساسية ، هي أن نعزّز وحدتنا مع الإتحاد السوفياتي ، وحدتنا مع جميع الأقطار الإشتراكية ."

" ثمّ ، هناك الأقطار الأسيوية و الأفريقية ، و جميع الأقطار و الشعوب المحبّة للسلام ، يجب علينا أن نعزّز و نطوّر وحدتنا معها ".

" أمّا بالنسبة للأقطار الإستعمارية ، فعلينا أيضا أن نتّحد مع شعوبها ، و نكافح لنتعايش فى سلام مع هذه الأقطار، و أن نتاجر معها ، و أن نمنع وقوع أي حرب ممكنة ، و لكن يجب ألاّ تساورنا أيّة أفكار غير واقعية حول هذه الأقطار فى أي ظرف من الظروف ." (**" حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين الشعب "**).

و قد تبنّينا فى شؤوننا الخارجيّة خلال الأربعة عشر عاما الماضية ، سياسات مختلفة تجاه الأنواع المختلفة من الأقطار ، و نوّعنا سياساتنا وفقا للظروف المختلفة فى الأقطار من نفس النوع .

فأوّلا ، نميّز بين الأقطار الإشتراكيّة و الرأسماليّة . و نحن نثابر على المبدأ الأممي البروليتاري للمساعدة المتبادلة بالنسبة للأقطار الإشتراكية . و نحن نتّخذ صيانة وحدة جميع الأقطار فى المعسكر الإشتراكي و تعزيزها كسياسة فى علاقاتنا الخارجية .

ثانيا : نميزّ بين الأقطار الوطنيّة التى حصلت حديثا على إستقلالها السياسي و بين الأقطار الإستعماريّة .

و مع أنّ الأقطار الوطنيّة تختلف أساسا عن الأقطار الإشتراكيّة فى أنظمتها الإجتماعية و السياسية ، إلاّ أنّ هناك تناقضا عميقا بينها و بين الإستعمار ، كما لها مصالح مشتركة مع الأقطار الإشتراكية ، هي مقاومة الإستعمار و صيانة الإستقلال الوطني و الدفاع عن السلام العالمي . و لذلك فمن الممكن و العملي تماما للأقطار الإشتراكيّة ان تقيم علاقات للتعايش السلمي و التعاون الودّي مع هذه الأقطار . إنّ إقامة مثل هذه العلاقات ذات أهمية عظيمة لتعزيز وحدة القوى المناوئة للإستعمار، و لدفع نضال الشعوب المشترك ضد الإستعمار .

لقد تمسّكنا دوما بسياسة توطيد و تطوير التعايش السلمي و التعاون الودّى مع أقطار آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينية . و فى الوقت نفسه ، خضنا نضالات مناسبة ضروريّة ضد أقطار ، مثل الهند ، نقضت أو حطّمت المبادئ الخمسة .

ثالثا : نميّز بين الأقطار الرأسمالية العادية و الأقطار الإستعمارية ، و كذلك بين الأقطار الإستعمارية المختلفة .

و لمّا أصبح ميزان القوى الطبقيّة على النطاق العالمي يرجّح بإطّراد لصالح الإشتراكية ، و أصبحت القوى الإستعمارية أضعف فى كلّ يوم ، و أصبحت التناقضات تتفاقم بينها ، فمن الممكن للأقطار الإشتراكية أن تجبر هذه الدولة الإستعمارية او تلك على إقامة نوع من التعايش السلمي معها ، و ذلك بالإعتماد على قوّتها المتنامية ، و توسّع قوى الشعوب الثورية و الوحدة مع الأقطار الوطنيّة ، و نضال جميع الشعوب المحبّة للسلام ، و بإستخدام التناقضات الداخلية للإستعمار .

بينما نثابر على التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، نؤدّى بثبات واجبنا الأممي البروليتاري . و نحن نؤيّد بنشاط حركات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أميركا اللاتينيّة ، و حركات الطبقة العاملة فى أوروبا الغربيّة وأميركا الشمالية و أوقيانوسيا ، و نضالات الشعوب الثوريّة و كذلك نضالات الشعوب ضد السياسات الإستعمارية العدوانيّة و الحربيّة و فى سبيل السلام العالمي .

إنّ لنا هدفا واحدا من كلّ ذلك ، ألا و هو أن نوحّد جميع القوى التى يمكن توحيدها ، بإعتبار المعسكر الإشتراكي و البروليتاريا العالميّة نواة لها ، و ذلك لتشكيل جبهة موحّدة عريضة ضد الإستعمار الأميركي و عملائه .

وعلى أساس المبادئ الخمسة للتعايش السلمي ، أقامت الحكومة الصينيّة خلال العشر سنوات الماضية و نيف ، علاقات ودّية مع العديد من الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، وطوّرت معها تبادلات إقتصاديّة و ثقافيّة . و عقدت الصين معاهدات صداقة ، و معاهدات سلام و صداقة أو معاهدات صداقة و تعاون متبادل و عدم إعتداء متبادل مع اليمن و بورما و نيبال و أفغانستان و غينيا و كمبوديا و أندونيسا و غانا . و قد سوّت بنجاح مسائل حدودها مع بورما و نيبال و باكستان و أفغانستان إلخ ... تلك المسائل التى خلّفها التاريخ .

و ما من أحد يستطيع أن يطمس المنجزات الكبرى التى حصل عليها الحزب الشيوعي الصيني و الحكومة الصينيّة فى التمسّك بسياسة لينين للتعايش السلمي .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بإختراعهم أكذوبة أن الصين تعارض التعايش السلمي ، إنّما تحدوهم دوافع خفيّة . و إذا تحدّثنا بصراحة فإنّ هدفهم هو ستر بشاعتهم فى خيانة الأممية البروليتارية والتواطؤ مع الإستعمار .

خطّ " التعايش السلمي " العام لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي

لسنا نحن ، بل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هم الذين ينتهكون فى الواقع سياسة لينين للتعايش السلمي .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد طبّلوا لمفهومهم للتعايش السلمي بأضخم العبارات . فما هي وجهات نظرهم الأساسية حول مسألة التعايش السلمي ؟

أوّلا : يزعم قادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن التعايش السلمي هو المبدأ الأعلى الذى لا يعلوه شيء لحلّ القضايا الإجتماعية المعاصرة . و يزعمون أنّ التعايش السلمي هو " البديل الأساسي فى الأزمنة المعاصرة " و " المطلب الملحّ للعهد الحاضر " (بونوماريوف : " الراية الظافرة للشيوعيّين فى العالم " ، " **البرافدا** " ، 18 نوفمبر (تشرين الثاني) 1962. و هم يقولون إنّ " التعايش السلمي هو الطريق المقبول الأفضل و الوحيد لحلّ القضايا ذات الأهمّية الحيويّة التى تواجه المجتمع " . (روميناتسيف : " سلاحنا الإيديولوجي المشترك " ، مجلة " **قضايا السلم و الإشتراكية** " ، العدد الأول عام 1962) ، و إنّ مبدأ التعايش السلمي يجب أن يصبح " القانون الأساسي لحياة المجتمع المعاصر بأسره " (خطاب خروشوف فى الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة يوم 23 سبتمبر (أيلول) 1960.)

ثانيا : يعتبرون أنّ الإستعمار قد أصبح مستعدّا لقبول التعايش السلمي ، و لم يعد عقبة له . و هم يقولون بأنّ هناك " عددا ليس قليلا من قادة الحكومات و الدول فى الأقطار الغربيّة يقفون الآن أيضا فى سبيل السلام و التعايش السلمي" (خطاب خورشوف فى جامعة كادجياه مادا بجوغ جاركارتا ن أندونيسيا ، 21 فبراير (شباط) 1960) و إنّهم " يدركون بجلاء أكثر و أكثر ضرورة التعايش السلمي " (تقرير ألقاه خروشوف فى مجلس السوفيات الأعلى للإتحاد السوفياتي يوم 14 يناير (كانون الثاني) 1960) هذا و قد أعلنوا بصخب شديد على وجه الخصوص " إعتراف" رئيس للولايات المتّحدة ب"حكمة و واقعية التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ".(مقال بقلم هيئة تحرير" **الأزفستيا** "، 4 ديسمبر (كانون الأول) 1961).

ثالثا : إنّهم يدعون إلى " التعاون الشامل" مع الأقطار الإستعمارية ، و على الأخصّ مع الولايات المتّحدة . و هم يقولون إنّ الإتحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة " سيكون فى وسعهما إيجاد أساس لأعمال و جهود متّفق عليها لخير البشريّة بأجمعها " (برقية التحية على كندي من خروشوف و بريجنيف ، 30 ديسمبر (كانون الأول) 1961) وأنّهما تستطيعان " أن تسيرا قدما يدا بيد من أجل توطيد السلام و إقامة تعاون دولي حقيقي بين جميع الدول". (أنظر صفحة 21 رقم 3).

رابعا : و هم يقولون أيضا إنّ " مبدأ التعايش السلمي يقرّر الخطّ العام للسياسة الخارجية للإتحاد السوفياتي و أقطار المعسكر الإشتراكي " . (خطاب خروتشوف فى حفلة الإستقبال التى أقامتها سفارة جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية فى الإتحاد السوفياتي يوم 5 يوليو (تموز) 1961).

خامسا : و يقولون ايضا إن " مبدأ التعايش السلمي يقرّر الخط العام للسياسة الخارجية للحزب الشيوعي السوفياتي و الأحزاب الماركسية اللينينية الأخرى " (بونوماريوف : " بعض مشاكل الحركة الثوريّة " ، مجلة " **قضايا السلم و الإشتراكية** " ، العدد 12 عام 1962) ، و إنّه " أساس إستراتيجيا الشيوعية " فى عالم اليوم ، و إنّ جميع الشيوعيّين قد جعلوا النضال فى سبيل التعايش السلمي المبدأ العام لسياستهم" (" **الشيوعي** " (موسكو) ، العدد 2 عام 1962، صفحة 89) .

سادسا : إنّهم يعتبرون التعايش السلمي شرطا مسبّقا لإنتصار النضالات الثوريّة للشعوب . و يعتقدون أنّ الإنتصارات التى أحرزتها شعوب مختلف الأقطار قد أحرزت فى " ظروف التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة " (بونوماريوف : " مرحلة جديدة فى الأزمة العامة للرأسمالية " ، " **البرافدا** " ، 8 فبراير (شباط) 1961). إنّهم يزعمون أنّه " على وجه التحديد فى ظروف التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة ، إنتصرت الثورة الإشتراكية فى كوبا و أحرز الشعب الجزائري إستقلاله الوطني ، و أحرز أكثر من أربعين بلدا الإستقلال الوطني، كما تنامت الأحزاب الشقيقة عددا و قوّة ، و إزداد نفوذ الحركة الشيوعية العالمية " . (رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرّخة فى 30 مارس (آذار) 1963 إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني) .

سابعا : إنّهم يعتقدون أن التعايش السلمي هو " أفضل سبيل لمساعدة حركة العمّال الثوريّة العالميّة فى تحقيق أهدافها الطبقيّة الأساسيّة " (الرسالة المفتوحة التى وجهتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي بتاريخ 14 يوليو (تموز) 1963 إلى المنظمات الحزبيّة و جميع الشيوعيّين فى الإتحاد السوفياتي) . و هم يصرّحون بأنّ إمكانية الإنتقال السلمي إلى الإشتراكيّة قد نمت فى الأقطار الرأسماليّة فى ظلّ التعايش السلمي .

و بالإضافة لهذا يعتقدون أنّ إنتصار الإشتراكية فى المباراة الإقتصادية " سيعنى توجيه ضربة قاضية إلى نظام العلاقات الرأسمالية بأسره " (أنظر بونوماريوف : " بعض مشاكل الحركة الثورية " ، مجلة " **قضايا السلم و الإشتراكية** " ،

العدد 12 عام 1962). إنّهم يذكرون أنّه " عندما سيتمتّع الشعب السوفياتي ببركات الشيوعية ، سيقول مئات الملايين من الناس على الأرض " إننا نريد الشيوعية ! " " . (" **برنامج الحزب الشيوعي السوفياتي** " ، الذى أجازه المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي) ، و إنّ الرأسماليّين حينذاك قد " ينضمون إلى الحزب الشيوعي ".

أنظروا ، أيّة نقطة مشتركة بين هذه الآراء و سياسة لينين للتعايش السلمي ؟

إنّ سياسة لينين للتعايش السلمي هي سياسة تتّبعها دولة إشتراكية فى علاقاتها مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، إلاّ أن خروشوف يصف التعايش السلمي بأنّه أعلى مبدأ يتحكّم فى حياة المجتمع الحديث .

إنّ سياسة لينين للتعايش السلمي تشكّل مظهرا واحدا للسياسة الدولية للبروليتاريا الحاكمة ، إلاّ أن خروتشوف يمدّ نطاق التعايش السلمي و يحوّله إلى الخطّ العام للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية ، و حتى أنّه يمدّ نطاقه أكثر و يحوّله إلى الخطّ العام لجميع الأحزاب الشيوعيّة .

إنّ سياسة لينين للتعايش السلمي كانت موجّهة ضد سياسات الإستعمار العدوانيّة و الحربيّة ، إلاّ أنّ تعايش خروتشوف السلمي يمشى مع حاجيات الإستعمار و يساعد السياسات الإستعماريّة العدوانيّة و الحربيّة .

إنّ سياسة لينين للتعايش السلمي تنطلق من المهمّة التاريخية للبروليتاريا العالميّة ، و لذلك فهي تتطلّب من الأقطار الإشتراكيّة أن تقدّم ، أثناء إتّباعها هذه السياسة ، تأييدا حازما للنضالات الثوريّة التى تشنّها جميع الشعوب و الأمم المضطهَدَة ، إلاّ أن تعايش خروشوف السلمي ينشد وضع المسالمة محلّ الثورة العالميّة البروليتاريّة ، و هكذا ينبذ الأمميّة البروليتاريّة .

لقد حوّل خروشوف سياسة التعايش السلمي إلى سياسة إستسلام طبقي . فهو تحت ستار التعايش السلمي نبذ المبادئ الثوريّة لتصريح عام 1957 و بيان عام 1960، و جرّد الماركسية اللينينية من روحها الثوريّة ، و أفسدها و شوّهها أيّما تشويه .

إنّ هذا لخيانة وقحة للماركسية اللينينية !

ثلاثة خلافات مبدئية

إن الخلاف حول مسألة التعايش السلمي بين قيادة الحزب الشيوعي السوفياتي من جهة و بيننا و جميع الأحزاب الماركسية اللينينية و جميع الماركسيين اللينينيين من الجهة الأخرى ، ليس خلافا يكمن فى ما إذا كان على الأقطار الإشتراكية أن تتّبع سياسة التعايش السلمي ، بل هو خلاف مبدئي يتعلّق بالموقف الصحيح من سياسة لينين للتعايش السلمي . و يتجلّى هذا الخلاف بشكل أساسي فى ثلاث مسائل .

المسألة الأولى هي : هل من الضروري من أجل تحقيق التعايش السلمي خوض نضالات ضد الإستعمار و الرجعيّة البورجوازية أم لا ؟ و هل من الممكن عن طريق التعايش السلمي إلغاء التعارض و النضال بين الإشتراكية و الإستعمار أم لا ؟

إنّ الماركسيين اللينينيين يعتقدون دوما أنّه فيما يتعلّق بالأقطار الإشتراكية لا يوجد ثمّة عقبة لتطبيق التعايش السلمي بين الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة . إنّ العقبات تأتي دوما من جانب المستعمِرين و الرجعيّين البورجوازيّين .

إنّ المبادئ الخمسة للتعايش السلمي قد وُضعت لمكافحة السياسات الإستعماريّة العدوانيّة و الحربيّة . و تبعا لهذه المبادئ لا يسمح فى العلاقات الدوليّة بالإعتداء على أراضي و سيادة الأقطار الأخرى ، و التدخّل فى شؤونها الداخليّة ، و الإضرار بمصالحها و مركزها المتساوي ، أو شنّ حرب عدوانيّة ضدّها . و لكن من صميم طبيعة الإستعمار ذاتها إرتكاب العدوان ضد الأقطار و الأمم الأخرى و الرغبة فى إستعبادها . و ما دام الإستعمار موجودا فطبيعته هذه لن تتغيّر أبدا. و هذا هو بالتحديد ما يجعل المستعمِرين غير راغبين فى قبول المبادئ الخمسة للتعايش السلمي . وهم يحاولون ، كلّما كان ذلك ممكنا ، تحطيم الأقطار الإشتراكية و القضاء عليها ، و يرتكبون العدوان ضد الأقطار و الأمم الأخرى و يحاولون إستعبادها .

إنّ التاريخ يظهر أنّه نظرا لأسباب موضوعيّة غير مؤاتية فقط ، لا يجرؤ المستعمِرون على المخاطرة بحرب ضد الأقطار الإشتراكية أو أنّهم مجبَرون على الموافقة على هدنة و قبول نوع معيّن من التعايش السلمي .

و كما يدلّ التاريخ ، كانت دوما هناك أيضا نضالات حادّة معقّدة بين الأقطار الإستعماريّة و الإشتراكيّة ، و قد بلغت فى بعض الأحيان درجة صدامات عسكريّة مباشرة أو حروب . و عندما لا تكون هناك حروب فعليّة ، يشنّ المستعمِرون حروبا باردة ظلّوا يباشرونها بدون توقّف منذ نهاية الحرب العالميّة الثانية ، و الواقع أنّ الأقطار الإستعماريّة و الإشتراكيّة قد ظلّت فى حالة تعايش حرب باردة . و فى الوقت الذى توسّع فيه الأقطار الإستعماريّة بنشاط تسلّحها و تستعدّ للحرب ، تستخدم كلّ وسيلة لمقاومة الأقطار الإشتراكية سياسيّا و إقتصاديا و إيديولوجيّا و حتى أنّها تقوم بالإستفزازات العسكريّة و التهديدات الحربية ضدّها . إنّ حرب المستعمِرين الباردة ضد الأقطار الإشتراكيّة و مقاومة الأخيرة لها تشكّلان مظاهر للنضال الطبقي العالمي .

إنّ المستعمِرين يدفعون بخططهم العدوانيّة و الحربيّة ليس ضد الأقطار الإشتراكية و حسب بل فى العالم بأسره ، و هم يحاولون قمع الحركات الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدَة .

و فى هذه الظروف ، يجب على الأقطار الإشتراكية أن تكافح بحزم مع شعوب جميع الأقطار الأخرى ضد السياسات الإستعماريّة العدوانيّة و الحربيّة ، و أن تخوض نضالا يكيل الصاع بالصاع ضد الإستعمار . و هذا النضال الطبقي يستمرّ حتما ، تارة بشكل حاد ، و تارة بشكل أخفّ .

و لكن خروتشوف يصمّ أذنيه عن هذه الحقائق الدامغة. وهو يعلن فى كل مكان و على أوسع نطاق أنّ الإستعمار قد إعترف الآن بضرورة التعايش السلمي ، و يعتبر النضالات المناوئة للإستعمار التى تخوضها الأقطار الإشتراكية و شعوب العالم لا تتّفق مع سياسة التعايش السلمي .

و فى رأي خروشوف، أنّه على الأقطار الإشتراكية أن تقدّم التنازل تلو الآخر أمام المستعمِرين والرجعيّين البورجوازيين، و تواصل الإستسلام لهم حتّى عندما يعرضونها للتهديدات الحربيّة و الهجوم المسلّح أو يتقدّمون إليها بمطالب مذلّة من شأنها أن تنهك سيادتها و كرامتها .

و وفقا لهذا المنطق يصف خروشوف تقهقره المستمرّ ، و إتّجاره بالمبادئ ، و إنقياده السهل لمطالب المستعمِرين الأميركيّين المذلّة خلال أزمة الكاريبي بأنّه " إنتصار للتعايش السلمي " .

و وفقا لهذا المنطق يصف خروشوف تمسّك الصين بالمبادئ الصحيحة حول مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، و الهجوم المضاد ضد هجوم الرجعيّين الهنود العسكري ، دفاعا عن النفس ، الذى قامت به الصين عندما أصبح الوضع لا يحتمل ، يصفه بأنّه " إنتهاك للتعايش السلمي " .

و فى بعض الأحيان يتحدّث خروشوف أيضا حول النضال بين النظامين الإجتماعيّين المختلفين ، و لكن كيف يرى هذا النضال ؟

لقد قال خروشوف : " إنّ النضال الحتمي بين النظامين يجب جعله قاصرا على إتّخاذ شكل تصارع للأفكار..." (تقرير ألقاه خروشوف فى مجلس السوفيات الأعلى للإتحاد السوفياتي يوم 14 يناير (كانون الثاني) 1960).

و هنا إختفى النضال السياسي !

و قد قال أيضا :

" إنّ المبدأ اللينيني للتعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة الإجتماعية الإقتصادية و السياسية المختلفة لا يعنى مجرّد عدم وجود حرب ، و حالة مؤقتة لوقف غير مستقرّ لإطلاق النار . فهو يستلزم الحفاظ على علاقات إقتصاديّة و سياسيّة ودّية بين هذه الدول ، و يشتمل على إقامة و تطوير مختلف أشكال التعاون الدولي السلمي ".(خروشوف : " أجوبة على أسئلة البروفسور النمساوي هانس تيرين" ، " **البرافدا** " ، 3 يناير (كانون الثاني) 1962) .

و هنا إختفى النضال تماما !

و كالساحر ، يطلق خروشوف حيلة بعد أخرى ، فهو أوّلا يقلّل من شأن القضايا الصغيرة إلى درجة الصفر . إنّه ينكر التعارض الأساسي بين النظامين الإشتراكي و الرأسمالي ، و ينكر التناقض الأساسي بين المعسكرين الإشتراكي و الإستعماري ، و ينكر وجود النضال الطبقي العالمي . و هكذا يحوّل التعايش السلمي بين النظامين و المعسكرين إلى " تعاون شامل ".

أما **المسألة الثانية** فهي هل يمكن جعل التعايش السلمي الخطّ العام للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية ؟

إنّنا نعتقد أنّ الخطّ العام للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية يجب أن يتضمّن المبدأ الأساسي لسياستنا الخارجية و أن يتضمّن المحتوى الأساسي لهذه السياسة .

و ما هو هذا المبدأ الأساسي ؟ إنّه الأممية البروليتارية .

قال لينين : " إنّ التحالف مع ثوريي الأقطار المتقدّمة ومع جميع الأمم المضطهَدَة ضد أي من المستعمِرين و ضدّهم جميعا- هو السياسة الخارجية للبروليتاريا " (" **السياسة الخارجية للثورة الروسية** " ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلد 25). إنّ هذا المبدأ الأممي البروليتاري الذى وضعه لينين يجب أن يكون المرشد للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية .

كان على كلّ قطر إشتراكي ، منذ أن تشكّل المعسكر الإشتراكي، أن يعالج ثلاثة أنواع من العلاقات فى سياسته الخارجية، أي علاقاته مع الأقطار الإشتراكية الأخرى ، و مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، و مع الشعوب و الأمم المضطهَدَة .

و لذلك ، نرى أنّه يجب أن يكون التالى هو محتوى الخطّ العام للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية : تطوير علاقات الصداقة و المساعدة المتبادلة و التعاون بين أقطار المعسكر الإشتراكي وفقا لمبدأ الأمميّة البروليتارية ؛ و الكفاح فى سبيل التعايش السلمي على أساس المبادئ الخمسة مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، و مقاومة السياسات الإستعمارية العدوانية و الحربية ؛ و تأييد و مساعدة النضالات الثوريّة التى تشنّها جميع الشعوب و الأمم المضطهَدَة . و هذه الأوجه الثلاثة متداخلة و لا يمكن حذف واحد منها.

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قصروا من جانب واحد الخطّ العام للسياسة الخارجية للأقطار الإشتراكية على التعايش السلمي . إنّنا نودّ أن نسأل : كيف يجب على دولة إشتراكيّة أن تعالج علاقاتها مع الأقطار الإشتراكية الأخرى ؟ و هل عليها أن تباشر مجرد علاقات تعايش سلمي معها ؟

بالطبع ، على الأقطار الإشتراكية ايضا أن تلتزم بالمبادئ الخمسة فى علاقاتها المتبادلة . و لا يسمح مطلقا لأيّ أحد منها أن يقوّض الوحدة الإقليمية لقطر شقيق آخر، و يضرّ بإستقلاله و سيادته ، و يتدخّل فى شئونه الداخليّة ، و يقوم بنشاطات تخريبيّة فى داخله ، أو أن ينتهك مبدأ المساواة و المنفعة المتبادلة فى علاقاته مع قطر شقيق آخر . و لكن مجرّد تطبيق هذه المبادئ بعيد عن أن يكون كافيا . فقد ورد فى تصريح عام 1957 :

" ... بيد أنّ هذه المبادئ الهامّة ليست بالمبادئ الوحيدة التى تحدّد جوهر العلاقات بين البلدان الإشتراكية . فالمساعدة المتبادلة الأخوية جزء لا يتجزّأ من علاقاتها . و هذه المساعدة المتبادلة هي التعبير الفعليّ عن مبدأ الأمميّة الإشتراكيّة ."

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ، بجعلهم التعايش السلمي الخطّ العام للسياسة الخارجية ، قد صفّوا فى الواقع علاقات الأممية البروليتارية فى المساعدة المتبادلة و التعاون بين الأقطار الإشتراكية ، و وضعوا الأقطار الإشتراكية الشقيقة على نفس الصعيد مع الأقطار الرأسمالية . و هذا يعنى تصفية المعسكر الإشتراكي .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد قصروا من جانب واحد الخطّ العام للسياسة الخارجية للدول الإشتراكية على التعايش السلمي . و بودّنا أن نسأل : كيف يجب على قطر إشتراكي أن يعالج علاقاته مع الشعوب و الأمم المضطهَدة ؟ هل يجب أن تكون العلاقة بين البروليتاريا فى الحكم و بين إخوانها الطبقيّين الذين لم يحرّروا أنفسهم بعدُ ، أو بينها و بين جميع الشعوب و الأمم المضطهَدة ، مجرّد علاقة تعايش سلمي و ليس علاقة مساعدة متبادلة ؟

لقد أكّد لينين مرارا بعد ثورة أكتوبر أنّ وطن الإشتراكية الذى أسّس ديكتاتورية البروليتاريا ، هو قاعدة لتطوير الثورة البروليتارية العالمية . و قال ستالين أيضا : " إنّ الثورة التى إنتصرت فى قطر واحد يجب ألاّ تعتبر نفسها وحدة تكتفى بذاتها ، بل عونا و وسيلة للتعجيل بإنتصار البروليتاريا فى جميع الأقطار ." (" **ثورة أكتوبر وتكتيكات الشيوعيين الروس"** ، المجموعة الكاملة للمؤلفات ، المجلّد 6) و أضاف : " إنها تشكّل ... قاعدة مانعة لتطوّرها تطوّرا أكثر، (يعنى تطوّر الثورة العالمية)" (نفس المصدر) .

و لذلك فإنّ الأقطار الإشتراكية فى سياستها الخارجية لا تستطيع بأي حال من الأحوال أن تقصر نفسها على معالجة علاقاتها مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة ، بل يجب عليها ايضا أن تعالج بشكل صحيح العلاقات بين الأقطار الإشتراكية و علاقاتها مع الشعوب و الأمم المضطهَدَة . و يجب عليها أن تجعل من تأييد النضالات الثوريّة التى تخوضها الشعوب و الأمم المضطهَدة واجبها الأممي و جزءا هاما من سياستها الخارجيّة .

و على نقيض لينين و ستالين ، يجعل خروشوف التعايش السلمي خطّا عاما للسياسة الخارجيّة للأقطار الإشتراكية ، و بعمله هذا ، يستثنى من هذه السياسة الواجب الأممي البروليتاري لتأييد و مساعدة النضالات الثوريّة التى تخوضها الشعوب و الأمم المضطهَدَة . إنّ هذا بعيد عن أن يكون " تطويرا خلاّقا " لسياسة التعايش السلمي ، بل هو خيانة للأمميّة البروليتارية بحجّة التعايش السلمي .

أمّا **المسألة الثالثة** فهي هل يمكن أن تكون سياسة التعايش السلمي للأقطار الإشتراكيّة الخطّ العام لجميع الأحزاب الشيوعيّة و الحركة الشيوعيّة العالميّة ؟ و هل يمكن أن تحلّ محلّ ثورة الشعوب ؟

إنّنا نعتقد بأنّ التعايش السلمي يقصد به علاقة بين الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة أي علاقة بين الأقطار المستقلّة ذات السيادة . و بعد الإنتصار فى الثورة فقط يصبح من الممكن و من الضروري للبروليتاريا أن تنتهج سياسة التعايش السلمي . أمّا بالنسبة للشعوب و الأمم المضطهَدَة فإنّ مهمّتها أن تكافح من أجل تحرّرها و الإطاحة بحكم الإستعمار و عملائه ، و لا ينبغى لها أن تمارس التعايش السلمي مع المستعمِرين و عملائهم كما ليس من الممكن لها أن تفعل ذلك .

و لذلك ، فمن الخطأ تطبيق التعايش السلمي على العلاقات بين الطبقات المضطهَدَة و المضطهدة ، و بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة أو مدّ نطاق سياسة التعايش السلمي للبلدان الإشتراكية لتغدو سياسة للأحزاب الشيوعية و الشعوب الثوريّة فى العالم الرأسمالي أو لجعل النضالات الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدة خاضعة لسياسة التعايش السلمي للبلدان الإشتراكيّة .

إنّنا نعتقد دائما بأنّ التطبيق الصحيح لسياسة لينين للتعايش السلمي من جانب الأقطار الإشتراكيّة يساعد على تطوير قوّتها و فضح سياسات الإستعمار العدوانيّة و الحربيّة و توحيد جميع الشعوب و الأقطار المعادية للإستعمار، و لذلك فهو يساعد نضالات الشعوب ضد الإستعمار و عملائه . و فى الوقت نفسه تساعد النضالات الثوريّة التى تخوضها شعوب العالم ضد الإستعمار و عملائه ، بضربها و إضعافها بصورة مباشرة القوى العدوانيّة و الحربيّة و الرجعيّة ، تساعد قضيّة السلم العالمي و التقدّم الإنساني ، و لذلك فهي تساعد نضال قضيّة السلم العالمي و التقدّم الإنساني ، و لذلك فهي تساعد نضال الأقطار الإشتراكيّة فى سبيل التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة . و هكذا فإنّ تطبيق الأقطار الإشتراكيّة الصحيح لسياسة لينين حول التعايش السلمي ينسجم مع مصالح النضالات الثوريّة للشعوب فى جميع الأقطار .

و مع ذلك فنضال الأقطار الإشتراكية من أجل التعايش السلمي مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة و ثورة الشعوب فى مختلف الأقطار ، هما شيئان مختلفان تماما .

لقد جاء فى رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المؤرّخة فى يوم 14 يونيو (حزيران) ردّا على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي :

" ... أنّ ممارسة التعايش السلمي بين البلدان ذات الأنظمة الإجتماعية المختلفة أمر . لا يسمح للبلدان التى تمارس التعايش السلمي ، و لا يمكنها أبدا ، أن تمسّ و لو شعرة من الأنظمة الإجتماعيّة للبلدان التى تتعايش معها سلميّا . أمّا الصراع الطبقي و النضال من أجل التحرّر الوطني و الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية فى البلدان المختلفة فأمر آخر . و تلك

كلّها نضالات ثوريّة حادة نضالات حياة و موت ، تهدف إلى تغيير النظام الإجتماعي . و لا يمكن أبدا أن يحلّ التعايش السلمي محلّ النضالات الثوريّة لدى الشعوب . و الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية فى أي بلد يمكن تحقيقه فقط عبر الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا فى ذلك البلد " .

و فى المجتمع الطبقي ، من الخطأ تماما إعتبار التعايش السلمي " الطريق المقبول الأفضل و الوحيد لحلّ القضايا ذات الأهمّية الحيويّة التى تواجه المجتمع " و " القانون الأساسي لحياة المجتمع المعاصر بأسره ". إنّ هذا لمسالمة إجتماعية تنكر الصراع الطبقي ، و خيانة واضحة للماركسية اللينينية .

لقد ميّز الرفيق ماو تسى تونغ فى عام 1946 بين هاتين القضيّتين و ذكر بوضوح أن المساومات بين الإتّحاد السوفياتي و بين الولايات المتّحدة و بريطانيا و فرنسا على بعض المشاكل " لا تتطلّب من شعوب مختلف بلدان العالم الرأسمالي أن تلجأ إلى مثلها فى داخل بلدانها ، ذلك أن شعوب هذه البلدان ستواصل خوض نضالات مختلفة طبقا للظروف المختلفة ". (" **بعض التقديرات حول الوضع الدولي الراهن** " فى كراس " **حديث مع المراسلة الأميركية أنّا لويس سترونغ** " ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، 1962، الطبعة العربية ، صفحة 2).

و هذه هي سياسة ماركسية لينينية صحيحة . و إسترشادا بهذه السياسة الصحيحة للرفيق ماو تسى تونغ واصل الشعب الصيني الثورة بحزم و عزم حتى النهاية و أحرز إنتصارا عظيما لثورته .

وعلى النقيض من هذه السياسة الماركسية اللينينية يساوى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بين مظهر واحد للسياسة التى تنهجها البروليتاريا الحاكمة فى مجال علاقات دولتها مع الأقطار ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة ، و بين الخطّ العام لجميع الأحزاب الشيوعيّة ، و يحاولون أن يحلّوا الأوّل محلّ الأخير طالبين من جميع الأحزاب الشيوعيّة و الشعوب الثوريّة وجوب إتّباع ما يسمّونه بالخطّ العام للتعايش السلمي . و بينما لا يرغبون هم أنفسهم فى الثورة ، يمنعون الآخرين من القيام بها . و بينما لا يقاومون هم أنفسهم الإستعمار ، يمنعون الآخرين من مقاومته .

إنّ الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي و أقوال خروشوف مؤخّرا قد أنكرتا هذا بشدّة ، و قيل إنّ إتهام قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بتوسيع نطاق التعايش السلمي حتى يشمل العلاقات بين الطبقات المضطهَدة و المضطهِدة ، و بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة هو " إفتراء شنيع ". حتى أنّهم ذكروا زيفا و بهتانا أن التعايش السلمي " لا يمكن توسيعه حتى يشمل النضال الطبقي ضد رأس المال فى داخل الأقطار الرأسمالية و حتى يشمل حركة التحرّر الوطني " .

و لكن هذه المراوغة عبث لا طائل منه .

و بودّنا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ما دامت سياسة التعايش السلمي تشكّل فقط مظهرا واحدا للسياسة الخارجية للبلدان الإشتراكية فلماذا قلتم حتى الآن إنّها تمثّل " الخطّ الإستراتيجي لمرحلة الإنتقال من الرأسمالية إلى الإشتراكية بكاملها على نطاق العالم " ؟ (" فى سبيل وحدة و تضامن الحركة الشيوعية العالمية " ، مقال بقلم هيئة تحرير " **البرافدا** " ، 6 ديسمبر (كانون الأول) 1963) . ألستم بمطالبتكم الأحزاب الشيوعية فى جميع الأقطار الرأسماليّة و الأمم المضطهَدة أن تجعل التعايش السلمي خطّها العام ، تهدفون إلى إحلال سياستكم " للتعايش السلمي" محلّ الخطّ الثوري للأحزاب الشيوعية ، و تهدفون إلى مدّ نطاق سياسة التعايش السلمي و تطبيقها عمدا على العلاقات بين الطبقات المضطهَدة و المضطهِدة ، و بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة ؟

كما نودّ أنّ نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : ما دامت الشعوب تحرز الإنتصار فى ثورتها بالإعتماد بشكل رئيسي على نضالاتها الخاصة ، فكيف يمكن لهذا الإنتصار أن يعزى للتعايش السلمي أو أن يوصف كثمرة له ؟ أولا تعنى مزاعمكم هذه إخضاع النضالات الثوريّة للشعوب لسياستكم حول التعايش السلمي ؟

و نودّ أيضا أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : إنّ المنجزات الإقتصادية للبلدان الإشتراكية و الإنتصارات التى أحرزتها فى المباراة الإقتصاديّة مع البلدان الرأسماليّة ستلعب بدون شكّ دورا و مثالا وهي حافز للشعوب و الأمم المضطهَدة . و لكن كيف يمكن أن يقال إنّ الإشتراكية ستنتصر على نطاق العالم عن طريق التعايش السلمي و المباراة السلميّة بدلا عن طريق النضالات الثوريّة للشعوب ؟

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يروّجون القول بأنّ الإعتماد على التعايش السلمي و المباراة السلميّة وحدهما كاف " لتوجيه ضربة ساحقة إلى نظام العلاقات الرأسمالية بأسره " ، و تمهيد الطريق لتحقيق الإنتقال السلمي إلى الإشتراكية على نطاق العالم . و هذا يعادل القول بأن جميع الشعوب و الأمم المضطهَدة لا تحتاج أبدا إلى خوض النضال و القيام بالثورة و الإطاحة بالحكم الرجعي للإستعمار و الحكم الإستعماري و عملائهما ، بل عليها أن تنتظر بهدوء حتى تتفوّق مستويات الإنتاج و مستويات المعيشة فى الإتّحاد السوفياتي على مثيلاتها فى البلدان الرأسماليّة الأكثر تطوّرا ، حيث سيكون بمقدور جميع العبيد المضطهَدين و المستغَلين فى العالم بأسره الولوج إلى الشيوعية مع مضطهِديهم و مستغلّيهم . أوليست هذه محاولة من جانب قادة الحزب الشيوعي السوفياتي لإحلال ما يسمّونه بالتعايش السلمي محلّ النضالات الثورية للشعوب و لتصفية مثل هذه النضالات ؟

إنّ تحليلا لهذه المسائل الثلاث يجعل من الواضح أن خلافنا مع قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو خلاف أساسي مبدئي . وهو فى جوهره يتركّز فيما يلى : إنّ سياسنا للتعايش السلمي هي سياسة لينينيّة تستند إلى مبدأ الأمميّة البروليتاريّة و تفيد قضيّة مقاومة الإستعمار و الدفاع عن السلم العالمي و تتّفق مع مصالح النضالات الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدة فى العالم قاطبة . إلاّ أنّ الخطّ العام المزعوم للتعايش السلمي الذى ينتهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو خطّ معاد للينينية يتخلّى عن مبدأ الأمميّة البروليتارية و يضرّ بقضيّة مقاومة الإستعمار و الدفاع عن السلام العالمي و يخالف مصالح النضالات الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدة فى العالم قاطبة .

<u>الخطّ العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي يفي بحاجيات الإستعمار الأميركي</u>

إنّ الخطّ العام للتعايش السلمي الذى ينتهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قد رفضته بحزم جميع الأحزاب الماركسيّة اللينينيّة و الشعوب الثوريّة و لكنّه قُوبل بالثناء الحار من قبل المستعمِرين .

إنّ الناطقين بلسان الرأسمال الإحتكاري الغربي لا يكتمون إعجابهم بالخطّ العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي . (" إلى أي حدّ يجب أن نتودّد إلى نيكيتا ؟ " ، مجلة " **تايم** "، 9 مارس (آذار) 1962) . و يقولون إنّ " رئيس الوزراء السوفياتي نيكيتا خروتشوف يتصرّف كسياسي أميركي" (خطاب هاريمان نائب وزير الخارجية الأميركية فى التلفزيون، 18 أغسطس (آب) 1963) ويقولون إنّ " الرفيق خروشوف يعتبر بالنسبة للعالم الحرّ أفضل رئيس وزراء لدى الروس . إنّه يؤمن حقا بالتعايش السلمي ". (" كندى يساعد خروشوف" ، مجلة " **تايم أند تايد** " ، الربيطانية ، 18- 24 ابريل (نيسان) 1963) . و يصرّحون إنّ " إمكانيّة تحسين العلاقات السوفياتية الأميركيّة هذه قد جعلت دوائر وزارة الخارجيّة الأميركيّة تشعر بأنّه ينبغى للولايات المتّحدة أن تسهّل لخروتشوف مهمّته فى نطاق حدود معيّنة ." (نبأ من وكالة أجانس فرانس من واشنطن فى 14 يوليو (تموز) 1963 حول التعليق الرسمي للحكومة الأميركية على الرسالة المفتوحة للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي) .

لقد ظلّ المستعمِرون دوما معادين لسياسة التعايش السلمي للبلدان الإشتراكية صارخين بأنّ " عبارة " التعايش" بالذات مستهجنة و مكروهة " و " دعنا نلقى بفكرة التعايش المؤقّت القلق إلى كومة المهملات ". (خطاب تيرون نائب وزير الخارجية الأميركية السابق حول السياسة الخارجية للولايات المتحدة يوم 20 ابريل (نيسان) 1960). فلماذا يظهرون الآن إهتماما كبيرا كهذا بخطّ خروتشوف العام للتعايش السلمي ؟ ذلك أنّ المستعمِرين واثقون بفائدته لهم .

لقد ظلّ المستعمِرون الأميركيّون يتبنّون بثبات التكتيك المزدوج للحرب و السلام من أجل تحقيق أهدافهم الإستراتيجية فى تصفية ثورات الشعوب و إزالة المعسكر الإشتراكي من الوجود و بسط سيطرتهم على العالم . و عندما يجدون أن الوضع الدولي يتطوّر فى غير صالحهم يضطرّون للجوء بشكل متزايد إلى حيل السلام بينما يواصلون توسيع تسلّحهم و إستعداداتهم الحربيّة .

لقد إقترح جون فوستر دالاس فى عام 1958 بأنّ على الولايات المتّحدة أن تكرس نفسها " لإستراتيجية نبيلة " " لإنتصار سلمي " (خطاب دالاس فى الغرفة التجاريّة بولاية كاليفورنيا يوم 4 ديسمبر (كانون الأوّل) 1958).

و بعد أن تولى كندي زمام الحكم واصل و طوّر " إستراتيجية سلام " دالاس و تشدّق ب " التعايش السلمي" . و قال " ...إنّنا فى حاجة إلى سلاح أفضل كثيرا من القنبلة الهيدروجينيّة ... إنّ السلاح الأفضل هو التعاون السلمي ." (خطاب كندي فى الجمعية العمومية لهيئة المم المتحدة يوم 20 سبتمبر (أيلول) 1963).

فهل يعنى هذا أنّ المستعمِرين الأميركيّين يقبلون حقّا التعايش السلمي ، أو كما يقول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يعترفون ب " حكمة و واقعية التعايش السلمي" ؟ كلاّ بالطبع .

إنّ قليلا من البحث الجدّي يسهلّ على المرء إكتشاف المعنى و الغرض الحقيقيّين " للتعايش السلمي" الذى يدعو له المستعمِرون . فما معناه و غرضه الحقيقيان ؟

<u>**أوّلا**</u> : يحاول المستعمِرون الأميركيّون جهدهم ، بإسم التعايش السلمي ، أن يغلّوا أيدى الإتّحاد السوفياتي و الأقطار الإشتراكية الأخرى و يمنعوها من مساندة النضالات الثوريّة لشعوب العالم الرأسمالي .

لقد قال دالاس :

" إنّ حكومة الإتّحاد السوفياتي يمكنها أن تضع حدّا " للحرب الباردة " إذا ما حرّرت نفسها من الإتّجاه الذى حدّدته الشيوعيّة العالميّة و سعت أوّلا إلى رفاهيّة الأمّة الروسيّة و الشعب الروسي . و كذلك يمكن أن تنتهي " الحرب الباردة " إذا ما خلّت الشيوعيّة العالميّة عن أهدافها العالمية..." . (حديث كندي مع آجوبي رئيس تحرير " **الأزفستيا** " ، 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 1961) .

و قال كندي : إذا أريد تحسين العلاقات الأميركيّة السوفياتيّة يجب على الإتّحاد السوفياتي أن يتخلّى عن برنامجه " لتعميم الشيوعيّة فى العالم بأسره " كما يجب عليه أن " يتطلّع فقط إلى مصلحته الوطنيّة و إلى توفير حياة أفضل لشعبه فى ظروف سلميّة ". (حديث كندي مع آجوبي رئيس تحرير " **الأزفيستيا** " ، 25 نوفمبر (تشرين الثاني) 1961) .

و قال راسك بوضوح أكثر : " لن يكون هناك سلم دائم أكيد حتى يتخلّى القادة الشيوعيّون عن هدفهم فى الثورة العالميّة ". و قال أيضا إنّ هناك " دلائل تبرم " لدى القادة السوفيت " حول أعباء و مخاطر إلتزاماتهم تجاه الحركة الشيوعيّة العالميّة ". و حتّى أنّه طلب من القادة السوفيت علنا بأن " يتقدّموا من هنا ملقين جانبا الوهم بإنتصار شيوعي عالمي " . (خطاب راسك فى المؤتمر الوطني لفيلق المتقاعدين الأميركيين، 10 سبتمبر (أيلول) 1963) .

إنّ معنى هذه الكلمات واضح جدّا . فالمستعمِرون الأميركيّون يصفون النضالات الثوريّة التى تخوضها الشعوب و الأمم المضطهَدَة فى العالم الرأسمالي من أجل تحرّرها بأنّها حصيلة لمحاولات الأقطار الإشتراكية " تعميم الشيوعيّة فى العالم بأسره ". و هم يقولون للقادة السوفيت : هل تريدون أن تعيشوا بسلام مع الولايات المتّحدة ؟ حسنا جدّا ! لكن شريطة أن لا تؤيّدوا النضالات الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدة فى العالم الرأسمالي ، و يجب أن تتعهّدوا بأنّها لن تهبّ بالثورة . و وفقا لأوهام المستعمِرين الأميركيّين ، فإنّ هذا سيطلق العنان لهم لإخماد الحركات الثوريّة فى العالم الرأسمالي و للسيطرة على سكّانه الذين يشكّلون ثلثي سكّان العالم و إستعبادهم .

<u>**ثانيا**</u> ، يحاول المستعمِرون الأميركيّون ، بإسم التعايش السلمي ، أن يندفعوا قدما بسياستهم فى " التحوّل السلمي" تجاه الإتّحاد السوفياتي و الأقطار الإشتراكية الأخرى و يعيدوا الرأسماليّة هناك .

لقد قال دالاس : " إنّ عدم إستخدام القوّة ... يعنى عدم الإحتفاظ بالوضع القائم ، بل يعنى تغييرا سلميّا ". (خطاب دالاس فى مأدبة تقديم الجوائز لجمعيّة المحامين بولاية نيويورك ، 31 يناير (كانون الثاني) 1959) . " فلا يكفى أن تقف موقف الدفاع . إنّ الحرّية يجب أن تكون قوّة إيجابيّة تستطيع أن تتغلغل ". (خطاب دالاس فى الغرفة التجارية بولاية كاليفورنيا يوم 4 ديسمبر (كانون الأوّل) 1958) . و " نحن نأمل فى تشجيع تحوّل داخل العالم السوفياتي". (شهادة دالاس أمام لجنة الشئون الخارجية التابعة لمجلس النواب ، 8 فبراير (شباط) 1959) .

و قال أيزنهاور : إنّ كلّ ما تستطيع الولايات المتّحدة القيام به بالوسائل السلميّة سيجرى القيام به " من أجل أن تحصل فى النهاية تلك الشعوب التى تقع تحت عبوديّة ديكتاتوريّة طاغية على الحقّ فى تقرير مصائرها عن طريق الإنتخاب الحرّ ". (خطاب ايزنهاور فى المؤتمر البولندي – الأميركي فى شيغاغو ، 30 سبتمبر (أيلول) 1960) .

و قال كندي : إنّ " الواجب هو أن نبذل كلّ ما بوسعنا لنرى أن التغيّرات التى تجرى ... فى الإمبراطوريّة السوفياتيّة و جميع القارات... تقود إلى حرّية أكثر لعدد أكبر من الناس و إلى السلام العالمي " .(كتاب كندي " **إستراتيجية السلم** "، صفحة 199) .

و صرّح بأنّه " سينتهج سياسة تشجيع الحرّية بصبر و الضغط على الطغيان بحذر" تجاه الأقطار الإشتراكيّة فى أوروبا الشرقيّة من أجل توفير " إنتخاب حرّ " لشعوب هذه الأقطار . (خطاب كندى فى المؤتمر البولندي – الأميركي فى شيغاغو ، اليوم الأوّل أكتوبر (تشرين الأوّل) 1960) .

إنّ معنى هذه الكلمات واضح جدّا أيضا . فالمستعمِرون الأميركيّون يفترون على النظام الإشتراكي بأنّه " ديكتاتوري " و " طاغ " ، و يصفون إعادة الرأسماليّة بأنّها " إنتخاب حرّ ". و هم يقولون للقادة السوفيت : هل ترغبون فى العيش بسلام مع الولايات المتحدة ؟ حسن جدّا ! و لكن هذا لا يعنى أنّنا نعترف بالوضع القائم فى الأقطار الإشتراكيّة . و على النقيض من ذلك ، يجب إعادة الرأسمالية هناك و بمعنى آخر ، فالمستعمِرون الأميركيّون لن يرضوا أبدا بحقيقة أنّ ثلث سكّان العالم قد إنطلق فى الطريق الإشتراكي ، و سيحاولون دوما القضاء على جميع الأقطار الإشتراكيّة .

و بإختصار ، فإنّ ما يسمّيه المستعمِرون الأميركيّون بالتعايش السلمي يعنى ما يلى : لا يسمح لشعب يعيش تحت السيطرة و العبوديّة الإستعماريّتين بأن يجاهد فى سبيل تحرّره ، و ينبغى لجميع أولئك الذين حرّروا أنفسهم ، أن يعودوا مرّة ثانية تحت السيطرة و العبوديّة الإستعماريّتين ، و يجب على العالم أجمع أن ينضمّ إلى " المجموعة العالمية (الأمريكيّة) للأمم الحرّة ".

و هكذا من السهل على المرء أن يرى لماذا يستسيغ المستعمِرون الأميركيون تماما خطّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي العام للتعايش السلمي .

فبحجّة التعايش السلمي ، يبذل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي قصارى جهودهم ليتزلّفوا للإستعمار الأميركي ، و يخدموا سياسته السلميّة المخادعة عن طريق الزعم بإستمرار بأنّ ممثّلى الإستعمار الأميركي " يهتمّون بالسلام ".

و بحجّة التعايش السلمي ، يمدّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي نطاق سياسة التعايش السلمي و يطبّقونها على العلاقات بين الطبقات المضطهَدة و المضطهِدة ، و بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة ، و هم يعارضون الثورة ، و يحاولون تصفيتها . و هذا يستجيب بالضبط لمتطلّبات المستعمِرين الأميركيّين بأنّ على الدول الإشتراكيّة أن لا تؤيّد ثورات الشعوب فى العالم الرأسمالي .

و بحجّة التعايش السلمي ، يحاول قادة الحزب الشيوعي السوفياتي إحلال التعاون الطبقي الدولي محلّ النضال الطبقي الدولي ، و يدعون إلى " تعاون شامل " بين الإشتراكيّة و الإستعمار ، و هكذا يفتحون الباب للتغلغل الإستعماري فى الأقطار الإشتراكيّة . إنّ هذا يستجيب بالضبط لحاجات سياسة " التحوّل السلمي" الإستعماريّة الأميركيّة .

إنّ المستعمِرين دوما أفضل أساتذة لنا بمثالهم السلبي . فدعنا نسرد هنا مقطعين من خطاب ألقاه دالاس بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي .

" ... لقد قلت ... إن هناك دليلا على وجود قوى داخل الإتّحاد السوفياتي تتطلّع إلى مزيد من الليبرالية ... إذا ما إستمرّت هذه القوى فى النموّ و واصلت إستجماع قوّتها داخل الإتّحاد السوفياتي ، لأمكننا أن نعتقد ، و أن نأمل بحقّ ، كما قلت ، فى عقد من الزمن أو ربّما فى جيل واحد بتحقيق الهدف العظيم لسياستنا ، وهو ظهور روسيا حيث يحكم أناس يستجيبون لرغبات الشعب الروسي ، و قد تخلّوا عن مطامعهم الجشعة فى حكم العالم ، و يمتثلون لمبادئ الأمم المتحضّرة و تلك المبادئ التى تضمّنها ميثاق الأمم المتّحدة " . (مؤتمر صحافي عقده دالاس فى يوم 15 مايو (أيار) 1956).

ثمّ إستطرد يقول : " ... إنّ المطمح البعيد المدى ، و حقّا أستطيع أن أقول اليقين البعيد المدى ، هو أنّه سوف يكون هناك تحوّل فى السياسات الراهنة للحكّام السوفيت بحيث أنّهم سيغدون قوميّين أكثر ، و أمميّين أقلّ ." (مؤتمر صحافي عقده دالاس فى يوم 28 أكتوبر (تشرين الأول) 1958).

و الواضح أن شبح دالاس كان يلازم متلبّسا خونة الماركسية اللينينية و الأممية البروليتارية ، بحيث أنّهم أصبحوا مذهولين بالخطّ العام " للتعايش السلمي " حتى أنّهم لم يفكّروا ليروا كيف أنّ أعمالهم تستجيب لرغبات الإستعمار الأميركي .

التعاون السوفياتي الأميركي هو قلب و روح الخطّ العام للتعايش السلمي لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي

إن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بينما ظلّوا يتغنّون بالتعايش السلمي فى السنوات الأخيرة لم ينتهكوا فى الواقع مبدأ الأمميّة البروليتاريّة فحسب ، بل إنّهم لم يمتثلوا أيضا لمبادئ التعايش السلمي الخمسة فى مسلكهم تجاه الصين و عدد من الأقطار الإشتراكيّة الأخرى . و إذا تحدّثنا بصراحة فإنّ دعوتهم المستمرّة للتعايش السلمي كخطّ عام لسياستهم الخارجيّة يعادل الطلب بأنّ على جميع الأقطار الإشتراكيّة و الأحزاب الشيوعيّة أن تخضع لأمنيتهم العزيزة فى التعاون السوفياتي الأميركي .

إنّ قلب و روح الخطّ العام للتعايش السلمي الذى ينتهجه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو التعاون السوفياتي الأميركي للسيطرة على العالم .

أنظروا إلى التصريحات العجيبة التى أطلقوها :

" إنّ أكبر دولتين معاصرتين – الإتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة – قد خلّفتا بعيدا أي بلد آخر فى العالم " . (ن.ن.ياكوفليف : بعد 30 عاما ..." ، الكرّاس الذى كتبه بمناسبة الذكرى السنوية الثلاثين لتأسيس العلاقات الديبلوماسية السوفياتية الأميركية) .

" كلّ من هاتين الدولتين يقود مجموعة كبيرة من الدول ، فالإتحاد السوفياتي يقود النظام الإشتراكي العالمي ، و الولايات المتّحدة تقود المعسكر الرأسمالي " (نفس المصدر السابق) .

" إنّنا (أي الإتحاد السوفياتي و الولايات المتحدة) أقوى بلدين فى العالم ، و إذا ما إتّحدنا فى سبيل السلام فلن تكون هناك حرب . و بالتالى إذا ما أراد أي مجنون فى ذلك الوقت الحرب ، فما علينا إلاّ أن نهزّ أصابعنا إنذارا له " (مقابلة صحافية لخروشوف مع مراسل أميركي س. ل. سولسبيرقر، 5 سبتمبر (أيلول) 1961) .

" ... إذا ما كان هناك إتّفاق بين ن . س . خروشوف رئيس الحكومة السوفياتية ، و جون كندي رئيس الولايات المتّحدة ، فسيكون هناك حلّ للقضايا الدوليّة التى تعتمد عليها مصائر البشرية " (خطاب غروميكو فى مجلس السوفيات الأعلى للإتحاد السوفياتي ، 13 ديسمبر (كانون الأوّل) 1962).

إنّنا نودّ أن نسأل قادة الحزب الشيوعي السوفياتي : طالما كان تصريح عام 1957 و بيان عام 1960 يقولان بوضوح إن الإستعمار الأميركي هو ألدّ عدوّ لشعوب العالم و القوّة الرئيسيّة للعدوان و الحرب ، فكيف يمكنكم أن " تتّحدوا " مع العدوّ الرئيسي للسلام العالمي " لصيانة السلام " ؟

إنّنا نودّ أن نسألهم : هل من الممكن أن لا يكون هناك حقّ لأكثر من مائة بلد و أكثر من ثلاثة آلاف مليون من الناس فى تقرير مصيرهم ؟ و هل يجب عليهم أن يخضعوا ، سمعا و طاعة ، لسيطرة " العملاقين" و " أعظم دولتين" ، و الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة ؟ أو ليس هذيانكم المغرور هذا تعبيرا عن تعصّب الدولة الكبرى ظاهرا و باطنا و عن سياسات القوّة قلبا و قالبا ؟

إنّنا نودّ أن نسألهم كذلك : هل تتصوّرون حقّا أنّه إذا ما توصّل الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة وحدهما إلى إتّفاق ، و إذا ما توصّل " الرجلان العظيمان " إلى إتّفاق ، فإنّ مصير البشريّة سيتقرّر و جميع المشاكل الدوليّة ستسوّى ؟ إنّكم مخطئون ، و مخطئون أفدح الخطأ. ذلك أنّه منذ العهد المغرق فى القدم لم تكن الأمور تحدث بهذه الطريقة ، ناهيك عن إحتمال حدوثها على هذا النحو فى ستّينات القرن العشرين . إنّ العالم اليوم حافل بالتناقضات المعقّدة ، التناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإستعماري ، و التناقض بين البروليتاريا و البورجوازية فى الأقطار الرأسمالية ، و التناقض بين الأمم المضطهَدة و الإستعمار، و التناقضات فيما بين الأقطار الإستعماريّة . فهل سختفى هذه التناقضات إذا ما توصّل الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة إلى إتّفاق ؟

إنّ البلد الوحيد الذى يتطلّع إليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي هو الولايات المتّحدة . ففى سبيل تحقيق التعاون السوفياتي الأميركي ، لا يتورّعون عن خيانة حلفاء الشعب السوفياتي الحقيقيّين، بما فى ذلك إخوانهم الطبقيّون و جميع الشعوب و الأمم المضطهَدة ، التى لا تزال تعيش تحت النظام الإستعماري – الرأسمالي .

إنّ قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يسعون جاهدين لتحطيم المعسكر الإشتراكي . ويستخدمون كلّ نوع من الأكاذيب و الإفتراءات ضد الحزب الشيوعي الصيني ، و يقومون بالضغط السياسي و الإقتصادي على الصين . أمّا بالنسبة لألبانيا الإشتراكية فلن يرضيهم شيء أقلّ من القضاء عليها . و قد قاموا بالضغط ، يدا بيد مع الإستعمار الأميركي ، على كوبا الثوريّة ، طالبين منها التضحية بسيادتها و كرامتها .

و يسعى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي جاهدين لتخريب النضالات الثوريّة التى تخوضها الشعوب ضد الإستعمار و عملائه . هم يعملون كمبشّرين للإصلاح الإجتماعي ، و يشلّون الإرادة الكفاحيّة الثوريّة للبروليتاريا و حزبها السياسي فى مختلف الأقطار . و من أجل التمشّى مع حاجات الإستعمار ، يخرّبون حركة التحرّر الوطني ، و يصبحون أكثر فأكثر مدافعين وقحين عن الحكم الإستعماري الأميركي الجديد .

فما الذى حصل عليه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من الإستعمار الأميركي مقابل الجهود النشيطة التى بذلوها و الثمن المرتفع الذى دفعوه فى سبيل تحقيق التعاون السوفياتي الأميركي ؟

فمنذ عام 1959 ، أصبح خروشوف مشغول البال بإجتماعات الذروة بين الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة . فقد راودته أحلام عديدة محبّبة و نشر الكثير من الأوهام حولها . و إمتدح أيزنهاور بحرارة بأنّه " رجل عظيم " " يدرك السياسات الكبرى " (خطاب خروشوف فى مأدبة أقامها عمدة نيويورك على شرفه ، 17 سبتمبر (أيلول) 1959) . و قد أثنى بحماس على كندي ك " رجل يتفهّم المسؤولية العظمى التى تقع على كاهل حكومتي دولتين قويّتين مثل هاتين الدولتين " (خطاب خروشوف فى الراديو و التلفزيون يوم 15 يونيو (حزيران) 1961) .

هذا و قد أقام قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ضجّة كبرى حول " روح كامب دافيد " ، و زعموا أن إجتماع فيينا " حدث ذو أهمّية تاريخيّة ". و قد إدّعت الصحافة السوفياتيّة أنّه إذا ما جلس رئيسيا الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة على نفس المنضدة ، سيصل التاريخ إلى " نقطة تحوّل جديدة " ، و أنّه إذا ما تصافح " الرجلان العظيمان " فإنّ مصافحتهما ستدشّن " عصرا جديدا " فى العلاقات الدوليّة .

و لكن كيف يعامل الإستعمار الأميركي قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ لقد صرّح أيزنهاور بعد أكثر من شهر بقليل من محادثات كامب دافيد ، قائلا : " إنّنى لم أعرف أيّ روح لكامب دافيد " . و بعد سبعة أشهر من المحادثات أرسل طائرة التجسّس يوتو لتتوغّل فى الإتّحاد السوفياتي ، محطّما بذلك مؤتمر الذروة للدول الأربع . هذا و لم يمض وقت طويل على إجتماع فيينا ، حتى تقدّم كندي بالشروط المتعجرفة التالية لعشرين سنة من السلم بين الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة وهي إمتناع الإتّحاد لسوفياتي عن تأييد النضالات الثوريّة لأيّ شعب ، و إعادة الرأسماليّة إلى الأقطار الإشتراكيّة فى أوروبا الشرقيّة . و بعد عام أو أكثر من إجتماع فيينا ، أمر كندي بفرض حصار عسكري قرصني على كوبا و خلق أزمة الكاريبي .

و بعد البحث و التنقيب بين الأسافل و الأعالي ، و التنبيش بين الأحياء و الأموات ، أين يمكن للمرء أن يجد " روح كامب دافيد " و " نقطة تحوّل فى تاريخ البشرية " و " عصرا جديدا فى العلاقات الدولية " ؟

و بعد توقيع المعاهدة الثلاثيّة للحظر الجزئي للتجارب النوويّة ، قام قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بدعاية كبيرة لما يسمّى بروح موسكو . فقد تحدّثوا عن الحاجة إلى " الضرب على الحديد الساخن " ، و قالوا " إنّ الشروط المؤاتية متوفّرة " لدى الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة للتوصّل إلى المزيد من الإتّفاقيات ، و أعلنوا أن إتّخاذ موقف " الإنتظار" و " ليس هناك من عجلة " أمر سيّء . (مقال بقلم مراقب نشر فى " **ألزفيستيا** " ، 21 أغسطس (آب) 1963) .

و ما هي " روح موسكو " ؟ دعنا ننظر إلى الأحداث الأخيرة : لقد عقد قادة الحزب الشيوعي السوفياتي إجتماعا فى موسكو من أجل خلق جوّ أرحب " للتعاون السوفياتي الأميركي " و ذلك إحتفالا بالذكرى الثلاثين لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة . و فى الوقت ذاته ، أرسلوا وفدا ثقافيّا إلى الولايات المتّحدة لحضور الإحتفالات هناك . و لكن ماذا كانت حصيلة حماس قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ؟ لقد رفض كافة موظّفي السفارة الأميركيّة فى موسكو حضور إجتماع موسكو ، و أصدرت وزارة الخارجيّة الأمريكيّة مذكّرة خاصة تطلب فيها من الرأي العام الأمركي مقاطعة الوفد الثقافي السوفياتي ، الذى شُجب أعضاؤه على أنّهم " أناس خطرون للغاية و مريبون ".

و بينما كان قادة الحزب الشيوعي السوفياتي يدعون إلى " التعاون السوفياتي الأميركي " أرسلت الولايات المتّحدة الجاسوس بارجورن ليقوم بالتجسّس فى الإتّحاد السوفياتي . و لكن بعد أن هدّد كندي بأن نجاح صفقة القمح بين الولايات المتّحدة و الإتّحاد السوفياتي " يعتمد على جوّ معقول فى كلا البلدين " ، هذا الجوّ الذى وصفه بأنّه قد " تضرّر كثيرا بإعتقال بارجورن " ، بادرت الحكومة السوفياتيّة إلى إطلاق سراح الجاسوس الأميركي بسرعة بدون أي محاكمة ، بسبب " قلق كبار المسؤولين الأميركيّين على مصير بارجورن " ، أي على مصير جاسوس " أكّدت التحقيقات ... أنّه قد قام بنشاطات تجسّسيّة ضد الإتّحاد السوفياتي " .

هل كلّ هذه المظاهر ل " روح موسكو " ؟ إذا كان الأمر كذلك ، فإنّه لمحزن جدّا .

موسكو العاصمة الباهرة لأوّل قطر إشتراكي ، و الإسم المجيد الذى تعزّه الملايين العديدة من البشر فى العالم قاطبة منذ ثورة أكتوبر العظمى ! إنّ هذا الإسم يستخدمه الآن قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ليستروا ممارستهم القذرة للتواطئ مع المستعمِرين الأميركيّين . يا له من عار لم يسبق له مثيل !

كم من مرّة تفوّه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي بكلمات معسولة عن المستعمِرين الأميركيّين و إستجدوهم الحسنات ، و كم من مرّة صبّوا غضبهم على الأقطار و الأحزاب الشقيقة و قاموا بالضغط عليها ، و كم من الحيل و الأحابيل العديدة قاموا بها حيال الشعوب الثوريّة فى مختلف الأقطار ! لم يكن كلّ ذلك إلاّ من أجل إستجداء " الصداقة " و " الثقة " من الإستعمار الأميركي . و لكن بينما تذبل الزهور من عطش الحبّ ، يواصل الجدول القاسي القلب خريره غير عابئ . إنّ كلّ ما تلقاه قادة الحزب الشيوعي السوفياتي من المستعمِرين الأميركيّين هو الإهانة ثم الإهانة و الإهانة على الدوام !

بعض النصائح إلى قادة الحزب الشيوعي السوفياتي

هل حدث فى أيّة مناسبة خلال أيّام المقاومة القاسية للتدخّل الإستعماري المسلّح و وسط اللهيب المتأجّج للحرب الوطنيّة الكبرى ، تحت قيادة لينين و ستالين أن إنحنى الشعب السوفياتي العظيم أمام المصاعب ؟ وهل ركع مرّة واحدة أمام العدوّ؟ و اليوم ، قد أصبح الوضع العالمي أكثر ما يكون مؤاتاة للثورة ، و الإشتراكية أكثر منعة من أي وقت مضى ، و لم يكن الإستعمار ليواجه أبدا مثل هذه المصاعب ، و مع ذلك يا لها من صورة مخزية يرهب بها الإستعمار الأميركي أوّل دولة إشتراكية أسّسها لينين ، و يا لها من صورة مخزية يمتهن بها قادة الحزب الشيوعي السوفياتي المعسكر الإشتراكي ! هل من المعقول إذن لنا ، و لأيّ ماركسي لينيني ، أو شعب ثوريّ ألاّ يأسوا و يحزنوا لهذا ؟

و هنا نودّ أن نقدّم بعض النصائح المخلصة لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي .

إنّ لدي الولايات المتّحدة ، أشرس بلد إستعماري ، هدفا إستراتيجيّا جنونيّا هو السيطرة على العالم ، فهي تقمع النضالات الثوريّة التى تخوضها الشعوب و الأمم المضطهَدَة بشكل مسعور ، و قد أعلنت صراحة عن نيّتها بإعادة أوروبا الشرقيّة إلى ما يسمى ب " المجموعة العالميّة للأمم الحرّة " ، فكيف لكم أن تتصوّروا أن أقسى ضربات المستعمِرين الأميركيّين خلال متابعتهم خطّطهم العدوانية للسيطرة على العالم بأسره ستنزل على رؤوس الآخرين فقط ، و ليس على رأس الإتّحاد السوفياتي ؟

إنّ الولايات المتّحدة بلد إستعماري ، و الإتّحاد السوفياتي بلد إشتراكي . فكيف يمكنكم أن تتوقّعوا " تعاونا شاملا " بين بلدين لهما نظامان إجتماعيّان مختلفان تماما ؟

إنّ هناك خداعا و تنافسا حتى بين الولايات المتّحدة و الدول الإستعماريّة الأخرى ، و لن تقنع الولايات المتّحدة إلاّ بعد أن تدوس هذه الدول بالأقدام . فكيف يمكنكم إذن أن تتصوّروا أنّ الولايات المتّحدة الإستعماريّة ستعيش فى وئام مع الإتحاد السوفياتي الإشتراكي ؟

أيّها الرفاق قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ! فكّروا فى الأمر مليّا بحكمة و رويّة . هل يمكن الإعتماد على الإستعمار الأميركي عندما تهب العاصفة فى العالم ؟ لا ! إنّ المستعمِرين الأميركيّين لا يُعتمد عليهم ، شأنهم شأن كلّ المستعمِرين و الرجعيّين . إنّ الحلفاء الذين يعتمد الإتّحاد السوفياتي عليهم هم فقط بلدان المعسكر الإشتراكي الشقيقة ، و الأحزاب الماركسية اللينينية الشقيقة ، و جميع الشعوب و الأمم المضطهَدَة .

إنّ قوانين التطوّر التاريخي تعمل مستقلّة عن إرادة أي شخص . و ليس من أحد يستطيع القضاء على المعسكر الإشتراكي و الحركة الثوريّة للشعوب و الأمم المضطهَدَة ، أو أن يمنعها من النموّ . إنّ الذى يخون شعوب المعسكر الإشتراكي و العالم ، و يحلم بالسيطرة على الكرة الأرضيّة ، بالتواطؤ مع الإستعمار الأميركي ، لا بدّ أن ينتهي إلى نهاية سيئة . و من الخطأ و الخطر جدّا لقادة الحزب الشيوعي السوفياتي أن يفعلوا ذلك .

إنّ الوقت لم يفت بعدُ على قادة الحزب الشيوعي السوفياتي ليكبحوا جماح أنفسهم على شفير الهاوية . لقد حان لهم الوقت لينبذوا خطّهم العام للتعايش السلمي و يعودوا إلى سياسة لينين للتعايش السلمي ، إلى طريق الماركسية اللينينية و الأمميّة البروليتارية .

الفصل السادس :

قراءة نقدية ل " إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية " الذى صاغه الحزب الشيوعي الصيني سنة 1963

(مجلّة " الثورة " ، سنة 1979)

قال ماو تسى تونغ فى ماي 1958 ، فى ملاحظاته الختامية للدورة الثانية للجنة المركزية التى إنتخبها المؤتمر الثامن للحزب : " **إرفعوا الراية الحمراء . إذا لم ترفعوها سيرفعها آخرون . إرفعوا الراية الحمراء على الجبال الكبيرة و الهضاب الصغيرة و فى الحقول و حيث لا توجد و إقتلعوا الراية البيضاء حيث وجدتموها . و يجب كذلك إقتلاع الرايات الرمادية من الجذور ... الرايات الرمادية رايات غير جيّدة لذا يجب إقتلاعها و من الجذور ... بعد النقاش ، ينبغى رفع الراية الحمراء على جميع الجبال الكبيرة و جميع الهضاب الصغيرة .** "

و بعد خمس سنوات من ذلك ، عبر دخان و رماد أعنف صراع حياة أو موت فى تاريخ الحركة الشيوعية رفع الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ الراية الحمراء على النطاق الأممي بنشر " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " التاريخي .

ظهر " **إقتراح** " فى 14 جوان 1963 فى شكل " رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ردّا على رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي المؤرّخة فى يوم 30 مارس / آذار عام 1963 " و مثّل حينها أرقى و أوضح صياغة للخطّ الماركسي - اللينيني بصدد المسائل الجوهرية التى كانت تواجه الثورة العالمية . كما مثّل نقدا عميقا لنظريّات خروتشوف التحريفية و تحليلا إستراتيجيّا للمهام الثورية الملقاة على عاتق شعوب العالم .

و لم يكن " **إقتراح** " إلى جانب جملة من المقالات الهامة الأخرى تلته و عمّقته دفاعا مستميتا عن الماركسية - اللينينية فقط بل كان كذلك إختراقا للهجمة التحريفية التى فتح لها المجال المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي فى 1956 . بفعل هجوم نيكيتا خروتشوف على جوزيف ستالين هجوما شرسا ، فى خطابه فى المؤتمر العشرين ، صار هذا المؤتمر سيئ الصيت . و لم يقتصر خروتشاف على السعي للنيل من سمعة ستالين و محو مساهماته بل بهجومه ذاك على ستالين كان يهاجم الماركسية - اللينينية برمّتها و التى كان ستالين رغم أخطائه الجدّية يمثّلها .

ما كان خطّ خروتشاف يجسّد مصالح البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي و عالميا و إنّما كان يجسّد مصالح البرجوازية السوفياتية الجديدة . فالبرنامج الذى رسمه فى المؤتمر العشرين برنامج إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي و الإستسلام أمام الإمبريالية العالمية .

و تحت قناع مهاجمة "عبادة فرد " ستالين ، نظم خروتشاف هجوما على نظريّة لينين حول دكتاتورية البروليتاريا . و هدفه الذى تحقّق بسرعة هو تحطيم دكتاتورية البروليتاريا و تعويضها بدكتاتورية البرجوازية .

و مدّعيا أن وجود الأسلحة النوويّة أفرز "مرحلة جديدة جوهريا " ، مرحلة أصبحت الحرب فيها غير واردة لأنّها ستعنى " تهوّر العنصر البشري " ، ذهب خروتشاف إلى التنديد بالحرب الثوريّة بإعتبارها "مغامراتيّة فجّة " و عملا غير مسؤول لأناس معتوهين و عمل يدفع نحو إبادة البشرية إبادة حراريّة نوويّة . و مدّعيا أن أطروحات اللينينية بشأن ضرورة العنف

الثوري " قد عفا عليها الزمن " ، روّج خروتشاف لنظرية " جديدة " هي نظرية " التحوّل السلمي إلى الإشتراكية " ، طريق النهج البرلماني و هذا لا يعدو كونه تجديد للفكر اليميني الذى عبّر عنه من قبل إنتهازيو الأممية الثانية .

و زعم خروتشاف بما أنّه ما عاد ممكنا و لا مسموحا به للمضطهَدين أن يرفعوا السلاح فى وجه مضطهِديهم ، سيتقرّر الصراع بين الرأسمالية و الإشتراكية عبر " المنافسة السلمية " بين الإتّحاد السوفياتي و الولايات المتّحدة فى المجال الإقتصادي ، وأنّه ، فى الوقت نفسه ، ستُحلّ جميع مشاكل العالم بإتّفاقيات بين الإتحاد السوفياتي و بين ما أسماهم بالإمبرياليين " الأكثر تعقّلا ".

و سعى خروتشاف إلى طرد الثوريّين الحقيقيّين من الحزب الشيوعي السوفياتي و كذلك إلى تحويل الحزب إلى أداة سلطة برجوازية فى الإتحاد السوفياتي . و كان يأمل أن يلحق مصالح الطبقة العاملة العالمية بتطلّعات السوفيات كقوّة عظمى وأن يفرض خطّه المعادي للثورة و الإستسلامي أمام الإمبريالية على الحركة الشيوعية العالمية بأسرها . و رمى خروتشاف و أتباعه المعادين للثورة عبر العالم إلى إدخال الماركسية فى داموس مظلم و لفترة ربّما تخيّلوا أنّه بإمكانهم إطفاء شعلة الثورة من على وجه الأرض و إلى الأبد .

إثر هذا الصراع المرير ، بروز الماركسية ـ اللينينية أكثر تألّقا و صلابة من أي وقت مضى غير مفاجئ ، بل حتميّ . حيث لم يمثّل " **إقتراح** " خطوة إلى الوراء ، إلى " زمن أسعد " ، زمن ستالين ، بل أيضا خطوة إلى الأمام . فى جوهره ، كان رفع الراية الحمراء هذا نداءا للسلاح ، نداءا إستجاب له الشيوعيّون الحقيقيّون عبر العالم قاطبة . لقد كان خطّة صراع إستراتيجية لخوض النضال الثوري ضد الإمبريالية و أرسى أسس حركة شيوعية عالميّة متّحدة حول " خطّ عام ... لشنّ النضالات الثورية بحزم من قبل شعوب مختلف البلدان و للسير بالثورة البروليتارية العالمية إلى النهاية ."(" **إقتراح** ..." ، صفحة 5 ، دار النشر باللغات الأجنبية ، الطبعة العربية) .

و فضلا عن كون " **إقتراح** ..." دافع عن الماركسية ـ اللينينية متصدّيا للتحريفية الخروتشافية ، فإنه عمّق الإيديولوجيا البروليتارية . لقد رفع راية نضالات التحرّر الوطني التى كانت تزلزل آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية و دعمها ، و فى نفس الوقت ، أشار إلى الحاجة إلى أن تقود البروليتاريا هذه النضالات لتتمكّن من الظفر و لتمضي قدما صوب الإشتراكية . و أكّد على الخطّ اللينيني بصدد الحرب و الثورة معلنا مساندته لحقّ الطبقات المستغَلة و واجبها فى إستعمال العنف ضد مستغِلِيها و داحضا الرؤى القائلة بأنّ على الجماهير بكلّ بساطة أن تجثم و تنبطح أمام الترسنات النوويّة للقوى العظمى .

و نادى إلى إعادة إنشاء الأحزاب الماركسية ـ اللينينية فى البلدان حيث حطّمت التحريفية حزب الطبقة العاملة . و فضح الإصلاحيّة المستشرية و ندّد بها و بالذيليّة و بشوفينيّة الأمم الكبرى التى تجلّت لدي الأحزاب التحريفية فى البلدان الرأسمالية و شدّد على أنّه يجب على الشيوعيّين فى البلدان الرأسمالية أن" يعلّموا الجماهير بروح ثورية ماركسية ـ لينينية، ويرفعوا دون إنقطاع وعيها السياسي و يضطلعوا بالواجب التاريخي للثورة البروليتارية " .

و أدّت الصراعات الكبرى التى إستغرقت وقتا طويلا إلى تلخيص التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا و دروس إعادة تركيز الرأسمالية التى كانت تتعزّز فى الإتحاد السوفياتي فشكّلت الدروس المستخلصة ركائزا نظرية للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى ستكتسح الصين بعد بضعة سنوات .

بإيجاز ، يعدّ " **إقتراح**..." تلخيصا علميّا لصراع الخطين الذى كان دائرا فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية و تحديدا لطريق الثورة الذى حاول التحريفيّون إهالة التراب عليه .

و اليوم مرّت 16 سنة على نشر " **إقتراح** ..." و كانت سنوات مليئة أحداثا و صار الوضع العالمي بأسره و وضع الحركة الشيوعيّة العالميّة مغايرا نوعيا . بيد أن الشيوعيّين الثوريّين فى يومنا هذا يتّفقون على الأقلّ ، مع شيوعيّى 1963 على أنّنا نتاج الأزمة الحادّة فى صفوف الحركة الثورية العالمية (و يعزى هذا ، هذه المرّة ، إلى الإنقلاب التحريفي الذى ركّز مؤقتا الثورة المضادة على عرش الصين) ، و الوضع العالمي وضع حرج (و مردّ ذلك اليوم تفاقم الأزمة الإمبريالية و الأفق الداكن لإمكانيّة حرب عالمية ثالثة) و ينطوى إلى ذلك على تطوّرات بإتجاه الثورة [...] وقد تعلّمنا من ماو تسى تونغ

و من الشيوعيّين الحقيقيّين عبر العالم ، نحن الشيوعيّون مصمّمون على إلحاق الهزيمة بالتحريفيّة و توحيد صفوفنا و رفع الراية الحمراء عاليا و تجميع الجماهير تحت هذه الراية لكي ننهض و ننجز الثورة و نواصلها حتى القضاء النهائي على الإمبريالية و جميع الأنظمة الإستغلاليّة و الإنتصار التام للشيوعيّة فى العالم قاطبة و بناء عالم جديد للإنسانية .

أوجه الشبه و أوجه الإختلاف بين وضعي 1963 و 1979 كلاهما يدفعاننا لدراسة المساهمات النظرية ل " **إقتراح** ..." و نقائصه و تحليلها على ضوء المراكمة مذّاك . و هدف هذا المقال هو الخوض فى هذه المسائل . [...]

قضية المعسكر الإشتراكي و الثورة العالمية :

نقطة إنطلاق " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " هي " التحليل الطبقي المحدّد للسياسات و الإقتصاديّات العالمية ككلّ و لواقع الظروف العالمية ، و يعنى ذلك التحليل الطبقي المحدّد للتناقضات الأساسيّة فى العالم المعاصر . " (صفحة 6) .

و هو يشنّ قتالا ضد الخطّ التحريفي الذى سعى إلى القضاء على كلّ التناقضات بإستثناء التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإمبريالي (و واقعيّا ، القضاء على هذا التناقض أيضا من خلال نظرية " التعايش السلمي ") ، حدّد " **إقتراح** ..." أربعة تناقضات أساسية هي :
- التناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإمبريالي ،
- التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى البلدان الرأسمالية ،
- التناقض بين الأمم المضطهَدة و الإمبريالية ،
- و التناقض فيما بين البلدان الإمبريالية و فيما بين الجماعات الرأسمالية الإحتكارية .

عالج " **إقتراح** " مطوّلا مسألة كيفيّة تقييم " المعسكر الإشتراكي " و أهمّيته التاريخية و كذلك دوره . و قد عارض بشدّة " الرأي الذى يمحو المحتوى الطبقي للتناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإمبريالي و لا ينظر إلى هذا التناقض بإعتباره تناقضا بين دول تحت ديكتاتورية البروليتاريا و دول تحت ديكتاتورية الرأسماليين الإحتكاريين " (ص 7) . و قد إستعمل هذا قاعدة للهجوم على الخط الذى يقضى على التناقضات الطبقية و الصراع الطبقي قضاء تاما .

و دحض " **إقتراح** " " الرأي الذى يعترف فقط بالتناقض بين المعسكرين الإشتراكي و الإمبريالي بينما يهمل أو يقلّل من أهمّية التناقضات بين البروليتاريا فى العالم الرأسمالي، و بين الأمم المضطهَدة و الإمبريالية ، و فيما بين البلدان الإمبريالية، و فيما بين الجماعات الرأسمالية الإحتكارية ، و النضالات التى تثيرها هذه التناقضات " و " الرأي القائل بأن التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى العالم الرأسمالي يمكن أن يحلّ بدون ثورة بروليتارية فى كل بلد من البلدان ، و بأن التناقض بين الأمم المضطهَدة و الإمبريالية يمكن أن يحلّ بدون ثورة من قبل الأمم المضطهَدة " و " الرأي الذى ينكر أن تطوّر التناقضات الكامنة فى العالم الرأسمالي المعاصر لا بدّ أن يؤدى إلى وضع جديد تنجر فيه البلدان الإمبريالية إلى صراع حاد ..." و " الرأي القائل بأنّ التناقض بين النظامين العالميّين الإشتراكي و الرأسمالي سوف يختفى بصورة أوتوماتيكيّة خلال " المباراة الإقتصادية " و بأن التناقضات الأساسيّة الأخرى فى العالم ستتلاشى بصورة أوتوماتيكية أيضا مع تلاشى التناقض بين هذين النظامين و بأن "عالما لا حروب فيه " و عالما جديدا يتصف ب " التعاون فى جميع الوجوه " سيظهر إلى الوجود ."(ص7- 8)

جوهريّا ، لم يدحض " **إقتراح** " الرأي القائل بأنّ التناقض **الوحيد** فى العالم هو التناقض بين الإمبريالية و المعسكر الإشتراكي فقط ، بل دحض كذلك الرأي القائل بأن التناقض بين المعسكرين هو **الأحدّ** ، أو التناقض الرئيسي فى العالم . وهو يدافع عن التغيّر الجوهري فى ميزان القوى منذ الحرب العالميّة الثانية ، أكّد " **إقتراح** " :

" و الدلالة الرئيسية على هذا التغيّر هي أنّ العالم الآن لم يعد عالما فيه بلد إشتراكي واحد فقط بل ظهر فيه عدد من البلدان الإشتراكية التى تشكّل المعسكر الإشتراكي الجبّار ، و أنّ الشعوب التى إتّخذت طريق الإشتراكية الآن لم يعد تعدادها قرابة مائتي مليون نسمة بل بلغ ألف مليون أو ثلث سكان العالم ." (ص 8-9).

عقب ذلك أشار إلى أن " المعسكر الإشتراكي هو وليد نضالات البروليتاريا العالمية و شغّيلة العالم و أنّه ملك لشعوب البلدان الإشتراكية كما هو ملك للبروليتاريا العالمية و شغيلة العالم . " و لهذا مغزى عظيم لأنّ المسألة هي أن البلدان الإشتراكية التى أفرزها النضال الثوري للطبقة العاملة العالميّة ، يجب أن تعوّل جوهريّا على الطبقة العاملة و ليس العكس أي لا يجب أن تعوّل الطبقة العاملة العالمية على البلدان الإشتراكية . و لهذا تقدّم مهام المعسكر الإشتراكي ك " مطالب " عمّال و شعوب العالم المضطهَدة :

" إن المطالب المشتركة لدى شعوب بلدان المعسكر الإشتراكي و البروليتاريا العالمية و شغّيلة العالم هي فى الأساس أنّه يجب على الأحزاب الشيوعية و العمّالية فى المعسكر الإشتراكي
أن تلتزم بالخط الماركسي - اللينيني و تتّبع سياسات ماركسية – لينينية صحيحة فى الداخل و الخارج ،
أن تدعم ديكتاتوريّة البروليتاريا ...
أن تطوّر روح المبادرة و الخلق لدى الجماهير الشعبية الغفيرة ...
أن تدعم وحدة المعسكر الإشتراكي على أساس الماركسية - اللينينية ...
أن تساعد النضالات الثوريّة التى تخوضها الطبقات و الأمم المضطهَدة فى العالم بأسره ...". (ص 9-10)

و ينهى " **إقتراح** " هذه الفقرة ب " بإنجاز هذه المطالب فإن المعسكر الإشتراكي سيؤثّر تأثيرا حاسما فى تقدّم التاريخ البشري ."

و اليوم مسألة دور " المعسكر الإشتراكي " مسألة غاية فى الأهمّية ، بالتحديد لأنّ الأحداث منذ 1963 أتت بالقضاء على المعسكر الإشتراكي و يعود ذلك بالأساس إلى التحوّل التام للإتحاد السوفياتي إلى قوّة إمبريالية إشتراكية مرتبطة بمجموعة من الدول الدائرة فى فلكها . و إلى ذلك أمست الصين ذاتها تحت سيطرة الرجعيّين بعدُ بحكم إنقلاب تحريفي فى أكتوبر 1976 . و ليس صحيحا و لا مفيدا أن نعمل على إعادة تحديد مفهوم " المعسكر الإشتراكي " لينطوي لا فقط على البلدان الإشتراكية فحسب بل أيضا نضالات الطبقة العاملة من أجل الإشتراكية فى كافة البلدان . فمثل هذا التعليل الذى يقول إنّ " المعسكر الإشتراكي " يوجد حتى و إن إقتصر على بلد صغير (و حتى بالنسبة لهذا المنطق ، على لا بلد بالمرّة) يجعل " المعسكر الإشتراكي " مفهوما أكثر منه تعبيرا عن واقع سياسي عالمي ملموس .

ما الذى يعنيه غياب معسكر إشتراكي بالنسبة للنضال العالمي ؟ من الواضح الجليّ أنّ خسارة هذه القواعد القويّة لسلطة البروليتاريا تمثّل ريحا حارّة لفحت قضية الثورة العالمية و كانت خسارة الصين مؤلمة بصفة خاصة بما أن ماو تسى تونغ قاد الشعب الصيني عبر عديد المعارك البطولية للحيلولة بالضبط دون مثل إعادة تركيز الرأسمالية هذه . و مع ذلك هل يمكن القول إنذ هذه الهزائم على أهمّيتها ، تعنى أن "ميزان القوى " الآن فى العالم هو كليّا لصالح الإمبريالية ، و أنّه ليس هنالك حصن يمكن التعويل عليه لمنع النهب و الإستغلال الإمبرياليين الشاملين ، و أنّ قضية الثورة تعرّضت لمثل هذا التراجع المتهادى و أن مسألة إسترجاع الأنفاس مسألة مستقبليّة بعيدة ؟

كلاّ مطلقا . من الواضح أن الخسارة المؤقتة لسلطة البروليتاريا فى جملة من البلدان لم تضع حدّا لتعمّق أزمة الإمبريالية العالمية فبالفعل تقترب هذه الأزمة الآن من نقطة حادّة . و لم تفلح هذه التراجعات المؤقتة فى إشفاء غليل تطلّع الجماهير إلى الثورة [...] .

و لا يمكن كذلك قول إنّ صفوف الشيوعيّين فى العالم شهدت إنحلالا بفعل هذه الترجعات فبالعكس ، إستخدم الإنقلاب المعادى للثورة فى الصين لتعزيز النضال ضد الإنتهازية و توجيه ضربات لكل التيّارات الإنتهازيّة فى وضح النهار . ورغم الإضطراب الكبير فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، صارت صفوف الماركسيين - اللينينيّين الحقيقيّين مرصوصة و وطيدة فى وجه هذه الصعاب ، و فى الوقت نفسه يعدّ الشيوعيّون الحقيقيّون بحزم و عزم للإعصارات الثوريّة القادمة بتفاؤل لا يتزعزع .

فى الأخير ، و لو أنّ البروليتاريا فقدت مؤقتا سلطة الدولة فى عدد من البلدان ، فإن الثوريّين الواعين طبقيّا لم يفقدوا الدروس الثمينة إلى حدّ لا يصدق و تجربة الثورات فى تلك البلدان و أضحى فهم معنى مواصلة الثورة فى ظل دكتاتوريّة البروليتاريا أعمق بصفة غير محدودة بفضل بالخصوص مساهمات ماو تسى تونغ الذى لخّص بطريقة مفهومة تجربة الصراع الطبقي فى الإتحاد السوفياتي و الذى قاد الجماهير الصينيّة لترتقى بوعيها إلى درجات جديدة أثناء الثورة الثقافية .

و بالتالى ماذا تبقى بعد القضاء على المعسكر الإشتراكي ؟ تبقى رئيسيا ذات القوة العاتية التى كانت وراء نشأة المعسكر الإشتراكي : البروليتاريا العالمية إلى جانب حلفائها الموثوق بهم ، شعوب العالم المضطهَدة و لكن الآن أكثر إستعدادا لتحقيق إنتصارات حتى أكثر إثارة فى المستقبل . و فى هذا النضال العظيم تظل المبادئ الأساسية ل " **إقتراح** " راية حمراء خفاقة و منارة و خطّ مرشد .

<u>نضالات التحرر الوطني :</u>

من أعظم مساهمات " **إقتراح** " مقاربته لنضالات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية حيث لم يقم بإعلاء أهمّيتها بالنسبة لحركة الثورة العالمية فى وجه التراجع التدريجي لخروتشاف و خيانته فحسب بل قدّم أيضا التوجّه الصحيح لقيادة الثورة الديمقراطية الجديدة نحو الثورة الإشتراكية .

مؤكدا على الحاجة إلى القيادة البروليتارية للنضال الثوري فى هذه البلدان ، أعرب " **إقتراح** " عن :

" إنّ التاريخ ألقى على عواتق الأحزاب البروليتارية فى هذه المناطق رسالة مجيدة هي أن ترفع عاليا راية معارضة الإمبريالية و معارضة الحكم الإستعماري القديم و الجديد و تحقيق الإستقلال الوطني و الديمقراطية الشعبية ، و أن تقف فى مقدّمة الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية ، و أن تكافح من أجل مستقبل إشتراكي ...
على البروليتاريا و حزبها أن يثقا بقوّة الجماهير الشعبية و ان يتّحدا قبل كل شيء مع الفلاّحين و أن يؤسسا تحالفا وطيدا بين العمّال و الفلاحين . و ممّا هو ذو أهمّية من الدرجة الأولى بالنسبة للأفراد الطليعيّين من البروليتاريا أن يعملوا فى مناطق الريف ...
و ينبغى للبروليتاريا و حزبها أن يوحّدا على أساس التحالف بين العمّال و الفلاّحين جميع الفئات التى يمكن توحيدها و أن ينظّما جبهة متّحدة واسعة ضد الإستعمار و أتباعه . و من أجل تعزيز و توسيع هذه الجبهة المتّحدة من الضروري أن يحتفظ الحزب البروليتاري بإستقلاله الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي و أن يصرّ على قيادة الثورة . " (ص 17-18)

و فى إطار ردّه على كذب خروتشاف القائل بأن تحقيق الإستقلال الوطني وحده يمثّل هزيمة واضحة للإمبريالية ، أشار " **إقتراح** " إلى أن :

" إن البلدان الوطنية التى كسبت إستقلالها السياسي حديثا لا تزال تواجه المهمّات الشاقة لتوطيد الإستقلال السياسي ، و تصفية القوى الإستعمارية و الرجعيّة المحليّة ، و إنجاز الإصلاح الزراعي و الإصلاحات الإجتماعية الأخرى، و تطوير إقتصادها الوطني و ثقافتها الوطنية . إنه لذو أهمّية عمليّة و حاسمة بالنسبة لهذه البلدان أن تكون على حذر و تحارب سياسات الحكم الإستعماري الجديد التى يسير عليها الحكّام المستعمرون القدامى للحفاظ على مصالحهم و خاصة عليها أن تحذر و تحارب الحكم الإستعماري الجديد الأمريكي ." (ص 18)

مع تشديده على قيادة البروليتاريا للثورة الوطنية الديمقراطية ، حلّل " إقتراح " كذلك جدليّا الطبيعة المزدوجة للبرجوازية الوطنية فى تلك البلدان . و لفت النظر إلى ضرورة الإتّحاد مع كافة القوى البرجوازية الوطنية فى النضال ضد الإمبريالية وأيضا إلى التوجّه المتصاعد للبرجوازية و خاصة البرجوازية الكبيرة إلى التخندق ضد الثورة عند تقدّم الصراع الطبقي و إحتداده .

" فى بعض هذه البلدان تواصل البرجوازية المحلّية الوطنية الوقوف بجانب جماهير الشعب فى النضال ضد الإمبريالية و الحكم الإستعماري ، و تتّخذ إجراءات معيّنة فى صالح التقدّم الإجتماعي . و هذا يتطلّب من الحزب البروليتاري أن يقدّر الدور التقدّمي الذى تلعبه البرجوازية المحلّية الوطنية تقديرا وافيا و أن يعزّز الإتّحاد معها .

بازدياد حدّة التناقضات الإجتماعية الداخلية و الصراع الطبقي العالمي أخذ البرجوازيّون و خاصة البرجوازيّون الكبار فى بعض البلدان المستقلّة حديثا يميلون إلى الإستعمار أكثر فأكثر ، و يعتمدون عليه ، و يتّبعون سياسات معادية للشعب و الشيوعية و الثورة . و هذا يتطلّب من الحزب البروليتاري أن يعارض بحزم هذه السياسات الرجعية .

و إن البرجوازية بصفة عامة فى هذه البلدان ذات طبيعة مزدوجة . فعندما يجرى تشكيل الجبهة المتّحدة مع البرجوازية ينبغى للحزب البروليتاري أن يتّبع سياسة الإتّحاد و النضال [الوحدة و الصراع] فى آن واحد . و ينبغى أن يتّبع سياسة الإتّحاد مع البرجوازية طالما كانت تميل نحو التقدّمية و معادية للإمبريالية و الإقطاع ، و لكن ينبغى أن ينتهج سياسة النضال ضد ميولها الرجعيّة ، ميول المصالحة و التواطء مع الإمبريالية و القوى الإقطاعية ...

و إذا أصبحت البروليتاريا ذيلا للإقطاعيين و البرجوازيين فى الثورة ، فإنّه لا يمكن أن تحقّق نصرا حقيقيا كاملا للثورة الوطنية الديمقراطية بل و حتى إذا تحقّق نوع من النصر فإنّه من غير الممكن أيضا أو يوطّد ذلك النصر ." (ص 19-20)

و هذه المسائل لا تكتسى أهمية بالنسبة لشيوعيى الشعوب و الأمم المضطهَدة و حسب و إنّما هي مهمّة لكافة شيوعيى العالم و لقضية البروليتاريا العالمية بأكملها :

" لذلك فإن النضالات الثوريّة المعادية للإمبريالية التى تخوضها شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ليست قطعا أمرا ذا مغزى إقليمي و لكنّها أمر ذو أهمّية عامة بالنسبة إلى قضية الثورة البروليتارية العالمية بأكملها " . (ص 15)

" إن أشخاصا معيّنين فى صفو ف الحركة الشيوعية العالمية يذهبون الآن إلى إتّخاذ موقف سلبي أو موقف الإزدراء أو موقف الإنكار تجاه نضالات الأمم المضطهَدة من أجل التحرّر . و هم فى الحقيقة يحمون مصالح الطبقة الرأسمالية الإحتكارية و يخونون مصالح البروليتاريا و ينحطّون فيصبحون إشتراكيين - ديمقراطيين . " (ص 16)

و إسترسل "الإقتراح " ليؤكد أنّ :

" الموقف الذى يُتّخذ تجاه النضالات الثوريّة لدى الشعوب فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية هو مقياس هام لتمييز الذين يريدون الثورة عمّن لا يريدونها ..." (16-17) .

حينها كان الحزب الشيوعي السوفياتي و الأحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية قد تفسّخوا كلّيا و إستحالوا أحزابا تمارس شوفينيّة الأمة الكبرى الأكثر إفتضاحا وهذا وثيق الإرتباط بتفسّخهم التام و تحوّلهم إلى خدمة البرجوازية ، عادة على شكل محامين صغار عن المصالح الخاصة للأرستقراطية العمّالية . و كان لزاما على " **إقتراح** " أن ينشر الخطّ الثوري لقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية المناهضة للإمبريالية نحو الإنتصار و كذلك أن يفضح الخط التحريفي الذى أراد أن يتجاهل و فعلا أن يقضي على هذه النضالات . و فى تحليله للمهام الثورية فى البلدان الرأسمالية مثلما سنرى ، يبرز " **إقتراح** " تراجع الخط التحريفي عن مساندة نضالات التحرّر الوطني وهو خطّ متلازم مع خطّ الإستسلام العام أمام البرجوازية الإمبريالية .

<u>" حتى فى الأيّام العادية " :</u>

و تعرّض " إقتراح " بالنقاش للنظريّات السخيفة عن " التحوّل السلمي إلى الإشتراكية " و التيّار الإشتراكي الديمقراطي فى صفوف الأحزاب السياسية فى البلدان المتقدّمة ، مؤكدا على أن :

" فى البلدان الإمبريالية و الرأسمالية فإنّ الثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا هما ضروريّتان لحل تناقضات المجتمع الرأسمالي حلا كاملا ...
و أثناء قيادة النضالات المباشرة قيادة فعّالة ، ينبغى للشيوعيين فى البلدان الرأسمالية أن يربطوا هذه النضالات بالنضال من أجل المصالح الطويلة الأمد و العامة ، و يعلموا الجماهير بروح ثورية ماركسية - لينينية ، و يرفعوا دون إنقطاع وعيها السياسي و يضطلعوا بالواجب التاريخي للثورة البروليتارية . و إن لم يفعلوا ذلك ، و إن إعتبروا الحركة المباشرة كل شيء و حدّدوا تصرفاتهم تبعا لكل حالة منفردة و حصروا أنفسهم فى الأحداث اليومية و ضحوا بمصالح البروليتاريا الأساسية ، فإنّ ذلك هو الإشتراكية الديمقراطية قلبا و قالبا ..." (ص20-22) .

" و حتى فى الأيّام العادية عندما يقود الحزب البروليتاري الجماهير للقيام بالنضال اليومي ، عليه أن يعدّ و يحضر صفوفه و الجماهير الشعبية إيديولوجيا و سياسيا و تنظيميا من أجل الثورة و يدفع النضالات الثورية حتى لا تفوته الفرصة لقلب سلطة الرجعية و إقامة سلطة دولة جديدة عندما تكون ظروف الثورة ناضجة . " (ص 27)

لا نبالغ إن قلنا أن هذه لم تكن فقط حقائق عميقة فى 1963 وضعت فى وجه التحريفية العالمية " الكلّية القوّة " فهي تبقى عميقة و غاية فى تعليمنا اليوم و تصلح كمعيار حسبه يمكن بصفة مضبوطة أن يقيّم حزب فى البلدان الرأسمالية المتقدمة نشاطه .

و يحذّر " **إقتراح** " من تيّار الوقوع فى القنوط و الإستسلام الإصلاحي بسبب القوة المؤقتة للبرجوازية :

" و مهما كانت الظروف صعبة و كيفما كانت التضحيات جمّة و الفشل الذى قد تتكبّده الثورة كبيرا ، فإنّه يجب على الثوريين البروليتاريين أن يُعلّموا الجماهير بروح الثورة ، و أن يرفعوا عاليا راية الثورة ، لا أن يتخلّوا عنها . "(ص 27)

ثم يدين أيضا التخلّى عن " السياسات القائمة على المبدأ و عن هدف الثورة بحجّة المرونة و المساومات الضرورية " (ص 28) . و ينقد " **إقتراح** " بعمق التوجّه الراسخ نحو الإصلاحية و المرحليّة الذى أثّر (و لا يزال يؤثّر) لا فقط أكثر فأكثر فى الأحزاب التحريفية بل حتى فى أحزاب و تنظيمات ماركسية - لينينية بالأساس ، لا سيما فى البلدان المتقدمة ...

كان ثمة عادة إعتبار " الثورة " كشيء غيبي ، فى مستقبل غير محدّد ، غاضين النظر عن العناصر الثورية فى الوضع غير الثوري و بالتالي الدفع نحو تركيز الأساسي من مجمل قوّة الطبقة العاملة على النضال " الظرفي " أو على أشياء تعد بنتائج " ملموسة " . لقد تمّ التقليص من قيمة و أهمّية القيام بتحريض و دعاية جسورين و واسعين (" تعليم الجماهير بروح ثورية ماركسية - لينينية ") .

" يجب على الحزب البروليتاري أن يركّز على العمل الشاق ، عمل تجميع القوّة الثوريّة حتى يكون على إستعداد لإنتزاع النصر عندما تنضج الشروط للثورة ، أو لتسديد ضربات قويّة إلى المستعمرين و الرجعيّين عندما يشنّون هجوما مفاجئا أو هجوما مسلّحا .
و إذا لم ينجز الحزب البروليتاري هذه الإعدادات فإنّه سيشلّ الإرادة الثوريّة لدى البروليتريا و يجرّد نفسه من السلاح إيديولوجيا و يقع فى حالة سلبية تماما هي عدم الإستعداد من الناحية السياسية و التنظيمية ، و الأمر الذى يؤدى إلى دفن قضية الثورة البروليتارية . " (ص 25-26) .

منذ زمن لينين لم تقدّم الحقيقة الساطعة لإفرازات فشل الحزب فى إنجاز هذا الإعداد الثوري بهذه البلاغة . ففى مقاله " **بصدد مهمات الأممية الثالثة** " (1919) تطرّق لينين كذلك إلى تلخيص نضال عظيم ضد الإنتهازية و إلى إعادة التأكيد على المبادئ الثورية التى يجب أن تقود الحزب الثوري . و كلماته على طولها تستحقّ الإستشهاد بها هنا لأن لقاء الأفكار بيّن :
" و لأجل التغلّب فعلا على الإنتهازية ، التى أدّت إلى موت الأمميّة الثانية بخزي و عار ، لأجل تقديم العون بالفعل إلى الثورة التى يضطر إلى الإعتراف بإقترابها **حتى** رمسي ماكدونالد ، يجب :

أولا ، القيام بكل الدعاية و التحريض من وجهة نظر الثورة خلافا للإصلاحات و توضيح هذا الخلاف للجماهير بدأب و إنتظام ، على الصعيدين النظري و العملي سواء بسواء ، لدى كل خطوة من العمل البرلماني و المهنى و التعاوني ، إلخ ..عدم الإمتناع فى أي حال من الأحوال (ما عدا الحالات الخاصة ، و من باب الإستثناء) عن الإستفادة من البرلمانية و جميع " حريات " الديمقراطية البرجوازية ، عدم الإمتناع عن الإصلاحات ، و لكن إعتبارها **نتيجة ثانوية فقط** لنضال البروليتاريا الطبقي الثوري . و ما من حزب من أحزاب أمميّة " برن " يلبّى هذا المطلب . و ما من حزب منها يبيّن حتى أنّه يفهم كيف يجب القيام **بكلّ** الدعاية و التحريض ، بإيضاح **الفرق** بين الإصلاحات و الثورة ، و كيف يجب تربية الحزب و الجماهير على السواء بدأب و **مثابرة من أجل القيام بالثورة** .

ثانيا ، يجب الجمع بين العمل الشرعي و العمل **غير الشرعي** ، بين العمل العلني و العمل **السري .** و هذا ما علّمه البلاشفة دائما و بإلحاح خاص فى زمن حرب 1914-1918 . و على هذا ضحك أبطال الإنتهازية الخسيسة ، مادحين برضى عن النفس " الشرعية " و " الديمقراطية " و " الحرّية " فى البلدان و الجمهوريات و خلافها فى أوروبا الغربية . أمّا الآن فلا يمكن لغير المحتالين السافرين الذين يخدعون العمّال بالجمل الفارغة أن ينكروا أنّ البلاشفة كانوا على حقّ . و ما من بلد فى العالم ، و ما من جمهورية من أكثر الجمهوريات البرجوازية تقدّما و أوفرها حرّية لم يسد فيها إرهاب البرجوازية ، و لم تمنع فيها حرّية التحريض من أجل الثورة الإشتراكية و الدعاية و العمل التنظيمي فى هذا الإتجاه بالذات . و إن الحزب الذى لم يعترف حتى الآن بهذا فى ظلّ سيادة البرجوازية و لا يقوم بالعمل **غير الشرعي** بصورة دائبة و منتظمة وفى جميع الميادين ، خلافا لقوانين البرجوازية و البرلمانات البرجوازية ، إنّما هو حزب خونة و لئام يخدعون الشعب بالإعتراف الشفوي بالثورة . إن مكان هذا النوع من الأحزاب هو فى الأممية الصفراء ، أممية " برن " . و لن يكون لها مكان فى الأمميّة الشيوعية . "(لينين ، المختارات ، المجلد 9 ، صفحة 118-119 ، دار التقدم ، الطبعة العربية)

و يسترسل لينين بعد ذلك ليسجّل :

" إنّ الظاهرة النموذجيّة الملازمة لأحزاب أمميّة " برن " هي نفاق ما بعده نفاق ، و نعنى بها : الإعتراف بالثورة قولا و التغندرأمام العمال بجمل فخمة بصدد إعترافها بالثورة ، و النظر فعلا نظرة إصلاحيّة صرفا إلى أجنّة ، شتلات ، مظاهر نموّ الثورة ، أي شتّى نضالات الجماهير التى تحطّم القوانين البرجوازية ، و التى تتخطّى كل شرعيّة ، مثلا ، الإضرابات الجماهيرية ، و المظاهرات فى الشوارع ، و إحتجاجات الجنود ، و الإجتماعات الحاشدة فى صفوف القوّات المسلّحة ، و توزيع المناشير فى الثكنات و فى المعسكرات ، و ما إلى ذلك .

و إذا سألنا أيّا من أبطال أمميّة " برن " عمّا إذا كان حزبه يقوم بمثل هذا العمل الدائب و المنتظم ، لأجابنا إمّا بجمل مراوغة تستر غياب هذا العمل - عدم وجود منظمات و جهاز لهذا العمل ، عجز حزبه على القيام به - و إمّا بإعلانات ضد " البوتشة " (إطلاق الومضات) ، ضد " الفوضوية " ، و ما إلى ذلك . و الحال هنا بالذات تكمن خيانة الطبقة العاملة من جانب أمميّة برن ، و إنتقالها الفعلي إلى معسكر البرجوازية " . (المصدر السابق ، صفحة 120) .

يمكن ملاحظة أن كلاّ من لينين و الحزب الشيوعي الصني بقيادة ماو تسى تونغ ، فى " **إقتراح** " يبيّنان أن التحريض و الدعاية الأوسع و الأقوى و الثوريين بصراحة مرتبطان إرتباطا جدليّا بمسألة الإعداد الكلي للوضع الثوري . و لئن قدّمنا فقط (أو أساسا) الإصلاحية إلى الجماهير و نحن مبتهجون بالحدود الضيّقة للقانونية ، فإن هذه الحدود مهما كانت ستضيق أثناء أزمة كبيرة و بالتالى فإنّنا لا نحتاج للإستعداد تنظيميا للعمل اللاقانوني . و ناحية أخرى ، مثل هذه الإستعدادات لازمة للثوريين الحقيقيين إن أرادوا مواصلة إنجاز مثل هذا التحريض و هذه الدعاية خلال حرب أو أزمة أخرى ، لا سيما متى تصبح ضرورة مثل هذا العمل الثوري ملحّة أكثر .

" من أجل قيادة البروليتاريا و الشغيلة الآخرين فى الثورة يجب على الأحزاب الماركسية - اللينينية أن تكون بارعة فى النضال بجميع أشكاله و أن تستبدل بسرعة شكلا بآخر عندما تتغيّر ظروف النضال . و لا يمكن لطليعة البروليتاريا أن تبقى مانعة لا تغلب فى جميع الظروف إلّا إذا برعت فى جميع أشكال النضال - السلمي و المسلّح ، العلني و السرّي ، الشرعي و غير الشرعي ، البرلماني و الجماهيري إلخ " (صفحة 23 من " **إقتراح** ...") .

و بخصوص التحوّل السلمي إلى الإشتراكية ، أكّد " **إقتراح** " على أنّه بينما يوافق على إمكانيّته نظريّا لبعض الأسباب التكتيكية غير أنه ألحّ على أنه " فى الواقع لم توجد بعد فى تاريخ العالم سابقة واحدة فى الإنتقال السلمي من الرأسمالية إلى الإشتراكية " (ص 24) و أن آفاق مثل هذه الإمكانية منعدمة تقريبا .
ويعدّ مضمون تحليل المهام الثورية التى تواجه العمّال المتقدّمين فى البلدان الرأسمالية الآن مثلما فى 1963 تأكيدا قويّا لمبادئ اللينينية و ضربة قاتلة للإنتهازية العالمية . و الفقرة الأخيرة من هذه الفقرة من " **إقتراح** " غنيّة للغاية بالمواد التى تستحقّ الدّراسة العميقة اليوم وهي مع وثيقة أخرى تطلق إنذار الخطر :

" لقد كسبت الحركة الشيوعية العالمية و حركة التحرر الوطني خلال السنوات القلائل الماضية كثيرا من التجارب و الدروس . و هناك تجارب تستحق تمجيد الناس ، و هناك تجارب تحزن الناس . و على الشيوعيين و الثوريين فى جميع البلدان أن يفكّروا و يدرسوا بجدّ هذه التجارب ، تجارب النجاح و تجارب الفشل ، حتى يستخلصوا من ذلك نتائج صحيحة و دروسا نافعة . "

<u>الإمبريالية الأمريكية ، " المنطقة الوسطى " و " نضالات التحرر الوطني " :</u>

نعت " **إقتراح** " المكتوب طبعا قبل الظهور التام للإتحاد السوفياتي كقوّة عظمى إمبريالية ، نعت الإمبريالية الأمريكية بالعدو الرئيسي لشعوب العالم و شرح أهدافها الإستراتيجية بالكلمات التالية :

" لقد حلّ الإمبرياليون الأمريكيّون بالإفادة من الوضع عقب الحرب العالمية الثانية محلّ الفاشست الألمانيين و الإيطاليين و اليابانيين و حاولوا إقامة إمبراطورية عالمية ضخمة لا مثيل لها من قبل . و كانت الأهداف الإستراتيجية للإمبريالية الأمريكية دائما هي العدوان و السيطرة على المنطقة الوسطى الواقعة بين الولايات المتّحدة و المعسكر الإشتراكي و إخماد ثورات الشعوب و الأمم المضطهَدة ، و السير للقضاء على البلدان الإشتراكية و وضع جميع الشعوب و البلدان فى العالم ، بما فيها حلفاء الولايات المتّحدة ، تحت إستعباد و سيطرة الرأسمال الإحتكاري الأميركي ."

فى وجه هذا ، شدّد " **إقتراح** " على أنّ البروليتاريا العالمية " يجب و يمكنها أو توحّد جميع القوى التى يمكن توحيدها و تستفيد من التناقضات الداخلية فى معسكر العدوّ و تؤسّس أوسع جبهة متّحدة ضد الإمبرياليين الأمريكيين و أتباعهم ." (ص 13) كما شدّد على أهمّية نضالات التحرّر الوطني فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية :

" إن مناطق آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية الواسعة هي المناطق التى تتجمّع فيها مختلف أنواع التناقضات فى العالم المعاصر ، والإمبريالية أضعف ما تكون سيطرة فى هذه المناطق ، وهي مراكز عواصف الثورة العالمية التى تسدّد الآن الضربات المباشرة للإمبريالية .

إن الحركة الوطنية الديمقراطية الثورية فى هذه المناطق و حركة الثورة الإشتراكية العالمية هما التيّاران التاريخيّان العظيمان فى عهدنا الحاضر .

إن الثورة الوطنية الديمقراطية فى هذه المناطق هي جزء هام من الثورة البروليتارية العالمية المعاصرة ...

لذلك و بمعنى خاص، فإن قضيّة الثورة البروليتارية العالمية برمّتها تدور على النضالات الثورية لدى شعوب هذه المناطق، التى تشكل الأغلبية العظمى من سكان العالم . " (ص 14)

و هو يهاجم بشدّة التحريفيين السوفيات لإنكارهم المغزى العالمي العظيم لنضالات التحرّر الوطني و لإتّخاذهم موقفا شوفينيّة الأمّة الكبيرة تجاهها ، نادى " **إقتراح** " إلى المساندة الصلبة لهذه النضالات الثورية ، و أشار إلى تأثيرها فى " تقويض أسس سيطرة الإمبريالية ". (ص 14)

و فضلا عن ذلك ، هاجم أولئك (السوفيات) الذين " يحاولون بكلّ ما فى وسعهم محو الخطّ الفاصل بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة و بين البلدان المضطهَدة و المضطهِدة و كبت النضالات الثورية لشعوب هذه المناطق ".(ص 15)

لقد مثّلت هذه المواقف ريحا سموما بالنسبة للتحريفية ترافقت مع نداء المعركة " ياعمّال العالم و شعوبه و أممه المضطهَدة إتّحدوا !" فى وقت كانت فيه نضالات التحرّر الوطني تشرف على نهوض جديد هام .

و اليوم ، الهجمات على ماوتسى تونغ ل " قوميته الضيقة " و حتى " عنصريته " إجابة على الخطّ الذى جسّده " **إقتراح** " فى دفاعه عن الدور المحوري للنضالات فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية بالنسبة للثورة العالمية و رفضه إعتبار البلدان المتقدّمة الأوروبية و أمريكا الشمالية محور الثورة البروليتارية العالمية الإشتراكية العالمية خلال فترة لم تكن فيها كذلك .
أطروحة " الجبهة المتّحدة ضد الإمبريالية الأمريكية و أتباعها " مثلما رسمها " **إقتراح** " ، تستحق مع ذلك دراسة متأنّية . فتحليل أهداف الإمبريالية الأمريكية المستشهد به أعلاه ، مثلا ، لفت النظر بطريقة صحيحة إلى أن الولايات المتّحدة الأمريكية كانت تبحث عن " وضع جميع الشعوب و البلدان فى العالم ، **بما فيها حلفاءها** ، تحت إستعبادها و سيطرتها " (التسطير من وضعنا) . و عن ذلك يترتّب الإستنتاج التالي :

" فى البلدان الرأسمالية التى تسيطرعليها الإمبريالية الأمريكية أو تحاول السيطرة عليها ، ينبغى على الطبقة العاملة و جماهير الشعوب أو توجّه هجومها بصورة رئيسية إلى الإمبريالية الأمريكية و أيضا إلى الطبقة الرأسمالية الإحتكارية و القوى الرجعيّة المحلّية الأخرى التى تخون المصالح الوطنية ". (ص 21)

تثير هذه الصيغة أسئلة عدّة ؛ أوّلها ، لماذا على الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية التى " تسيطر عليها " الولايات المتحدة أن توجّه هجومها بصورة رئيسية إلى الإمبريالية الأمريكية أكثر من توجيهها إلى طبقتهم الحاكمة ؟ و ثانيها ، ما هو المضمون الطبقي ، من وجهة نظر الطبقة العاملة فى تلك البلدان ، ل " خيانة المصالح الوطنية " من قبل الرأسماليين الإحتكاريين و القوى الرجعية لتلك البلدان ؟

من المؤكد أن " **إقتراح** " لا ينكر أنّ هنالك قوى إمبريالية أخرى خلافا للولايات المتحدة فهو بالفعل يتحدّث عن " التناقضات بين البلدان الإمبريالية " كتناقض من التناقضات الأربع الأساسيّة فى العالم . و فى مقال " **مزيدا حول إختلافاتنا مع الرفيق توغلياتي ...**" الذى أوضح عديد المحاور التى تناولها " **إقتراح** " ، تمّ تحليل مفصّل لتناقضات المعسكر الإمبريالي :

" بات تطوّر البلدان الرأسمالية المتقطّع أكثر جلاءا . بدأت بعض التطوّرات الجديدة للقوى الرأسمالية الفرنسية تتبلور بما فيه الكفاية لتقف فى وجه الولايات المتحدة . و إحتدّت أكثر التناقضات بين بريطانيا و الولايات المتحدة . بمساندة الولايات المتّحدة ، وقفت الأمم المنهزمة فى الحرب العالمية الثانية و تحديدا ألمانيا الغربية و إيطاليا و اليابان ، على أرجلها من جديد وهي تصارع ، بدرجات متفاوتة ، لتزعزع هيمنة الولايات المتحدة . و مجدّدا تبرز العسكرة فى ألمانيا الغربية و اليابان التى غدت من جديد دلو حرب . قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت ألمانيا و اليابان العدوان الأساسيّان للإمبريالية الأمريكية و اليوم تتنافس ألمانيا الغربيّة مرّة أخرى مع الإمبريالية الأمريكية كأهمّ منازع على السوق الرأسمالية العالمية . من جديد تتصاعد حدّة النزاع بين اليابان و الولايات المتحدة ...".

و يسترسل :

" بمعنى المصالح الراهنة للقوى الإمبريالية ، أمست هذه التناقضات و النزاعات ملحّة أكثر و أكثر مباشرة و آنية من التناقضات مع البلدان الإشتراكية ".

بالتأكيد صحيح أن يلاحظ أن التناقضات داخل المعسكر الإمبريالي و من الصحيح أيضا ملاحظة أنّه بينما توجد تناقضات حادّة بينها ، لا تزال هذه البلدان تشكّل بالأساس كتلة بقيادة الولايات المتحدة .

و مع ذلك ، ثمة فى " **إقتراح** " و فى الكتابات المرتبطة به حينها تيّار ينظر إلى إحتداد التناقضات فى صفوف المعسكر الإمبريالي بصفة إحادية الجانب ، بمعنى " إستعمال التناقضات فى صفوف معسكر العدوّ " لتركيز جبهة متّحدة واسعة ضد الإمبريالية الأمريكية و عملائها . إستعمال مثل هذا الكلام العام ك "عملاء " بينما يمكن أن يشير إلى قوى مثل ماركوس فى الفيليبين أو نظام ديام فى الفتنام (عناصر كمبرادورية فى بلدان حيث مرحلة النضال هي مرحلة التحرّر الوطني ، يمكن كذلك أن يُعتبر إشارة إلى عناصر داخل الطبقة الحاكمة لقوّة إمبريالية صغرى معيّنة تشجّع علاقات أوطد مع الولايات المتّحدة ، كمعارضة لقوى أخرى تريد أن " تقف ضد " هيمنة الولايات المتحدة (مثلا ، دي غول بفرنسا حينذاك). و قد يقود هذا بدوره إلى فكرة أن " جبهة متّحدة واسعة " يجب أن تشمل مثلا هذه العناصر الإمبريالية كدى غول .

و ينزع مقال "**مزيدا حول خلافاتنا ...**" الذى يتحدّث عن أنّ " الصراعات بين الإمبريالية الأمريكية و سياساتها الهيمنيّة من جهة و القوى الإمبريالية الأخرى التى تقاوم هيمنتها ، من جهة ثانية " إلى تعزيز هذا التأويل . إضافة إلى ذلك ، مفهوم " منطقة وسطى " تقع بين الولايات المتّحدة و المعسكر الإشتراكي منطقة تشمل كل العالم الرأسمالي بإستثناء الولايات المتحدة ، يمكن أن يذهب ضد ما يعمل " **إقتراح** " ذاته على نقده بصفة صحيحة أي " محو الخطّ الفاصل بين الأمم المضطهَدة و المضطهِدة و بين البلدان المضطهَدة و المضطهِدة " .
قد يعنى مفهوم " المنطقة الوسطى " أنّ هنالك شيئا مشتركا بين الإمبرياليين الفرنسيين ، مثلا ، و شعب فتنام - تحديدا المقاومة المشتركة لهيمنة الولايات المتحدة لكن فى الواقع يذكر هذا المثال بالذات بأنّ الإمبرياليين الفرنسيين و الإمبرياليين الأمريكيين تقاسموا نفس المصير إذ حاول كل منهما إستعباد الشعب الفتنامي و فشل كلاهما .

يعتمد التحليل الوارد فى " **إقتراح** " على فهم صحيح للمغزى التاريخي لنضالات التحرّر الوطني . و يدعو " **إقتراح** " الطبقة العاملة ذاتها " فى كل بلد إشتراكي و فى كل قطر رأسمالي " إلى " أن تدرس الخبرة الثورية لدى شعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، و أن تؤيّد هذه الشعوب بحزم فى نشاطاتها الثوريّة و تعتبر قضية تحرّرها أعظم مساندة تعتمد عليها و متّفقة رأسا مع مصالحها ". (ص 16)

و يستطرد بعد ذلك قائلا :

" إن الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية الأوروبية و الأمريكية لا يمكن أن تحرّر نفسها إن لم تتّحد مع الأمم المضطهَدة و إن لم تتحرّر تلك الأمم ..." (ص 16).

صائب تماما هو هذا التأكيد و الكفاح ضد التوجّهات القومية الشوفينية الضيّقة فى صفوف العمّال و الأحزاب فى البلدان المتقدّمة . و يستشهد " **إقتراح** " بلينين الذى قال :

" إن الحركة الثورية فى البلدان المتقدّمة تصبح فعلا أكذوبة محضة إذا لم يتّحد عمّال أوروبا و أميركا فى نضالهم ضد الرأسمال إتّحادا وثيقا تاما مع مئات الملايين من عبيد " المستعمرات " الذين يضطهدهم الرأسمال ." (ص 16)

و هذه الصيغ الصحيحة تمام الصحّة هي المظهر الرئيسي لخط " **إقتراح** " فى هذه المسألة . يقينا أنّه من السليم تحديد آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ك " مراكز عواصف " و تحديد الولايات المتّحدة على أنّها الأقوى و القوة الإمبريالية القيادية من ضمن البلدان الإمبريالية لكن كذلك أكيدة هي حقيقة أنّ المهمّة الأساسية للبروليتاريا فى كل بلد إمبريالي هي أوّلا ، و قبل كل شيء ، الإطاحة بطبقتها الحاكمة .

و يبيّن هذا ، من زاوية مغايرة ، خطرا كامنا فى صيغ مثل " إنّ البروليتاريا العالمية يجب و يمكنها أن توحّد جميع القوى التى يمكن توحيدها و تستفيد من التناقضات الداخلية فى معسكر العدوّ و تؤسّس أوسع جبهة متّحدة ضد الإمبرياليين الأميركيين و أتباعهم " . إنّ ه خطر فهم أنّه إنطلاقا من إرادة دعم نضالات التحرّر الوطني و عزل الإمبريالية الأميركية إلى أقصى درجة ممكنة ، يمكن لحزب فى بلد رأسمالي أو إمبريالي أن يستخدم التناقضات بين طبقته الحاكمة و الإمبريالية الأمريكية و " توحيد " هذه الطبقة كلّيا أو جزئيا ضد الإمبريالية الأمريكية . و هذا بمقدوره أن يدفع مثل هذا الحزب إلى

رفع مثلا مطلب ترحيل فيالق الناتو لو يقوم بذلك تحت " الراية الوطنية " و التوحّد مع إنتقامية ألمانيا الغربية أو الديغولية المثرثرة ب " عظمة فرنسا " .

مفهوم الجبهة المتّحدة كما ورد فى " **إقتراح** " قد يجرّ إلى خلط فى مهام البلدان الإشتراكية ، التى تستعمل بالفعل و يجب عليها أن تستعمل التناقضات فى صفوف معسكر العدوّ فى علاقاتها الدوليّة (بينما فى الوقت ذاته تنخرط فى المبادئ الجوهرية للأممية البروليتارية) و مهام البروليتاريا و الشعوب المضطهَدة فى مختلف البلدان الأخرى .

و قد عالجنا بعض نقاط الضعف الكامنة فى مفهوم " المنطقة الوسطى " الموجودة بين البلدان الإشتراكية و الإمبريالية الأمريكية ، يجب كذلك أن نقول إنّه يعكس نوعا من الواقع بالخصوص حين وضعه ماو تسى تونغ فى حواره الشهير مع آنا لويس سترونغ فى 1946 . حينذاك ، بالكاد ظهرت الإمبريالية الأمريكية منتصرة فى الحرب العالميّة الثانية و كانت ، كما ألمح إلى ذلك ماو ، تستعمل حملتها المعادية للسوفيات فى جزء منها لتحضير حرب ممكنة ضد الإتحاد السوفياتي ، لكن بأكثر آنية لتركيز موقعها كقائدة العالم الإمبريالي و هيمنتها على المستعمرات و أشباه المستعمرات التى كانت سابقا " على ملك " خصومها . و بما أن الإمبريالية الأمريكية كانت تبحث عن الهيمنة القصوى على غالبية المنطقة الوسطى ، كان من الحتميّ ، مثلما أشار ماو ، أن يذهب شعوب العالم إلى معارضتها . و مثّل إستمرار الإمبريالية الأمريكية فى هجومها على الدول الإمبريالية الأخرى و على إستقلاليّتها جوهر تصوير ماو للولايات المتّحدة و القوى الفاشية المهزومة المنعكس فى " **إقتراح** " .

و مع ذلك ، مركّزا بصفة إحاديّة الجانب على أنّ الولايات المتّحدة كانت " تعرقل القوى الفاشيّة " يتغاضى عن أنّ الولايات المتّحدة الأمريكية تعرقل أيضا حلفاءها السابقين فى الحرب ، بالخصوص بريطانيا التى خسرت إمبراطوريّتها الضعيفة لصالح الولايات المتحدة . و علاوة على ذلك ، ينطوى الحديث عن القوى الفاشية على خطر طرح سؤال الإمبريالية ببساطة بمعنى " العدوان " أو توسيع مصالح إمبريالية على حساب إمبريالية أخرى . لقد عشّشت هذه النظرة طويلا داخل الحركة الشيوعية العالمية و هذا فى منتهى الوضوح فى المؤتمر السابع للأممية الشيوعية فى 1935 الذى نعت القوى الفاشيّة بأكثر القوى عدوانيّة و نادى القوى العالمية لعزلها و إلحاق الهزيمة بها . و لسوء الحظ ، لم يقم " **إقتراح** " بقطيعة واضحة مع هذا اللون من التفكير . بصيغة عكسيّة ، من المهمّ أن نشير إلى موقف لينين حول الحرب العالمية الأولى الذى شدّد من خلاله على أهمّية تعليم العمّال رؤية أن الأمر لم يكن مسألة من أطلق النار أوّلا أو حتى من كان كلّيا المهاجم و لا ، لذلك السبب ، ما هو الشكل الخاص لسلطة البرجوازية فى مختلف البلدان ، بل بالأحرى مسألة الطابع الإمبريالي المتساوي لكلّ القوى العظمى المتصارعة .

كمبدأ عام ، تقوم مصلحة البروليتاريا ، بشأن النزاعات بين مختلف القوى الرأسمالية و الإمبريالية ، جوهريّا على كيفية التمكّن من إستخدام هذه النزاعات لصالح الطبقة العاملة فى الإطاحة بطبقتهم هم الحاكمة . و هذا طبعا ليس متضاربا مطلقا مع الأمميّة البروليتارية و غير متضارب طبعا مع التوجّه العام لدعم نضالات التحرّر الوطني و هو أمر ركّز عليه " **إقتراح** " تركيزا سليما .

و يلاحظ " **إقتراح** " ملاحظة عن حقّ بأنّه ضمن الأمم المضطهَدة لآسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ذاتها ، تتّخذ الثورة عادة شكل ثورة على " مرحلتين " . فى المرحلة الأولى ، على الحزب الشيوعي أن يقود جبهة متحدة واسعة تشمل عموما فى صفوفها شرائح من البرجوازية الوطنية ، و كلّ القوى و الطبقات التى يمكن أن توحّد فى الصراع ضد الإمبريالية و الحلفاء الإقطاعيين والرأسماليين الكمبرادوريين . بواسطة هذه الجبهة المتّحدة الإستراتيجية يقود الحزب الشيوعي جماهير الشعب فى خوض نضال مسلّح للتغلب على هؤلاء الإمبرياليين و القوى الرجعيّة المحليّة و للإنتصار بهذه الطريقة فى الثورة الديمقراطية الجديدة / الوطنية الديمقراطية .

و فقط فى المرحلة الثانية ، تتّخذ الثورة طابع نضال من أجل الإشتراكية . و طبعا يشهد النضال الثوري فى كلّ مستعمرة (أو مستعمرة جديدة) سيرورته الخاصة به فى التطوّر داخل هذا النوع من من البلدان . و النموذج الكلاسيكي هو الثورة الصينية بقيادة ماو تسى تونغ . لكن هذه الخصوصيّات الوطنية لا تنفى الصحّة العامة و الأهمّية الحيويّة لمثل هذه المقاربة الإستراتيجية الأساسية للثورة فى هكذا بلدان .

لكن هل يمكن لمثل هذا النموذج أن ينطبق على البلدان الإمبريالية مثل فرنسا و بريطانيا و ألمانيا الغربية و لو أن كثير منها تقع مؤقتا تحت " هيمنة " الإمبريالية الأمريكية ؟ لا ، لا يمكن ذلك فقد يقود إتّخاذ مثل هذا الموقف إلى التوحّد مع الطبقة الحاكمة الألمانية فى فترة ما بين الحرب العالمية الأولى و الحرب العالمية الثانية حين سيطرت عليها قوى إصلاحية بعد هزيمتها و تمريغ " كرامتها الوطنية " فى الوحل بطرق مختلفة بفعل هيمنة الحليف على البلاد .

و من البديهي عموما ، لا وجود ل" مرحلة نضال منفصلة فى البلدان الإمبريالية خلالها توجّه البروليتاريا " أهمّ إعصارها" ضد قوّة إمبريالية أخرى . الإستثناءات الوحيدة التى كان بإمكانها الظهور و ظهرت أثناء الحرب العالمية الثانية لما غيّر دخول الإتحاد السوفياتي الحرب طابعَها (و فى بعض البلدان الأخرى ، عنى الإحتلال العسكري أن سلطة الدولة كانت فعليّا تمارسها قوّة إمبريالية أخرى). و حتى حينها ، مع ذلك ، إرتكبت البروليتاريا فى عدّة بلدان أخطاء جدّية للغاية لأنها نزعت إلى "نسيان " قامعتها هي الإمبريالية و ضرورة إعداد الجماهير لإستغلال فرصة الإطاحة بها حينما تنضج الظروف . و من الخطإ فى البلدان الإمبريالية التى إستعمرتها إمبريالية اخرى القتال لأجل إعادة تركيز سلطة الطبقة الحاكمة قبل الإستعمار .

بالتأكيد ،لا يدعو " **إقتراح** " إلى التخلّى عن النضال الثوري للعمّال فى بلدان الرأسمالية المتقدّمة بل على العكس بالضبط مثلما رأينا بيد أن بعض التوجّهات ضمن التحليل الصحيح العام ، فى أحسن الأحوال ، متداخلة و فى النهاية تستدعى دراسة نقديّة اليوم و الحال أن مجموعة هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ تدافع عن خطّ " الخطر الرئيسي السوفياتي " و " نظرية العوالم الثلاثة " التى تحث عمال **جميع** البلدان الإمبريالية (بإستثناء ربما الإتحاد السوفياتي) **و جميع** الجماهير الواسعة للأمم المضطهَدة إلى نسيان الثورة و تشكيل تحالف سياسي و عسكري مع الإمبريالية الأمريكية ضد الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية . فى الترويج لهذا الخطّ ، كان التحريفيون الصينيّون يستعملون بعض المفاهيم الخاطئة لدى الثوريّين و المستنِدة إلى درجة كبيرة على تحليل إحادي الجانب للتجربة المرتبطة بالحرب العالمية الثانية .

و فى الفترة الموالية للحرب العالمية الثانية بالضبط ، سقطت عديد الأحزاب الشيوعية فى البلدان الرأسمالية بأوروبا فى فخّ محاولة بناء جبهة مع جناح من أجنحة برجوازيتها " المعادي للفاشية " و " القومي - الوطني " عوض إستغلال الظروف المناسبة الموجودة ما بعد الحرب بالضبط ، لخوض نضال ثوري . و حتى فى 1952، فى خطابه فى المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي السوفياتي (الذى حضره مندوبون من الأحزاب الشيوعية العالمية) ، لاحظ ستالين أن برجوازية البلدان الرأسمالية الواقعة تحت هيمنة الولايات المتحدة " أسقطت الراية الوطنية " وشدّد على أنّه على الشيوعيين أن " يرفعوها ". ما عناه ستالين هنا هو أنّه ثمة بعض المظاهر التقدّمية للراية الوطنية فى هذه البلدان الإمبريالية . و من الواضح فى كتاب " **قضايا الإقتصاد الإشتراكي فى الإتحاد السوفياتي** " المكتوب بعد مدّة قصيرة من المؤتمر التاسع للحزب ، أنّه يعترف بطريقة جليّة بأنّ هذه البلدان الإمبريالية ستنهض ضد الولايات المتّحدة كإمكانية ، لا على قاعدة بعض الأسس " التقدّمية " بل من أجل تحدّى الولايات المتّحدة حول الهيمنة الإمبريالية على العالم . لكن فى الوقت نفسه ، يبدو أنّه وجدت فكرة أنّه من المفيد دفع بعض النضالات " الوطنية " فى هذه البلدان لغاية إضعاف الإمبريالية الأمريكية فى وقت قصير . وأهمّ من ذلك، يماثل كتابه الشيوعيين مع **مصالح** الأمّة (الإمبريالية). فى هذا أخطأ ستالين . وهذا الخطأ يتعارض مع خطّه العام الصحيح حول طبيعة الإمبريالية و كانت له التبعات الكوارثية حين ..." أعاد الشيوعيون [الخطأ] ميكانيكيّا و إتّسع فعليّا فى البلدان الرأسمالية ... خاصة على أساس نموّ التحريفية فى صفوفهم ."
و ظهر أيضا توجّه آخر لدى ماو تسى تونغ وفّر بعض الأرضية لمثل هذه المفاهيم الخاطئة ، إنطلاقا من تجربته الخاصة فى الثورة الصينية . و مثلما أشار الرفيق بوب أفاكيان :

" لا أحد ، مهما كان مدى كبر مساهماته أو مساهمتها ، خال من الأخطاء . وطبعا ينطبق هذا على القادة العظام كذلك بمن فيهم ماو . و بينما نرفع راية التعلّم من مساهماتهم العظيمة، و ندافع عنها وعن الدور العام لمثل هؤلاء القادة ضد الهجمات، من الضروري فهم أخطائهم و التعلّم منها .
و بوجه خاص فى ما يتعلّق بماو ، يبدو أن هناك توجّه نحو السحب المبالغ فيه لتجربة الثورة الصينية على العالم بأسره . و قد إتّخذ هذا بصورة خاصة شكل إصباغ طابع وطني على النضالات (على الأقل على البعض منها) فى بلدان رأسمالية إمبريالية فى ظروف حيث لا يمكن لهذه أن تلعب دورا تقدميا ."

مرّة أخرى ، رغم ذلك ، بينما تنبغى الإشارة إلى وجود شيء من البلبلة و الصيغ الإحادية الجانب فى " **إقتراح** " على ضوء معرفة و تجربة اليوم ، فإنّه لا يغيّر من المساهمة التاريخية ل" **إقتراح** " فى توضيح و تعميق الخطّ الثوري الماركسي - اللينيني فى كافة المسائل الجوهريّة التى تواجه الطبقة العاملة العالمية .

الحرب و السلم :

يعبر " **إقتراح** " عن :

" من المؤسف أنّه رغما من أن أشخاصا معيّنين فى الحركة الشيوعية العالمية يتحدّثون كثيرا عن حبّهم العظيم للسلم و كراهيتهم للحرب ، إلاّ أنّهم لا يرغبون حتى فى إحراز فهم قليل للحقيقة البسيطة الواضحة التى عرضها لينين بشأن قضية الحرب ...
و فى نظر الماركسيين - اللينينيين فإنّ الحرب هي إمتداد للسياسة بطرق أخرى و إن كلّ حرب لا يمكن أن تنفصل عن النظام السياسي و النضالات السياسية التى تسببها ." (ص 32)

و يسخر من فكرة معارضة كلّ الحروب التى تفضى إلى " الخلط بين الحروب العادلة و الحروب غير العادلة " . فلكلّ نوع محتواه الطبقي الخاص و يجب أن ندرس كل حرب دراسة جدليّة . الحرب الإمبريالية هي مواصلة للسياسات الإمبريالية بوسائل أخرى ، و الحرب الثورية هي مواصلة للسياسات الثورية بوسائل أخرى . حرب مثل الحرب التى شنّتها الولايات المتّحدة ضد فيتنام ، من جهة الإمبرياليين الأمريكان ، هي حرب إمبريالية للهيمنة بهدف إستغلال شعب فيتنام و إستعباده و تعزيز موقع لإمبريالية الأمريكية و إستعبادها للشعوب و إستغلالها و نهبها عبر العالم . أمّا من جهة فيتنام فهي حرب ثوريّة من أجل التحرّر الوطني . و قد عارض الماركسيون- اللينينيون الحقيقيّون حرب الإمبريالية الأمريكية و ساندوا حرب التحرّر الوطني الثوريّة . لم يمارسوا موقف " معارضة كلّ الحروب " ، لم يمارسوا موقف السلم البرجوازي .

و الحرب الإمبريالية الهادفة لإعادة إقتسام العالم ، على غرار الحرب العالمية الأولى ، مسألة مختلفة . فهنا كلا الجانبان المتصارعان إمبرياليّان- و جزء من التحالف الإمبريالي (رغم إمكانية وجود أمثلة خاصة من الحروب العادلة حتى داخل هذا الإطار العام)- و مطلقا لن يساند الماركسيون - اللينينيون لا هذا الجانب ولا الجانب الآخر .

بيد أن هذا لا يعنى أن موقف الماركسيين - اللينينيين تجاه حرب إمبريالية هو ببساطة شجب الإمبرياليين و الصراخ " طاعون على منزليكما معا ! " . إزاء هكذا حروب يرفع الشيوعيّون فى كافة البلدان الإمبريالية شعار الإنهزامية الثورية و الصراع من أجل قيادة الطبقة العاملة و جماهير الشعب نحو " تحويل الحرب الإمبريالية إلى حرب أهلية " بغاية الإطاحة بالطبقات الحاكمة فى البلدان الإمبريالية .

تعنى أطروحة خروتشاف عن الوضع العالمي الجديد الناجم عن الحرب العالمية الثانية إستحالة خوض حروب مع النظام الإمبريالي الذى لم يلحق به الضرر وهي أطروحة ليست جديدة ، حتى حين قدمها فى المؤتمر 20 للحزب الشيوعي السوفياتي فى 1956 . ففى مؤلفه الهام الذى وضعه بالضبط قبل وفاته ، " **القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي** " وقف ستالين فى نقاشه تحديدا ضد هذا التوجّه و دافع عن أطروحات لينين و شرح الدور المحدود الذى يمكن أن يلعبه " نضال من أجل السلم " ضمن إستراتيجيا الثورة ، هذه الأطروحات التى أراد التحريفيون محوها .
" يؤكد بعض الرفاق أنّه نظرا للظروف الدوليّة الجديدة التى نشأت بعد الحرب العالمية الثانية ، لم تعد الحروب محتومة بين البلدان الرأسمالية . و هم يرون ... أن رجال الرأسمالية البعيدي النظر قد تعلّموا ما فيه الكفاية من الحربين العالميتين اللتين ألحقتا أذى جديّا بمجموع العالم الرأسمالي بحيث لن يسمحوا لأنفسهم بجرّ البلدان الرأسمالية من جديد إلى حرب فيما بينها ، و أنّه ، بسبب ذلك ، لم تبق الحروب حتميّة بين البلدان الرأسمالية ." (" **القضايا ...** " صفحة 40-41 منشورات دار الفرابي ، بيروت1954) .

" إن هؤلاء الرفاق مخطئون " ، لاحظ ستالين . إنّهم مخطئون لأن القوانين التى تحكم الإمبريالية و الصراع من أجل مناطق تصدير الرأسمال و الأسواق و إرادة و ضرورة أن تحطّم القوى الإمبريالية منافسيها و عدم رغبة أيّة قوّة إمبريالية البقاء إلى الأبد فى موقع ثانوي بالنسبة إلى غيرها و التحدّى الحتمي لأفضلية الكلب الأقوى ، إنّهم مخطئون لأن كلّ خصائص الإمبريالية هذه ظلّت سليمة تماما إثر الحرب العالمية الثانية ، رغم " الصفاء " الذى يسود فى الظاهر فى ظلّ قيادة الإمبريالية الأمريكية و وقوع القوى المقهورة مؤقتا بين براثن الولايات المتحدة الأمريكية و إنصياعها لها .
و يتساءل المرء : أين الضمانة على أن ألمانيا و اليابان لن تنهضا و لن تحاولا الإنعتاق من النير الأمريكي ، لكي تباشرا حياتهما المستقلة ؟ إنى أعتقد أن هذه الضمانة لا وجود لها .
فينتج من ذلك إذن ، أن حتمية الحروب بين البلدان الرأسمالية لا تزال قائمة .

و يقال إنه يجب إعتبار فكرة لينين القائلة بأن الإستعمار يولد الحروب حتما إنّها فكرة بالية ، إذ قد ظهرت اليوم قوى شعبية جبّارة تدافع عن السلم ضد حرب عالمية جديدة . و هذا خطأ ...
و الأرجح أن الحركة الحالية فى سبيل السلم ، بوصفها حركة هدفها المحافظة على السلم ، ستساهم ، فى حال النجاح ، فى منع وقوع حرب معيّنة ، فى تأجيلها مؤقّتا ، فى المحافظة مؤقّتا على سلم معيّن ... و ذلك شيء حسن طبعا . بل حسن جدّا . على أن ذلك لا يكفى لإزالة حتميّة وقوع الحروب ، بصورة عامة بين البلدان الرأسمالية . ذلك لا يكفى ، لأنّه ، على الرغم من جميع هذه النجاحات لحركة السلم ، لا يزال الإستعمار قائما ، لا يزال ذا بأس . و بالنتيجة ، لا تزال حتميّة الحروب قائمة أيضا .

لأجل إزالة حتمية الحروب ، ينبغى القضاء على الإستعمار ." (مصدر سابق ، صفحة 44-45-46)

كان ستالين يتحدّث عن المبادئ العامة و التوجّهات العامة . و " **إقتراح** " ، مع ذلك ، لم يركّز على الحرب بين القوى الإمبريالية . فحينها لم توجد تقريبا فى الأفق حربا كامنة بين مختلف القوى الإمبريالية فى 1963 . عندما يتحدّث " **إقتراح**" عن الحرب العالمية ، ما يشير إليه هي حرب تشنّها كتلة الإمبريالية الأمريكية ضد البلدان الإشتراكية . و كان هذا إمكانية واردة جدا و واقعية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية و قد عالج ماو ذلك فى " حديثه مع آنا لويس سترونغ " و آخرين فى الكتلة الإشتراكية فى فترة ما بعد الحرب .

و طبعا ، حين أصبحت الحرب ما بين الإمبرياليّات مرّة أخرى ضمن أفق واقعي للغاية ، صار الإتحاد السوفياتي الإشتراكي سابقا قائد كتلة إمبريالية . على أن هذا لم يكن واضحا لأيّ كان سنة 1963 . و هكذا لم تكن كيفيّة طرح الأسئلة المتّصلة بالحرب حينئذ بمعنى " ما يكون موقف الشيوعيين تجاه و فى حرب بين القوى الإمبريالية ؟ " لكن بمعنى أي موقف يجب إتّخاذه إزاء التهديد الإمبريالي بشنّ حرب على المعسكر الإشتراكي و هنا من المهام الحيويّة التى كانت على عاتق الثوريين هي مقاتلة السلم البرجوازية الذى تحثّ عليه التحريفية الخروتشافية التى حاولت إستعمال النضال ضد حرب عالمية ذريعة للقضاء على كافة الحروب ، بما فيها نضالات التحرر الوطني و الحرب الأهلية الثورية و التى حثت على (و مارست) سياسة وفاق مع الإمبريالية بإعتبارها نهجا للسلم .

و فى هذا الإطار، يتطرق " **إقتراح** " للخط الخروتشافي بصدد " الثورات ممكنة كلّيا بدون حرب " متسائلا :
" فأيّ نوع من الحرب يقصدون – أحرب تحرّر وطني أو حربا ثورية أهليّة ، أم حربا عالمية ؟
إن كانوا يقصدون حرب تحرّر وطني أو حربا ثورية أهلية ، فإن هذا القول هو فى الحقيقة معارضة للحروب الثورية و للثورة . و إن كانوا يقصدون حربا عالميّة فيتّضح أن ذلك تصويب نحو هدف لا وجود له . و رغما من أن الماركسيين-اللينينيين أشاروا ، بناء على أساس تاريخ الحربين العالميّتين ، إلى أن الحروب العالمية لا بدّ أن تؤدى إلى الثورة ، إلّا أنه ما من ماركسي - لينيني قال أو سيقول بأنّ الثورة يجب أن تكون عن طريق الحرب العالمية ." (" **إقتراح** " صفحة 33).

هنا يدافع الحزب الشيوعي الصيني عن نفسه أمام إدّعاء خروتشاف أن الصينيّين يدفعون نحو حرب عالمية جديدة . و بالرغم من أن " **إقتراح** " يصرّح بانّ" الحروب العالمية لا بدّ أن تؤدى إلى الثورة " " للأسباب التى مرّت بنا فإنّه لا يركّز على أفق حرب بين القوى الإمبريالية . علاقة الثورة بمثل هذه الحروب علاقة وطيدة للغاية و تقتضى عرضا مقتضبا

لإعادة رؤية خط لينين بهذا المضمار فى علاقة بالحرب العالمية - خط تطوّر فى صراع مع الإشتراكية الشوفينية لإنتهازيى الأمميّة الثانية .

و مثلما سجّل ذلك " **إقتراح** " ، أطروحة أنّ الثورة يمكنها أن تندلع فقط خلال و بعد حرب إمبريالية كبرى غير صحيحة وهي ستقود إلى إستراتيجيا إنتهازية ل" تعيين الوقت " ثم محاولة " الإنقضاض " لمّا يندلع نزاع كبير - صيغة للتحليق فى الفضاء و إدعاء عدم القدرة على الثورة فى كلّ من زمن السلم و الحرب .

و لكن حتّى قبل إندلاع الحرب العالمية الأولى ، تنبّأ بيان بال سنة 1912 بتحويل الحرب بين القوى الإمبريالية إلى حرب أهليّة بين الطبقات ، مقدّما مثال كمونة باريس . و فى 1915 ، خلال تلخيص خيانة المبادئ التى وردت فى بيان بال من قبل الإنتهازيين الكوتسكيين ، حلّل لينين علاقة الحرب الإمبريالية بالثورة بهذه الكلمات :
" لنبحث ، فى الأساس ، الذريعة القائلة إن واضعي بيان بال قد إفترضوا بصدق و إخلاص نشوب الثورة ، و لكن الأحداث جاءت تكذب آمالهم . يقول بيان بال :
1- إن الحرب ستسفرعن أزمة إقتصادية و سياسية ،
2- إن العمّال سيعتبرون إشتراكهم فى الحرب جريمة ،..و أن الحرب ستثير " الإستنكار و الغضب " بين العمال ،
3- إنّه ينبغى على الإشتراكيين إستغلال هذه الأزمة و هذه الحالة النفسيّة عند العمال من أجل " إستثارة الشعب و التعجيل بإفلاس الرأسمالية " ،
4- إن " الحكومات " - جميعها بلا إستثناء - لا تستطيع أن تشنّ الحرب " دون أن تعرّض نفسها للخطر " ،
5- إن الحكومات " تخشى الثورة البروليتارية " ،
6- إنّه " يحسن " بالحكومات " أن تتذكّر " كومونة باريس (أي الحرب الأهلية ، و ثورة 1905 فى روسيا إلخ ..
و كلّها أفكار واضحة كلّ الوضوح ، إنّها لا تنطوى على **ضمانة** نشوب الثورة ، إنّما يبرز فيها وصف **الوقائع و الإتجاهات** وصفا دقيقا ." (صفحة 10 من " **إفلاس الأممية الثانية** " ، دار التقدم ، الطبعة العربية) .

و بعد ذلك بقليل ، أشار لينين إلى أنّ الحرب أسفرت فعلا عن وضع ثوري :

" فالأزمة السياسية قائمة : ما من حكومة تثق بالغد ... و جميع الحكومات تعيش كأنّها على فوهة بركان ... و النظام السياسي الأوروبي مزعزع بكلّيته ، و يقينا أنّ أحدا لن ينكر أنّنا دخلنا ... فى مرحلة الهزّات السياسية الكبرى . فإذا كان كاوتسكي قد كتب ... بعد إعلان الحرب بشهرين يقول إنّه " ما من وقت تكون فيه الحكومة قويّة بقدر ما تكون عليه فى بداية الحرب ، و ما من وقت تكون فيه الأحزاب ضعيفة بقدر ما تكون عليه فى بداية الحرب ." ، فإنّ قوله هذا لم يكن سوى مثال على تزويره العلم التاريخي سعيا منه لإرضاء زوديوم و أضرابه و غيرهم من الإنتهازيين . فإن الحكومة لا تحتاج فى أي وقت إلى موافقة جميع أحزاب الطبقات السائدة و إلى خضوع الطبقات المضطهَدة لهذه السيادة خضوعا " سلميّا " ، حاجتها إليهما إبّان الحرب . هذا أوّلا . و ثانيا : إذا كانت الحكومة **تبدو** كلّية القدرة ، " فى بداية الحرب " ، و خاصة فى بلد يتوقّع إنتصارا سريعا ، فإنّ أحدا فى أي زاوية من العالم لم يربط قط توقّع حدوث وضع ثوري " ببداية " الحرب بوجه الحصر ، و لم يأخذ ، بالأحرى ، " المظهر " على أنه **الواقع** ." (المصدر السابق ، صفحة 12).

و إلى ذلك ، يضيف لينين فى الصفحة التالية :

" و كلّما طال أمد الحرب و إشتدّ أُوارها ، كلّما طوّرت الحكومات نفسها و إضطرّت إلى أن تطوّر نشاط الجماهير... إنّ تجربة الحرب ، مثلها مثل تجربة كل أزمة فى التاريخ ، و كلّ كارثة كبرى و كل إنقلاب فى حياة الإنسان ، تجعل البعض بلداء و تحطّمهم ، **و تعلّم بالعكس البعض الآخر و تشدّ مراسه** ، علما بأنّ هذا البعض الآخر كان ... أكثر عددا و أعظم قوّة من البعض الأوّل فى آخر المطاف ."

" هل يدوم هذا الوضع [الثوري] فترة طويلة و أيّ حد يبلغ تفاقمه ؟ هل يؤدّى إلى الثورة ؟ " هي الأسئلة التى طرحها لينين فى الصفحة التالية (ص 14) . و أجاب :

" إنّنا نجهل هذا الأمر ، و ما من أحد يستطيع أن يعرفه . و لن يبيّنه غير **تجربة** تطوّر الأمزجة الثورية و إنتقال الطبقة الطليعية ، البروليتاريا ، إلى الأعمال الثورية ... لأنّه ما من إشتراكي ضمن فى أيّ مكان من العالم و فى أيّ فترة من الزمان بأنّ الثورة تنشأ على وجه الضبط من الحرب الحالية (لا من الحرب المقبلة) ، من الوضع الثوري الحالي (لا من الوضع المقبل) . و الكلام هنا يدور حول واجب جميع الإشتراكيين ، الثابت تماما ، و الأساسي كلّيا ، ألا وهو واجب أن يبيّنوا للجماهير وجود وضع ثوري و يوضّحوا مداه و عمقه ، و يوقظوا وعي البروليتاريا الثوري و عزيمتها الثورية ، و يساعدوها على الإنتقال إلى الأعمال الثورية و ينشئوا منظمات تتلاءم والوضع الثوري من أجل العمل فى هذا السبيل ."

هذا هو البرنامج الثوري الذى قدّمه لينين فى معارضة إستسلام " أبطال " الشوفينية الإشتراكية المتعفّنة للأمميّة الثانية و الذى كان أساس التنسيق بين الأحزاب فى مختلف البلدان خلال الحرب وكان هذا التنسيق حيويّا لكن لينين أكّد فى " **الإشتراكية و الحرب** " على أنّه يمكن أن يولد فقط على قاعدة قطيعة صريحة مع الإنتهازية :

" إنّ العناصرالإشتراكية - الديمقراطية الثورية موجودة ، رغم كل شيء ، فى كثرة من البلدان . إنّها موجودة فى ألمانيا و روسيا ، و سكاندينافيا ... ، و البلقان ... و إيطاليا ، و إنجلترا ... و فرنسا ... و هولندا ... إلخ .. إنّ جمع شمل هذه العناصر الماركسية - مهما كانت قليلة فى بداية الأمر - و التذكير ، بإسمها ، بأقوال الإشتراكية الحقيقية المنسيّة الآن ، و دعوة عمّال جميع البلدان إلى قطع كل صلة مع الشوفينيين و الإنضواء تحت علم الماركسية القديم ، هذه هي مهمّة اليوم ...

إنّ الأمميّة الثالثة يجب أن تقوم ، حسب رأينا ، على هذا الأساس الثوري بالضبط . إن مسألة فائدة القطيعة مع الإشتراكيين - الشوفينيّين غير واردة بالنسبة لحزبنا . فقد حُلّت نهائيّا بالنسبة له . و لا ترد بالنسبة له مسألة معرفة ما إذا كان هذا الأمر يمكن أن يتحقّق فى مستقبل قريب ، على النطاق العالمي . " (صفحة 406-407 ، المختارات فى 10 مجلدات ، المجلد 5 ، دار التقدم ، الطبعة العربية).

بيّنت التجربة التاريخيّة بصفة تامة أن الحرب الإمبريالية تفرز لا فقط عذابات عالميّة ضخمة بالنسبة لجماهير الشعب و إنّما تفضح بالتحديد بسبب ذلك طبيعة الإمبريالية فضحا تاما و تبرز ما كان خفيّا و تبيّن الأسباب الحقيقيّة للصراع الطبقي . و توفّر هذه الحروب للبروليتاريا فرصة الإنقضاض على الإمبريالية ذاتها . و مثلما يلاحظ " **إقتراح** " المهمّة العالمية للشيوعيين هي تفسير أنّه من غير الممكن أن تتمتّع الجماهير بعالم دون أسلحة و دون قوى مسلّحة و دون حروب طالما لا يزال النظام الإمبريالي قائما . ذلك أن الإمبريالية بالذات ، يؤكد " **إقتراح** " هي مصدر الحروب و بالتالى على الشيوعيّين فى كل البلدان أن يسلّحوا الجماهير بالفهم الصحيح ، الماركسي - اللينيني ، لطبيعة الحرب الإمبريالية ومصدرها و بفهم أنّ الثورة وحدها يمكنها أن تضع حدّا للحرب .

و هاجم " **إقتراح** " أيضا النظرية التى يروّج لها التحريفيّون و القائلة ب " نزع السلاح الكامل الشامل " هو الطريق الأساسي للسلم العالمي ، معتبرا إيّاها مجرد " خداع شعوب العالم عن عمد و مساعدة المستعمرين فى سياساتهم العدوانية و الحربية " (" **إقتراح** " صفحة 35) و قد أشار لينين فى " **الإشتراكية و الحرب** " إلى أنّ مطلب نزع السلاح أو بأكثر دقة حُلمُ نزع السلاح ، ليس موضوعيا سوى تعبير عن اليأس و كتب أن الشعار يجب أن يكون تسليح البروليتاريا لأجل إلحاق الهزيمة بالبرجوازية و نزع ملكيّتها و سلاحها .

و علاوة على ذلك ، فضح " **إقتراح** " أيضا العبثيّة الإمبريالية - التحريفية حول الأسلحة النووية القائلة بأنّ هذه الأسلحة يمكن أن تجعل أطروحات لينين بشأن الحرب و الثورة أطروحاتا بالية :

" فى نظر الماركسيين - اللينينيّين فإن الشعوب هي صانعة التاريخ . إنّ الإنسان فى الوقت الحاضر كما كان فى الماضي هو العامل الحاسم فى تطوّر التاريخ و فى الحياة الواقعية . إن الماركسيين - اللينينيين يعيرون أهمّية لدور التغيّر التكنولوجي ، و لكن من الخطإ تحقير دور الإنسان و المبالغة فى دور التكنولوجيا .

إنّ ظهور الأسلحة النوويّة لا يوقف تقدّم التاريخ البشري و لا ينقذ النظام الإستعماري من مصيره المحتوم ...

لذلك لا يمكن القول بانّه مع ظهور الأسلحة النوويّة فإنّ إمكانية و ضرورة الثورات الإجتماعية و الوطنيّة قد زالتا ، أو أن المبادئ الأساسية للماركسية - اللينينيّة و خاصة المبادئ الخاصة بالثورة البروليتارية و ديكتاتورية البروليتاريا و الخاصّة بالحرب و السلم قد فات أوانها و تحوّلت إلى " عقائد " بالية . "

خلاصة القول ، دافع " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " بصلابة عن الخطّ الماركسي - اللينيني بصدد الحرب و الثورة وطوّره فى الوقت الذى كان فيه هذا الخطّ مهدّدا بالقبر تحت كتلة جُبن التحريفية الخروتشافية و هستيريّتها. و اليوم ما كان صحيحا زمن لينين و وجهة نظر الحزب الشيوعي الصيني المصاغة فى 1960 فى مجملها (" عاشت اللينينية ") ، رغما من توجّهها و لو بصفة غير مباشرة بالعاصفة ضد خروتشاف ، يظل كذلك و بعمق :

" إننا نقاوم بثبات شنّ حروب إجراميّة من جانب المستعمِرين ، لأنّ الحرب الإستعمارية تفرض ضحايا هائلة على شعوب مختلف البلدان (بما فيها شعوب الولايات المتّحدة و البلدان الإستعمارية الأخرى). و لكن إذا فرض المستعمِرون مثل هذه التضحيات على شعوب مختلف البلدان ، فإنّنا نعتقد ، تماما كما أظهرت تجربة الثورة الروسية و الثورة الصينية ، أن مثل هذه التضحيات ستعوّض . فعلى أنقاض الإستعمار الميّت ، ستخلق الشعوب الظافرة ، بسرعة كبيرة جدّا ، حضارة أرقى ألف مرّة من حضارة النظام الرأسمالي ، و مستقبلا جميلا حقا لنفسها . "

<u>الصراع الطبقي فى ظل الإشتراكيّة :</u>

تمثّل أطروحات " **إقتراح** " حول مسألة مواصلة الثورة فى ظل دكتاتوريّة البروليتاريا فى آن معا قفزة إلى الأمام لم يسبق لها مثيل فى إدراك هذه القضيّة المعقّدة و الحيويّة ، و مرحلة إنتقاليّة فى تطوّر خطّ ماو تسى تونغ فى هذا المضمار . فالتحليل الذى وضعه " **إقتراح** " و الكتابات الأخرى لتلك الفترة (لا سيما " **حول شيوعية خروتشاف المزيّفة و الدروس التاريخية التى تعلّمها للعالم** " كآخر وثيقة من سلسلة الجدالات المفتوحة التى إفتتحها " **إقتراح** ") ساعدت فى بسط الطريق القائد إلى الثورة الثقافية .

" بعد إستيلاء البروليتاريا على السلطة يستمرّ الصراع الطبقي بصفته قانونا موضوعيا مستقلاً عن إرادة البشر ، لفترة تاريخية طويلة جدّا . غير أنّه يختلف فقط عن شكله الذى كان قبل الإستيلاء على السلطة ...
منذ عشرات السنين أو منذ فترات أطول ، بعد تحقيق التصنيع الإشتراكي و التعاون الزراعي ، يستحيل القول بأنّ بلدا إشتراكيا سيخلو من تلك العناصرالتى شجبها لينين مرارا ، مثل الذين يعتمدون على البرجوازية ، و الطفيليين ، و المضاربين ، و الغشّاشين ، و المتعطّلين ، و الصعاليك المتمرّدين ، و مختلسي أموال الدولة ، كما يستحيل القول بأنّ بلدا إشتراكيّا لم يعد بحاجة إلى أداء الواجب الذى وضعه لينين ، واجب تصفية " هذا المرض المعدى و هذا الطاعون و هذه القرحة التى ورثتها الإشتراكية عن الرأسمالية " . (" **إقتراح** " صفحة 43) .

معيدا بصيغة أخرى " الخطّ الأساسي " للحزب الشيوعي الصيني الذى صاغه ماو تسى تونغ فى1962 ، أكّد " **إقتراح** " أنّ " البلد الإشتراكي يتطلّب فترة تاريخيّة طويلة جدّا حتى يمكنه أن يحلّ خطوة فخطوة مسألة من سينتصر - هل ستنتصر الإشتراكية أم الرأسمالية ؟ " و خلال هذه الفترة كلّها سيكون الصراع الطبقي على أشدّه " فيرتفع هذا الصراع و ينخفض كالأمواج ، و أحيانا يصبح صراعا حادّا للغاية . و هنالك أشكال مختلفة و متنوّعة من النضال ." (المصدر السابق ، صفحة 43) .

لذلك يؤكد " **إقتراح** " بشدّة على أنّ دكتاتورية البروليتاريا ضروريّة طوال كافة مرحلة الإشتراكية . و هو يفضح نظريّة خروتشاف بشأن أنّ الدولة السوفياتية لم تعد دولة دكتاتورية البروليتاريا بل " دولة جميع الشعب " ، وضع " **إقتراح** " المسألة على النحو التالي : " ماذا يحدث إذا أعلن فى منتصف الفترة أن ديكتاتورية البروليتاريا لم تعد ضرورية ؟
ألا يعارض هذا تعاليم ماركس و لينين الخاصة بدولة ديكتاتورية البروليتاريا معارضة أساسية ؟
أولا يسمح هذا بتطوّر " هذا المرض المعدي و هذا الطاعون و هذه القرحة التى ورثتها الإشتراكية عن الرأسمالية " ؟ ...
إنّ كل شخص له إلمام بأبجديّة الماركسية - اللينينيّة يعرف أنّ ما يُسمّى ب " دولة جميع الشعب " ليس شيئا جديدا . فلقد سمّت الشخصيات الممثلة للبرجوازية دائما الدولة البرجوازية ب " دولة جميع الشعب " ...". (صفحة 46)

و فى دحضه لأطروحة خروتشاف حول أنّ الطبقات لم تعد موجودة فى الإتحاد السوفياتي ، إستند " **إقتراح** " أوّلا إلى غنى المظهر المرئي الذى يجعل مثل ذلك القول قولا سخيفا :

" طالما وُجدت بقايا الطبقات المستغِلة القديمة التى تحاول الرجوع ، و طالما كانت عناصر برجوازية جديدة تتولّد بصورة دائمة ، و طالما وُجد الطفيليّون و المضاربون و المتعطلون و الصعاليك المتمرّدون و مختلسو أموال الدولة و اشباههم ، فكيف يمكن القول إنّه لا توجد طبقات و صراعات طبقية ؟ و كيف يمكن القول إنّه لم تعد أيّ حاجة لديكتاتورية البروليتاريا ؟ ". (صفحة 46-47)

إضافة إلى ذلك ، يلفت " **إقتراح** " النظر إلى وجود نوعين من الملكيّة هما الملكيّة الجماعيّة و ملكيّة كلّ الشعب و كذلك الملكيّة الخاصة فى كافة البلدان الإشتراكية . و لفت النظر أيضا إلى التناقض بين العمّال و الفلاّحين و إلى أن المبدأ الشيوعي " لكل حسب مقدرته و لكل حسب حاجياته " ما زال بعيدا عن التحقّق (نظرا لوجود التبادل السلعي و نظام الأجور إلخ) . و جاء كلّ هذا ليبيّن بطريقة مقنّعة أنّ وجود الطبقات واقع موضوعي يفرض مواصلة الصراع الطبقي الذى سيكون أحيانا حادّا للغاية و بالتالى أنّ دكتاتورية البروليتاريا ضروريّة لأجل تجنّب إعادة تركيز الرأسمالية .

لقد مثّلت هذه الأطروحات ساعتئذ أكثر النظريّات تطوّرا حول الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية بصورة مطلقة . و لم تكن دحضا لخروتشاف فحسب و إنّما أيضا نفيا لأخطاء ستالين الذى منذ بداية الثلاثينات حاجج أن التناحر الطبقي إضمحلّ فى الإتحاد السوفياتي .

و تعمّق التحليل أكثر فى " **شيوعية خروتشاف المزيّفة** ..." الذى عالج بصفة أوضح هذه المسائل مع لفتة خاصة إلى الإتحاد السوفياتي . و فيه يلاحظ أن :

" فى الإتحاد السوفياتي الحالي تكاثرت العناصر البرجوازية الجديدة ... و تغيّر جوهريا وضعها الإجتماعي . قبل صعود خروتشاف إلى السلطة ، لم تكن تحتلّ مواقع الحكم فى المجتمع السوفياتي . و كانت نشاطاتها محدودة فى جوانب عدّة و كانت تتعرّض للهجوم . بيد أنّه منذ إعتلاء خروتشاف السلطة ، مستوليا على قيادة الحزب و الدولة ... تقّدمت العناصر البرجوازية الجديدة تدريجيا إلى مواقع السلطة فى الحزب و الحكومة و فى الإقتصاد و الثقافة و المجالات الأخرى و شكّلت شريحة ذات إمتيازات فى المجتمع السوفياتي ."

لكن مهما كان هكذا فهم آنذاك متقدّما فإنّه بعدُ غير كاف لشرح سيرورة إعادة تركيز الرأسمالية شرحا ظافيا . و رغم إستعمال " **إقتراح** " و " **حول شيوعية خروتشوف المزيفة** ..." كأسلحة قويّة لمكافحة التحريفية ، كان لا بدّ أنّ تحدث قفزات أبعد مدى للتوصّل إلى فهم علميّ تماما لوسائل **منع** إعادة تركيز الرأسمالية . و مثلما خطّ ماو تسى تونغ فى " **المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ** " :

" فى توثيق وجود العناصر البرجوازية فى الإتحاد السوفياتي كان [" **حول شيوعيّة خروتشاف المزيّفة** ..."] يشدّد على النشاطات اللاقانونية كالمحسوبيّة و السوق السوداء و التملّك اللاقانوني للملكيّة العامة و ما إلى ذلك . و فى ذكر منبع العناصر البرجوازية الجديدة ... أشار (علاوة على المستغِلين المطاح بهم و الرأسمالية العالمية) إلى " التفسّخ السياسي " الذى يظهر فى صفوف الطبقة العاملة و موظفى الحكومة و " المفكّرين البرجوازيين الجدد العاملين فى المؤسسات الثقافية و التربوية ..." و كذلك " عناصر جديدة من الرأسمالية " التى " تولد بإستمرار و عفويا فى مجال البرجوازية الصغيرة " ... غير أنّه لم يحدّد التحرفيين (أتباع الطريق الرأسمالي) فى أعلى قيادة الحزب و الدولة بما فيها الوزارات و المؤسسات الإقتصادية كشريحة مكوّنة لطبقة برجوازية داخل المجتمع الإشتراكي ذاته و أن مركز قيادتها يوجد بالضبط داخل الحزب الشيوعي ."

و ستحدث القفزة فى معمعان الثورة الثقافية و من خلال مواصلة الصراع الطويل و المرير الذى إندلع فى الصين إلى وفاة ماو و بعدها . إن إكتشاف أن الصراع الطبقي ليس ببساطة إلحاق الهزيمة ب " بقايا الطبقات المطاح بها " و ب " عملائها

داخل الحزب الشيوعي ، أو معارضة المؤامرات و إكتشاف أسرار الرجعية العالمية و إنّما فضح البرجوازية الجديدة التى تتمركز فى أعلى مناصب الحزب و جهاز الدولة و التغلّب عليها و إجتثاثها من الجذور ، إن هذا الإكتشاف ذو مغزى تاريخي عالمي بالنسبة لقضية الشيوعية . و فقط فى بداية 1976 ، لمّا كان الصراع ضد دنك سياو بينغ و كتلته يقترب من الحسم ، صرّح ماو تسى تونغ قائلا : **" إنّكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعدُ لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنّها بالضبط داخل الحزب الشيوعي - أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي "**.

فى الوقت الراهن ، هُزمت البروليتاريا فى الصين إلاّ أنّ هذه الهزيمة ليس بوسعها أن تمحُو المساهمات العظيمة لماو تسى تونغ و للثوريّين فى ظلّ قيادته فى إثراء الخط الماركسي - اللينيني بصدد مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا . و بهذا المضمار يمكننا أن نستشهد ب " **إقتراح** " :

" و كلّ من يظنّ أنّه يمكن القيام بالثورة فقط عندما يكون كل شيء سهلا طيّعا و فقط عندما يوجد ضمان مسبّق لإنعدام التضحيات و الفشل هو ليس ثوريا قطعا ."

كتب بوب أفاكيان فى هذا الباب ، : " يمكن أن يقول البعض " إنّ إعادة تركيز الرأسمالية بصدد الحصول فى الصين و بالتالى هذا يبيّن أن نظريّة ماو تسى تونغ حول مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و كذلك الثورة الثقافية التى كانت تحويلا لهذه النظريّة إلى قوّة مادية هائلة على النطاق الجماهيري غير سليمة فى الأساس . ليس هذا النوع من التفكير سوى تجريبيّة و نسبيّة . فصحّة النظريّة لا ترتبط بالنتائج الآنية فى وضع محدّد و قد جرّبت فى الممارسة العمليّة ، فى النضال الجماهيري لمئات ملايين الشعب الصيني ، و ستجرب أكثر فى المستقبل فى النضال الثوري فى الصين و فى جميع البلدان . "

<u>التحريفية هي الخطر الأساسي :</u>

مستخلصا دروسا من حقيقة أنّ التوجّه التحريفي غمر الحركة العمّالية العالميّة ، دحض " **إقتراح** " بصلابة المقولة الممجوجة لكلّ من خروتشاف و تيتو و مفادها أنّ " الجمود العقائدي هو الخطر الرئيسي " فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية .

" على الماركسيين - اللينينيين الثابتين و على الأحزاب الماركسية - اللينينية الحقيقية أن تضع المبادئ فى المحلّ الأوّل . و عليها ألّا تتاجر بالمبادئ فتستحسن شيئا ما اليوم ، و شيئا آخر غدا ، و تدعو لأمر ما اليوم ، و لآخر غدا .
إنّ الشيوعيين الصينيين سوف يواصلون مع جميع الماركسيين - اللينينيّين شنّ نضال لا مساومة فيه ضد التحريفية المعاصرة بغرض صيانة نقاء الماركسية - اللينينية ..." .

و شدّد " **إقتراح** " أيّما تشديد على الحاجة إلى حزب بروليتاري حقيقي لخوض النضال الثوري . و فضلا عن توجيهه ضربة قويّة إلى التحريفية فى قيادة عديد الأحزاب الشيوعية ، نبّه إلى أنّه :

" إذا سارت الجماعة القياديّة فى أيّ حزب من الأحزاب على خطّ غير ثوري و حوّلت الحزب إلى حزب إصلاحي فإنّ الماركسيين - اللينينيّين فى داخل الحزب و خارجه سيحلّون محلّ تلك الجماعة و يقودون الشعب للقيام بالثورة ." (ص 28)
و لا يعنى الدفاع عن المبادئ اللينينية بالنسبة لحزب ثوري تبنى المقولات " الدغمائية " بل ، مثلما جاء فى " **إقتراح** " ، يعنى القدرة على أن " يمزج بين حقيقة الماركسية - اللينينية العامة و بين الأعمال المحدّدة للثورة فى بلاده ". (ص 63)
و فضح " **إقتراح** " العلاقة بين الدغمائية و التأثير التحريفي لأتباع خروتشاف .

و سخر من تلك الأحزاب التى " تردّد كالببغاء كلمات الآخرين و تنقل الخبرة الأجنبيّة دون تحليل ، و تندفع هنا و هناك إستجابة لعصا إرشاد أشخاص معيّنين فى الخارج ... تصبح خليطا من التحريفية و الجمود العقائدي و كل شيء ما عدا المبدأ الماركسي - اللينيني ". (ص 64-65) و أدان الغوغاء التحريفية حول " الصراع ضد الدغمائية " بوصفها تعلّة لإلقاء حقيقة الماركسية اللينينية جانبا تحت شعار " تطوير الماركسية - اللينينية تطويرا خلاقا " .

و ألحّ " **إقتراح** " على مبدأ أنّ " تطوّر الثورة و إنتصارها يرتكزان على وجود حزب بروليتاري ثوري ... مبني على أساس النظرية الثوريّة و الأسلوب الثوري للماركسية - اللينينية . و أدان الأحزاب المتفسّخة الإصلاحيّة البرجوازية المتذيّلة لبرجوازيّتها و المستسلمة لها .

كانت الغاية الأساسيّة لهذه النقطة من " **إقتراح** " دعوة الماركسيين - اللينينيين الحقيقيّين إلى إحداث قطيعة مع الأحزاب التحريفية و التنديد بها و إلى توحيد القوى الثورية تحت راية الماركسية - اللينينيّة . فالصراع الذى إنطلق فى 1956 بلغ قمّته و إعتبر أنّه من المستحيل تماما على التحريفية " أن تقود البروليتاريا و الجماهير الشعبية الواسعة إلى شنّ نضال ثوري و أن تكسب الثورة و أن تؤدّى الرسالة التاريخية العظيمة للبروليتاريا " . و ينتهى " **إقتراح** " إلى أنّ " هذه مسألة على جميع الماركسيين - اللينينيين و جميع العمال الواعين طبقيّا و جميع الطليعيّين أن يفكّروا فيها تفكيرا عميقا ." (ص 65) .

خاتمة : " بعد النقاش ، ينبغى رفع الراية الحمراء " :

لم تؤكّد سيرورة السنوات الماضية بشكل ساطع فقط بل عمّقت بصورة جديّة و أغنت إستنتاجات " **إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية** " . فالسنوات منذ 1963 ما كانت سنوات تعايش سلمي و تخاذل سلمي و إستسلام سلمي و سلم القبور كما تمنّى فرض ذلك التحريفيّون على الحركة الشيوعية العالمية . كانت سنوات نضال ثوريّ طال كلّ ركن من أركان كوكبنا . مع نشر " **إقتراح** " دخل النضال صلب الحركة الشيوعية العالمية مرحلة جديدة . و لم يعن ذلك جزرا بل تصاعدا فى النضال . ذلك أن الستّينات شهدت حدث الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى بفضلها صعّدت الطبقة العاملة درجات لم يسبق أن بلغتها أبدا قبلُ فصارت هذه الثورة هي أيضا جزءا هاما للغاية من إرث الطبقة العاملة العالمية فى صراعها ضد التحريفية .

من واجبنا أن ندرس بجدّية هزائمنا و كذلك إنتصاراتنا لكن تظلّ إنتصارات طبقتنا العالميّة و ليس تراجعاتها المؤقتة هي حجر الزاوية الأساسيّ الذى يسند مسار المهمّة التاريخية للطبقة العاملة .

لقد كان ماو تسى تونغ أعظم ثوريّ من ثوّار زمننا ، أمميّ حقيقي ما إنفكّ بتاتا عن الدفاع عن الثورة والماركسية - اللينينية لا فى الصين وحسب بل عبر العالم قاطبة . و يرجع الفضل فى بعث الحركة الشيوعية العالمية على أسس ثوريّة أصيلة ، إلى درجة كبيرة لقيادته و للنموذج الحيّ النابض الثوري الذى قدّمه شعب الصين .

فى ظلّ الإشتراكية كمرحلة إنتقاليّة من الرأسماليّة إلى الشيوعيّة و فى ظلّ دولة دكتاتورية البروليتاريا تظلّ المهمّة المحوريّة للطبقة العاملة الثورة والصراع الطبقي و الإطاحة بكل شيء قديم و رجعي و منحطّ و المضيّ فى تشييد عالم جديد .

طريق عمّال العالم و شعوبه و أممه المضطهَدة اليوم و طريق الشيوعيّين الثورّين الذين يقفون فى طليعة النضال البروليتاري لا يمكن إلّا أن يؤدّي إلى ما هو أرقى . تساوى مراوحة المكان أو التراجع الهلاك و السقوط تحت عجلة التاريخ فالتاريخ يجب أن يتقدّم و سيتقدّم و لن يراوح مكانه نزولا عند طلب أيّ كان و مهما كانت التعليلات " النظريّة " المقدّمة ل " تبيّن " لزوم ذلك .

إننا ندرس النضال العظيم الذى هزّ الحركة الشيوعية العالمية هزّا ، النضال ضد التحريفية الخروتشافية ، مثلما ندرس الإرث الماركسي - اللينيني كلّه بغرض تصليب صفوفنا و توحيدها اليوم إعدادا لتحدّيات أكبر حتّى مستقبلا .

" غالبا ما تمنّيت بلوغ السحاب " هذا ما كتبه ماو تسى تونغ قُبيل الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . كان هو بدوره بينما كان يُعدّ لهذه المعركة الكبرى ، ينظر إلى الماضي ليستلهم قوّة من أجل المستقبل :

" مرّة أخرى آتى من بعيد
لأصعد شنغكانغشان ، شبحنا القديم [...]

الإعصارات تندلع فى كلّ مكان
و الطريق تصعد إلى السماء [...]
الرياح و الرعود مثيرة
و الأعلام و الرايات ترفرف
حيث يعيش الإنسان . [...]

يمكننا عناق القمر فى السماء [...]
لا شيء يصعب فى هذا العالم
إذا تجرّأت على صعود القمم . / .

الملاحق :

1- أحاديث هامة للرئيس ماو تسى تونغ مع شخصيّات آسيويّة و أفريقيّة و أمريكيّة – لاتينيّة .

(دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1966؛ الطبعة الأولى 1960 و الطبعة الثانية 1966).

إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ فى أيار (مايو) و حزيران (يونيو) من عام 1960، فى تشينان و تشنغتشو ثمّ ووهان وشانغهاي ، على التوالي ، وفودا و أصدقاء يزورون بلادنا من أمريكا اللاتينية و أفريقيا و اليابان و العراق و إيران و قبرص . و خلال الإستقبالات ، أدلى الرئيس ماو تسى تونغ بأحاديث عديدة .

و قد إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ ، بتاريخ 3 أيار (مايو) فى تشينان ، وفودا نقابيّة و نسائية جاءت ،و مندوبات جئن من 14 بلدا و منطقة فى أمريكا اللاتينية و أفريقيا .

و تحادث الرئيس ماو تسى تونغ بصورة ودّية مع هؤلاء الأصدقاء و أعرب لهم عن التأييد الحازم من قبل ال650 مليونا من الصينّيين للحركات الوطنية الديمقراطية الراهنة للشعب الكوبي و جميع الشعوب الآسيوية و الأفريقية و الأمريكية – اللاتينية ، و عبّر لهم عن شكره للتأييد و المساعدة الذين أبدوهما للصين الجديدة . كما أشار بقوله : إنّ عدوّنا المشترك هو الإستعمار الأمريكي ، و نحن جميعا نقف فى نفس الجبهة ، و ينبغي لنا أن نتّحد و أن ندعم بعضنا بعضا . و قال الرئيس ماو تسى تونغ : إنّ شعوب العالم بأسره ، بما فيها الشعب الأمريكي ، صديقة لنا . و أعرب كذلك ، فى مجرى المحادثة ، عن تأييده لمؤتمر القمّة للدول الأربع المزمع عقده . و قد تكلّم الأصدقاء من تلك البلدان بدورهم أيضا عن النضال القائم حاليّا فى بلد كلّ منهم ضد الإستعمار و فى سبيل الفوز بالإستقلال الوطني و الديمقراطية و المحافظة عليها ، و عبّروا عن تصميمهم على التغلّب على جميع المصاعب ، و النضال فى سبيل النصر النهائي ، و عن ثقهم بذلك .

و بتاريخ 7 أيار (مايو) ، إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ فى تشنغتشو رجالا معروفين ، و مكافحين فى سبيل السلم ، ووفودا للشبيبة ووفودا للطلبة جاءت ،و كذلك مندوبين جاءوا ،من 12 بلدا و منطقة فى أفريقيا . و خلال الإستقبال ،أتت كافة الوفود ، فى أحاديثها المشبعة بالحماس ، على ذكر الآلام المتنوّعة التى عانتها شعوبها منذ سنوات طوال فى ظلّ إضطهاد الإستعمار و إستثماره، و على ذكر نضالاتها المعادية للإستعمار و للحكم الإستعماري ؛ و قد عبّرت عن تصميمها و ثقتها بظفر كامل ،و عن صداقتها العميقة للشعب الصيني ثمّ عن عواطف إحترامها للرئيس ماو تسى تونغ .

و قد عبّر الرئيس ماو تسى تونغ ، بإسم 650 مليونا من الشعب الصيني ، عن كامل عطفه و دعمه الكلّي لنضال الشعوب الأفريقيّة البطولي ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري . كما عبّر عن عطفه و تأييده للنضال الوطني العادل الذى يخوضه شعب جنوبي كوريا و الشعب التركي ، هذ ايبرهن على أنّ عاصفة نضالات الشعوب الآسيوية المضطهَدَة ضد الإستعمار و كلابه المتمرّغة ستهبّ بقوّة أشدّ . و سيشكّل هذا النضال دعما للنضالات العادلة التى تخوضها الشعوب الأفريقية و الأمريكية – اللاتينية و كذلك شعوب العالم بأسره . و أضاف الرئيس قائلا ، إنّ النضالات العادلة لشعوب العالم بأسره تدعم بعضها بعضا . و قد شكر الرئيس ماو تسى تونغ الأصدقاء الأفريقيّين على الصداقة العميقة التى يكنّونها للشعب الصيني ، و حيّا التضامن العظيم بين الشعب الصيني و الشعوب الأفريقية ، ثمّ أكّد بإقتناع بأنّ النصر النهائي سوف ينال بصورة أكيدة فى النضال المشترك ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري .

و قد إستقبل الرئيس ماو تسي تونغ بتاريخ 8 أيار (مايو) فى تشنغتشو أصدقاء جاءوا من 8 بلدان فى أمريكا اللاتينية .

و خلال الإستقبال ، رحّب الرئيس ماو تسي تونغ ، بادئ ذي بدء ، ترحيبا حارّا بالأصدقاء من أمريكا اللاتينية و أطلعهم على تجارب الشعب الصيني فى النضال الثوري و فى البناء الإشتراكي . و قد حدّث الأصدقاء القادمون من بلدان أمريكا اللاتينية الثمانية ، من جانبهم ، الرئيس ماو تسى تونغ عن إنطباعاتهم خلال زيارتهم للصين ، و صفّقوا بحرارة للنجاحات التى أحرزها الشعب الصيني فى أعماله و أشادوا بالخطّ العام للبناء الإشتراكي ، و بالقفزة الكبرى إلى الأمام ، ثمّ بالكمونات الشعبية فى الصين ، و كذلك بمساهمة الشعب الصيني فى قضية السلم العالمي و تقدّم الإنسانية . و قد تحدّثوا أيضا عن الروابط التاريخيّة بين شعوب أمريكا اللاتينيّة و الشعب الصيني و عن الصداقة التى تتطوّر فيما بينها يوما بعد يوم . و قالوا بأنّ لشعوب أمريكا اللاتينيّة و الشعب الصيني عدوّا مشتركا ، هو الإستعمار الأمريكي . و تحدّثوا عن النضال الذى يخوضه الشعب الكوبي و شعوب بلدان أمريكا اللاتينيّة الأخرى ضد الإستعمار الأمريكي . و صرّحوا بأنّ النصر النهائي سوف يحرز بصورة أكيدة فى النضال ضد الإستعمار ، إذا ما إتّحدت شعوب أمريكا اللاتينية مع بعضها البعض و مع الشعب الصيني و شعوب العالم بأسره .

و شكر الرئيس ماو تسى تونغ هؤلاء الأصدقاء على صداقتهم للشعب الصيني . و قال بأنّ الشعب الصيني ، شأنه شأن شعوب أمريكا اللاتينية ، قد إضطهده و إستثمره الإستعمار وقتا طويلا . و قد إستطاع الشعب الصيني ، بالإعتماد على وحدة صفوفه الخاصة و على مساعدة شعوب البلدان الأخرى ، أن يخوض نضالا طويلا مريرا و إنتهى إلى قلب سيطرة الإستعمار و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية فى الصين ، وهو يقوم ، فى الوقت الحاضر ، ببناء بلده لكي يغيّر سيماء " فقره و عوزه الثقافي " . و إنّ الشعب الصيني واثق تماما بمقدرته على إنجاز بناء بلده ، وهو يحتاج لذلك إلى الوقت و السلم و الأصدقاء . و قال الرئيس بأنّ الشعب الكوبي و شعوب أمريكا اللاتينية و كذلك شعوب العالم بأسره صديقة للشعب الصيني ، فى حين أنّ الإستعمار و كلابه المتمرّغة هم أعداؤنا المشتركون و لكنّهم لا يشكّلون سوى عدد ضئيل جدّا . و قال بأنّ السلم العالمي يكتسب بصورة رئيسية عن طريق نضال شعوب البلدان المختلفة . و عبر الرئيس عن إعجابه بنضال الشعب الكوبي البطولي ضد الإستعمار الأمريكي . و قال بأنّ نضال الشعب الكوبي و شعوب امريكا اللاتينية الأخرى ساعد الشعب الصيني ، كما أنّ نضال الشعب الصيني ساعد أيضا الشعب الكوبي و الشعوب الأخرى فى بلدان أمريكا اللاتينية . إنّ الشعب هو العامل الحاسم ، و بإعتمادنا على إتّحاد و نضال الشعب ، نستطيع حتما أن ندحر الإستعمار و كلابه المتمرّغة ، و أن نحقّق سلما دائما فى العالم .

و قد إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ بتاريخ 9 أيار(مايو) فى تشنغتشو أصدقاء أعضاء فى الوفدين الثقافي و العمّالي العراقيّ ين ،و فى الوفد النقابي الإيراني ،ووفد إتّحاد العمل القبرصي . و تحادث الرئيس ماو تسى تونغ مع الأصدقاء العراقيّين و الإيرانيّين و القبرصيّين حول وضع نضال الشعوب فى البلدان المختلفة ضد الإستعمار و كلابه المتمرّغة كما تحادث معهم عن التجارب المكتسبة .

و قد قال الرئيس ، إنّ أكبر إستعمار فى العالم ، فى الوقت الراهن ، هو الإستعمار الأمريكي الذى لديه كلاب متمرّغة فى بلدان عديدة . و إنّ هؤلاء الذين يؤيّدهم الإستعماريّون ، هم بالضبط اولئك الذين تنبذهم الجماهير الشعبية الواسعة . و أنّ أفرادا أمثال تشيانغ كاي شيك و سينغمان ري و نوبوزوكه كيشي و باتيستا و نوري السعيد و مندريس ، هم إمّا قد خلعوا من قبل الشعب ، إمّا على وشك أن يخلعوا . و إنّ مقاومة الشعوب فى تلك البلدان ضد الكلاب المتمرّغة للإستعماريين الأمريكيين و الإستعماريين الآخرين ، تشكّل أيضا مقاومة ضد حكم الإستعماريين الرجعي . وقال الرئيس ماو تسى تونغ بأنّ الشعب الياباني يقوم حاليّا بتنظيم مظاهرات حاشدة اكثر ممّا كانت عليه فى الماضي ضد معاهدة التحالف العسكري ، ذات الطابع العدواني ، المتوقّعة من قبل حكومة كيشي مع الإستعماريين الأمريكيين . و إنّ الشعب الصيني يدعم بحزم نضال الشعب الياباني ذاك . و قال بأنّ النضال العادل لشعوب العالم يفيد ، سيستمرّ فى الإفادة ، من الدعم الحازم للـ650 مليونا من الشعب الصيني . و قال بأنّ حياة الإستعمار لن تكون قط طويلة جدّا. و قد إرتكب الإستعماريّون كلّ المساوئ الممكنة و لن تستطيع كافة الشعوب المضطهدَة فى العالم بأسره أن تغفر لهم قطعا . و قال الرئيس ماو تسى تونغ بأنّه ينبغى لدحر حكم الإستعماريين الرجعي ، تشكيل جبهة موحّدة واسعة ، و الإتّحاد مع كافة القوى التى يمكن الإتّحاد معها، ما عدا الأعداء ، و مواصلة القيام بنضال مرير .

و قد شكر الأصدقاء العراقيّون و الإيرانيّون و القبرصيّون الرئيس ماو تسى تونغ على إستقباله و على الأقوال التى أدلى بها ، و عبّروا عن إرادتهم فى النضال بصورة مشتركة مع الشعب الصيني و شعوب العالم بأسره ضد الإستعمار . و فى الختام ، رفع الرئيس ماو تسى تونغ كأسه و تمنّى إتّحادا أوطد بين شعوب العالم و عبر عن الأمل بأن يؤدى نضال الشعب الياباني على الإنتصار ، و أن تحرز شعوب العالم أيضا النصر فى نضالها ضد الإستعمار و كلابه المتمرّغة .

و إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ بتاريخ 14 أيار (مايو) فى ووهان أصدقاء من اليابان و كوبا و البرازيل و الأرجنتين .

و قد رحّب الرئيس ماو تسى تونغ ، بادئ ذى بدء ، بالأصدقاء اليابانيّين و الكوبيّين و البرازيليّين و الأرجنتينيّين بمناسبة زيارتهم للصين . و أبدى إهتمامه بالنضال الذى يخوضه الشعب الياباني ضد معاهدة التحالف العسكري اليابانيّة – الأمريكية . و قال بأن " معاهدة الأمن " اليابانية - الأمريكية الجديدة تستهدف إضطهاد الجماهير الشعبية اليابانية الواسعة، وهي معاهدة تحالف عسكري ذات طابع عدواني ، معادية للصين و للإتحاد السوفياتي و للشعوب الآسوية ، وتشكّل تهديدا خطيرا للسلم فى آسيا و فى العالم ، و حتما ستكون فى الوقت نفسه سببا تنجم عنه مصائب كبرى تنزل بالشعب الياباني . و يجب على الشعبين الصيني و الياباني ، و الشعوب الآسيويّة و كذلك الشعوب المحبّة للسلم فى العالم أجمع أن تقاوم معاهدة التحالف العسكري اليابانية – الأمريكية .

و قال الرئيس ماو تسى تونغ بأنّ الإستعمار الأمريكي هو العدوّ المشترك للشعبين الصيني و الياباني ، وهو فى نفس الوقت ، عدوّ مشترك للشعوب الآسيوية و الأفريقية و الأمريكية – اللاتينية ، و لجميع الشعوب المحبّة للسلم فى العالم بأسره . و قد ربّى الإستعماريون لمصلحتهم بالذات كلابا متمرّغة فى بلدان عديدة ، و إنّ شعوب هذه البلدان لا تحبّ تلك الكلاب المتمرّغة . و حكومة نوبوزوكه كيشي فى اليابان ، هي حكومة من هذا النوع . و قد عبّر الوطنيون المستنيرون فى الحزب الحرّ – الديمقراطي الياباني أيضا عن إستيائهم تجاه سياسة نوبوزوكه كيشي الرجعيّة . و يخوض الشعب الياباني ، فى الوقت الراهن ، نضالا واسع النطاق ضد معاهدة التحالف العسكري اليابانية – الأمريكية ، و يرتفع وعي الشعب الياباني من يوم إلى يوم فى نضاله ضد هذه المعاهدة ، و يزداد عدد الذين ينشأ لديهم الوعي أكثر فأكثر . و أضاف الرئيس ماو تسى تونغ بأنّ للشعب الياباني مستقبلا مشرقا . و قد دعم الشعب الصيني ، وهو يدعم ، و سيدعم بحزم الشعب الياباني فى نضاله الوطني العادل . و يدعم الشعب الكوبي و الشعوب الأخرى فى أمريكا اللاتينية نضال الشعب الياباني أيضا نضال الشعب الكوبي و الشعوب الأخرى فى أمريكا اللاتينية .

و قال الرئيس ماو تسى تونغ بأنّ الولايات المتّحدة قد أرسلت مؤخّرا طائرة من طراز يو- 2 لتتلّل فى الإتحاد السوفياتي بقصد القيام فيه بنشاطات تجسّسية ، فتمّ إسقاطها و كان السوفياتيّون على حق تماما . و قد كشف هذا الحادث مرّة جديدة عن الوجه الحقيقي للإستعماريين الأمريكيين الذين يقومون ، تحت الشعار الريائي للسلم ، بالتحضيرات لحرب عدوانيّة ، وبرهن للعالم بأسره مرّة أخرى على هذه الحقيقة : لا ينبغى الإحتفاظ بأوهام ، أو بأمل لا يتّفق مع الواقع ، عن الإستعماريين . و قد وصف بعض الأشخاص أيزنهاور كإنسان جدّ مولع بالسلم ، و إنّى أرجو أن يكون هؤلاء الأشخاص قد إستناروا بهذه الحوادث .

و قال الرئيس ماو تسى تونغ : إنّنا نؤيد دعوة مؤتمر القمّة ، سواء توصّل هذا النوع من المؤتمرات إلى نتائج أم لا ، أو مهما كانت أهمّية هذه النجاحات المكتسبة . و مع ذلك ، ينبغى للحصول على السلم فى العالم ، الإعتماد بشكل رئيسي على النضال الحازم لشعوب كافة البلدان .

و تحدّث الرئيس أيضا عن النهوض المتعاظم للحركات الوطنية الديمقراطية فى آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية . و قال بأنّ أخوف ما يخافه الإستعماريّون ، هو نشوء الوعي لدي الشعوب الآسيوية و الأفريقية و الأمريكية – اللاتينية ، و نشوء الوعي لدي شعوب العالم كلّها . فينبغى لنا أن نتّحد لطرد الإستعماريين الأمريكيين من آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية و إعادتهم إلى بلادهم .

و قد شكر الأصدقاء اليابانيّون و الكويتيّون و البرازيليّون و الأرجنتينيّون الرئيس ماو تسى تونغ على الإستقبال و المحادثة الودّية اللذين منحهما لهم ،و عبّروا عن إرادتهم فى الإتّحاد من أجل النضال بالإجماع ضد الإستعمار و من أجل إحراز النصر فى النضال الوطني الديمقراطي .

و فى الختام ، شرب الرئيس ماو تسى تونغ نخب إتّحاد شعوب العالم بأسره ، و إنتصار الشعب الياباني ، و إنتصار الشعوب الأمريكية – اللاتينية ، ثمّ إنتصار شعوب جميع بلدان العالم .

وقد إستقبل الرئيس ماو تسى تونغ و رئيس مجلس الدولة شو إن لاي بتاريخ 21 حزيران (يونيو) فى شنغهاي وفد رجال الأدب اليابانيّين ،و دارت محادثات ودية فى جوّ مشبع بالصداقة .

لقد أشار الرئيس ماو تسى تونغ إلى أن نضال الشعب الياباني الظافر ضد الإستعمار الأمريكي و عملائه فى اليابان ، فى سبيل الإستقلال الوطني و فى سبيل الديمقراطية و الحرّية يشكّل دعما كبيرا جدّا لنضال الشعب الصيني و شعوب العالم ضد عدوان الإستعماريين الأمريكيين و فى سبيل صيانة السلم العالمي .

و قال الرئيس بأنّ وعي الشعب الياباني قد إرتفع كثيرا بالقياس إلى ما كان عليه منذ بضع سنوات ، و أنّ الجماهير الشعبية اليابانيّة الغفيرة قد أدركت ان الإستعمار الأمريكي هو العدوّ المشترك للشعبين الصيني و الياباني و للشعوب الشّغوفة بالسلم و المؤيّدة للعدالة فى العالم بأسره . و قد كان من الصعب تصور هذا النضال فى الماضي ، نظرا لإتّساعه و إمتداده و طول مدّته . و يبدو أنّ الشعب الياباني قد إكتشف طريقة حسنة فى الوضع الراهن ، لمقاومة " معاهدة الأمن اليابانية – الأمريكية " الجديدة ، و قواعد الولايات المتحدة العسكرية ، و لطرد قوى الإستعمار الأمريكي العدوانية ، و هذه الطريقة تكمن فى توحيد أوسع القوى ، بإستثناء الإستعمار الأمريكي و عملائه ، من أجل خوض نضال جماهيري على نطاق الأمّة بأسرها ضد الإستعمار الأمريكي و عملائه .

و جلب الرئيس ماو تسى تونغ الإنتباه إلى أنّ النصر يكتسب مرحلة فمرحلة ، و أنّ وعي الجماهير يرتفع أيضا بصورة تدريجيّة . و قد تمنّى الرئيس نجاحات أكبر للشعب الياباني فى نضاله الوطني العادل ضد الإستعمار الأمريكي .

و فى الختام ، عبّر جميع أعضاء الوفد عن شكرهم المخلص و عن إغتباطهم للتأييد الهائل الموجّه إلى الشعب الياباني من قبل الرئيس ماو تسى تونغ و الشعب الصيني .

2- حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مع الهند ضد الصين

بقلم هيئة تحرير صحيفة " **جينمينجيباو** " ، يوم 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 1963

دار النشر باللغات الأجنبية ، بيكين 1963

فهرست :

1- حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي مع الهند ضد الصين

بقلم هيئة تحرير صحيفة " **جينميجيباو** " ، يوم 2 نوفمبر (تشرين الثاني) 1963

2- ملحق : مصدر خطير للتوتّر فى آسيا

المقال الذى نشرته " **البرافدا** " فى 19 سبتمبر – أيلول- عام 1963

==

حقيقة تحالف قادة الحزب الشيوعى السوفياتى مع الهند ضد الصين

بقلم هيئة تحرير صحيفة "جينميجيباو " ، يوم 2 نوفمبر (تشرين الثانى) 1963

نشرت هيئة تحرير صحيفة " **البرافدا** " فى 19 سبتمبر (أيلول) مقالا حول مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة بعنوان " **مصدر خطير للتوتّر فى آسيا** " ، و قد نشرنا النصّ الكامل لهذا المقال فى 25 سبتمبر (أيلول) . و يقذف المقال ، متغاضيا عن الحقائق و خالطا بين الصواب و الخطإ ، بالتهمة الإفترائيّة بأنّ الصين تريد تسوية مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة بالقوّة المسلّحة و لا ترغب بإخلاص فى تسوية سلميّة . إنّ هذا المقال يسعى إلى بذر بذور الشقاق بين الصين و البلدان الآسيويّة و الأفريقيّة و يتّهم الصين بأنّها على النقيض من الهند لم " تقابل بصورة إيجابيّة مقترحات مؤتمر كولمبو و تقبلها بصورة تامة دون أدنى تحفّظ " . و حرصا على إثارة القلاقل جاء فى المقال تعبير مثير هو أنّ صدام الحدود الصينيّة الهنديّة " قد يتفاقم مرّة أخرى " .

لقد لقي مقال " **البرافدا** " الترحيب الحار مباشرة من قبل الرجعيّين الهنود و المستعمِرين الأمريكيّين .

فقال نهرو فى 21 سبتمبر (أيلول) إنّ هذا المقال قد دلّ على " تطوّر هام فى تقدير السوفيت لموقف الهند " .

و فرحة بهذه الريح المباركة طالبت وكالة الإعلام الهنديّة جميع أجهزة الإلتقاط التابعة لها ب " إعطاء أكبر قدر " من الدعاية للنصّ الكامل لمقال " **البرافدا** " .

لقد تباهت الصحافة الهنديّة الرجعيّة ب " السند السوفياتي الشامل للهند ضد الصين " و أعلنت أنّ " الإتحاد السوفياتي قد ألقى بعيدا بتحفّظه " الأخوي " و وقف علنا اليوم بجانب الهند فيما يتعلّق بنزاع الحدود الصينيّة الهندّية " .

و جاء فى صحيفة " **الكرستان سيانس مونيتور** " الأمريكيّة أنّ الإتحاد السوفياتي " يلعب الآن دورا نشطا " فى كبح جماح الصين و " أنّ للغرب من الأسباب ما يجعله فى حاجة عظيمة لكي يتنفّس الصعداء " . كما جاء فيها أنّ عددا كبيرا من الهنود يعتبرون مقال " **البرافدا** " " نوعا من الردع مساويا للمناورات الجوّية القادمة الموالية للغرب " .

إنّ مقال " **البرافدا** " هو وثيقة هامّة بلا شكّ . لقد تحالف القادة السوفيت منذ زمن بعيد مع الرجعيّين الهنود لمعارضة الصين الإشتراكية . و يدلّ هذا المقال على تحوّلهم من موقفهم السابق – موقف التظاهر بالحياد بل الوقوف مع الرجعيّين الهنود فى الواقع – إلى موقف التعاون مع الإستعمار الأمريكي و مساندة الرجعيّين الهنود بصورة مكشوفة .

-1-

إنّ أحد الخلافات المبدئيّة الهامة بين القادة السوفيت و بيننا يكمن فى مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . وكنّا نفضّل الصمت حول أصل و تطوّر الخلاف بين الصين و الإتحاد السوفياتيّ حول هذه المسألة . إلاّ أنّ القادة السوفيت قد كشفوا هذا الأمر فى العلن و بالإضافة لهذا زعموا فى بيان الحكومة السوفياتيّة بتاريخ 21 سبتمبر (أيلول) أنّ موقفهم من مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة كان موقفا صحيحا دائما منذ عام 1959 بينما كان موقف الصين خاطئا . و لهذا السبب و بغية التمييز بين الحقيقة و الزيف أصبح من الضروريّ أن نوضّح كيف تطوّرت خلافاتنا مع القادة السوفيت حول هذه المسألة خلال السنوات القلائل الماضية .

أوّلا : أثار الرجعيّون الهنود الصدام المسلّح الأوّل عند الحدود الصينيّة الهنديّة فى 25 أغسطس (آب) 1959 بعد فشل التمرّد المسلّح الذى قامت به العصبة الرجعيّة من الفئات العليا فى التيبيت و الذى حرّض عليه الرجعيّون الهنود و أيّدوه . و فى 6 سبتمبر (أيلول) 1959 أخبر أحد القادة الصينيّين القائم السوفياتي بالأعمال بالحقائق المتعلّقة بالإصطدام و بسياسة الصين التى مفادها السعي لتجنّب الصدام . كما أخبره بأنّ غرض الحكومة الهنديّة من إثارة صدام الحدود هو معارضة الشيوعية و الصين ؛ و أنّ البرجوازيّة الهنديّة قد أصبحت رجعيّة بصورة متزايدة بزيادة حدّة الصراع الطبقي الداخلي ، و هذا ينطبق تماما على قوانين التطوّر ؛ و أنّه من الضروري عدم الإنخداع بنهرو الذى يسعى إلى مباشرة الضغط على الصين بإستخدام الإتحاد السوفياتي .

ثانيا : فى صباح 9 سبتمبر (أيلول) 1959 ، بُلّغ القائم السوفياتي بالأعمال الحكومة الصينيّة بأنّ الحكومة السوفياتيّة سوف تصدر بيانا لوكالة " **تاس** " فيما يتعلّق بمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة فى 10 سبتمبر (أيلول) و قدّمت له نسخة من هذا البيان . و أعلنت الحكومة الصينيّة مباشرة و بصورة مبدئيّة أنّه يكون من الأفضل ألاّ تصدر الحكومة السوفياتيّة بيانا علنيّا حول هذه المسألة .

و بعد ظهر نفس اليوم ، سلّمت الحكومة الصينيّة القائم السوفياتي بالأعمال نسخة من خطاب رئيس مجلس الدولة تشو آن لاي إلى رئيس الوزراء نهرو بتاريخ 8 سبتمبر (أيلول) . و قدّمت فيه الحكومة الصينيّة للحكومة الهنديّة إقتراحات حول التوصّل إلى تسوية ودّية لمسألة الحدود عن طريق المفاوضات و حول إبقاء وضع الحدود على ما هوعليه حتّى يتمّ الوصول إلى تسوية كهذه .

و فى مساء ذلك اليوم ، أخبرت الحكومة الصينيّة القائم السوفياتي بالأعمال أنّ الصين قد نشرت خطاب رئيس مجلس الدولة تشو آن لاي إلى نهرو و طلبت من الحكومة السوفياتيّة أن تأخذ فى إعتبارها وجهة نظر الصين و موقفها اللذين وردا فى ذلك الخطاب ، و ألاّ تصدر بيان **" تاس "** .

ثالثا : إلاّ أنّ الحكومة السوفياتيّة قد تجاهلت نصيحة الصين و نشرت بيان **" تاس "** فى مساء 9 سبتمبر (أيلول) 1959 قبل ميعاده المقرّر و كشفت بذلك الخلافات بين الصين و الإتّحاد السوفياتي . و قد عبّرت الحكومة السوفياتيّة فى ذلك البيان بصورة عامّة و دون تمييز بين الخطأ والصواب عن " أسفها " فيما يتعلّق بصدام الحدود الصينيّة الهنديّة ، و بالرغم من إرتدائها ثوب الحياد ، وقفت بالفعل إلى جانب الهند و أدانت الصين .

رابعا : فى يوم 30 سبتمبر (أيلول) 1959 ، أنّب الرفيق خروتشوف الصين علنا بأنّها أرادت " إختبار إستقرار نظام الرأسمالي عن طريق القوّة . و قد أدرك العالم قاطبة أنّ هذا معناه أنّ الصين " محبّة للحرب " فيما يتعلّق بتايوان و الحدود الصينيّة الهنديّة .

خامسا : فى 2 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1959 ، قدّم القادة الصينيّون بأنفسهم إلى الرفيق خروتشوف توضيحا حول الوضع الحقيقي لصدام الحدود الصينيّة الهنديّة و الظروف التى سبقته ، و أشاروا إلى أنّ الهند هي التى قامت بالإستفزاز عبر الحدود و أنّه لا يجب الرضوخ إلى الرجعيّين الهنود طوال الوقت . إلاّ أنّ خروتشوف لم يكن راغبا فى معرفة الوضع الحقيقي_و طبيعة الجانب الذى يقوم بالإستفزاز ، و أصرّ على أنّه من الخطأ بأي حال من الأحوال ضرب الناس بالرصاص و قتلهم .

سادسا : أثار الرجعيّون الهنود الصدام المسلّح الثاني على الحدود الصينيّة الهنديّة فى 21 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1959 . و أبلغت الحكومة الصينيّة القائم السوفياتي بالأعمال بحقائق الحادث فى 26 أكتوبر (تشرين الأوّل) .

سابعا : فى جلسة عامة لمجلس السوفيات الأعلى فى 31 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1959 ، عبّر خروتشوف مرّة أخرى عن " أسفه " و " ألمه " تجاه صدام الحدود الصينيّة الهنديّة و أزاح جانبا مسئوليّة الهند تجاه هذا الإستفزاز .

ثامنا : قال خروتشوف لدى إستقباله مراسل المجلّة الأسبوعيّة الهنديّة **" العهد الجديد "** فى 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 1959 ، إنّ حادثة الحدود الصينيّة الهنديّة هي حادثة " محزنة " و أمر " بليد " . وقدّم مثال تسوية الحدود السوفياتيّة الإيرانيّة و قال " ماذا تهمّ كيلومترات ضئيلة لقطر كالإتحاد السوفياتي ؟ " موحيا بأنّه على الصين أن تقدّم أراضيها إستجابة لدعوى الهند .

تاسعا : ذكر القادة الصينيّون للسفير السوفياتي فى ستّ محادثات بين 10 سبتمبر (كانون الأوّل) 1959 و 30 يناير (كانون الثاني) 1960 أنّ القادة السوفيت مخطئون فى " إتّخاذ موقف الحياد الدقيق " فيما يتعلّق بمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، و أنّهم ليسوا فى الحقيقة محايدين أبدا إذ أنّ بياناتهم وجّهت اللوم و التوبيخ إلى الصين بينما كانت فى صالح الهند .

عاشرا : بلّغت اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي السوفياتي اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الصيني فى حديث شفويّ فى 6 فبراير (شباط) 1960 أنّه " ممّا يجافى الموقف الجاد أن يظنّ المرء أنّ دولة

مثل الهند التى هي أضعف بكثير من الصين عسكريّا و إقتصاديّا ، تحاول فعلا شنّ هجوم عسكريّ على الصين و تعتدى عليها " ، و أنّ معالجة الصين لهذه المسألة كانت " تعبيرا عن موقف القوميّة الضيّقة "، و أنّه " عندما سمع صوت إطلاق النار على الحدود الصينيّة الهنديّة عشيّة سفر ن. س. خروتشوف إلى الولايات المتّحدة ، إعتبر كلّ العالم أنّ هذا حدث يعرقل النشاطات المحبّة للسلم التى يقوم بها الإتحاد السوفياتي " .

حادى عشر : فى 22 يونيو (حزيران) 1960 ، قال خروتشوف لرئيس وفد الحزب الشيوعي الصيني لدى إجتماع بخارست : " أنا أعرف ما معنى الحرب . و طالما قتل عدد من الهنود فإنّ هذا معناه أنّ الصين هي التى هاجمت الهند " . كما قال أيضا : " نحن شيوعيّون و ليس من المهمّ أن نعرف أين يجرى خطّ الحدود . "

ثانى عشر : فى 8 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 بلّغ أحد القادة الصينيّين السفير السوفياتي بأنّ الصين قد بلغها أنّ الهند كانت تستعدّ لشنّ هجوم شامل على الحدود الصينيّة الهنديّة ، وأنّه إذا بدأت الهند هذا الهجوم سوف ندافع عن أنفسنا بحزم . كما أبلغه أيضا بأنّ حقيقة أنّ طائرات الهيلوكبتر السوفياتيّة و طائرات النقل السوفياتيّة كانت تستخدم من قبل الهند بغرض إلقاء الإمدادات الحربيّة من الجوّ و نقلها فى مناطق الحدود الصينيّة الهنديّة ، قد تركت إنطباعا سيّئا لدى جنودنا فى الحدود ، و نرى أنّه من واجبنا الأمميّ أن نخبر الجانب السوفياتي بهذا الوضع .

ثالث عشر : فى 13 و 14 من أكتوبر(تشرين الأوّل) 1962 ، قال خروتشوف للسفير الصيني ما يلى : أمّا فيما يتعلّق بتحضير الهند لشنّ الهجوم على الصين فإنّ ما بلغ الإتّحاد السوفياتي شبيه بما وصل إلى علم الصين . و إذا كان الإتّحاد السوفياتي فى موقف الصين لما كان فى وسعه إلاّ أن يتّخذ الإجراءات التى إتّخذتها الصين . إنّ موقف الحياد من مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة أمر مستحيل ، و إذا أقدم أي أحد على الهجوم على الصين وقال الإتحاد السوفياتي إنّه محايد فإنّ هذا يعدّ خيانة .

رابع عشر : فى 20 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، شنّ الرجعيّون الهنود هجوما شاملا على الصين . و فى 25 أكتوبر (تشرين الأوّل) نشرت صحيفة " **البرافدا** " إفتتاحيّة ورد فيها أنّ خطّ مكماهون السيء الصيت فُرض على الشعبين الصيني و الهندي و لم يحدث أن إعترفت به الصين أبدا . كما جاء فيها أنّ الثلاثة إقتراحات التى قدمتها الحكومة الصينيّة فى بيانها المؤرّخ فى 24 أكتوبر (تشرين الأوّل) هي إقتراحات بنّاءة و تشكّل أساسا مقبولا لفتح باب المفاوضات بين الصين و الهند و تسوية النزاع بينهما تسوية سلميّة .

خامس عشر : فى 12 ديسمبر (كانون الأوّل) 1962 ، عاد خروتشوف إلى نغمته الأصليّة و قد تناسى كلّ ما قاله قبل شهرين من ذلك فأدلى بالتلميحات الآتية فى جلسة عامة لمجلس السوفيات الأعلى : إنّ المناطق المتنازع عليها بين الصين و الهند قلّما يوجد فيها سكّان وهي ذات قيمة بسيطة للحياة الإنسانيّة . و رأي الإتّحاد السوفياتي أنّه من غير المعقول الظنّ بأنّ الهند أرادت إثارة حرب مع الصين . إنّ الإتحاد السوفياتي يسير على آراء لينين فيما يتعلّق بنزاعات الحدود . و قد برهنت خبرته خلال خمسة و أربعين عاما أنّه لم يوجد نزاع للحدود إستحال حلّه دون اللجوء إلى القوّة . و بالطبع كان جميلا أن أمرت الصين بوقف إطلاق النار من جانبها وحدها و سحبت جنودها . غير أنّه ، أما كان أجمل لو أنّ القوّات الصينيّة لم تتقدّم على الإطلاق من مواقعها الأصليّة ؟

سادس عشر : إنّ القادة السوفيات بنشرهم المقال الإفتتاحي الذى كتبته هيئة تحرير " **البرافدا** " فى 19 سبتمبر (أيلول) 1963 قد ألقوا جانبا بكلّ الأقنعة و وقفوا علنا بجانب المستعمِرين الأمريكيّين ، مؤيّدين الرجعيّين الهنود ضد الصين الإشتراكيّة .

يتّضح من الحقائق السالفة أنّ الصين قد فعلت كلّ ما فى وسعها لإزالة الخلافات الصينيّة السوفياتيّة حول مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . إلاّ أنّ القادة السوفيت ثابروا على موقفهم - موقف تعصّب الدولة الكبيرة، و تصرّفوا بصورة متعجرفة و أداروا أذنا صماء لآراء الصين . لقد كشفوا الخلافات الصينيّة السوفياتيّة إلى العلن لكي يخلقوا ما يسمّى بروح " كامبد دافيد " و يقدّموا هديّة المودّة إلى المستعمِرين الأمريكيّين . و خلال أزمة الكاريبي نطقوا بكلمات قليلة تبدو عادلة بعض الشيء و تخدم مصالحهم فى ذلك الوقت . و لكن بعد أن إنتهت الأزمة تراجعوا عن أقوالهم . لقد وقفوا مع الرجعيّين الهنود ضد الصين منذ البداية حتّى النهاية . و يتّضح من الحقائق أن موقف قادة الحزب الشيوعي السوفياتي فيما يتعلّق بمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة هو خيانة تامة للأمميّة البروليتاريّة .

-2-

إنّ خلافاتنا مع القادة السوفيت حول مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة خلال الأربع سنوات الماضية يمكن تلخيصها فى المسائل الأربع الأساسيّة التالية :

أوّلا : هل مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة مسألة رئيسيّة تتعلّق بالمبدأ ، أم هي مسالة غير هامّة ؟

ثانيا : من أصرّ بحزم على إبقاء وضع الحدود كما هو عليه و من أثار الصدامات المسلّحة على الحدود ؟

ثالثا : ما الموقف الذى يجب أن يتّخذه قطر إشتراكي إذا شنّ الرجعيّون البرجوازيّون عليه الهجمات المسلّحة ؟

رابعا : من تنقصه الرغبة المخلصة فى التوصّل إلى تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة – الهند أم الصين ؟

فلننظر الآن كيف تجاهل القادة السوفيت لحاجة فى نفس يعقوب الحقائق و خلطوا الصواب بالخطأ بتأييدهم الهند و خيانتهم للصين فيما يتعلّق بهذه المسائل الأربع .

1- هل مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة مسألة رئيسيّة تتعلّق بالمبدأ ، أم هي مسألة غير هامّة ؟

من المعروف جيّدا أنّ مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، هي مسألة تتعلّق ب 125 ألفا من الكيلومترات المربّعة من الأراضي الصينيّة . و لهذا فهي مسألة رئيسيّة و ليست مسألة غير هامّة . و رأينا دائما أنّه حتّى إذا كانت مسألة ما ذات أهمّية كبرى كهذه يمكن تسويتها طالما كان الجانبان يعاملان بعضهما البعض على قدم المساواة و بروح التفاهم المتبادل و روح التنازل المتبادل . إلاّ أنّ الحكومة الهنديّة لم تحتلّ 90 ألفا من الكيلومترات المربّعة من الأراضي الصينيّة جنوب خطّ مكماهون غير الشرعي فى القطاع الشرقيّ من الحدود الصينيّة الهنديّة ، و ألفي كيلومتر مربّع من الأراضي الصينيّة فى القطاع

الأوسط و حسب بل ما زالت تعتزم إحتلال 33 ألف كيلومتر مربّع أخرى من الأراضي الصينيّة فى القطاع الغربيّ ، التى ظلّت دائما تحت الإدارة الصينيّة . و هذا هو السبب الذى من أجله لم يوجد حلّ لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة طوال هذه المدّة .

إنّ رأي القادة السوفيت هو أنّ هذه المسألة هي مسألة غير هامّة . و خروتشوف يقول : " ماذا تعنى كيلومترات ضئيلة ؟ "

و نحن لا يسعنا أن نوافق على هذا . فالمسألة ليست مسألة بعض كيلومترات لا غير ، و لكنّها مسألة 125 ألفا من الكيلومترات المربّعة . وكم تساوى 125 ألفا من الكيلومترات المربّعة ؟ إنّها أكبر من مجموع مساحة جمهوريّتي أذربيدجان و أرمينيا معا . و لنفرض أنّ قطرا رأسماليّا أصرّ على إحتلال هاتين الجمهوريّتين من جمهوريّات الإتّحاد السوفياتي ، فهل يعتبر القادة السوفيات هذا أيضا ، من الأمور التى لا تستحقّ الإهتمام ؟

يدّعى خروتشوف أيضا أنّ المناطق المتنازع عليها على الحدود الصينيّة الهنديّة قليلة السكّان و ليست ذات قيمة كبيرة للحياة الإنسانيّة و لهذا لا تستحقّ أن يُنظر إليها بعين الجدّ .

و نحن لا تسعنا الموافقة على هذا أيضا . و من يقول بأنّه على القطر الإشتراكي أن يدافع فقط عن أجزائه المكتظّة بالسكّان و لا يدافع عن أجزائه التى يقلّ فيها السكّان ؟ و فى الحقيقة فإنّ كثافة السكّان فى المنطقة الواقعة فى القطاع الشرقيّ من الحدود الصينيّة الهنديّة هي بصورة عامة تشبه ما فى جمهوريّة تركمان السوفياتيّة . أمّا المنطقة الواقعة فى القطاع الغربي من الحدود الصينيّة الهنديّة فهي ليست مهجورة أكثر من المناطق المتجمّدة الشاسعة فى الجزء الشمالي الشرقي من الإتّحاد السوفياتي ، التى تواجه ولاية ألاسكا الأمريكيّة عبر البحر . و لنفرض أنّ قطرا رأسماليّا أراد إحتلال هذه المناطق السوفياتيّة ، فهل يعتقد القادة السوفيات بأنّه ما من حاجة للقلق بشأنها و أنّه يمكن التنازل عنها ؟

و يدّعى القادة السوفيات أيضا أنّه لا حاجة بالشيوعيّين إلى الإهتمام بموقع الحدود و كيف تجرى ؟

ولا شكّ أنّ هذا كلام ذكيّ . إلاّ أنّهم نسوا لسوء الحظّ أنّنا نعيش فى عالم فيه طبقات و دول ، فى عالم ما زال به مستعمرون و رجعيّون برجوازيّون . و إذا طبّقت كلمات القادة السوفيت ألا يؤدّى هذا إلى فقدان كلّ الأقطار الإشتراكيّة حقّها فى الدفاع عن حدودها ؟ و ما الذى يبقى بعد ذلك فى العزم الجماعي الذى عبّرت عنه الأقطار الإشتراكيّة لصيانة حرمة حدود الأودر- نايسى بين ألمانيا و بولندا ؟ و بالطبع لا يمكن للشعب السوفياتي و شعوب الأقطار الإشتراكيّة الأخرى أن تقبل مثل هذا القول السخيف .

2- من أصرّ بحزم على إبقاء وضع الحدود كما هو عليه، و من أثار الصدامات المسلّحة على الحدود ؟

إنّ الجواب واضح .

بالرغم من أنّ الهند قد إحتلّت أكثر من 90 ألف كيلومتر مربّع من الأراضي الصينيّة ، إلاّ أنّ الصين تدعو دائما إلى تسوية سلميّة لقضيّة الحدود عن طريق المفاوضات ، و إلى إبقاء وضع الحدود كما هو عليه و تجنّب الصدام حتّى الوصول إلى تسوية كهذه .

إلاّ أنّ الرجعيّين الهنود لا يرغبون سواء فى تسوية سلميّة لقضيّة الحدود عن طريق المفاوضات ، و لا فى إبقاء الوضع القائم فعلا على الحدود كما هو عليه . و تمشّيا مع طمعهم فى إحتلال ثلاثين ألف

كيلومتر مربّع أخرى من الأراضي الصينيّة ، لم يتورّعوا عن اللجوء إلى القوّة ، و نقضوا مرّات عديدة الوضع القائم على الحدود و حتّى أنّهم أثاروا صدامات مسلّحة .

إنّ موقفي الصين و الهند المتعارضين تعارضا تاما فيما يتعلّق بمسألة الحدود هما واضحان تمام الوضوح أمام جميع الناس غير المتحيّزين الذين يحترمون الحقائق .

لقد بذلت الصين جهودا لا تعرف الكلل لإبقاء وضع الحدود كما هو عليه و للتأكّد من الإستقرار على الحدود ، و للسعي إلى الوصول إلى تسوية لمسألة الحدود عن طريق المفاوضات .

إنّ الصين لا تعترف بخطّ مكماهون غير الشرعيّ . إلاّ أنّه لم يحدث أبدا أن إجتازت هذا الخطّ خلال السنوات العشر الماضية و نيف .

و بعد أن أثارت الهند صدامين متتابعين عند الحدود ، كانت الصين هي التى إقترحت فى 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 1959 إنسحاب القوّات المسلّحة للجانبين عشرين كيلومترا عن خطّ السيطرة الفعليّة و إيقاف الدوريّات . لقد رفضت الهند هذه المقترحات . و مع ذلك أوقفت الصين من جانبها وحدها دوريّاتها .

و رغما عن الموجة المعادية للصين التى أثارها الرجعيّون الهنود قام رئيس مجلس الدولة الصيني بزيارة دلهى فى أبريل (نيسان) 1960 و أجرى محادثات مع رئيس الوزراء الهندي . إلاّ أنّ الهند لا ترغب سواء فى تسوية سلميّة لمسألة الحدود أو فى إبقاء وضع الحدود كما هو عليه .

و فى عام 1961 و لا سيما فى عام 1962 ، إستغلّت الهند إيقاف الصين من جانبها وحدها دوريّاتها على الحدود ، و تقدّمت إلى أمام فإحتلّت أراضى صينيّة أكثر و أكثر و أثارت إستفزازات مسلّحة متزايدة الخطورة . و باشرت الصين أقصى حدود التحمّل و ضبط النفس_، و إقترحت فضلا عن ذلك ثلاث مرّات إجراء المفاوضات حول مسألة الحدود و كان ذلك بين أغسطس (آب) و أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، بيد أنّ الهند رفضت هذه المقترحات .

و فى 12 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، أصدر نهرو أمره ب " تطهير " الأراضي الصينيّة من القوّات القوّات الصينيّة . و فى 20 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، شنّت القوّات الهنديّة هجوما عاما شاملا . و لم تردّ الصين الهجوم بالدفاع عن نفسها إلاّ عندما أصبح من المستحيل الصبر على الوضع و لم يعد هناك مجال لتقهقر أكثر . و بالرغم من ذلك و بغرض تغيير هذا الوضع ، قدّمت الصين فى الوقت اللازم فى يوم 24 أكتوبر (تشرين الأوّل) ثلاثة إقتراحات لإيقاف الصدام ، و إعادة فتح باب المفاوضات ، و تسوية قضيّة الحدود تسوية سلميّة . و بعد أن رفضت الهند هذه الإقتراحات بادرت الصين من تلقاء نفسها إلى القيام بخطوات وفاقيّة أساسيّة كبرى هي وقف إطلاق النار ، و الإنسحاب و غير ذلك .

إنّ أحداث السنوات القلائل الماضية تبرهن على أنّ الصين هي التى تمسّكت بحزم بإبقاء وضع الحدود كما هو عليه ، و أنّ الهند هي التى حاولت تغيير وضع الحدود بالقوّة ؛ و أنّ الصين هي التى قدّمت كلّ إقتراح سلميّ ، و أنّ الهند هي التى أثارت كلّ صدام مسلّح .

إلاّ أنّ القادة السوفيت أغمضوا أعينهم عن كلّ هذه الحقائق الواضحة . و لم ينبسوا ببنت شفة علنا يوبّخون بها الهند خلال السنوات التى أثار فيها الرجعيّون الهنود إستفزازات مسلّحة متعدّدة ، و قضموا خلالها الأراضي الصينيّة و شنّوا أخيرا هجومهم الشامل . و عندما أجبرت الصين على ردّ الهجوم للدفاع عن النفس ، أثاروا الضجيج مفترين على الصين بصورة وحشيّة و مصرّين على القول بأنّها " أرادت تسوية نزاع الحدود مع الهند بقوّة السلاح " . و أي أساس لديهم فى إلقاء هذه التهمة ؟

يقول خروتشوف : " أنا أعرف ما معنى الحرب . و طالما قُتل عدد من الهنود فإنّ هذا معناه أنّ الصين هي التى هاجمت الهند " .

إنّ هذا كلام لا يتّفق مع المنطق إطلاقا . وهو يرقى إلى درجة القول بأنّه على المرء فى وجه هجوم المعتدين أن يتحمّل الضرب و لا يردّ على المعتدين بالضرب ، لأنّه إذا فعل عكس ذلك فقد يقتل بعضهم و هكذا يصبح هو نفسه معتديا . و كيف بوسع إنسان ذى ضمير نقيّ أن يتلفّظ بمثل هذا الحديث ؟

يقول خروتشوف : " لا يسعنا أن نفكّر بأنّ الهند أرادت الحرب مع الصين ." و يقول القادة السوفيت أيضا : " إنّه ممّا يجافى الموقف الجاد أن يظنّ المرء أنّ دولة مثل الهند التى هي أضعف بكثير من الصين عسكريّا و إقتصاديّا تحاول فعلا شنّ هجوم عسكريّ على الصين و تعتدى عليها " . و بمعنى آخر ، يرون أنّه لأنّ الصين أقوى كان هناك إحتمال وحيد هو أن تشنّ الصين الهجمات العسكريّة على الهند و تعتدى عليها ، لا العكس .

و هكذا تخونهم الحجّة مرّة أخرى . و كلّ من يعرف أبجديّات الماركسيّة اللينينيّة يدرك أنّ كلّ الرجعيّين ذاتيّون وغالبا ما يخطئون الحساب فيما يتعلّق بتوازن القوى و إتجاه التطوّر .

و لا يشذّ الرجعيّون الهنود عن هذا القانون . فقد ظنّوا أنّه تحمّل الصين لمدّة طويلة دلالة على أنّ الصين ضعيفة و يمكن إرهابها ، و قد ظنّوا أنّه بفضل مساندة المستعمرين و تأييد القادة السوفيت لا حاجة بهم إلى الخوف و أنّه حالما يبدأون أعمالهم سوف تضطرّ الصين إلى التقهقر فتتحقّق دعواهم فى إحتلال الأراضي الصينيّة . و على أساس هذا التحليل الخاطئ و سوء الحساب شنّوا هجومهم المسلّح الشامل على الصين . إنّ القادة السوفيت ، بدلا من تذرّعهم بالشجاعة لمجابهة هذه الحقائق ، لجؤوا بدون تعقّل إلى إعتبار أنّ قوّة قطر ما هي حجر المحكّ فى ما إذا كان هذا القطر معتديا أم ضحيّة للإعتداء . فهل هنالك ذرّة من الماركسيّة اللينينيّة فى هذا الموقف ؟

لقد كسب وقف إطلاق النار و الإنسحاب اللذين بادرت الصين إلى إتّخاذهما الترحيب الحماسي و المدح الحار من قبل جميع الأقطار و الشعوب المحبّة للسلم فى العالم . و لكن خروشوف ، إنطلاقا من دوافع خفيّة ، هاجم الصين بمواربة قائلا : بالطبع كان جميلا أن أمرت الصين بوقف إطلاق النار من جانبها وحدها و سحبت جنودها . غير أنّه ، أما كان أجمل لو أنّ القوّات الصينيّة لمتتقدّم على الإطلاق من مواقعها الأصليّة ؟

يبدو أنّ هذا سؤال ذكيّ للغاية . و لكن بودّنا أن نسأل القائد السوفياتي ، " لماذا لم تسأل نهرو ، ما إذا كان أفضل له لو أنّه لم يأمر بالهجوم ؟ " و هل كان يمكن حدوث هجوم مضاد إذا لم يكن هنالك هجوم ؟ أليس هذا أمرا يسهل فهمه حتّى على تلميذ صغير ؟

نودّ أن نقول للقائد السوفياتي ما يلي : لقد تقدّم حرس الحدود الصينيّة أثناء هجومه المضاد الدفاعي إلى الأراضي الصينيّة جنوب خطّ مكماهون غير الشرعيّ بغرض القضاء قضاءا تاما على هجوم الرجعيّين الهنود و تحطيم خطّتهم الرامية إلى تعديل وضع الحدود كما كان عليه بالقوّة المسلّحة . ثمّ بادرنا إلى وقف إطلاق النار و إلى الإنسحاب لكي نثابر على موقفنا الدائم – موقف عدم تعديل وضع الحدود كما كان عليه بالقوّة المسلّحة ، و لخلق الظروف المؤاتية للتوصّل إلى تسوية لقضيّة الحدود عن طريق المفاوضات . و ليس هناك شيء غامض لا يفهم فى هذه الخطوات التى إتخذناها . و كما تبيّن الحقائق ، فإنّ السبب الذى جعل الرجعيّين الهنود يتعقّلون بعض الشيء هو أنّنا رددنا على هجومهم ، بذلك خفّ توتّر الحدود الصينيّة الهنديّة بصورة أساسيّة .

3- ما الموقف الذى يجب أن يتّخذه قطر إشتراكي إذا شنّ الرجعيّون البرجوازيّون عليه الهجمات المسلّحة ؟

هناك سبيلان أمام قطر إشتراك فى وجه الهجمات المسلّحة التى يشنّها عليه الرجعيّون البرجوازيّون هما: إمّا الدفاع عن النفس ، أو الإستسلام . و بناء على منطق البيانات التى أدلى بها القادة السوفيت فإنّ الإستسلام هو الشيء الوحيد المسموح به ، و ما عداه فإنّ كلّ شيء آخر يعدّ نقضا لمبدأ التعايش السلميّ. و وجهة نظرهم هذه ، كما يقولون ، هي وجهة نظر لينينيّة ، بينما دفاع الصين عن نفسها و ردع هجوم الرجعيّين الهنود العسكريّ ، ليس لينينيّا ، وهو تعبير عن موقف القوميّة الضيّقة .

هل هنالك مبدأ لينينيّ يحرّم ردّ الهجوم كوسيلة للدفاع عن النفس ضد هجوم عسكريّ يشنّه الرجعيّون ؟ كلاّ ! و لم يحدث أبدا أن وُجد مبدأ كهذا . و كلّ إدّعاء عكس هذا ما هو إلاّ إساءة لذكرى لينين العظيم .

و هل هنالك مبدأ يتعلّق بالتعايش السلمي قدّمه لينين يقول بأنّه على المرء أن يتحمّل الضرب و ألاّ يردّ بالضرب ؟ كلاّ ، لم يحدث أبدا أن وُجد مبدأ كهذا . و كلّ إدّعاء عكس هذا ما هو إلاّ إساءة لذكرى لينين العظيم .

من المعروف لدى الجميع أنّ التعايش السلمي هو مبدأ يجب الإلتزام به من قبل الطرفين . و فقط عندما يرغب الطرفان فى التعايش السلمي و يباشرانه فعلا يمكن تفادى الصدام و إدامة وضع تعايش سلميّ. و إذا أصرّ أحد الجانبين على الشجار ، مهما باشر الجانب الآخر من تحمّل ، يتحتّم نشوب الصدامات . إنّ هذا ما يقبله العقل . لقد فعلت الصين كلّ ما فى وسعها لتجنّب الصدام حول قضيّة الحدود الصينيّة الهنديّة . و فُرض الصدام المسلّح عن عمد على الصين من قبل الرجعيّين الهنود . وكان وقف إطلاق النار بسرعة و الإنسحاب من قبل الصين بعد الهجوم المضاد للدفاع عن النفس ، بوجه التحديد مجهودا إقتضاه السعي إلى حلّ لقضيّة الحدود عن طريق المفاوضات ، و مواصلة التعايش السلمي . و ما يسمّيه القادة السوفيت بالتعايش السلمي ما هو فى الحقيقة إلاّ الإستسلام ، و ليس للإستسلام مكان فى سياستنا .

إنّ خروتشوف يقول دفاعا عن آرائه الخاطئة إنّ خبرة الإتّحاد السوفياتي المستخلصة خلال الخمسة و الأربعين عاما الماضية قد برهنت على أنّه ما من قضيّة متعلّقة بالحدود إستحال حلّها دون اللجوء إلى السلاح .

إنّ هذا تشويه صريح للتاريخ السوفياتي .

و يجدر بنا إستعادة الحادث التالى الذى وقع على العلاقات السوفياتيّة التركيّة فى عام 1921 . بالرغم من أنّ الدولة السوفياتيّة قد أيّدت الثورة التركيّة تأييدا قويّا و بالرغم من أنّ معاهدة للصداقة بين الإتحاد السوفياتي و تركيا ، كانت تحت التفاوض ، إحتلّت حكومة كمال التى كانت تحلم بإحياء خطّة تركيا العظمى ، أراضي سوفياتيّة بالقوّة ، و إستولت حتّى بعد توقيع المعاهدة على باتوم التى هي مدينة هامة فى جورجيا. و فى هذه الظروف أمرت الحكومة السوفياتيّة الجيش الأحمر بردّ الهجوم دفاعا عن النفس. و بعد قتال دام ثلاثة أيّام إستردّ الجيش الأحمر باتوم . و هكذا فقط تمّ ردع مطامع حكومة كمال فى التوسّع ، وتمّت صيانة الحدود السوفياتيّة ، و تمّ الحفاظ على العلاقات الودّية بين الإتّحاد السوفياتي و تركيا .

و نودّ أن نسأل القادة السوفيت : هل بوسعهم القول إنّ عمل الجيش الأحمر ذاك ، دفاعا عن النفس ، لم يكن عملا لينينيّا ؟ و هل يمكنكم القول بأنّ قرار لينين كان تعبيرا عن موقف القوميّة الضيّقة ؟

كلاّ بالطبع ، على النقيض من ذلك فإنّ وجهات نظر خروتشوف فيما يتعلّق بمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة هي مثال بارز على تحريفه لمبادئ لينين حول التعايش السلمي .

4- من تنقصه الرغبة المخلصة فى التوصّل إلى تسوية سلميّة لقضيّة الحدود الصينيّة الهنديّة – الهند أم الصين ؟

منذ صدّ الهجوم الحاشد الذى شنّه الرجعيّون الهنود ، واصلت الصين ، كما فى الماضي ، التمسّك بثبات بسياستها - سياسة تسوية مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة تسوية سلميّة . و قد إتّخذت الحكومة الصينيّة ، سعيا لتسوية مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة عن طريق المفاوضات ، خطوات نشيطة لتثبيت وقف إطلاق النار و لفصل القوّات المسلّحة للجانبين ، و تخفيف التوتّر على الحدود . و على النقيض من ذلك تماما ، بذلت الحكومة الهنديّة أقصى ما لديها من جهود لتجعل وقف إطلاق النار غير مستقرّ ، ولمواصلة إشتباك القوّات المسلّحة للجانبين ، و واصلت خلق التوتّر و رفضت التفاوض بعناد . و هذان الموقفان يشكّلان نقيضين للمقارنة أمام أنظار العالم بأسره .

و مع ذلك ، يتّهم القادة السوفيت الصين بدون أي أساس بتاتا بأنّها تنقصها الرغبة المخلصة فى تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، و بأنّها " لم تصغ لصوت الحكمة الذى يعبّر عن إرادة شعوب آسيا و أفريقيا " ، و يزعمون أنّه " بينما قابلت الحكومة الهنديّة بصورة إيجابيّة مقترحات مؤتمر كولمبو و قبلتها بكاملها بدون أي تحفّظ و عبّرت عن إستعدادها لبدء المباحثات مع جمهوريّة الصين الشعبيّة على أساس هذه المقترحات ، فإنّ الحكومة الصينيّة لم تقبل بعدُ مقترحات الدول المحايدة الصديقة و لم تظهر إستعدادها لبدء المحادثات على أساس المقترح ... و لم تتّخذ خطوات بنّاءة من قبل الحكومة الصينيّة ".

إنّ الحقائق أبلغ من اللسان و أدمغ من الكلام ، دعنا نستعرض ما قام به الجانب الصيني .

أوّلا : لقد أوقف حرس الحدود الصينيّون إطلاق النار و إنسحبوا بناء على مبادرتهم الخاصّة . و هم لم يخلوا فقط الأراضي الصينيّة التى تقدّموا فيها خلال هجومهم المضاد الدفاعي فى شهر أكتوبر (تشرين الثاني) 1962 بل إنسحبوا أيضا عشرين كيلومترا خلف خطّ السيطرة الفعليّة الصينيّة كما كان فى يوم 7 نوفمبر (تشرين الثاني) 1959 .

ثانيا : أطلقت الحكومة الصينيّة بناء على مبادرتها الخاصة سراح جميع الأسرى من الضبّاط و الجنود الهنود وأعادتهم إلى وطنهم كما أعادت معظم الأسلحة و المواد الحربيّة الهنديّة التى تمّ الإستيلاء عليها ، كلّ ذلك من أجل خلق جوّ ملائم لتجديد المفاوضات .

ثالثا : إقترحت الحكومة الصينيّة مرارا إجراء محادثات بين رئيسي وزراء الدولتين ، وأعلنت أنّه إذا ما وجد رئيس الوزراء الهندي أنّ القدوم إلى بيكين أمر لا يناسبه فإنّ رئيس مجلس دولتنا على إستعداد للتوجّه إلى دلهي مرّة أخرى من أجل إيجاد طريق لتسوية مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة سلميّا . و قد كرّرنا مؤخّرا هذا الإقتراح .

رابعا : إنّ الجهود الكبيرة التى بذلتها الصين قد أرست الأسس للوساطة من قبل دول مؤتمر كولمبو ، و هذه حقيقة إعترفت بها هذه الدول بالإجماع . لقد إستجابت الحكومة الصينيّة بشكل إيجابي لنداء و مقترحات مؤتمر كولمبو و نفّذت من جانبها وحدها الأغلبيّة العظمى من مقترحات كولمبو ، و حتّى أنّها ذهبت أبعد ممّا تطلبته هذه المقرحات فى نواح معيّنة . فمثلا ، تطلب مقترحات كولمبو من الصين الإنسحاب عشرين كيلومترا فى القطاع الغربي من الحدود الصينيّة الهنديّة فقط ، و لكن الصين إنسحبت عشرين كيلومترا فى القطاعين الأوسط و الشرقي فضلا عن ذلك .

خامسا : و إستجابة لمجهودات وساطة دول مؤتمر كولمبو ، أخلت الصين فضلا عن ذلك تلك المناطق التى تقع فى الجانب الصيني من خطّ السيطرة الفعليّة و التى غزتها الهند ، وكذلك تلك المناطق التى كانت مثار نزاع حول تدبيرات وقف إطلاق النار ، كما أنّها إمتنعت عن إقامة مراكز مدنيّة فى أي من هذه المناطق .

سادسا : إنّ موقف الصين إزاء مقترحات كولمبو هو موقف صادق و ثابت . فالصين تقبل مقترحات كولمبو بصورة مبدئيّة بإعتبارها أساسا لفتح باب المفاوضات بين الصين و الهند ، و لا تجعل من تفسيرها الخاص بعدد محدود جدّا من النصوص شرطا مسبّقا لبدء هذه المفاوضات .

لقد وفّرت هذه الخطوات الهامّة و البنّاءة التى إتّخذتها الصين ، ظروفا ملائمة لإعادة فتح باب المفاوضات الصينيّة الهنديّة ، كما حازت على أرفع تقدير وثناء من جانب دول مؤتمر كولمبو . و ما من أحد من دول كولمبو ينكر أنّ موقف الصين تجاه مؤتمر كولمبو هو موقف إيجابيّ وتعاونيّ ، و أنّ الصين ترغب صادقة فى تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، تسوية قدّمت من أجلها حتّى الآن مساهمات هامّة . أو ليس هذا كذبا صريحا مكشوفا عندما تقول " **البرافدا** " إنّه " لم تتّخذ خطوات بنّاءة " من قبل الصين ؟

و لنر الآن ما فعلته الحكومة الهنديّة .

بينما أوقفت الصين إطلاق النار بناء على مبادرتها الخاصّة ، ظلّت الهند تواصل إستفزازاتها على طول إمتداد الحدود . و بينما إنسحبت الصين بناء على مبادرتها الخاصّة ، إندفعت الهند مجدّدا إلى الأمام . وبينما أطلقت الصين سراح جميع الأسرى من القوّات الهنديّة و أعادتهم إلى وطنهم ، قامت الهند بسجن و إضطهاد المغتربين الصينيّين المقيمين فى الهند .

و بينما بذلت الصين قصارى جهودها لتحسين العلاقات بين البلدين ، واصلت الهند إثارة هستيريا العداء للصين . و بينما تدعو الصين إلى القيام بالمفاوضات بدون شروط ، تصرّ الهند على شروطها المسبّقة و ترفض التفاوض .

إنّ كلّ هذا يسمّيه القادة السوفيت " مقابلة إيجابيّة " من قبل الهند لمقترحات كولمبو ، بينما لم تفعل الصين شيئا . وعندما يتفوّهون بهذا الهذر ، فأي نوع من المؤتمرات يعتبرون مؤتمر كولمبو ؟ هل يعتبرونه مؤتمرا من أجل التمهيد لمفاوضات المباشرة بين الصين و الهند ، أم مؤتمرا يحبّذ موقف الهند ويعارض الصين ؟

لقد إستنبطت الحكومة الهنديّة ، محاولة ستر موقفها المتعجرف فى رفض التفاوض ، حجّة هي " قبول مقترحات كولمبو بكاملها " . فماذا وراء قول الهند ب " قبول مقترحات كولمبو بكاملها " ؟ لقد إعترفت الهند فى بادئ الأمر أيضا بأنّ مقترحات كولمبو لم تكن واضحة تماما ، و قالت إنّها قبلت المقترحات بصورة مبدئيّة فقط . و لم يحدث إلاّ بعد إستنباط وثيقة وصفت كتفسير دلهى لمقترحات كولمبو ان بدأت الهند الحديث عن " قبول مقترحات كولمبو بكاملها " .

إنّ الصين لم يسبق لها أن علمت شيئا عن تفسير دلهى المزعوم هذا . و قد وجدنا بعد ذلك أنّه فى واقع الأمر وثيقة وضعتها الحكومة الهنديّة كتفسير خاص بها لمقترحات كولمبو. ولذلك فإنّ الحكومة الهنديّة ، بإصرارها على " قبول مقترحات كولمبو بكاملها " ، كانت تتّخذ فى الواقع قبول تفسيرها للمقترحات شرطا مسبّقا للمفاوضات الصينيّة الهنديّة . إنّ الحكومة الهنديّة كانت تعرف جيّدا أنّ الصين لا يمكنها أبدا أن تقبل مثل هذا الشرط المسبّق للحيلولة دون عقد المفاوضات . إنّ هذه مؤامرة لتشويه نوايا الوساطة الطيّبة لدول مؤتمر كولمبو . و مديح " **البرافدا** " الحار لهذه المؤامرة يثبت فقط أنّ القادة السوفيت لا يرغبون فى حلّ مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة و لا فى نجاح جهود الوساطة لدول مؤتمر كولمبو .

ومن المضحك أكثر أنّ " **البرافدا** " فى محاولتها لحماية الرجعيّين الهنود ، وصفت عقد الصين إتفاقيّات الحدود التى أسفرت عنها المفاوضات مع بورما ونيبال و البلدان المجاورة الأخرى بأنّه يثبت أنّ الصين تنقصها الرغبة المخلصة فى تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . إنّ منطق " **البرافدا** " هو كالتالى : ما دامت الصين قد إستطاعت أن تسوّى مسائل حدودها مع بورما و نيبال و الأقطار المجاورة الأخرى سلميّا ، فلماذا لا تستطيع أن تسوّى مسألة حدودها مع الهند سلميّا ؟ إنّ هذا يظهر أنّ الصين تنقصها الرغبة الصادقة فى تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . يا له من إستنتاج رائع !

و لكن كلّ من له حظّ ضئيل من التفكير المنطقي لا بدّ أن يصل بالتأكيد ، نتيجة توقيع الصين إتفاقيّات الحدود مع بورما و نيبال و الأقطار المجاورة الأخرى ، إلى النتيجة التالية : لو كانت الهند مخلصة أيضا لأمكن لمسألة الحدود الصينيّة أن تسوّى تسوية سلميّة أيضا مثل مسألتي الحدود الصينيّة البورميّة ، و الصينيّة النيباليّة . إنّ الصين لا يمكن أن تلام لأنّ مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة لم تسوّ بعدُ . و مع ذلك إستخلص القادة السوفيت إستنتاجا مختلفا تماما . من الواضح أنّهم قد إنحطّوا إلى حدّ إنكار القواعد الأوّلية للمنطق من أجل التعاون مع الولايات المتّحدة فى تأبيد الهند و مقاومة الصين .

- 3 -

إنّ موقف القادة السوفيت إزاء مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، هو خيانة للأمميّة البروليتاريّة ، و لا يمكن وصفه حتى بأنّه موقف حياديّ . فهم يساعدون مع الإستعمار الأمريكي الرجعيين الهنود ضد الصين الإشتراكيّة و ضد الشعب الهندي كذلك . و هكذا خانوا المعسكر الإشتراكي و الشعب الهندي أيضا .

إنّ موقفهم يختلف أيضا إختلافا تاما عن موقف الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة التى تتمسّك بالحياد الدقيق.

فالأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة تحترم الحقائق و تصغى بصبر وأناة لآراء كلّ من الصين و الهند . و لكن القادة السوفيت يتجاهلون الحقائق و يصيخون السمع للرجعيين الهنود فقط .

إنّ الأقطار الآسيويّة و الأفريقية تدرس بصورة جدّية جوانب الحقّ و الباطل للنزاع و تتجنّب إعلان أحكام متهوّرة . و لكن القادة السوفيت يدعون بعناد أن الصين قد أخطأت .

إنّ الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة الستّة التى إشتركت فى مؤتمر كولمبو قد صرّحت مرارا بأنّ مهمّتها هي الوساطة و ليست التحكيم ، و أنّ هدفها هو تمهيد السبيل إلى مفاوضات صينيّة هنديّة مباشرة ، و أنّه لا يتطلّب من الصين و الهند أن تقبلا مقترحات كولمبو بكاملها قبل الذهاب إلى مائدة المفاوضات . و مع ذلك فإنّ القادة السوفيت ، شأن الرجعيّين الهنود ، يطلبون من الصين " قبول مقترحات كولمبو بكاملها "، و هكذا يحاولون وضع دول مؤتمر كولمبو فى وضع موال للهند .

إنّ الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة تأمل بإخلاص فى إمكانيّة تسوية مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة تسوية سلميّة عن طريق المفاوضات وإبقاء الوضع على الحدود الصينيّة الهنديّة هادئا . فقد عبّر البلاغ المشترك الذى صدر مؤخّرا عن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهوريّة العربيّة المتّحدة و السيّدة سيريمافو بغندرنايكه رئيسة وزراء سيلان عن الرغبة فى أن " تواصل دول كولمبو جهودها لإزالة العلاقة المتوتّرة بين هذين البلدين العظيمين (الصين و الهند) اللتين ترتبط بهما الجمهوريّة العربيّة المتّحدة و سيلان بروابط الصداقة ". و لكن القادة السوفيت لا يألون جهدا لبذر بذور الخلاف ويصرّحون بأنّ صدام الحدود الصينيّة الهنديّة " قد يتفاقم مرّة أخرى " متجاهلين حقيقة أنّ الوضع على الحدود الصينيّة الهنديّة قد زال توتّره منذ أمد طويل ، بفضل الجهود الوحيدة الطرف للصين .

إنّ الحقيقة الواضحة التى إعترفت بها حتّى طغمة تيتو المرتدّة ، عزيزة القادة الشوفيت ، هي " أنّ الحكومة السوفياتيّة قد ذهبت أبعد من دول كولمبو فى تحليلها لصدام الهملايا ، فقد وبّخت الصين أوّلا وقبل كلّ شيء على هذا الصدام . " (" خطوات جديدة لدول كولمبو ، **بوليتيكا** اليوغسلافيّة ،4 أكتوبر – تشرين الأوّل – 1963).

و بالإضافة لذلك عمل القادة السوفيت جاهدين مؤخّرا أكثر من المستعمِرين الأمريكيّين فى تأييد الرجعيّين الهنود . و يعرف المستعمرون الأمريكيّون جيّدا أنّ الرجعيّين الهنود من أجل الحصول على المال من الولايات المتّحدة إختلقوا إشاعات غريبة حول" غزو " صيني مدبّر للهند . و لذلك فهم كثيرا ما يتّخذون تجاه هذه الإشاعات موقف إنتظار وتفرّج ، مبدين تحفّظات . إلاّ أنّ القادة السوفيت كانوا نشيطين للغاية فى تأييد حكومة نهرو و الإنسجام معها فى طبخها للشائعات .

لقد رحّبنا دوما ، بالنسبة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، بالجهود الحقّة للأقطار الآسيويّة والأفريقيّة الصديقة من أجل التمهيد لمفاوضات صينيّة هنديّة مباشرة ، بدون أن تتورّط فى النزاع ، و قد أصغينا بإهتمام إلى آرائها التى تحترم الحقّ و العدالة . بيد أنّ القادة السوفيت ، مثل طغمة تيتو المرتدّة ، وقفوا تماما إلى جانب الرجعيّين الهنود ، و من ثمّ فقدوا أي حقّ فى الحديث عن مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة.

إنّ القادة السوفيت لا يمنحون فقط الرجعية الهنديّة تأييدا سياسيّا حماسيّا ، و لكنّهم يتّبعون خطى المستعمِرين الأمريكيين ، إذ يقدّمون لها عونا إقصاديّا و عسكريّا نشيطا لمقاومة الصين . فمنذ عام 1955 حتّى شهر أبريل (نيسان) 1963 ، قدّمت الحكومة السوفياتيّة للهند ، أو وعدتها بأن تقدّم ، مساعدة إقتصاديّة تبلغ خمسة بلايين روبية ، جرى تقديم الأغلبيّة الساحقة منها منذ أن بدأ الرجعيّون الهنود حملتهم ضد الصين .

و لم يحدث إلاّ فى عام 1960 ، أي بعد أن بدأ الرجعيّون الهنود إستفزازاتهم المسلّحة ضد الصين ، أن بدأ القادة السوفيت تزويد الهند بالمساعدة العسكريّة .

و بعد أن شنّ الرجعيّون الهنود هجومهم المسلّح الواسع النطاق ضد الصين فى شهر أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، زاد القادة السوفيت من مساعدتهم للهند . فقد صرّح س. سويرامانيام وزير الفولاذ و الصناعة الثقيلة الهندي للمراسلين فى 19 ديسمبر(كانون الأوّل) من العام الماضى ، بأنّه بعد إعلان الهند " حالة الطوارئ " عجّل الإتحاد السوفياتي بأعمال البناء فى المشاريع التى يساعد بها الهند .

وبعد المحادثات الصينيّة السوفياتيّة فى شهر تمّوز (يوليو) من هذا العام ، وعد القادة السوفيت بزيادة مساعدتهم العسكريّة للرجعيّين الهنود .

هذا ويقول مقال " **البرافدا** " : " ...إنّ طبيعة المساعدة السوفياتيّة للهند هي تماما نفس طبيعة المساعدة التى تقدّم إلى عدد كبير من الدول المتطوّرة حديثا ".

إنّ غرض الأقطار الإشتراكيّة الوحيد من مساعدة الدول المستقِلّة حديثا يجب أن يكون مساعدتها على تطوير إقتصادها الوطني المستقلّ ، و إستئصال نفوذ الحكم الإستعماري ، و تحرير نفسها من السيطرة الإستعماريّة . ويجب أن لا يكون بتاتا الغرض من مساعدتها هو مقاومة قطر إشتراكي آخر . و لكن دوافع تقديم الحكومة السوفياتيّة المساعدة للأقطار المستقِلّة حديثا هي موضع ريبة و شكّ . أمّا مساعدتها للرجعيّين الهنود فهي تشكّل تأييدا علانيّا لتبعيّتهم للإستعمار الأمريكي ومقاومتهم للصين و للشيوعيّة و للشعب . و هذه حقيقة واضحة .

هذا و يقول بيان الحكومة السوفياتيّة فى 21 سبتمبر (أيلول) :

" و الآن يلقى القادة الصينيّون التهم معلنين أنّ الهند تحارب الصين مستعملة السلاح السوفياتي . و لكن هذا ، أوّلا ، لا يتّفق مع الواقع من حيث الجوهر . و ثانيا ، إذا أخذنا بهذا المنطق رأينا أنّ لدى الحكومة الهنديّة أسبابا أكثر بكثير للقول بأنّ القوّات الصينيّة تحارب الهند مستعملة السلاح السوفياتي ، لأنّ الجميع يعرفون أيّة مساعدة عسكريّة ضخمة يقدّمها الإتحاد السوفياتي للصين ".

إنّ الإنكار و السفسطة لا فائدة منهما . فأوّلا إستولى حرس الحدود الصينيّون ، خلال هجومهم المضاد دفاعا عن النفس ، على أسلحة من صنع سوفياتي إستخدمتها القوّات الهنديّة . وثانيا ، نودّ أن نسأل القادة

السوفيت : من أنتم ؟ أتجّار سلاح ؟ فإذا كان الأمر كذلك فما تقولونه صحيح تماما . و هذا يسمّى بالدفع عند الإستلام ، و المتاجرة مع أي شخص كان . و لكن إذا كنتم لا تزالون تعتبرون أنفسكم شيوعيّين و بالإضافة إلى ذلك قادة لدولة إشتراكيّة ، إذن فكلامكم لا يعدّ إلاّ خطأ تماما ، و فوق ذلك سخيفا . إذ كيف يمكن لشيوعي أن يذكر الصين الإشتراكية على نفس صعيد الهند التى يحكمها كبار البرجوازيّين وملاّكي الأراضي ؟ و كيف يمكنه أن يضع المساعدة لأخوته الطبقيّين على نفس مستوى المساعدة للرجعيّين ؟

يزعم القادة السوفيت أنّ الإتحاد السوفياتي بتقديم معونته للهند سيتمكّن من مساعدتها على الإحتفاظ بموقفها الحيادي ، و منعها من الإنتقال للتقرّب من الإستعمار الأمريكي و البلدان الغربيّة الأخرى .

إنّ هذا لكذب صراح . فالحقائق تدلّ على النقيض من ذلك تماما . فكلّما كانت المساعدة السوفياتيّة أكبر ، كلّما تخلّى الرجعيّون الهنود أكثر عن موقفهم الحيادي و إزدادوا قربا من الإستعمار الأمريكي .

دعنا ننظر إلى الأحداث التى وقعت منذ عام مضى . لقد وقّعت الحكومة الهنديّة إتفاقيّتين للمساعدة العسكريّة و " الدفاع الجوّي " مع الإستعمار الأمريكي ، كلاهما تتميّز بطبيعة المعاهدات العسكريّة . و قد إنهالت على الهند أعداد كبيرة من العسكريّين الأمريكيّين و كمّيات كبيرة من الأسلحة و المعدّات الحربيّة الأمريكيّة . كما تعهّدت الحكومة الهنديّة بأن تزوّد الولايات المتّحدة بأسرار عسكريّة أكثر ، و وافقت على إجراء مناورات جوّية يقوم بها المستعمِرون الأمريكيّون و البريطانيّون فى الهند . و قد أصدر رادها كريشنان ، رئيس الهند بلاغا مشتركا مع الرئيس الأمريكي كندى فى 4 حزيران (يونيو) 1963 يعلن بصراحة أنّ الولايات المتّحدة و الهند قد إتّفقتا على أن " لبلديهما قضيّة دفاعيّة مشتركة بغرض إحباط خطّة العدوان الصيني على شبه القارة " . و هكذا يتّضح لكلّ إمرئ منصف أنّ حكومة نهرو أقامت فعلا تحالفا عسكريّا مع الولايات المتّحدة ، و أنّ سياسة " عدم الإنحياز " للهند لم يبق لها غير القليل من الأهمّية العمليّة ، و أنّ الهند لم تعد منذ زمن طويل أحد الأقطار " التى تقف موقفا معاديا للإستعمار ، و تشكّل مع الأقطار الإشتراكيّة منطقة سلام واسعة " كما وصفت فى تصريح موسكو عام 1957 . و فقط بسبب مساندة القادة السوفيت و مساعدتهم لحكومة نهرو لا تزال هذه الحكومة تستخدم علمها المتهرئ ل " عدم الإنحياز " أمام العالم لتخدع الناس . إنّ مثل هذا التأييد و تلك المساعدة مكّنتا حكومة نهرو من أن تصبح بصفاقة خادمة للإستعمار الأمريكي دون إعتبار لمقاومة الشعب الهندي .

إنّ القادة السوفيت فى الواقع بتأييدهم للرجعيّة الهنديّة ، لا يتبارون مع المستعمِرين الأميركيّين و حسب بل يديرون معهم أيضا شركة مساهمة . فبعد أن نشرت هيئة تحرير " **البرافدا** " مقالها فى 19 سبتمبر (أيلول) هلّلت صحيفة " **الأنديان إكسبريس** " قائلة إنّ " هذا يجلب للهند ، بالإضافة للولايات المتّحدة الأمريكيّة ، حليفا قويّا آخر ضد الصين " ، و إنّ " الحبل قد إلتفّ الآن حول عنق بكين ، و ما علينا إلاّ أنّ نشدّه مع حليفتينا القويّتين . و مع أنّ هذا محض تخريف رجعيّ تماما ، إلاّ أنّه يسلّط الأضواء على الأهداف المشتركة للشركة الأمريكيّة - السوفياتيّة فى تقديم العون للهند و مقاومة الصين .

لقد أصبح الرجعيّون الهنود ، بنيل المزيد من المساعدة السوفياتيّة ، مهووسين أكثر و أكثر فى إستغلالهم و إضطهادهم للشعب الهندي . كما بذلت حكومة نهرو جهدها لإثارة هستيريا الحرب و زادت من توسّعها فى التسلّح و إستعداداتها الحربيّة . و قد جرّدت علانيّة الشعب الهندي من حقوقه الأساسيّة ، ملقية بآلاف الشيوعيّين الهنود و التقدّميين الآخرين فى السجون . و بإبتزازها للضرائب و الفوائد الباهظة تحت مختلف الأسماء و الأشكال ، أغرقت الشعب الهندي فى وهدة الفقر و البؤس . و قد

إعترفت مجلّة " **بليتز** " الأسبوعيّة الهنديّة فى 22 يونيو (حزيران) 1963 بأنّ الأغلبيّة العظمى من الملايين و الملايين من الشعب الهندي بقيت على حافة الموت جوعا ، و أنّ موجة الغضب قد إستبدّت بها ، و أنّ " نوعا من الحقد الطبقي المشتعل يتجمّع ببطء اليوم " . و قد صرخت هذه المجلّة فى هلع " إنّ هناك رعودا فى الجوّ توشك أن تنفجر ، بتلبّد سحب الأزمة و وهن العزيمة فوق أرضنا " . لقد طرحت حكومة نهرو تماما يافطتها الديمقراطيّة و التقدّميّة المزيّفة . و أصبحت تنتهج سياسة معادية للشيوعيّة ومعادية للشعب الهندي . إلاّ أنّ القادة السوفيت عن طريق تأييدهم و مساعدتهم لحكومة نهرو ستروا طبيعتها الرجعيّة ، ومكّنوا يدها فى كبت الشعب الهندي ، و ساعدوها لأن تندفع قدما بنشاط فى سياستها المعادية للثورة .

إنّ بيان موسكو عام 1960 يقول إنّ البرجوازيّة الوطنيّة فى البلدان المستقلّة حديثا ذات طبيعة مزدوجة ، و هي بإزدياد التناقضات الإجتماعيّة حدّة تميل أكثر و أكثر للمساومة مع الرجعيّة المحلّية و الإستعمار . و على الشيوعيّين فى البلدان المستقلّة حديثا أن يفضحوا محاولات القطاع الرجعيّ من البرجوازيّة لإظهار مصالحها الطبقيّة الأنانيّة الضيّقة على أنّها مصالح الأمّة بأسرها . و لكن زمرة دانجى المرتدّة فى الحزب الشيوعي الهندي ، بدلا من فضح سياسة حكومة نهرو الرجعيّة ، خانت تماما بروليتاريا و شعب الهند ، و إنحطّت فأصبحت أداة حقيرة للبرجوازيّة الكبيرة الهنديّة و لملاكي الأراضي الكبار الهنود . و بدلا من فضح الخونة من زمرة دانجى ، يشجّعهم القادة السوفيت لمساعدة الرجعيّين الهنود لقمع الشيوعيين و التقدّميين الحقيقيين فى محاولة لخنق حركة الشعب الهندي الثوريّة .

إنّ حكومة نهرو تؤجّر نفسها للإستعمار فى الخارج و تقمع الشعب الهندي فى بلادها . و القادة السوفيت يؤيّدون بنشاط حكومة نهرو و يدافعون عن سياساتها الرجعيّة و يبيّضون وجهها بكلّ طريقة ممكنة . لقد خان القادة السوفيت قضيّة الشعب الهندي الثوريّة ؛ و لا بدّ من تصفية الحساب عاجلا أم آجلا .

- 4 -

و اليوم و قد خفّ التوتّر على الحدود الصينيّة الهنديّة نتيجة للمبادرات التى إتّخذتها الصين ، فما هو الهدف الحقيقي لصحيفة " **البرافدا** " فى إشعال التوتّر فجأة و نشر مقال تحت العنوان المثير " **مصدر خطير للتوتّر فى آسيا** " ؟

هل يظهر المقال إهتمام القادة السوفيت بالمحافظة على السلام فى آسيا ؟ من الواضح لا . إنّ هناك على وجه التأكيد توتّرا فى آسيا . إنّ السلام فى آسيا يهدّد و يقوّض بالفعل . و لكن المستعمِرين ، و على رأسهم الولايات المتّحدة ، هم الذين يهدّدون و ينسفون السلام فى آسيا . إنّ مصادر التوتّر فى آسيا هي فى أماكن مثل كوريا الجنوبيّة ، و تايوان ، و اليابان ، و جنوب الفيتنام ، و لاووس ، التى تتعرّض لعدوان أميركا و تئنّ تحت إحتلالها ، و على الأخصّ جنوب الفيتنام ، حيث يشنّ الآن المستعمِرون الأميركيّون حربا خاصة غير إنسانيّة . فلماذا يغمض القادة السوفيت عيونهم عن مصادر التوتّر هذه ؟ و لماذا لا تدفعهم الشجاعة إلى أمام ليقولوا بحزم بضع كلمات ضد تدخّل و عدوان المستعمِرين الأميركيينفى هذه المناطق ،و على الأخصّ فى جنوب الفيتنام و لاوس ؟ و لماذا يختارون عن عمد الوضع الهادئ على الحدود الصينيّة الهنديّة ليثيروا حوله هذه الضجّة ؟

و إذا تحدّثنا بصراحة ، فإنّ القادة السوفيت يقومون بذلك لأنّهم يريدون أن يستخدموا مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة لبذر بذور الخلاف بين الصين و الأقطار الآسيويّة و الفريقيّة الأخرى ، و لحرف شعوب آسيا و أفريقيا عن النضال ضد الإستعمار، و لستر نشاطات المستعمرين الأمريكيين العدوانيّة و الحربيّة. إنّ هذا لخيانة للقضيّة الثوريّة المعادية للإستعمار لشعوب آسيا و لشعوب العالم قاطبة .

إنّ " **البرافدا** " ، فى محاولتها الجاهدة لبذر بذور الشقاق ، تتّهم الصين برفض وساطة دول مؤتمر كولمبو ، وبتجاهل جهودها ، وحتّى ب " الشكّ فى صلاحيّة مؤتمر كولمبو " . إنّ هذه الكلمات كافية لتظهر أنّ القادة السوفيت يقفون تماما إلى جانب الرجعيّين الهنود فى مقاومتهم للصين الإشتراكيّة و أنّهم يحاولون بلغتهم الديماغوجيّة ونشاطاتهم خلف الكواليس ، تحريض دول مؤتمر كولومبو على التخلّى عن الرسالة الرفيعة فى الوساطة السلميّة ، و على إتباعهم فى حربهم الباردة ضد الصين فى مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . لقد أصابت مجلّة " **بليتز** " الأسبوعيّة الهنديّة كبد الحقيقة إذ قالت فى عددها فى 5 أكتوبر (تشرين الأوّل) إنّ " **البرفدا** " " قد شجبت الصين و لامتها للتوتّر على الحدود الصينيّة الهنديّة" علنا ، إنّ " روسيا أيضا قد أخذت على عاتقها القيام بالشرح وسط الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة التى تنتقد ، كما تدّعى الصين ، موقف الهند حول مشكلة الحدود " . فماذا يعنى " الشرح " الذى تشير إليه هذه المجلّة الأسبوعيّة الهنديّة ؟ إنّه يعنى بذر بذور الشقاق .

إنّ القادة السوفيت بالإضافة إلى تأييد الرجعيّين الهنود فى رفض تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، يقاومون إقامة الصين و تطويرها علاقات ودّية مع الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة الأخرى ، و على الأخصّ يقاومون تسويتها للنزاعات التى خلّفها التاريخ مع الأقطار الآسيويّة الأخرى . إنّ مقال " **البرافدا** " وبيان الحكومة السوفياتيّة يوم 21 سبتمبر (أيلول) يعبّران مرارا عن عدم الإرتياح تجاه تسوية الصين لمسألة حدودها ، و تطويرها علاقات جوار طيّبة مع الباكستان ، و يتّهمان الصين بخبث على أنّها " تغازل أنظمة الحكم الرجعيّة المكشوفة فى آسيا و أفريقيا " . و فى نظر القادة السوفيت فإنّ خضوعهم و إستسلامهم لرؤساء المستعمِرين ساهما مساهمة عظمى فى السلم العالمي ، بينما تسوية الصين السلميّة لمسألة حدودها مع الدولة المجاورة جريمة . إنّنا نودّ أن نسأل القادة السوفيت : ألا يكفى أنّكم تؤيّدون الرجعيّين الهنود فى خلق توتّر على الحدود الصينيّة الهنديّة ؟ و هل تريدون أن تخلقوا توتّرا على الحدود الصينيّة الباكستانيّة كذلك ؟

إنّ قادة السوفيت ، فى المنظّمات العالميّة الجماهيريّة ، يمنعون النشاطات ضد الإستعمار ، بينما يحرّضون على القيام بالنشاطات ضد الصين ، و يحاولون تحطيم الجبهة المتّحدة المعادية للإستعمار عن طريق إستخدام مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . لقد أشارت الصين مرارا و بإخلاص إلى أنّه من أجل المحافظة على الوحدة فى النضال المشترك ضد الإستعمار ، يجب أن لا تثار النزاعات فيما بين الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة فى هذه المنظّمات . و مع ذلك فإنّ القادة السوفيت قد حرّضوا و حثّوا المندوبين الهنود مرّة تلو المرّة الأخرى لإثارة القلاقل بإستخدام مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة . فمثلا ، فى مؤتمر النساء العالمي فى موسكو ، شجّع الإتّحاد السوفياتي – البلد المضيف – الوفد الهندي لإثارة مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة ، التى ليس لها أيّة صلة بالموضوع الرئيسي للمؤتمر ، و قد حاول عن طريق سيطرته على إدارة المؤتمر تجريد الوفد الصيني من حقّه فى الردّ . و ليس سرّا أنّ مهزلة العداء للصين هذه قد وضعت و أديرت بعناية من قبل الإتحاد السوفياتي . و مثلا ثانيا ، هو أنّ المندوبين الهنود ، بتأييد المندوبين السوفيت أيضا فى مؤتمر تضامن الشعوب الآسيويّة و الأفريقيّة فى موشي ، أصرّوا على وضع مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة فى جدول أعمال المؤتمر . هذا و قد أباح رئيس الوفد الهني فى ذلك

المؤتمر فى رسالته إلى صحيفة " **الأنديان إكسبريس** " ، بعض المعلومات الداخليّة حول هذه النشاطات الدنيئة فقال : " لقد حظينا بالتأييد و التعاون الكاملين من جانب الوفد السوفياتي ." إنّ الأمور لا يمكن أن تكون أوضح من ذلك . و مع ذلك فقد بلغت الجرأة ب" **البرافدا** " فى مقالها فى يوم 19 سبتمبر (أيلول) أن تتّهم الصين بإستخدام مسألة الحدود الصنيّة الهنديّة ل" تسميم " الجوّ فى مختلف الإجتماعات الدوليّة . ألا يشعر كتّابها بأي إحساس من الخجل ؟

إنّ الوضع على الحدود الصينيّة الهنديّة فى الوقت الحاضر قد هدأ نتيجة المبادرات التى إتّخذتها الصين و الوساطة النشيطة لدول مؤتمر كولمبو . و هذا الوضع الهادئ يمكن أن يستمرّ بدون شكّ إذا لم تقم الهند بإستفزازات جديدة . ولكن الرجعيّين الهنود، تلبية لما تقتضيه حاجات سياستهم الداخليّة والخارجيّة، يعملون جاهدين لخلق توتّر جديد . و المستعمِرون الأميركيّون بالطبع يتشوّقون لإثارة الإضطراب ، و المناورات الجوّية الأنجلو- أميركيّة القادمة فى الهند تثبت أنّهم لا يودّون أن يروا هدوءا مستمرّا فى الوضع على الحدود الصينيّة الهنديّة . كما تثبت كذلك حقيقة أنّ القادة السوفيت يبذرون بذور الشقاق بين الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة و يشعلون لهيب النيران أنّهم يسعون إلى تفاقم الوضع على الحدود الصينيّة الهنديّة . وبينما يحاول المستعمِرون الأميركيّون إستغلال هذا الوضع للسيطرة على الهند ، يحاول المستعمِرون الأميركيّون إستغلال هذا الوضع للسيطرة على الهند ، يحاول القادة السوفيت القيام بذلك بغرض الحطّ من سمعة الصين . إنّ هذه أساليب و طرق مختلفة تقود إلى نفس الهدف . و لذلك فإنّ إمكانيّة إثارة الرجعيّين الهنود صداما جديدا على الحدود الصينيّة الهنديّة بتأييد المستعمِرين الأميركيين و القادة السوفيت لا يمكن إستبعادها .

و لكن ، مع ذلك ، فإنّ عام 1963 ليس عام 1962 . إنّ دول مؤتمر كولمبو الستّ قد أخذت على عاتقها مسؤوليّة الوساطة من أجل تحقيق السلم ، و الشعوب فى آسيا و أفريقيا و العالم أجمع ترى الحقّ و الباطل لمسالة الحدود الصينيّة الهنديّة بوضوح أكثر و أكثر ، و الملامح الرجعيّة لحكومة نهرو تتكشّف بإطّراد ، و مؤامرة المستعمِرين الأميركيّين و القادة السوفيت و الرجعيّين الهنود المشتركة المعادية للصين لم تعد سرّا . ونحن واثقون بأنّه إذا ما تجرّأ الرجعيّون الهنود ، فى مثل هذه الظروف ، على إثارة صدامات جديدة ، سيلقون هم و مؤيّدوهم بالتأكيد الشجب الشديد من جانب شعوب آسيا و أفريقيا و بقيّة العالم .

إنّنا نأمل أن يبقى الوضع على الحدود هادئا ، و سنبذل كلّ ما بإستطاعتنا فى هذا السبيل . لقد أخبرنا دول مؤتمر كولمبو منذ زمن بعيد بأنّنا سنحيطها علما دوما بإنتظام بالإستفزازات الهنديّة ، و قد بدأنا ذلك الآن . و إذا ما قامت الهند ليس فقط بإستفزازا للإزعاج و المضايقة ، بل بغزوات مسلّحة أيضا مثل الغزوات التى أقدمت عليها قبل 20 أكتوبر (تشرين الأوّل) 1962 ، و إذا ما رفضت الإنسحاب من الأراضي الصينيّة ، فسنطلب من دول مؤتمر كولمبو أن تحاول إقناع الهند بالإنسحاب . و سوف لا نفكّر فى القيام بهجوم مضاد دفاعا عن النفس إلاّ إذا رفض الجانب الهندي مثل هذه المحاولات ، و صمّم على إحتلال الأراضي الصينيّة .

إنّنا لن نغيّر سياساتنا فى نشدان تسوية سلميّة لمسألة الحدود الصينيّة الهنديّة عن طريق المفاوضات بالرغم من أيّ عمل قد يلجأ إليه الرجعيّون الهنود ، و مهما أكثر القادة السوفيت من تأييدهم لهم . إنّنا لعلى ثقة تامّة بأنّ سياستنا هذه ستنتصر فى النهاية مهما حدث فى العالم ، أو مهما تأخّرت التسوية . و من المستحيل تقويض الصداقة العظيمة بين شعبي الصين و الهند .

إنّ موقف و سياسة القادة السوفيت حول مسألة الحدود الصينيّة الهنديّة تثبتان بوضوح أنّهم قد خانوا الشعب الصيني ، و الشعب السوفياتي ، و شعوب جميع أقطار المعسكر الإشتراكي ، و الشعب الهنديّ ، و جميع الشعوب و الأمم المضطهَدة . و قد أخذ يتّضح أكثر فأكثر أنّ القادة السوفيت لم يعودوا يعتبرون المستعمِرين ، وعلى رأسهم الولايات المتّحدة ، و رجعيّي مختلف البلدان أعداء لهم . فالماركسيّون اللينينيّون و الشعوب الثوريّة و الصين على وجه الخصوص هم الذين أصبحوا أعداءهم .

و من أجل مقاومة الصين ، التى تتمسّك بحزم بالماركسيّة اللينينيّة والمبادئ الثوريّة لتصريح عام 1957 و بيان عام 1960 ، تحالف القادة سوفيت مع الإستعمار الأميركي و طغمة تيتو المرتدّة و أعلنوا الآن بصراحة ، بواسطة مقال هيئة تحرير " **البرافدا** " فى 19 سبتمبر (أيلول) و بيان الحكومة السوفياتيّة فى 21 سبتمبر (أيلول) تحالفهم مع الرجعيّين الهنود . و قد يظنّون أنّه بإشتراكهم مع جميع الأنذال فى العالم فى النباح بالشتائم يستطيعون الحطّ من سمعة الصين و عزلها .

إنّنا نودّ أن ننصح القادة السوفيت بأن لا يتعجّلوا بالفرح . فالصين الثوريّة لا يمكن أبدا عزلها . و كلّما تعاونتم بوقاحة أكثر مع جميع المستعمِرين و الرجعيّين ، كلّما عزلتم أنفسكم أكثر . إنّ الصين لا يمكن الحطّ من قدرها و إعتبارها ، لأنّ الحقّ إلى جانبها . إنّ نقطة الضعف المميتة فيكم هي عدم إحترامكم للصدق . إنّ أكثر من تسعين بالمائة من شعوب العالم تراعى الصدق . و كما يقول المثل الصيني : " إذا كان الصدق إلى جانبك يمكنك أن تجوب العالم بأسره ، و بدونه لا تستطيع أن تتحرّك قيد أنملة " . و أولئك الذين لا يحترمون الصدق سيكون الفشل حليفهم فى آخر المطاف .

ملحق : **مصدر خطير للتوتّر فى آسيا**

(المقال الذى نشرته " **البرافدا** " فى 19 سبتمبر – أيلول – عام 1963)

إنّ عقد معاهدة لحظر التجارب النوويّة و إلتزام أغلبيّة أقطار العالم بها ، كانا من الخطوات الحيويّة فى خلق جوّ عالميّ يتّسم بالصحّة أكثر . و هذه حقيقة معترف بها عالميّا ، وهذا أيضا تقدير الرأي العالمى لمعاهدة موسكو . و قد نشأت بذلك آمال جديدة فى تسوية القضايا العالميّة البارزة تسوية سلميّة عن طريق المفاوضات ، و فى القضاء على مصادر التوتّر التى لا تزال فى العالم .

و لسوء الحظّ ما زالت على كوكبنا مواد ملتهبة تهدّد بالإنفجار فى أيّ لحظة و تصبح مصدر خطر عظيم على السلم . وأحد مصادر التوتّر هذه هو مسألة صدام الحدود الصينيّة الهنديّة المزمنة فى منطقة الهملايا ، التى ما زالت حادة حتّى الآن .

لقد طفحت الصحافة الصينيّة مؤخّرا ، بسلسلة كاملة من التصريحات – " بيان ناطق بلسان وزارة خارجيّة جمهوريّة الصين الشعبيّة " و إفتتاحيّات و مقالات من هيئات التحرير ، خُصّصت كلّها لصدام الحدود الصينيّة الهنديّة و الصفة المشتركة لهذه التصريحات هي رغبتها بكلّ سبيل ممكن فى تبرير كلّ عمل أقدمت عليه الحكومة الصينيّة فى صدام الحدود ، و التشهير بسياسة الدول الأخرى . إنّ هذه

البيانات تفيض بالترخّصات الإفترائيّة حول موقف الحكومة السوفياتيّة فيما يتعلّق بصدام الحدود الصينيّة الهنديّة .

لقد ذهب القادة الصينيّون إلى حدود سخيفة فأنّبوا الإتحاد السوفياتي على " التعاون مع الإستعمار الأميركي " و " التعاون مع الهند فى العراك ضد الصين " . و هم يتّهمون الحكومة السوفياتيّة بأنّها تعتبر الهند جزءا " من قطاع هام فى منطقة للسلم " . و هكذا يتجاهلون تجاهلا تامّا الرأي الذى ورد فى تصريح عام 1957 و الذى أكّد أنّ دول آسيا و أفريقيا المحبّة للسلم ، تشكّل عاملا حيويّا فى النضال لمنع الحرب و " تشكّل منطقة شاسعة للسلم " مع الأقطار الإشتراكية . إنّ أعمال الحكومة الصينيّة فيما يتعلّق بالصدام الصيني الهندي تناقض الخطّ العام الذى إتّفقت عليه الأحزاب الماركسيّة اللينينيّة حول التعايش السلمي وتأييد حركة التحرّر الوطني .

لقد ذهب المندوبون الصينيّون فى إجتماع اللجنة التنفيذيّة لمنظّمة التضامن الآسيوى الأفريقي الذى إنعقد مؤخّرا ، بتشويههم طبيعة العون السوفياتي إلى الهند ، إلى حدّ الإدّعاء الوحشيّ بأنّ الإتحاد السوفياتي " يحرّض الهند على الصدام بالصين ". إنّ هذا قول سخيف ، و بالطبع لم تؤكّده الحقائق . و هذا شيء مفهوم لأنّ حقائق كهذه لا وجود لها . إنّ الحكومة الصينيّة تعرف جيّدا أنّ طبيعة العون السوفياتيّ للهند هي بالضبط كطبيعة العون الذى يقدّمه السوفيت إلى عدد كبير آخر من الدول الحديثة التطوّر .

إنّ موقف الإتحاد السوفياتي من الصدام الصينيّ الهندي ، مهما حاول القادة الصينيّون تشويهه ، كان و ما زال فى جوهره موجّها نحو المساعدة لتسوية هذا النزاع بأسرع ما يمكن . و من الطبيعي التطلّع إلى أن يجد هذا الموقف الفهم و التأييد بين القادة الصينيّين . و لكن من الغريب أن بيكين فعلت كلّ ما فى وسعها لتشويهه . و فيما يتعلّق بالتصريحات الأخيرة التى أدلى بها القادة الصينيّون حول موقف الإتّحاد السوفياتي من مسألة نزاع الحدود الصينيّة الهنديّة ، من الصعب فهم العامل الذى يسيطر هنا – هل هو العداوة تجاه أوّل قطر إشتراكي أم الرغبة فى الحطّ من سياسة التعايش السلمي التى تثابر عليها الحكومة السوفياتيّة ، أم هو محاولات مستترة لإخفاء إنسحابهم من الخطّ الذى إتّفقت عليه الأحزاب الشيوعيّة والعمّاليّة فى العالم حول مسألة سياسة الأقطار الإشتراكيّة تجاه الدول الحديثة الإستقلال .

من المعروف جيّدا أنّ شعبي الهند و الصين المتجاورين قد عاشا فى سلم و صداقة لقرون عديدة . و لم تكن بينهما حروب و لا نزاعات حول المشاكل الإقليميّة .

و بعد أن نال الشعب الهندي إستقلاله فى عام 1947 و بعد نجاح الثورة فى الصين عام 1949 ، تأسّست بين الهند و الصين علاقات صداقة وحسن جوار . و بقيت الحدود بينهما كما كانت عليه فى الماضي و لم ينشأ صدام للحدود . و فى عام 1954 وضعت حكومة الصين الشعبيّة و حكومة جمهوريّة الهند توقيعهما على المبادئ الخمسة الشهيرة للتعايش السلمي – " بانش شيلا " .

و قد أكّدتا برزانة فى مؤتمر باندونغ مع بقيّة دول آسا و أفريقيا المحبّة للسلم ولاءهما لهذه الأفكار العظيمة .

لقد بدأت الصدامات المسلّحة الأولى على الحدود الهنديّة الصينيّة فى وسط عام 1959 . و أصبح الوضع حرجا بصفة خاصة فى الخريف الماضي . و نشبت معارك ساهدمت فيها وحدات عسكريّة كبيرة بين الصين و الهند ممّا أدّى إلى جرح آلاف الجنود و قتلهم و أسرهم .

لقد أثارت صدامات الهملايا شعورا عظيما بالقلق بين الجمهور المحبّ للسلم . و قد قلق الشعب السوفياتي وشعوب الأقطار الإشتراكيّة الأخرى بصفة خاصة بالتقارير التى وردت حول هذه الصدامات. و قد أشار بيان " **تاس** " المعروف فى 10 سبتمبر (أيلول) 1959 الذى عبّر عن وجهة نظر الحكومة السوفيّاتيّة إلى العواقب الخطيرة التى قد تتمخّض عن هذا الصدام على مصير السلم فى آسيا و العالم أجمع . و جاء فى البيان " قد عبّر فى الدوائر القياديّة السوفياتية عن الثقة بأن حكومة جمهوريّة الصين الشعبيّة و حكومة جمهوريّة الهند سوف لا تسمحان للقوى التى لا ترغب فى تخفيف توتّر الوضع العالميّ بل تسعى إلى زيادة توتّره و تسعى إلى الحيلولة دون تخفيف التوتّر الذى بدأ يظهر فى العلاقات بين الدول ، بإستخدام هذا الحادث لأغراضها الذاتيّة " .

لقد كان هذا و ما زال فى الحقيقة الموقف الوحيد الصحيح لحلّ هذه المسألة ، موقف تؤيّده جميع الدول المحبّة للسلم . و فى الفترة التى أعقبت ذلك دعت الحكومة السوفياتيّة فى عدّة مناسبات إلى وضع حدّ للتوتّر القائم فى منطقة الهملايا و إلى تسوية النزاع على أساس مقبول للطرفين . و قد إنطلق الإتّحاد السوفياتي من حقيقة أنّ هذا النزاع لا يفيد إلاّ قوى الإستعمار و الرجعيّة التى يهمّها الحفاظ على مصادر التوتّر الدوليّ .

إلاّ أنّ القادة الصينيّين لم يرضوا بموقف الإتحاد السوفياتي السلمي . و قد يكون أنّهم أرادوا تسوية نزاع الحدود مع الهند بالسلاح و أملوا فى الحصول على تأييد الإتحاد السوفياتي فى هذا الأمر ؟ و إذا كان هذا ما أراده قادة بيكين ، من الطبيعي إذن أن يكون لهم من الأسباب ما يدعو إلى " سخطهم "على موقف الإتّحاد السوفياتي . و لكن مهما قالوا فى بيكين ، فإنّ الحكومة السوفياتيّة التى تدين بالولاء لسياسة السلم اللينينيّة ، قد فعلت دائما و سوف تفعل كلّ شيء لإطفاء مواقد التوتّر الدولي بدلا من إلهابها ، و لدفع السلم بحزم و صيانته و تدعيمه . لقد إعتبرنا دائما و لا نزال نعتبر أنّه ما من سبب يدعو لإثارة نزاع للحدود بين الهند و الصين و لا سيما لإيصال ه النزاع إلى درجة الصدام المسلّح .

لقد أثار صدام الحدود فى الهملايا قلقا بالغا فى الدول فى دول الناشئة الأفريقيّة و الآسيويّة التى تدرك من خبرتها الخاصّة أنّ إضعاف وحدة الدول المستقلّة الناشئة ، و الإحتكاك ، والخلاف بينها أمر لا يفيد منه غير المستعمِرين والحكّام الإستعماريّين . وعندما بلغت الصدامات العسكريّة ذورتها فى خريف 1962 على الحدود الهنديّة الصينيّة دعا الرئيس جمال عبدالناصر رئيس الجمهوريّة العربيّة المتّحدة ، و بن بللا رئيس الحكومة الجزائريّة ، و بورقيبه رئيس تونس ، و شيرماك رئيس وزراء جمهوريّة الصومال و عدد كبير آخر من قادة البلدان الأفريقيّة و الآسيويّة البارزين جمهوريّة الصين الشعبيّة و الهند إلى وضع حدّ لإراقة الدماء ، و إلى بدء المفاوضات و تسوية النزاع بصورة سلميّة .

وبعد وقف إطلاق النار على الحدود الهنديّة الصينيّة فى أكتوبر (تشرين الأوّل) الماضى نظرا لمبادرة الصينيّين ، أمل كلّ الناس ذوى النوايا الطيّبة بأن يسوّى النزاع بسرعة و يوضع حدّ لهذا الفصل المؤلم فى تاريخ العلاقات بين الهند و الصين إلى الأبد . و قد إزداد الأمل نظرا لأنّ الحكومة الصينيّة قد وجدت سبيلا لتسوية القضايا الإقليميّة التى لم تسوّ مع غيرها من الأقطار المجاورة . و قد تمّ التوصّل إلى إتفاقيّات للحدود مع نيبال و بورما و بالإضافة لهذا ، كما قال تشو آن لاي رئيس مجلس الدولة لجمهوريّة الصين الشعبيّة : " فإّن قضيّة الحدود بين الصين و بورما كانت أكثر تعقيدا بكثير من قضيّة الحدود الصينيّة الهنديّة " .

لقد إتّخذت الحكومة الصينيّة عددا من الخطوات نحو تسوية علاقاتها مع الباكستان التى هي معروفة عموما بأنّها تنتمى إلى كتلة حلف جنوب شرقي آسيا (سيتو) وحلف سنتو ، الكتلتين العسكريّتين السياسيّتين اللتين أقامتهما الدول الغربيّة .

إنّ القادة الصينيّين يعلنون فى بياناتهم أنّ الشعوب الأفريقيّة و الآسيويّة كما يقال " مستهزئة " بموقف الحكومة الهنديّة من صدام الحدود . إلاّ أنّهم يلتزمون الصمت عن حقيقة أنّ الشعوب فى هذه الأقطار إمّا أنّها تعبّر عن دهشتها حول موقف الحكومة الصينيّة فى هذا الشأن أو تدين موقفها علنا . إنّ الشعوب فى ذلك الجزء من العالم قلقة بوضع الحدود الصينيّة الهنديّة ، وهي تعتقد بأنّه إذا توافر حسن النيّة والرغبة فى تسوية نزاع الحدود فى محادثات مائدة مستديرة ، لأمكن منذ طويل إيجاد السلم والإستقرار على الحدود الصينيّة الهنديّة . إلاّ أنّ هذه الآمال لم تتحقّق بعدُ .

من المعروف أنّه نسبة لمبادرة سيريمافو باندرنايكه رئيسة وزراء سيلان وضع قادة ستّ دول من الدول غير المنحازة (هي سيلان والجمهوريّة العربيّة المتّحدة و غانا وبورما و أندونيسيا و كمبوديا) فى مؤتمر كولومبو فى ديسمبر (كانون الأوّل) الماضي مقترحات ترمى إلى تسوية النزاع تسوية سلميّة . و قد أمل المساهمون فى المؤتمر بأن تكون إقتراحاتهم دافعا لتدعيم الهدنة و بأن تعبّد الطريق للمحادثات بين ممثّلي القطرين إذا ما نُفّذت . و جدير بالإهتمام أنّه بالرغم من أنّ حكومة جهوريّة الصين الشعبيّة تحاول إلقاء كلّ اللوم نتيجة وقوع الصدام على الحكومة الهنديّة ، إلاّ أنّ البلدان الأفريقيّة و الآسيويّة غير المنحازة التى حضرت مؤتمر كولمبو ، كانت ترى من الضروري توجيه النداء لا إلى أحد سوى الحكومة الصينيّة لسحب قوّاتها مسافة عشرين كيلومترا عن الخطّ الذى وجدت نفسها فيه نتيجة العداوات الواسعة النطاق التى شنّت فى خريف عام 1962 .

إنّ مقترحات كولمبو لم تعبّر عن شيء أكثر سوى الرغبات الودّية للدول التى تسعى بإخلاص لإيجاد حلّ مقبول من الطرفين لنزاع الحدود .

إنّ بيكين لسوء الحظّ لم تصغ لصوت الحكمة الذى يعبّر عن إرادة شعوب آسيا و أفريقيا .

فماذا حدث ؟ ما الذى حدث و حال دون تسوية النزاع تسوية سلميّة ؟

ليس هناك سبيل إلى أدنى شكّ فى أنّه إذا كان الجانبان قد جلسا و ناقشا دعوى كلّ منهما بهدوء و تعقّل دون تحيّز لكان من الممكن إزالة النزاع منذ وقت طويل كما كان من الممكن القضاء على مصدر التوتّر إلى الأبد فى ذلك الجزء من العالم . و كما تشير صحافة أقطار عديدة إنّه بينما قابلت الحكومة الهنديّة بصورة إيجابيّة مقترحات مؤتمر كولمبو وقبلتها بكاملها بدون أي تحفّظ و عبّرت عن إستعدادها لبدء المحادثات مع جمهوريّة الصين الشعبيّة على أساس هذه المقترحات ، فإنّ الحكومة الصينيّة لم تقبل بعدُ مقترحات الأقطار المحايدة الصديقة و لم تظهر إستعدادها لبدء المحادثات على الأساس المقترح . لقد وجدت الحكومة الصينيّة أنّه من الممكن لها أن تقصر نفسها على إصدار بيان يعبّر عن قبول هذه المقترحات " بصورة مبدئيّة " . و لم تتّخذ خطوات بنّاءة من قبل الحكومة الصينيّة .

إنّ الأقطارالأفريقيّة و الآسيويّة تلاحظ حقيقة أنّ الحكومة الصينيّة نفسها قد دعت هذه الأقطار مرّتين فى أكتوبر (تشرين الأوّل) و نوفمبر (تشرين الثاني) 1962 إلى " المبادرة " و ان " تيسّر " عقد محادثات مباشرة بين الهند والصين . و لكن عندما قدّمت هذه المساعدة لم تفد الحكومة الصينيّة من الخدمات الحسنة التى أدّتها هذه الأقطار .

تلاحظ الصحافة فى عدد كبير من الأقطار الأفريقيّة و الآسيويّة أن الحكومة الصينيّة قد أعلنت فى البداية أنّها سوف تقبل مقترحات مؤتمر كولمبو " بصورة مبدئيّة " ، و إدّعت أخيرا أنّها ليس بوسعها أن تقبل هذه المقترحات بكاملها لأنّها " ليست واضحة كلّها " و طالبت بالتوضيح . و عندما قدّمت التوضيحات قالت الحكومة الصينيّة إنّها قدّمت من قبل بعض أعضاء مؤتمر كولمبو فقط و بالتالى كما قالت " **جينمينجيباو** " إنّها " ليست وثائق مؤتمر شرعيّة " ، كما تظهر على الصحافة الصينيّة أيضا حجج أخرى تشكّك فى صلاحيّة مؤتمر كولمبو .

لقد إدّعت الحكومة الصينيّة فى بيانها بتاريخ 20 أغسطس (آب) مرّة أخرى بأنّها كانت على إستعداد لقبول مقترحات كولمبو " بصورة مبدئيّة " ، لكنّها لا تذهب أبعد من هذه التصريحات العامة .

و ليس من الغريب أن كثيرا من الناس بدأوا يقولون إنّ الحكومة الصينيّة ، بينما ترفع مبادرة الأمم غير المنحازة مدحا إلى السماء وتعلن أنّها " تقدّر " خدماتها الطيّبة و " تعطيها حظّها اللائق من الإعتبار " ، تتجاهل فى الحقيقة جهودها و لا تبدى رغبة فى الإستفادة من مقترحات كولمبو .

إنّ الناس فى الأقطار الأفريقيّة و الآسيويّة يربطون بين السياسة الحدوديّة لقيادة جمهوريّة الصين الشعبيّة و بين موقفها فيما يتعلّق بمحيط أوسع من العلاقات الدوليّة و يصلون إلى النتائج الخاصّة بهم . فعلى سبيل المثال تقول صحيفة " **واست أفركان بيلوت** " النيجيريّة أنّ بيكين " لا تؤمن بالتعايش السلمي و كلّما أدركنا ذلك بسرعة كلّما كان هذا أفضل للعالم أجمع " .

إنّ الشعوب الأفريقيّة و الآسيويّة يزعجها إلى درجة عظيمة التلف الهائل الذى يتسبّب فيه صدام الحدود الصينيّة الهنديّة لقضيّة تضامن و وحدة الشعوب المناضلة ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري و من أجل التحرّر الوطني و السلم . و لا تعجزها رؤية ما وراء سياسة حكومة جمهوريّة الصين الشعبية من حرص على وضع الهند فى موضع شقاق مع الدول الأفريقيّة و الآسيويّة الأخرى .

و ممّا يجدر بالملاحظة أنّ القادة الصينيّين ظلّوا مؤخّرا يدفعون بشدّة دعوى أنّ حكومة نهرو هي حكومة إستعماريّة وتوسّعيّة تسعى إلى خلق إمبراطوريّة شاسعة و يفوق كبرها حتّى الإمبراطوريّة البريطانيّة . و على ضوء مثل هذه الإدعاءات يصعب الإعتقاد بأنّ قادة الصينيّين مخلصون عندما يعبّرون عن رغبتهم فى تسوية نزاع الحدود مع الهند تسوية سلميّة .

إنّ ما يخطر بالبال هو أنّهم فى عاصمة جمهوريّة الصين الشعبيّة لا يريدون إدراك من يسعى للكسب من رواء النزاع الحالي الذى حدث و تسبّب فى تلف هائل على الشعب و ما زال يتسبّب فيه . و كما هو معروف فإنّ المستعمِرين إستغلّوا مباشرة النزاع الصيني الهندي محاولين إلهاب نار الحرب فى الهملايا. وهم يربطون هذا بخططهم البعيدة المدى . إنّهم يمطرون المنح على الهند بتقديم الأسلحة و ممارسة الأعمال المشتركة العسكريّة . و يسرّ المستعمِرين بصفة خاصّة أن يكون أحد طرفي الصدام دولة إشتراكيّة . و يريدون إستغلال هذه الحقيقة بغرض الإساءة لأفكار التعايش السلمي لدى الدول ذات الأنظمة الإجتماعيّة المختلفة و للصداقة و التعاون بين الأقطار الإشتراكيّة و الدول الأفريقيّة و الآسيويّة الحديثة الإستقلال . هذا و تكمن خلف كلّ هذا الرغبة فى إستغلال الصدام بغرض إبقاء مصدر خطير للتوتّر فى الوجود .

و فى الحقيقة ما الذى أدّى إليه صدام الحدود الصينيّة الهنديّة و ماذا كانت العواقب ؟

لقد أدّى هذا الصدام إلى تخريب بالغ لوحدة و إنسجام الأقطار الآسيويّة و الأفريقيّة فى نضالها المشترك ضد الإستعمار و الحكم الإستعماري . و قد أضرّ ضررا عظيما بالوحدة و التعاون بين الدول الحديثة التحرّر و الأقطار الإشتراكيّة ، بين الهند و جمهوريّة الصين الشعبيّة بصفة خاصّة .

و قد تكبّدت الصين و الهند نتيجة_العداوات خسائر عظيمة غير مبرّرة . إنّ نزاع الحدود بين القطرين اللذين عاشا قرونا طوالا فى سلم و صداقة لم يؤدّ إلى فصم علاقات حسن الجوار الودّية الوثيقة بينهما و حسب بل أدّى أيضا إلى عواقب إقتصاديّة وخيمة . و يكفى ذكر أنّ الهند خلال السنوات القلائل الماضية خصّصت للأغراض الحربيّة أربعة أضعاف ما خصّصته من قبل . و قد سبّبت هذه عبئا عظيما على الجماهير العاملة و قد فرضت ضرائب إضافيّة و أتاوات .

إنّ القوى الرجعيّة فى الهند تستخدم الصدام لإثارة العواطف التعصّبيّة ، بغرض شنّ هجوم على القوى التقدّميّة للبلاد ، و لدفع الهند بعيدا عن طريقها الحيادي و جذبها إلى الكتل الحربيّة - السياسيّة التابعة للغرب . و فى الإجتماعات والإحتشادات ، و فى الصحافة و البرلمان يلهب قادة الأحزاب الرجعيّة " سوانترانا " و " جانسانغ " و ما يسمّى بحزب البراجا الإشتراكي ، و أكثر العناصر الوطنيّة تطرّفا فى حزب المؤتمر الوطني الهندي الحاكم ، يلهبون بكلّ سبيل ممكن الدعاية التعصّبيّة المعادية للصين و يقفون ضد المفاوضات مع جمهوريّة الصين الشعبيّة ، التى قد تسفر عن تسوية سلميّة للنزاع ، و يدعون إلى إتّخاذ خطّ حازم تجاه جمهوريّة الصين الشعبيّة ، و منذ وقت بعيد أعلنت حالة الطوارئ فى البلاد ، و حدّت الحقوق الديمقراطيّة للشعب . ومئات عديدة من الشيوعيّين و قادة النقابات قد إعتقلوا و سُجنوا. إنّ الرجعيّين الهنود يطبّلون لتخفيض برامج التطوّر الإقتصادي و لإستخدام المصادر المحدودة للبلاد للأغراض العسكريّة و لإنشاء جهاز حربيّ هائل .

إنّ أحد بيانات وزراة خارجيّة جمهوريّة الصين الشعبيّة مؤخّرا يعبّر عن الرضى عن حقيقة أنّ بعض مرشّحى المؤتمر الوطني الهندي فى الإنتخابات الفرعيّة التى جرت فى البرلمان الهندي فى مايو (أيار) الماضى قد هزموا . و مع ذلك فإنّ وزارة خارجيّة جمهوريّة الصين الشعبيّة لم تقل شيئا فى ذلك الوقت حول حقيقة أنّ كبار الرجعيّين المتطرّفين كريبالاني و ماسانى جاءا على رأس القائمة ، و فى الحقيقة إنّ القادة الصينيّين يصفون نجاح هؤلاء الرجعيّين فى الإنتخابات بإنتصار للديمقراطيّة الهنديّة .

كما يظهر أيضا عدم رغبة قادة جمهوريّة الصين الشعبيّة فى فهم الوضع من تقديرهم للوضع فى البرلمان . و على سبيل المثال تتحدّث صحيفة " **جينمينجيباو** " بفرح لا يخفى حول التصويت بعدم الثقة الذى نوقش فيما يتعلّق بحكومة نهرو فى البرلمان الهندي . و الصحيفة لم يهمّها أن الذين إبتكروا التصويت بعدم الثقة كانوا هم مرّة أخرى نفس جماعة المتطرّفين من الجناح اليمينيّ الذين يحاولون تغيير السياسات الخارجيّة و الداخليّة للبلاد فى إتّجاه رجعي موال للإستعمار . و هنا يبرز سؤال شرعي : ما هي الإعتبارات التى توجّه أولئك الذين فى بيكين و الذين يساهمون بالفعل فى أعمال هذه الجماعة ؟

إنّ الضرر المادي الذى تسبّب فيه صدام الحدود للقطرين يمكن تقييمه بالروبيات واليوان معا . و لكن كيف يمكن للمرء أن يقيم الضرر المعنوي و السياسي الذى لحق بقضيّة الصداقة و التعاون بين الشعبين الصيني و الهندى ؟ إنّ هذا لا يمكن التعبير عنه بأيّ عملة من العملات . لقد تضاعفت جراثيم القوميّة و التعصّب السامّة بسرعة خارقة خلال الصدام الهندي الصيني . لقد أذكيت المشاعر المعادية للصين فى الهند و المشاعر المعادية للهند فى الصين . و الوضع الحاضر يقود بصورة موضوعيّة إلى زيادة العداوة المتبادلة فى القطرين معا .

لقد ذهبت الأمور فى الظروف الأخيرة إلى درجة أصبح الصدام معها يستغلّ بغرض تسميم الجوّ فى منابر دوليّة مختلفة . و كان هذا ما حدث على سبيل المثال فى مؤتمر التضامن الأفريقي الآسوي فى موشي و أيضا فى مؤتمر النساء العالمي فى موسكو حيث حاول الوفد الصينيّ فرض مناقشة هذا الأمر .

تدلّ كلّ هذه الأشياء بوضوح على العواقب الوخيمة التى أدّى إليها صدام الحدود الهنديّة الصينيّة فعلا . و ممّا دعا إلى القلق بصورة خاصة فى هذا الشأن لا عدم وجود أي مجهود يذكر لتسوية النزاع و حسب بل أيضا تراكم الأدلّة على أنّ الصدام قد يتفاقم مرّة أخرى .

إنّ توتّر الحدود الصينيّة الهنديّة مشبع بخطر عظيم . و فى الحقيقة ، عندما يقف جنود قطرين متجاورين متواجهين و بنادقهم مستعدّة للإنطلاق ، فإنّ خطر رصاصة تنطلق و تسيل على إثرها الدماء يصبح خطرا طبيعيّا جدّا ، لا سيما و قد دار بينهم قتال عنيف من قبل .

إنّ كلّ مؤيّدى السلم و الصداقة بين الأمم بإخلاص يحقّ لهم أن يتوقّعوا ممّن يقع على عاتقهم تسوية النزاع حقّا ، أن يترفّعوا عن مستوى الشكليّات و المركز الأدبي و أن يبدأوا المفاوضات بغرض الوصول إلى حلّ مقبول للطرفين . إنّ تسوية النزاع الصيني الهندي تسوية سلميّة سوف تفيد شعبي الهند و الصين وسوف تزيل هذا المصدر الخطير للتوتّر و سوف تؤدّى خدمة حسنة لقضيّة السلم فى آسيا و العالم أجمع .

وما من تبرير معقول لإبقاء التوتّر فى هذا الجزء من العالم . إنّ إزالة النزاع الصيني الهندي سوف تدعم السلم فى جنوب شرق آسيا و العالم عموما وتمكّن الشعبين من تسخير إنتباههما بصورة تامة لقضايا التطوّر الإقتصادي التى تواجههما .

إنّ الشعب السوفياتي يرغب فى رؤية إعادة علاقات حسن الجوار بين الدولتين الكبيرتين فى آسيا – جمهوريّة الصين الشعبيّة و جمهوريّة الهند – إلى ما كانت عليه . و فيما يتعلّق بنزاعات الحدود نتمسّك بوجهات النظر اللينينيّة و نعتقد بأنّه ما من نزاعات تستعصى تسويتها بصورة سلميّة عن طريق المفاوضات دون إراقة الدماء . و نظرا لهذه الإعتبارات بوجه التحديد ينظر الشعب السوفياتي إلى الأحداث التى وقعت على الحدود الصينيّة الهنديّة ، أمّا فيما يتعلّق بالإتحاد السوفيتي فهو يحترم جيرانه و يدرك أنّ علاقات حسن جوار يمكن إيجادها فقط إذا ما إحترمت الحدود القائمة بين الدول .

لقد قدّم نيكيتا خروتشوف رئيس مجلس وزراء الإتحاد السوفياتي تفسيرا واضحا لموقف الشعب السوفياتي عندما عبّر فى جلسة مجلس السوفيات الأعلى فى ديسمبر (كانون الأوّل) الماضى عن الأمل فى أنّ حكومة جمهوريّة الصين الشعبيّة وحكومة الهند " تسوّيا سوء الفهم على أساس تقدير المصالح المتبادلة فى روح الصداقة التقليديّة بين شعبي الصين و الهند " . إنّ موقف الإتحاد السوفياتي هو السياسة الدائمة الأمينة لدى الحكومة السوفياتيّة و اللجنة المركزيّة اللينينيّة للحزب الشيوعي السوفياتي و الرامية إلى صيانة السلم و تدعيم الصداقة بن الأمم . إنّ أكثر المفاوضات تعقيدا أفضل من الحرب . و يجب حلّ النزاعات بالطرق السلميّة على المائدة المستديرة لا بالطرق العسكريّة . إنّ الشعب السوفياتي يدعو بحزم إلى تسوية نزاع الحدود الصينيّة الهنديّة تسوية سلميّة و إلى القضاء العاجل على هذا المصدر الخطير للتوتّر الشديد ، فى هذا الجزء من العالم .

==
==================================